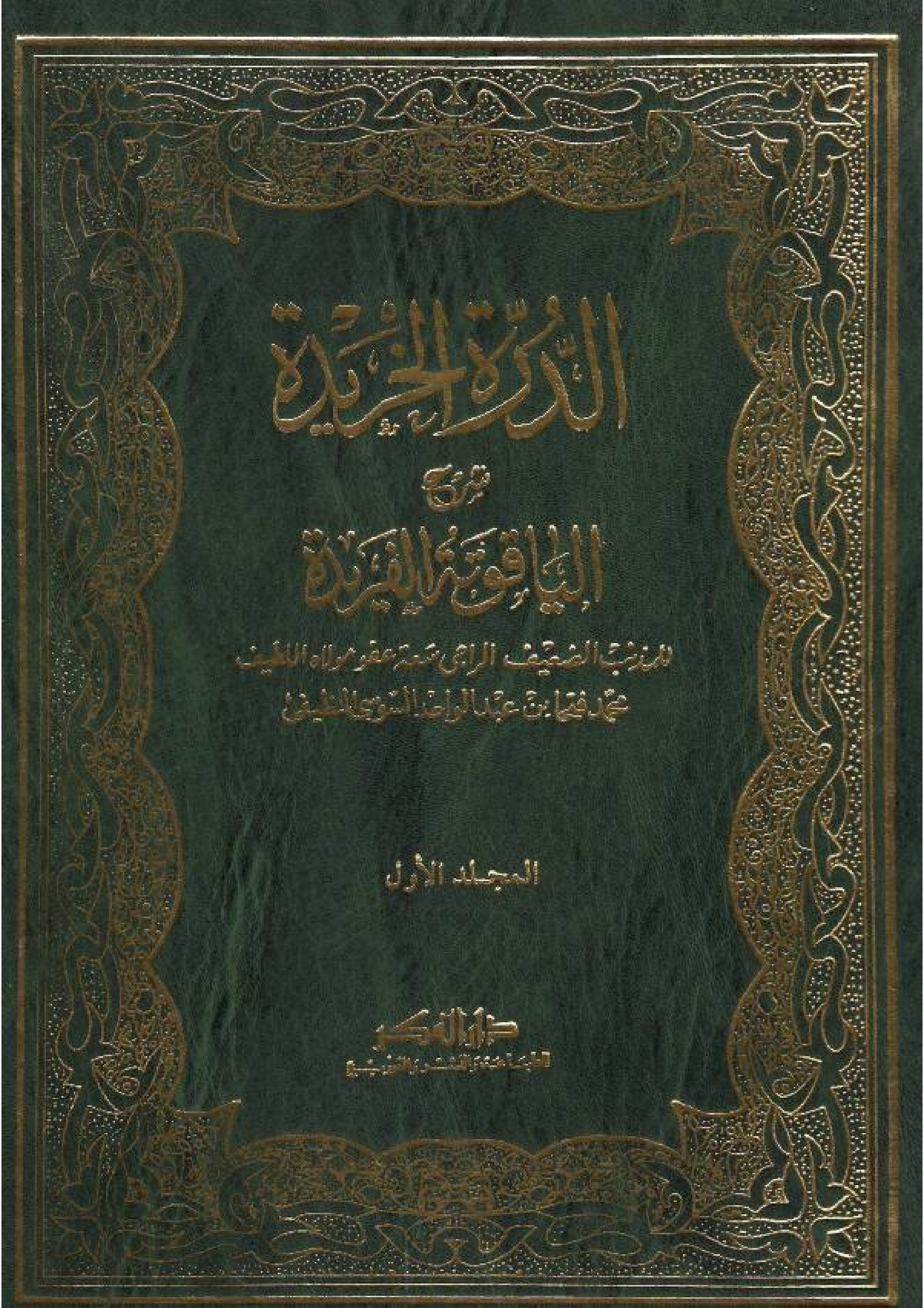

الدرة الخريدة
شرح
الياقوتة الفريدة
للمذنب الضعيف الراجي رحمة عفو مولاه اللطيف
محمد فتحا بن عبد الواحد السوسي النظيفي
المجلد الأول
دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

الدرة الخريدة

شرح

الياقوتة الفريدة

للمذنب الضعيف الراجي سعة عفو مولاه اللطيف
محمد فتحا بن عبد الواحد السوسي النظيفي
عامله الله وأهل الإيمان بالعفو والغفران
بجاه سيد الأكوان صلى الله عليه وعلى آله وسلم
ما اختلف الملوان آمين

الجزء الأول

الطبعة الأخيرة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار الفكر

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾
(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اصطفى الذات المحمدية مظهرا لفيوض ذاته الأحدية ، واجتبى الذات الأحمدية مظهرا لفيوض الذات المحمدية بمشيئته الفردية وعنايته الصمدية - لايسئل عما يفعل - الله أعلم حيث يجعل رسالاته - يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم - اللهم صل وسلم على الذات المحمدية اللطيفة الأحدية ، وعلى آله وأصحابه مظاهر الشريعة وينابيع الحقيقة : اللهم ارض عن المظهر المحمدى وعن المظهر الأحمدى الرضى الأبدى آمين .

[وبعد] فيقول أفقر العبيد لرحمة ربه المجيد محمد فتحا بن عبد الواحد السوسى النظيفى، نظفه الله وسائر الإخوان بالغفران من الأدران ، الكنى كنه الله بحفظه السرمدى، وستره بملاحف لطفه الخفى، وعمه بسوابغ بره الحفى ، وأغرقه فى بحبوحة السعادة الأبدية بمحض العناية السرمدية آمين : لما أبرزت القدرة الفردية والعناية الصمدية القصيدة المسماة بـ[الياقوتة الفريدة] طلب منى بعض الخاصة الفاذة والصفوة الشاذة متعنا الله برضاه الأبدى ، وأفاض علينا وعليه من نوره الأحدى ، وأطال حياتنا وحياته فى طاعته ، وأغرقنا وإياه فى دائرة سعادته آمين : حل مبانيها وبيان معانيها ، فأجبته بعد الاستخارة لما طلب ، وأسعفته بعد الاستشارة فيما رغب . وإن كنت مزجى البضاعة ، قصير الباع فى الصناعة . قال تعالى - ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا - ورحم الله من قال :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام رباح

ومن تشبه بقوم فهو منهم . ومن قال :

أسير خلف ركاب النجب ذا عرج ... مؤملا جبر ما لاقيت من عوج
فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا ... فكم لرب السما فى الناس من فرج
وإن ظللت بقفر الأرض منقطعا ... فما على عرج فى ذاك من حرج

مستمدا من الله العون والتأييد ، والتوفيق والرشد والتسديد والتحقيق ، وهو الهادى إلى أقوم طريق ، وهو حسبي وفوضت إليه أمرى ، مشيرا للجواهر بصورة [جه] وللجامع بصورة [جع] وللرماح بصورة [مح] والبغية بصورة [غ] وللميزاب بصورة [مب] وللجامع الصغير بصورة [جص] وللذهب الإبريز بصورة [هب] وللإحياء بصورة [حى] وللمدخل بصورة [خل] ولعوارف المعارف بصورة [ع] وللشعرانى فى البحر المورود والمواثيق والعهود بصورة [ثيق] وله فى العهود المحمدية بصورة [هم] وله فى درر الغواص بصورة [غص] وله فى الجواهر والدرر بصورة [جد] وللشرنوبى شارح تائية السلوك بصورة [شب] وللقاموس بصورة [س] مهملة رغبة فى الاختصار والاستبصار لأولى النهى والأبصار ، والله المستعان وعليه التكلان فى البدء والختام بجاه سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، وسميته :

الدرة الخريدة على الياقوتة الفريدة

جعله الله خالصا لوجهه الكريم ، ونفع به وبمشروحه النفع العميم بجاه النبى العظيم ، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

قال غفر الله ذنبه وستر عيبه مفتتحا بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) تأسيا بالقرآن العظيم بعد ترتيبه وجمعه أو باعتبار ما فى اللوح المحفوظ لحديث «أول شىء كتبه الله فى اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم» وتصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم « بسم الله الرحمن الرحيم فاتحة كل كتاب » وقوله « كل أمر ذى بال لا يبتدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع » وفى رواية « لايبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع » وفى العزيزى قال صاحب [الاستغنا فى شرح الأسماء الحسنى] عن شيخه التونسى : أجمع علماء كل أمة أن الله عز وجل افتتح كل كتاب بالبسملة اهـ وروى «أول ماكتب القلم بسم الله الرحمن الرحيم فإذا كتبتم كتابا فاكتبوها أوله » وهى مفتاح كل كتاب ، وعملا بما ورد أن رسائله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والآفاق افتتحت ببسم الله الرحمن الرحيم ، وبما جرى به عمل الأئمة من افتتاحهم سائر كتبهم ببسم الله الرحمن الرحيم إظهارا للعجز والافتقار ، واستعانة باسم الملك القهار . وفى [غ] والسر فى مشروعية الاستعانة بالله تعالى تنبيه العباد على صفة العجز اللازمة لهم التى ربما حجبوا عنها بنظرهم إلى كسبهم فى عباداتهم فيؤديهم ذلك إلى التظاهر بالدعوى بما ليس لهم ولا منهم فيستحقون المقت من الله تعالى ، والعياذ به سبحانه من كل ما يجر إلى مقته وغضبه اهـ . ثم قال : قال الشيخ محيى الدين رضى الله عنه : إنما أمرنا الحق تعالى بالاستعانة به إثباتا لفعل الأسباب التى لا يمكن رفعها ولا وجود للمسبب إلا بوجودها اهـ . قال تعالى ـ إياك نعبد وإياك نستعين ـ وقال ـ استعينوا بالله واصبروا ـ وقال ـ والله خلقكم وما تعملون ـ وفى [شب] قال بعض العارفين : ولما كانت الأسماء الإلهية سبب وجود العالم كانت البسملة خبر ابتدائها فكأنه يقول ببسم الله الرحمن الرحيم ظهر العالم فهى بيان لافتتاح الإيجاد والدخول إلى بيت الوجود بحسب الاستعداد اهـ . ومعنى الباء الإشارى : بى كان ما كان وبى يكون مايكون ، ولذا قال بعض العارفين : ما رأيت شيئا إلا ورأيت الباء مكتوبة عليه بمعنى بى قام كل شىء اهـ . وفى العزيزى : فائدة . قال النسفى فى تفسيره : قيل الكتب المنزلة من السماء إلى الدنيا مائة وأربعة صحف : شيث ستون ، وصحف إبراهيم ثلاثون ، وصحف موسى قبل التوراة عشرة ، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان ومعانى كل الكتب مجموعة فى القرآن ، ومعانى القرآن مجموعة فى الفاتحة ، ومعانى الفاتحة مجموعة فى البسملة ،

ومعانى البسملة مجموعة فى بائها، ومعناها بى كان ما كان وبى يكون ما يكون اهـ. وزاد غير النسفى : ومعانى الباء فى نقطتها. ونقل بعضهم أن القطب البكرى رضى الله عنه تكلم على نقطة باء البسملة فى أزيد من ألفى مجلس ومائة مجلس، وأنه قرأ فى نقطتها أربعة عشر عاما اهـ. قال تعالى ـ ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ـ واستحقت الباء التقديم فى البسملة على غيرها لما مر أو لأن بها بدأت بنو آدم يوم ـ ألست بربكم قالوا بلى ـ أو لمكان الكسر فيها، وفى ذلك إشارة إلى أنه لا يتقدم إلى حضرته تعالى إلا أهل الخفض والانكسار والذل والاستصغار ، ولابن الفارض رضى الله عنه :

ولو كنت بى من نقطة الباء خفضة رفعت إلى ما لم تنله بحيلة

وطولت الباء فيها إشارة إلى أن من تواضع لله رفعه الله، وتعظيما لاسم الله تعالى، ورحم الله من قال :

وطولت باء ببسم الله عظمة ورفعة لله

وحذفت ألف اسم من بسم الله لكثرة الاستعمال وكثرته تستدعى الخفة ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

وحذفت ألف بسم الله لكثرة استعمال خلق الله

والاسم مشتق من السمو وهو العلو لأنه يعلو مسماه ، وقيل من السمة بالكسر وهى العلامة لأنه علامة على مسماه ، ورحم الله من قال :

واشتق الاسم من سمى البصرى واشتقه من وسم الكوفى
والمذهب المقدم الجلى دليله الأسماء والسمى

وقيل بسم الله ولم يقل بالله لأن التبرك مختص بذكر اسمه تعالى ، أو أن الاسم عين المسمى ، أو أن لفظه مقحم على ما قيل. وفى [غ] وفى كلام بعض أهل الأذواق ما يرشد إلى توجيه آخر فائق عجيب، وذلك لحمله جملة البسملة على محمل غريب لا يتوجه معه البحث بحال فى مجىء لفظ اسم فى البسملة عند كل منصف أريب، وهو أن لفظ اسم مراد به اسم الله العظيم الأعظم أعنى الاسم الأعظم المخزون المعلوم عند أهل الله تعالى ، الذى هو اسم الذات المقدسة عندهم رضى الله عنهم، ليس للذات غيره ولذلك أضيف إلى الاسم الأعظم الظاهر وهو الله الذى هو علم على الذات المقدسة جل وعلا، وعلى هذا المحمل يكون الملاحظ لهذا المعنى متبركا بالاسم الأعظم المخزون، الذى ورد فيه أنه إذا دعى الله به أجاب وإذا سئل به أعطى، فكأنه يقول مثلا أفتتح متبركا ومتيمنا باسم الذات العلية المدلول عليها بالاسم، وحينئذ لا يبقى محل لما تقدم من التوجيهات لمجىء لفظ الاسم والله الموفق، فتنبه لهذه الدقيقة فإنك لا تكاد تطلع عليها فى كتاب اهـ. وفى قوله بعض أهل الأذواق تلويح إلى أنه هو رضى الله عنه وعنابه آمين بدليل فإنك لا تكاد الخ ، لكن الطريقة كتمية وأهلها كذلك رضى الله عنهم وعنابهم آمين. وفى [جه] إن الاسم الأعظم هو الخاص بالذات لا غيره وهو اسم الإحاطة ، ولا يتحقق بجميع ما فيه إلا واحد فى الدهر وهو الفرد الجامع ، هذا هو الاسم الباطن ؛ وأما الاسم الأعظم الظاهر فهو اسم المرتبة الجامع لمرتبة الألوهية من أوصاف الإله ومألوهيته، وتحته مرتبة أسماء التشتيت، ومن هذه الأسماء فيوض الأولياء، فمن تحقق بوصف كان فيضه بحسب ذلك الاسم، ومن هذا كانت مقاماتهم مختلفة وأحوالهم كذلك، وجميع فيوض المرتبة بعض من فيوض اسم الذات الأكبر ، انظره .

(قوله الله) علم على الذات المقدسة عن سمات الحوادث المنزهة عن النقائص والعلل والبواعث ، وهو اسم جامع للذات والصفات والأفعال فلذلك يقال له سلطان الأسماء وإليه تضاف سائر الأسماء ، وهو الاسم الأعظم عند الجمهور ، وتخلف الإجابة به لفقد الشروط التى منها أكل الحلال وصفاء الحال والبال. وفى [جه] اعلم أن هذا الاسم الشريف اختلف فيه ، هل هو مشتق أو مرتجل ؟ قلنا: الصحيح أنه اسم مرتجل وجميع ماذكر أهل اللغة فيه من التصريف لايصح ولا يتصور ، لأن ذلك يصح فى الأسماء المعللة وهى أسماء الصفات ، التى هى كل اسم منها يختص بمعنى من المعانى محقق فى الذات العلية ، فتلك الأسماء هى التى يطلق عليها التصرف يقال فيها متصرفة لتعليلها بمعانيها ، وأما هذا الاسم الشريف فلا معنى له إلا الذات العلية المطلقة لا غير ، ولذا قيل فيه إنه الاسم الأعظم لكونه ظهر فى مظهر الذات العلية لعدم اختصاصه بمعنى دون معنى ، فإن الحق سبحانه وتعالى سمى به نفسه فى غيب الغيب حيث لا وجود لشىء معه وليس هناك شىء يتعلل به ، ولقد وقع الخبر أن الحق سبحانه وتعالى كان فى الأزل لا شىء معه ، فبرزت حقائق الوجود المحسوسة شؤونا ملحوظة لاوجود لها فى الخارج ، وخاطبت الأسماء الإلهية التى هى لهذا الاسم الشريف كالفلك المحيط على قطبه ، فقالت الموجودات للأسماء إنكم الآن لا تعرفون لأنكم فى بطون البطون ، فلو أبرزتمونا للظهور لظهرت فينا أحكامكم وتوجهت فينا تصاريفكم ، فتميزت مراتبكم عن بطونها وعرفتم وعرفنا ، فقالت الأسماء للاسم الجامع وهو الرب وتوجهت إليه الأسماء بما توجهت إليها حقائق الوجود ، فقال لهم اسم الرب حتى أدخل على الاسم الجامع وهو الله ، فدخل عليه حضرته وخاطبه بما خاطبته به الأسماء ، فقال له حتى أدخل على مدلولى ، فدخل على الحق فى حضرة جلاله جل وعلا وهى حضرة الذات المقدسة فخاطبه بما خاطبت به الأسماء الرب وطلب منه ما طلبته به ، فقال له الحق سبحانه وتعالى : اخرج إليهم فإنى مبرز ما طلبتموه ، فكان عن هذا السؤال بروز الوجود بأسره :

فهذا يدل على أن هذا الاسم الأعظم ليس لعلة من العلل إنما هو اسم الذات المطلقة الواجبة الوجود لذاتها ، وإنما يصح التعليل فيه لو كان مختصا بلغة من اللغات كالعربية مثلا لأن اللغة لا يوضع فيها لفظ إلا بملاحظة معنى من المعانى ، وهذا الاسم فى عينه لم يختص باللغة العربية ولا غيرها من اللغات بل جميع الموجودات فى كل لغة من لغات الوجود تعرفه سبحانه وتعالى بأنه عين هذا الاسم وهو الله لا غير ، ومع هذا كله فقد اتفق العارفون رضى الله عنهم قاطبة على أنه عين المرتبة لا عين الذات ، إذ مرتبة الحق سبحانه وتعالى الألوهية ، والذات فى غاية البطون لا يعلمها غيره سبحانه وتعالى ، وما برز للوجود كله إلا بالمرتبة ، والذات غيب لا يدركها أحد فهى فى غاية البطون ، والمرتبة فى غاية الظهور ، فما سمع فى كلام العارفين رضى الله عنهم أنه هو الظاهر وحده لا وجود لغيره إنما يريدون ظهور المرتبة فصح لنا من هذا الكلام أن هذا الاسم الشريف غير معلل فهو علم على الذات الواجبة الوجود ، وما نطق به المتكلمون من قولهم إنه اسم جزئى فباطل لايصح لأن الجزئى فيما شأنه أن يكون كليا أو جزئيا من الموجودات ، فالكلى ما دل على جمع أو جنس لم يختص بجزء من أجزاء ذلك الكلى ، وانطواء الأجزاء تحت ذلك الكلى والجزئى ما دل على فرد من أفراد الجمع أو الجنس بحيث أن لا مشاركة فيه لغيره ، وهذا الاسم الأعظم خارج عن جميع الكليات والجزئيات ، فلا يقبل دخول الجنس معه لعدم

مجانسته لشيء من الموجودات ، ولا يقبل دخول الكلى معه لنفى المشاركة معه فى مرتبته، فبطل قولهم هو اسم جزئى فلا يصح فى إطلاقه إلا القول بأنه اسم مرتجل علم على الذات الواجبة الوجود من حيث المرتبة لا من حيث بطون الذات .

فإن قلت : إن صور الموجودات معدومة فى الأزل لا ظهور لها فكيف صح منها التوجه والكلام مع مرتبة الأسماء .

قلنا : إن ذلك حق فى علمها ولكن لما أراد الحق سبحانه وتعالى ظهورها أبرز منها صورا كالخيالات أو هى عين الخيالات ، فتوجه منها الخطاب المضمر الذى لا يدركه الحس ، فخاطبت الأسماء بهذا الخطاب فتوجهت مشيئة الحق تعالى لإبرازها ، والخيال يصح ظهوره بحيث أن لا ظهور له فى الخارج ، وصورة ذلك ما يراه النائم فى المنام فإنه يرى صورة أو صورا محسوسة ويخاطبها وتخاطبه ويدرك منها علوما لم تكن عنده ، وهى لا وجود لها فى الخارج إلا التخيل فقط فإذا استيقظ زالت تلك الصور لكونها لا وجود لها فى الخارج إلا فى الخيال ، فكذلك هذا الذى ذكرناه فى حقائق الوجود وهى كذلك واقع من غير شك اهـ وقدم على ما بعده لأنه خاص بالمولى جل وعلا : قال تعالى - هل تعلم له سميا - أى من تسمى باسمه سبحانه وتعالى .

[وحكى] أن بعض العتاة لما ولد له ولد اهتم أن يسميه بهذا الاسم الشريف فابتلعته الأرض هو وولده ، وقيل نزلت نار من السماء فأحرقتهما ، وحظ العبد من هذا الاسم التعلق دون التخلق ، والتعلق هو الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه والافتقار إليه ظاهرا وباطنا ، والاستغناء به تعالى عن كل ما سواه سرا وعلانية ، والتخلق أن يأخذ العبد من بعض أسماء الله الحسنى وصفاته العلا وصفا يلائم ضعف البشر وقصوره ، فيأخذ من الرحيم مثلا وصفا على قدر ضعفه وقصوره ، وهكذا فى سائر الأسماء التى يصح التخلق بها . وفى [غ] قال الأستاذ القشيرى رحمه الله تعالى : إن جميع أسمائه تعالى صالحة للتعلق والتخلق إلا لفظ الجلالة فإنه لا يصلح إلا للتعلق اهـ ثم قال عن محيى الدين : فاحفظ يا أخى نفسك عند التخلق بالأسماء الحسنى فإن العلماء لم يختلفوا فى التخلق بها ، فإذا تخلقت بها فلا تغب عن شهود كونك بحكم النيابة لتكون فى ذلك غير مشارك للخالق سبحانه فى إطلاق اسم من أسمائه عليك - وقل رب زدنى علما - اهـ .

(قوله الرحمن الرحيم) وصفان لله تعالى مشتقان من الرحمة بمعنى الإحسان الدنيوى والأخروى أو إرادته فهى على الأول صفة فعل وعلى الثانى صفة ذات ، وأما معناها الذى هو الرقة والتحنن والتعطف فمحال فى حقه تعالى ، وحذفت الألف من الرحمن لكثرة الاستعمال ، ومعناه المنعم بالنعم الجليلة ؛ ومعنى الرحيم المنعم بالنعم الدقيقة ، وفى ذكره بعد الرحمن إشارة إلى أنه كما يطلب منه سبحانه الأمر الجليل يطلب منه الحقير إذ لا معطى سواه ولا مانع سواه . وفى الحديث القدسى « ياموسى سلنى فى ملح قدرك وشراك نعلك » وروى « ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح وحتى يسأله شسع نعله » : وشراك وشسع بكسر أولهما خيط النعل ، ورحم الله من قال :

وخصص الرحمن بالتقديم ... لكونه أبلغ من رحيم

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه تتميما للفائدة :

أو لاختصاصه بربنا الجليل ... سبحانه من الشبيه والمثيل

فإن الرحمن اسم من أسمائه تعالى مقتض لإيجاد الخلق فلذلك لايتسمى به غيره ومن تسمى به هلك؛ ولا يرد قول من قال فى مسيلمة الكذاب :

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا   وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا

لأن المختص بالله تعالى المحلى بأل ، ورحم الله من قال فى معارضته :

سفهت بالفسق يا ابن الأرذلين أبا   وأنت شر الورى لا زلت شيطانا

وفى [جه] فالرحمن هو من أسماء المرتبة وهى مرتبة الألوهية ليس من أسماء الذات كالعظيم والكبير والجليل ، فإن أسماء الذات لا تعلق لها بالخلق ، وأسماء المرتبة كلها متعلقة بالمخلوقات ، لأن ألوهيته اقتضت وجود المخلوقات من غير حاجة بالإله لهم ، وإنما المخلوقات اقتضاهم كمال الألوهية لكونهم أبدا يعبدون الله تعالى ويسجدون له ويسبحونه وهى مرتبة الألوهية، فالألوهية هى مرتبة الإله المعبود بحق ، ومن أكبرها اسمه الرحمن فإنه محيط بجميع أسماء الوجود ، وفى الحديث « إنما قام الوجود كله بأسماء الله تعالى الظاهرة والباطنة » وجميع الأسماء التى يطلبها الكون بتمامها وكمالها داخلة تحت حيطة اسمه الرحمن ، لأن هذا الاسم منه الفيض على جميع الوجود ، وبهذه الحيثية قارب الاسم الأعظم لا أنه هو . قال صلى الله عليه وسلم فى بسم الله الرحمن الرحيم « ما بينها وبين الاسم الأكبر إلا كما بين بياض العين وسوادها» انظره . والرحمن مقتض لإمداد الخلق بقوام وجودهم ، وإنما جاز تسمية الخلق به مجازا لأن مجاز الإمداد يجوز فى حقهم ، ولذلك وجب شكر الخلق على ما وصل على أيديهم من النعم ، وعليه فوجه تقديم الرحمن كونه خاصا بالله تعالى كما مر ؛ وقيل إن الأول دال على الإنعام الدنيوى والثانى على الإنعام الأخروى ، وعليه فوجه تقديمه لتقديم متعلقه فى الوجود ، أو لأنه من باب الترقى لأن الإنعام الدنيوى دون الأخروى بكثير ، إذ موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ومع هذا يعطى لأدنى أهل الجنة منزلة قدر الدنيا عشر مرات ، وحظ العبد من التعلق والتخلق بهذين الاسمين الاتسام بالرحمة لجميع العباد ورفض ما سوى الله تعالى اكتفاء برحمته التى وسعت كل شىء إذ هى التى عليها المدار فى هذه الدار وفى تلك الدار . وفى [شب] ثم إن حظ العبد من التخلق باسمه الرحمن أن يصرف جميع عباده الغافلين عن طريق الغفلة بالوعظ والنصح رحمة بهم ويكون ذلك بطريق اللطف لا بطريق العنف ، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الازدراء ، وأن تكون كل مصيبة تجرى فى العالم كمصيبته له فى نفسه فلا يألو جهدا فى إزالتها ، وحظه من التخلق باسمه تعالى الرحيم أن لايدع فاقة لمحتاج إلا سدها بقدر طاقته ، وأن يبذل جاهه وماله لمن استعان به فإن لم يقدر فيعينه بالدعاء والتضرع رأفة به « إنما يرحم الله من رحم » ، ورحم الله القائل :

ارحم بنى جميع الخلق كلهم   وانظر إليهم بعين اللطف والشفقه
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم   وراع فى كل خلق حق من خلقه

[لطيفة] روى أن الإمام الغزالى رحمه الله رؤى فى النوم بعد وفاته فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه وقال لى بم قدمت على ؟ فصرت أذكر أعمالى ، فقال : لم أقبلها وإنما قبلت منك أنك ذات يوم نزلت ذبابة على مداد قلمك لتشرب منه وأنت تكتب فتركت الكتابة حتى أخذت حظها رحمة بها ، امضوا بعبدى إلى الجنة اهـ . وفى الحديث « ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء » وفى آخر « ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم » وفى آخر « الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى » ومن الحكم :

ارحم ترحم واصمت تسلم ، ولا تجهل فتغلب ولاتحرص على الشر فتندم اهـ وفى [حم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشفق على جميع خلق الله تعالى من مؤمن وكافر بطريقة الشرع كل بما يناسبه من الرحمة ، لكن لانبالغ فى الرحمة كل المبالغة بحيث نرحم الشاة فلانذبحها مثلا لأن للرحمة حدا لا نتعداه ، وقد سمى الله تعالى نفسه أرحم الراحمين وأمر بذبح الحيوانات فنذبحها مع رقة القلب ، ونضرب من شرد عن طريق الاستقامة من رعية وعبد وولد وبهيمة رحمة به على وجه التأديب لا التشفى للنفس ونكون أرحم به من نفسه وراثة محمدية ، ثم قال : وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من شروط من تخلق بالرحمة على العالم أن يعامل الجماد معاملة الحى فيمسك كوز الماء ويضعه برفق وشفقة خوفا من أن يتألم من الوضع . قال : وقد وضعت الكوز مرة بعنف فقال آه فمن ذلك اليوم وأنا أضعه برفق ؛ وكان رضى الله عنه يملأ قعاوى[1] الكلاب ويقول : إنهم مساكين لا يقدرون يملئون من البير إذا عطشوا ، ويمنعهم الناس من دخول دورهم ، ومن الشرب من حيضان دورهم خوف التنجيس . وكان يرسل بعض تلامذته إلى المذبح فيأتى بشعث وبالطحال ونحوهما للقطوط كل يوم ويقول : إن غالب الناس اليوم لا يطعم قطة الدار شيئا ، وإنما تخطف كل ما قدرت عليه إذا جاعت على رغم أنفه . وكان يتفقد النمل الذى فى شقوق الدار ويضع له الدقيق ولباب الخبز على باب جحره ويقول : يمنعهم من الانتشار لأجل القوت فإن النملة إذا جاعت تخرج تطلب رزقها ضرورة وعرضت نفسها لوقوع حافر أو قدم عليها فتموت أو تكسر رجلها ، فإذا وجدت ما تأكل على باب جحرها امتنعت عن الخروج ، انظره .

وروى أن الشبلى رحمه الله رؤى بعد موته فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفنى بين يديه الكريمتين ، وقال يا أبا بكر أتدرى بماذا غفرت لك ؟ فقلت : بصالح عملى . قال : لا فقلت بإخلاصى فى عبوديتى . قال : لافقلت بحجى وصومى وصلاتى . قال : لم أغفر لك بذلك ، فقلت : بهجرتى إلى الصالحين وبإدامة أسفارى وطلب العلوم . قال : لا ، فقلت : يارب هذه المنجيات التى كنت أعقد عليها حسن ظنى أنك بها تعفو عنى . قال : كل ذلك لم أغفر لك بها . فقلت إلهى فبماذا ؟ قال : أتتذكر حين يمشى على درب بغداد فوجدت هرة صغيرة قد أضعفها البرد وهى تنزوى إلى جدار من شدة الثلج والبرد ، فأخذتها رحمة لها فأدخلتها فى فرو كان عليك وقاية لها من ألم البرد ، فقلت : نعم ، قال : برحمتك لتلك الهرة رحمتك . اللهم برحمتك ارحمنا يا أرحم الراحمين يا رب العالمين :

[تنبيه] ورد فى البسملة من الفوائد ما لايحصى ومن الأسرار ما لا يستقصى : منها أنها أمان لأهل الأرض ماداموا عليها وأنه لايرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن العبد إذا قال بسم الله الرحمن الرحيم هرب منه الشيطان وتصاغر حتى يصير مثل الذباب ، وأن من رفع قرطاسا من الأرض فيه بسم الله الرحمن الرحيم إجلالا له أن يداس كتب عند الله من الصديقين وخفف عن والديه العذاب وإن كانا كافرين وأن من جاء يوم القيامة وفى صحيفته بسم الله الرحمن الرحيم ثمانمائة مرة وكان مؤمنا موقنا بربوبيتى أعتقته من النار وأدخلته الجنة دار القرار ، وأن من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقل بسم الله الرحمن الرحيم : أى فليواظب عليها فيجعل له بكل حرف منه جنة ووقاية من واحد منهم ، وأن من

(١) قوله قعاوى : مايوضع فيه الماء من الأقداح على هيئة البكرة والمحور اهـ مؤلفه .

كتب بسم الله الرحمن الرحيم ولم يعم الميم والهاء استغفر له سبعون ألف ملك مادام ذلك الكتاب ، وأن من وقع فى ورطة وشدة فليقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فإن الله تعالى يصرف بهما ما شاء من أنواع البلايا ، وأن من كانت له حاجة إلى الله تعالى فليصم الأربعاء والخميس والجمعة ، فإذا كان يوم الجمعة تطهر وراح إلى الجمعة وتصدق بصدقة قلّت أو كثرت مابين الرغيف إلى دون وما كثرت فهو أفضل ، فإذا صلى قال : اللهم إنى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم ، الذى عنت له الوجوه وخشعت له الأصوات ووجلت القلوب من خشيته أن تصلى على سيدنا محمد وعلى آله ، وأن تعطينى حاجتى وهى كذا وكذا ويسميها قضيت حاجته . وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : لا تعلموها سفهاءكم فيدعو بعضهم على بعض فيستجاب لهم ، وأن من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم خمسين مرة فى وجه ظالم أذله الله ، وأن من قرأها إحدى وعشرين مرة أمنه الله فى تلك الليلة من الشيطان الرجيم ، ومن السرقة ومن فجأة الموت ، ويدفع عنه كل البلاء .

وروى ، إذا جلستم مجلسا أو قمتم منه فقولوا بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد ، فإن الله يوكل بكم ملكا يمنعكم من غيبة الناس ويمنع الناس من غيبتكم ، وثبت أن سيدنا عمر رضى الله عنه وعنا به بعث بقلنسوة مكتوب فيها بسم الله الرحمن الرحيم لمن به صداع ، فإذا وضعه على رأسه سكن صداعه وإذا أزالها عاد إليه . وكان بعض الأئمة يكتبها سبعا بقصد الشفا فيحصل الشفاء بها . وقال بعض العارفين : بسم الله الرحمن الرحيم من العبد بمنزلة كن من الحق ، ومعناه أن من قالها بصدق وإخلاص وعزم وهمة كوّن الله له حاجته وبسر له مراده فى الحين بلا تأخر . ونقل عن أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : قل عند النوم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمسا ، بسم الله الرحمن الرحيم خمسا ، ثم قل : اللهم بحق محمد أرنى وجه محمد صلى الله عليه وسلم حالا ومآلا فإنك إذا قلت ذلك ترانى فى المنام ولا أتخلف عنك اه . ومن قال ذلك ولم يره صلى الله عليه وسلم فليرجع إلى نفسه الأمارة بالسوء باللوم والنقص والتقصير ، والله تعالى أعلم وأحكم (وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما) ثم افتتح افتتاحا نسبيا بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لأنه الواسطة العظمى والوسيلة الكبرى فى نعم الإيجاد والإمداد ، وجريا بما عليه عمل المغاربة رضى الله عنهم من الجمع بين الجملتين الشريفتين فى جميع افتتاحاتهم كتابة وقراءة ، وعملا بما هو الأكمل من الجمع بين ذكر الله تعالى وذكر نبيه صلى الله عليه وسلم ، وامتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة على فهو أقطع ممحوق من كل بركة » اه .

قوله « وصلى الله » بواو العطف ويجوز حذفه : قال بعضهم : إذا وردت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم معطوفة على كلام عطفت بحرف العطف ، وإذا وردت معطوفة على البسملة جاز ذكر حرف العطف وحذفه لأنها خبرية لفظا دعائية معنى . ونقل الرهونى عن شارح دلائل الخيرات مانصه : وفى عطف هذه الجملة على جملة البسملة بالواو خلاف ، فقيل بالمنع بناء على أن جملة البسملة خبرية مراعاة لمن منع تعاطف الخبر على الإنشاء ، وقيل بالجواز مراعاة لمن يقول بجواز عطف الإنشاء على الخبر ، وأما على القول بأن جملة البسملة إنشائية أيضا وهو الأرجح فيها لأن الإنشائية تطلق على الطلبية وعلى التى كان وقوع معناها فى الخارج مقارنا للتلفظ بها فالمختار إثبات الواو ، ولذا ذكره الشيخ أبو عبد الله

الجزولي ، عن شيخه أبي عبد الله بن منصور ، عن شيخه أبي زيد الثعالبي ، عن شيخه أبي جماعة المقري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمره بذلك في النوم اه . ورحم الله من قال :

وعطفك الإنشا على الإخبار ... وعكسه فيه خلاف جار
أهل البيان وابن مالك أبوا ... مثل ابن عصفور وبالحل اقتدوا
وجوزته فرقة جليله ... كسيبويه وارتضوا دليله

والصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومنا الدعاء ، وقيل ثناء الله عند ملائكته ، وقيل هي من الله زيادة تشريف وإكرام . وفي [س] والصلاة الدعاء والرحمة والاستغفار وحسن الثناء من الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال وصلى صلاة لا تصلية دعاء اه . وفي [جح] فائدة : سئل سيدنا رضي الله عنه عن معنى صلاة الحق على عباده؟ فأجاب رضي الله عنه : بأنها توقيفية ولا يقطع فيها بشيء لأنها صفة للحق . قيل له : إنها من كلام الله وهو يفسر بلغة العرب ويحمل على أسلوب كلامهم كما فسرت في موضع بالدين وفي آخر بالدعاء كما هو ظاهر ، ولهذا قال العلماء معناها الرحمة : قال رضي الله عنه : صلاة الله عامة وخاصة أما الخاصة فهي صلاته على أهل البلاء كقوله تعالى - أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة - وقوله - هو الذي يصلي عليكم وملائكته - هي العامة ولا تفسر إلا بالنص ولا نص ولذلك قلنا فيها توقيفية ، وقد سأل سيد الوجود صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام ، أيصلي ربنا ؟ قال نعم ، قال وكيف صلاته ؟ قال سبوح قدوس رب الملائكة والروح رحمتي سبقت غضبي ؛ فإذا كانت هذه صلاته فكيف تخصص بالرحمة أو يقطع فيها بشيء اه . وقال في محل آخر : اعلم أن الصلاة في حق الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وصف قائم بذاته على الحد الذي يليق بعظمته وجلاله ، وهو أمر فوق مايدرك ويعقل فإن الوصف الوارد في كل موجود وإن اشترك في اللفظ والاسم فالحقيقة مباينة في حق الموجودات ، فالصلاة في حقنا عليه صلى الله عليه وسلم هي الألفاظ البارزة من ألسنتنا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى فيما ينبئ على تعظيم نبيه صلى الله عليه وسلم منا ، وليست كذلك صلاته سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم فهي فوق مايدرك ويعقل فلا تفسر بشيء ، بل نقول يصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ولا نكيف صلاته ، ألا ترى أن السجود في حق الموجودات لله تعالى فكلها ساجدة لله تعالى ، وليس السجود المعهود في حق الآدمي يماثل سجود الجمادات والحيوانات والأشجار فردا فردا فإن لكل فرد من تلك الأفراد سجودا يليق بحاله ، فإن السجود في حق جميعها مماثل في الاسم والإطلاق والحقيقة متفرقة في جميعها وسجود كل واحد غير سجود الآخر . وأما صلاة الملائكة على النبي صلى الله عليه وسلم تعقلها في حقهم كتعقلها في حقنا اه . وفي [جه] فإن الصلاة عليه في حضرة الذات ليست هي الرحمة كما يقوله العلماء وإنما هي أمر لا يذكر ولا يعرف ولا يدرك ، فإن حضرة الذات انطمست فيها العبارات كلها وانعدمت الإشارات ، فإن حضرة الذات لو برزت للناظر لما قدر أن يجيب على سؤال واحد ، مثال ذلك في الشاهد مثال من ألقي في نار طولها مسيرة يوم وعرضها مسيرة يوم وهي شديدة الوقود لكثرة حطبها ، وحال من ألقي فيها معروف لم يقدر أن يلتفت إلى شيء غيرها ، ولا يقدر صاحبها أن يجيب سائلا أو يفهم كلاما لما هو فيه من عظم الأمر ، انظره .

قوله « على سيدنا » من السؤدد بالضم وفتح الدال وبضمتين كقنفذ ، وجمع سيد سيائد وجمع سائد سادة كبائع وباعة. وفي [س] السائد السيد أو دونه اه. والسيد من يصمد ويحتاج ويلجأ إليه عند اشتداد النوائب وتراكم اللوازب ولا أعظم في ذلك من أهوال الحشر ، ولا يليق من يصمد ويلجأ إليه ثمة إلا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، واستعماله في غير الله كثير قال تعالى ـ وسيدا وحصورا ـ وألفيا سيدها لدا الباب ـ وقال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » ولها معان . وفي العزيزي : فائدة. قال في النهاية : السيد يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم ، والمتحمل أذى قومه والزوج والرئيس والمقدم اه ونظمها من قال رحمه الله :

وتطلق عند العرب لفظة سيد ... لعشرة أشخاص بنقل مسدد
لرب وزوج أو رئيس مقدم ... شريف كريم فاضل ذي تودد
كذاك حليم حاكم متحمل ... أذى قومه إذ غيرهم لم يسود

وحكى بعضهم المنع في استعمال المحلى بأل في غير الله تعالى لحديث «السيد الله تبارك وتعالى» لما روى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : أنت سيدنا فقال « السيد الله تبارك وتعالى » انظر العزيزي ، واستعمال لفظ السيادة في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هو الأولى والأفضل ، واستحسنه غير واحد من الأئمة الأعلام أدبا وتعظيما لسيد الأنام عليه الصلاة والسلام .

قوله « محمد » علم على ذاته صلى الله عليه وسلم ، وهو منقول من اسم مفعول الفعل المضعف ، وهو أبلغ جميع الأسماء التي اشتقت من هذه المادة لأن محمدا في اللغة هو الذي يحمد حمدا بعد حمد لأن الصيغة تقتضي التكرار ، فهو اسم مطابق لذاته صلى الله عليه وسلم لأن معناه أن ذاته محمودة على ألسنة العالم من كل الوجوه ، حقيقة أوصافا وأخلاقا وأعمالا وأحوالا وعلوما وأحكاما ، فهو محمود في الأرض والسماء والدنيا والآخرة فهو خير من حمد وأفضل من حمد ، وكيف لا ولواء الحمد بيده وهو صاحب المقام المحمود والسبب في كل موجود ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وفي [غ] قال في شرح الحصن : واشتق له صلى الله عليه وسلم اسمان. أحدهما : يفيد المبالغة في المحمودية وهو محمد ، والآخر : يفيد المبالغة في الحامدية وهو أحمد ، واشتهر الأول اشتهاراً كثيراً وخص بمقارنته لكلمة التوحيد لمناسبة المحبوبية اه. ورحم الله من قال :

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وورد أن الله تعالى سماه بهذا الاسم قبل أن يخلق الخلق بألفي ألف عام ، وسماه به جده عبد المطلب بإلهام من الله تعالى أو بسبب رؤيا رآها في المنام. نقل أنه رأى كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف بالسماء وطرف بالأرض ، وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة نور ، فإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه ، يتعلق به أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض. وروى أن أمه صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها سمعت قائلا يقول لها إنك حملت بسيد هذه الأمة فإذا وضعتيه فسميه محمداً اه. فمحمد في حقه صلى الله عليه وسلم علم ووصف أي دال

على معنى هو وصف مدح ، وفى حق غيره علم محض فقط ، فالأسماء تدل على مسمياتها غالبا كما قيل:

وقلما أبصرت عيناك من رجل. إلا ومعناه إن فتشت فى لقبه

[فائدة] ذكر بعضهم أن من رأى اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيثما كان فقبله أمن الله فه من العاهات ببركته صلى الله عليه وسلم ، وحكى أن رجلا إسرائيليا كان مسرفا على نفسه ، فلما مات طرح فى مزبلة لكثرة عصيانه ، فأوحى الله إلى نبيه الذى كان فى زمنه أن اغسله وصل عليه فقد غفرت له، فقال يارب بماذا غفرت له؟ قال إنه فتح التوراة يوما فوجد فيه اسم محمد صلى الله عليه وسلم فقبله وصلى عليه فغفرت له اهـ . وورد « إن الله يوقف عبدين بين يديه ويقول لهما: انطلقا إلى الجنة فإنى آليت على نفسى أن لا أعذب بالنار من اسمه محمد أو أحمد » اهـ. أى إكراما للنبى صلى الله عليه وسلم المسمى بهما فى السماء والأرض، وأن « من ولد له مولود فسماه محمداً حبا لى وتبركا باسمى كان هو ومولوده فى الجنة» وأن « من ولد ثلاثة من الأولاد ولم يسم أحدهم محمدا فقد جفانى ، فإذا سميتموهم محمدا فبروهم وأكرموهم فإنى أشفع لكل محمد ، وإن البيت إذا كان فيه محمد اتسع بأهله وكثر خيره وأنه ماضر أحدكم أن يكون فى بيته محمد أو محمدان أو ثلاثة » وأن امرأة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله إنى امرأة لا يعيش لى ولد فقال « اجعلى لله عليك أن تسميه محمدا» ففعلت فعاش ولدها، وأنه إذا تبين للرجل حمل المرأة فيمسح على بطنها ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أسمى ما فى بطنها محمدا فاجعله لى ذكرا فإنه يولد ذكرا إن شاء الله تعالى إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة فى الترغيب فى التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم وبأسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفى الحديث « سموا بأسماء الأنبياء ولا تسموا بأسماء الملائكة » وفى آخر « ينادى مناد يوم القيامة كل من سمى من المؤمنين باسم نبى من الأنبياء فليدخل الجنة، فيبقى أقوام من المؤمنين فيقال لهم من أنتم؟ فيقولون نحن لم يوافق اسمنا اسم نبى ، فيقول الله تعالى شأنه وتبارك خيره أنا المؤمن وأنا سميتكم المؤمنين فيدخلهم الجنة بموافقة اسمهم اسمه تعالى » فلله الحمد فى الأولى والآخرة ، وفى ذلك قال بعض الإخوان رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه آمين:

بشرى لمن بمحمد أو أحمد	أو باسم بعض الأنبيا قد أسميا
يوم الجزاء يقال قم للجنة	كرما لمن تسمى(١) به من أنبيا
إن لم تسم بواحد من أنبيا	فابشر كفاك بمؤمن متسميا
فالمؤمن اسم من أسامى ربنا	وبمؤمن سميت فيما أوحيا

وفى [ثبتى] أخذ علينا العهود أن نزيد فى تعظيم كل عبد تسمى بمثال أسماء الله أو بمثال أسماء محمد صلى الله عليه وسلم أو بمثال أسماء الأنبياء أو بمثال أسماء أكابر الأولياء زيادة على تعظيم غيره ممن لم يسم بما ذكرنا ، ويكون التعظيم لنافع أو مؤمن أو وكيل أو رشيد ونحو ذلك من أسماء الله أكثر من محمد وأحمد ويس ونحو ذلك من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهكذا على تفاوت الدرجات إلى آحاد الأولياء ، وهذا العهد أخذته على سيدى محمد بن عنان ولم أجده لغيره وقال لى أحب الناس أن يسموا أولادهم بأحمد دون محمد ، فقلت له كيف ؟ فقال للحن فى اسم محمد فإن أهل الريف يقولون محمد بكسر الميم والحاء والميم الثانية وأهل الحاضرة يقولون محمد بفتح الميم ، فاعلم ذلك والله يتولى هداك اهـ.

---

(١) تسمى من أسمى بالهمز لا من سمى المضعف .

قلت : هذا لايضر إن شاء الله تعالى : قال تعالى - فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم - وعنه صلى الله عليه وسلم « ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما » وكانت حمالة الحطب تقول :

مذمما قلينا ، ودينه أبينا ، وأمره عصينا

ولأن اللحن أيضا موجود فى أحمد فأهل البادية يقولون حدوش وأهل الحاضرة يقولون حمد بحذف الهمزة ، وحذفها يفوت المقصود الذى هو المبالغة وذلك تغيير للاسم وتغييره لايجوز ، ولهذا كان بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه ينكر على من يقول لسيدنا أبى الفيض أحمد بن محمد التجانى حمد ويقول : إن ذلك تغيير لاسمه ونقص منه فاعلم ذلك واعمل عليه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

[تنبيه] : وفى [جص] «أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن» قال الحفنى : إن عبد الله أفضل من عبد الرحمن لأن لفظ الله يدل على الذات المستكملة الصفات، ثم عبد الرحمن لكونه لم يطلق على غيره تعالى رحمان، ثم بقية ما أضيف فيه عبد لاسم من أسمائه تعالى نحو: عبد الكريم وعبد الخالق وعبدالعزيز الخ فهى كلها فى مرتبة واحدة ، ثم محمد ثم أحمد ثم إبراهيم ، وإنما سمى الخليل إبراهيم مع أن محمدا وعبد الله مثلا أفضل لأن الأفضلية لم تظهر حينئذ وإنما ظهرت على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم. وإنما سمى صلى الله عليه وسلم ولده إبراهيم مع أن عبدالله ونحوه أفضل إشارة إلى طلب التسمية بأسماء الأنبياء، والتسمية بعبد النبى قيل حرام لإيهامه أن النبى خلقه. ورد بأن كل من سمع عبد النبى لايفهم إلا معنى الخدمة لاعبد الخلق والإيجاد إذ لايتوهم ذلك أحد ، نعم الأولى ترك التسمية به لهذا الإيهام ولو على بعد اه .

قلت : أخبرنى من أثق به أنه دخل ذات يوم على بعض الأحباب فسمعه نادى عبده بهذا الاسم فاقشعر جلده وانقبض قلبه من ذلك لأنه ماسمعه قبل ذلك ، فقال له سبحان الله إن العبودية لا تضاف إلا لله تعالى فأنكر عليه ذلك وأمره أن يغير اسمه بعبد الله فلم يمتثل ولا حول ولاقوة إلا بالله والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم :

قوله «وآله» أى وصلى الله على آله لحديث « لاتصلوا علىّ الصلاة البتراء قالوا وما الصلاة البتراء يارسول الله ؟ قال يقولون اللهم صل على محمدويسكتون ؛ بل يقولون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » وفى آخر « من صلى علىّ صلاة لم يقل فيها علىّ وعلى أهل بيتى لم تقبل منه » وعن ابن مسعود رضى الله عنه : لو صليت صلاة لا أصلى فيها على آل محمد ما رأيت أن صلاتى تتم . والمراد بهم من آمن به صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم . قيل والمطلب لحديث « بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحد » ورحم الله من قال :

على وعباس عقيل وجعفر ... وحمزة هم آل النبى بلا نكر

أو أتقياء أمته لحديث «آل محمد كل تقى أو كل من آمن به» ووفق بعضهم بين هذه الأقوال فقال : آله صلى الله عليه وسلم فى مقام الزكاة المؤمنون من بنى هاشم أو والمطلب على الخلاف فى ذلك ، وفى مقام المدح أتقياء أمته ، وفى مقام الدعاء كل مؤمن به ولو عاصيا ، وهو توفيق حسن اه . وفى [جه] وأما آله صلى الله عليه وسلم فعلى الأصح هم بنو هاشم ، وقيل عبد مناف . قال ابن الحاجب فى كتابه الفرعى : هاشم آل وغالب غير آل وفيما بينهما قولان ، هاشم آل بالإجماع وما فوق ذلك إلى غالب

فيه خلاف بين العلماء. والأصح أن الآل هم الذين حرم عليهم صلى الله عليه وسلم الصدقة ولم يحرمها إلا على بني هاشم هذا الدليل لهذا الأصح . والدليل الثاني قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح حيث ذكر الاصطفاء في العرب قال « واصطفى من بني كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » فدل هذا الحديث على أن هاشما هو الآل ، ولكونه صلى الله عليه وسلم حين وضع بيت المال الخاصة بآله ما كان يعطي غيرهم ، ولا أعلم هل كان يعطي معهم بني المطلب أم لا . ولكونه صلى الله عليه وسلم في وقعة بني النضير حيث أخذ بلادهم وأموالهم فيئا جعلها الله له وحده صلى الله عليه وسلم أخذ ما أخذ وأعطى الناس ما أعطى ، وترك منها حظا وافرا لآله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين بني هاشم وبين بني المطلب ، فقام إليه عثمان بن عفان رضي الله عنه في بني عبد شمس بن عبد مناف وبني نوفل بن عبد مناف . قال : يارسول الله أما ما خصصت به بني هاشم فلا ننازعهم فيه لمكانتهم منك ، وأما ما خصصت به إخواننا من بني المطلب بن عبد مناف فلأي شيء خصصتهم ونحن وهم في رتبة واحدة ؟ قال لهم صلى الله عليه وسلم « إن بني المطلب لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام » هذا ما قال لهم فسلموا ، فكل هذه الأخبار تدل على أن الآل بنو هاشم فهم آله على التحقيق ، وقد وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب بني هاشم يعني المؤمنين منهم ، وقال صلى الله عليه وسلم في أولاد فاطمة رضي الله عنها « إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار » وقد حرم النبي صلى الله عليه وسلم الصدقة على بني هاشم فلا تحل لهم أبدا ، ولا يلتفت إلى ما يقوله الفقهاء من إباحتها لهم متعللين بشدة فقرهم وعدم أخذهم من بيت المال فإن هذا التعليل لا أصل له ، إذ علة منعهم من الصدقة أنها أوساخ الناس وقدسهم الله عنها لعلو منصبهم ، وهذه العلة باقية على أصلها لم تنتقل ، إنما يصح ذلك التعليل للفقهاء لو كان علة منعهم من الصدقة الغنى أو وفور حظوظهم من بيت المال فإذا فقد هذا قلنا إنها تحل لهم ، والحكم لم يقع لأجل هذه العلة وإنما وقع الحكم لمنعها عنهم من أنها أوساخ الناس وعلو منصبهم عنها وهذه العلة جارية لم تنتقل فهؤلاء هم الآل الأصليون . والآل الملحقون صنفان : الأول منهم من انصبغ بمحبته صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا يشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم حيث سئل من آل محمد الذين أمرنا بحبهم وإكرامهم والبرور بهم فقال صلى الله عليه وسلم « أهل الصفاء والوفاء ممن آمن بي وأخلص » فقيل له وما علامتهم ؟ فقال : « إيثار محبتي على كل محبوب ، واشتغال الباطن بذكري بعد ذكر الله عز وجل » فهذا الصنف هم الآل الملحقون . والصنف الثاني : الذين حافظوا على اتباع سنته والتخلق بأخلاقه واقتفاء آثاره ، يشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم « إن استطعت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غل لأحد فذلك سنتي ، ومن أحيا سنتي فكأنما أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة » فهؤلاء هم الآل الملحقون اه :

[تنبيه] سئل بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه عن كفارة اليمين هل تدفع للشرفاء أم لا ؟ فقال : لا تدفع الكفارات بأسرها لساداتنا الشرفاء أعز الله قدرهم لأنها كالزكاة في كونها أوساخ الناس ، ومنصبهم أجل من الأقذار والدنايا « الحمد لله الذي جعل رزق آل محمد كفافا » .

قوله « وصحبه » اسم جمع لصاحب كراكب وركب ، وقيل هو جمع له وله اثنا عشر جمعا جمعها بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه بقوله :

فهاك جموع صاحب صاح بالولا أصاحيب أصحاب صحوب وصحبان
بضم وكسر فى الأخير صحابة تثلث فى صحب صحابك وجهان

بضم نون وجهان للقافية أو لغة على حد قوله «فالنوم لاتألفه العينان» [1]. والصحابى من اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته اجتماعا معتادا وآمن به ومات على ذلك وإن لم يرو عنه ولم يطل اجتماعه به . وفى البخارى : ومن صحب النبى صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه اهـ .

قوله «وسلم تسليما» أى وسلم عليهم تسليما مصدر مؤكد لعامله والسلام هو الأمان وطيب التحية والإكرام ، والجمع بين الصلاة والسلام هو الأولى والأكمل لقوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما - وصرح النووى بكراهة أفراد أحدهما عن الآخر متمسكا بورود الأمر بهما معا فى الآية ، وابن الصلاح بكراهية الاقتصار على السلام فقط ، وصرح بعضهم بجواز الاقتصار على أحدهما بدون كراهة . قال ابن الجوزى فى [مفتاح الحصن] : وأما الجمع بين الصلاة والسلام فهو الأولى والأكمل والأفضل ، لقوله تعالى - صلوا عليه وسلموا تسليما - ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة ، فقد جرى عليه جمع منهم مسلم فى صحيحه وهلم جرا اهـ والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم من الواجبات مرة واحدة فى العمر المجموعة فى قول بعضهم رحمه الله :

فبسمل حمدل صلاة وهيللا كبر وحسبل فسبحان حوقلا
فيكفيك ذكرها فى عمرك مرة تؤدى به فردا جزيلا مكملا

ولو قال مكان البيت الأول :

فبسمل وحمدل ثم صل وهللا وكبر وحسبل ثم سبح وحوقلا

لحسن واتزن . وفضائلها ستأتى إن شاء الله تعالى فى آخر النظم ، والله تعالى أعلم وأحكم :

[تنبيه] لما مزج الشرح بالمشروح مزج الجسد بالروح استملح بعض الأحباب أصلح الله حاله ومآله كتب البيت برمته قبل الشرح فأسعف لما اقترح واستملح ، ولذا قال غفر الله ذنبه وستر عيبه :

(بَدَأْتُ بِبِسْمِ اللهِ وَالْحَمْدِ إِذْ هَدَى بمحضِ الرِّضَى وَالفَضْلِ لِلأَحْمَدِيَّةِ)

(بدأت) بدال مهملة من البدء وهو فعل الشىء أولا ، وأما بذأ بمعجمة فمعناه رأى منه حالا فكرهه واحتقره ، وفى ذلك قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

بدأ بالهمز وبالإهمال فعل شىء أول الأفعال
بذأ بالهمز وبالإعجام كره ما رأى من الملام

وأتى بالماضى مكان الآتى تنزيلا للمستقبل منزلة الماضى ثقة بباريه فى إكمال رجائه وقد فعل فله الحمد فى الأولى والآخرة (ببسم الله) أى بدأت نظمى مستعينا ومتبركا باسم الذات العلية المخزون الأعظم المدلول عليه بالله وهو الاسم الأعظم الظاهر . وفى [غ] والذى عليه المحققون وكمل العارفين بالله كشيخنا رضى الله عنهم أجمعين أنهما اسمان أعظمان : أحدهما الاسم الأعظم المخزون المتعارف بين

---

(١) صدره * يا أبت أرقنى القذان *

أهل الكشف رضى الله عنهم ويقال له الاسم الأعظم الباطن ، والثانى هو الاسم الجامع وهو الله تبارك وتعالى . ويقال له الاسم الأعظم الظاهر اه . وتقدم نص [جه] (والحمد) بالجر عطفا على ماقبله وبالرفع على الحكاية أى بدأت متبركا ومتيمنا بالحمد لله تأسيا بالقرآن العظيم وامتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « كل أمر ذى بال لايبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع » وفى رواية « بحمد الله » كما مر ، وفى أخرى « كل كلام لايبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم » أى مقطوع البركة وناقصها وإن تم حسا ، والابتداء به إضافى : وهو ماتقدم أمام المقصود سواء سبقه شىء أولا ، ولم يعكس لقوة حديث البسملة ولموافقة القرآن . والحمد لغة الثناء بالجميل على الجميل الاختيارى على جهة التعظيم والتبجيل . وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحامد أو غيره فورده عام ومتعلقه خاص عكس اللغوى ، وأل فى الحمد عهدية كما قال ابن النحاس لما سأله شيخه أبو العباس المرسى عنها فقال : ياسيدى يقولون إنها جنسية ، ولكن أقول إنها عهدية لأن الله تعالى لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه فى الأزل نيابة عن خلقه قبل أن يحمدوه ثم أمرهم أن يحمدوه بذلك الحمد ، فقال له المرسى رضى الله عنهما أشهدك أنها عهدية .

[تتمة] الحمد إما مقيد وهو مادل على حمد الذات العلية لسبب من الأسباب كـ ـ الحمد لله الذى هدانا لهذا ـ الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ـ الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين ـ أو مطلق وهو مادل على حمد الذات المقدسة مجردا عن الأسباب والبواعث والعلل بل للاستحقاق والتبجيل كالحمد لله ، والمقيد إما بإثبات كما مر أو بنفى ـ كالحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ـ الخ ـ والحمد لله الذى لا إله إلا هو ، وهو بقسميه أفضل من المطلق ، كما أن المقيد بالإثبات أفضل من المقيد بالنفى ، وهذا قول إمامنا مالك رضى الله عنه وعن جميع الأئمة ، ودليله كثرة وروده فى القرآن والحديث ، وكونه يثاب عليه ثواب الواجب لأن الغالب وقوعه فى مقابلة نعمة (إذ) تعليلية أو ظرف (هدى) . وفى [س] الهدى بضم الهاء وفتح الدال الرشاد والدلالة هداه هدى وهديا وهدية وهداية بكسرهما اه . وذكر له فى الإتقان سبعة عشر معنى : منها التوفيق قال تعالى ـ إنك لاتهدى من أحببت ـ ومنها الإرشاد قال تعالى ـ وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ـ ومنها البيان قال تعالى ـ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ـ انظره ، وفاعل هدى يعود إلى الله تعالى المبدوء به ومفعوله محذوف أى هدانى أى لأجل هدايته إياى ، وقد جرى فى مدح ربه على ماهو الأفضل فى مذهبه عسى ربه أن يجزل أجره ويمحص وزره عنه وكرمه (محض) أى خالص . وفى [س] المحض اللبن الخالص وفضة محض ومحضة وممحوضة خالصة وفلان ممحوض النسب خالصه انظره (الرضى) بكسر الراء وضمها مصدر رضى عنه وعليه ضد سخط (و) محض (الفضل) ضد النقص من فضل كنصر وعلم ، وأما فضل بالكسر يفضل بالضم فركبة منهما انظره . [س] وإضافة محض لما بعده من إضافة الصفة للموصوف : أى بالرضى والفضل المحضين : أى بمجرد رضى الله تعالى وفضله الخالصين من الشوائب والأسباب ، يختص برحمته من يشاء بلا سبب ولا تعب ، فله الحمد فى الأولى والآخرة (للأحمدية) متعلق بهدى ، يقال هداه الطريق وله وإليه : أى للطريقة الأحمدية : أى المنسوبة لسيد الوجود وعلم الشهود صلى الله عليه وسلم ، الذى سماه الله فى القرآن أحمد فنسبت إلى من صدرت منه صلى الله عليه وسلم أولا . أو المنسوبة لسيدنا وسندنا وعدتنا وعمدتنا أبى الفيض أحمد بن محمد ، التجانى منشأ ، الحسنى

نسبا ، الفاسى مدفنا ، قدس الله روحه فى دار القرار وأفاض علينا من فيضه المدرار بجاه النبى المختار ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم مادام الليل والنهار . وهذا هو المتبادر إلى الذهن لأنه المتلقى لها من النبى صلى الله عليه وسلم بلا واسطة أحد . وفى [غ] أما تسميتها بالأحدية كما عليه إطلاقات جميع أصحاب الشيخ رضى الله عنه ولا ندرى هل سماها الشيخ بذلك أم لا ، فمن وجوه . أولها : وهو الظاهر المتبادر لكل أحد ، أنها سميت بذلك نسبة إلى اسم صاحبها لأن اسمه رضى الله عنه أحمد ، وهو إمامها المتلقى لها من حضرة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم من دون واسطة شيخ آخر فلا إشكال عليه فى تسميتها بالأحدية . الوجه الثانى : أنها إنما سميت بذلك لكونها طريقة شكر كما تقدمت الإشارة إليه ، فلكون القطب الذى عليه مدارها هو الحمد بالوجه الأبلغ سميت أحمدية . الوجه الثالث : كون أذكارها الدائرة عليها مشتملة كلها على أبلغ المحامد تصريحا أو ضمنا ، فمن ذلك أم القرآن ، ولا شك أنها مشتملة من أسرار المحامد على ما يقصر عنه اللسان ، ثم قال : الوجه الرابع : كون صاحبها هو الخاتم الأكبر المخصوص بوراثة السر الأبهر كما أشار إليه الشيخ محيى الدين رضى الله عنه فى حديث « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » بقوله : أى كنت نبيا بالفعل عالما بنبوتى وآدم بين الماء والطين قال : وغيره لم يكن نبيا بالفعل ولا عالما بنبوته إلا عند بعثته ، ثم قال : وكذلك خاتم الأولياء كان وليا بالفعل عالماً بولايته فى ذلك العالم ، وغيره من الأولياء ما كان وليا بالفعل ولا عالما بولايته إلا بعد تحصيله ما يشترط فى الاتصاف بالولاية من الأخلاق التى يتوقف الاتصاف بالولاية عليها من كون الله تعالى تسمى بالولى الحميد اهـ . فعرف من هنا أن خاتم الأولياء قد سبق فى حمد الله تعالى كل حامد من الأولياء فما حمده أحد من الأولياء مثل ما حمده خاتم الأولياء فتحقق فيه مالم يتحقق فى غيره من الاتصاف بالحمد على جهة الأبلغية ، فصح اتصاف طريقه بالأحدية اهـ .

(أُصَلِّى عَلَى النبى وَأُسْمِى قَصِيدَتِى ... بِياقُوتَةٍ فَرِيـدَةٍ فِى طَرِيقَةٍ
تجانيةٍ لِلْخَتْمِ والقطبِ أحمدَ الأَتَمِّ ... جانِى المَضَاوِىِّ وَفاسِىِّ تُرْبَةِ)

(أصلى) من صلى صلاة لا تصلية فرارا من صلى عصاه على النار إذا لوّحها بالنار وقومها أى وأسلم (على النبى) مخففة من النبأ وهو الخبر أو من النبوة بفتح النون وهو الرفعة . وفى [س] والنبى المخبر عن الله تعالى وترك الهمز المختار اهـ . ثم قال نبا كمنع ارتفع وعليهم طلع ومن أرض إلى أرض خرج ، وقول الأعرابى يانبىء الله بالهمز أى الخارج من مكة إلى المدينة أنكره عليه فقال « لاتنبز باسمى فإنما أنانبى الله » أى بغير همز انظره . وهو علم بالغلبة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : أى وأصلى وأسلم على آله ، وفيه حذف الواو مع ماعطفت (وأسمى) من أسماه بالهمز . وفى [س] سماه فلانا وبه وأسماه إياه وبه وسماه إياه وبه[1] اهـ . فالأول مضعف والثالث مخفف وكلها تتعدى إلى الثانى بنفسها وبالباء (قصيدتى) ماتم شطر أبياته وهى من ثلاثة فصاعدا أو من ستة عشر فصاعدا (بياقوتة) الياقوتة من الجواهر معروف جمعها يواقيت (فريدة) الفريدة الجوهرة النفيسة التى لانظير لها حقق الله لنا فى هذه التسمية رجاءنا واستجاب دعاءنا بجاهه صلى الله عليه وسلم آمين (فى طريقة) جمعها طريق وتجمع على طرائق ، والمراد بها أوراد سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين ، التى هى من جملة أحواله

(١) الذى فى [س] سماه فلانا وبه وأسماه إياه وبه اهـ . ونحوه فى المختار والمقتصر فى المصباح على الأول بوجهيه اهـ . انظر المصباح فصل السين باب الواو والياء تجدها فى الأصل بعينه بلا ولا ، والله أعلم .

المرضية وأوصافه السنية . وهى تأتى بمعنى الحال والسنة والمذهب كما فى [س] وفى [جه] . وقد قال الشيخ زروق رضى الله عنه لما تكلم على الأوراد قال فى آخر كلامه : وبالجملة فأحزاب المشايخ رضى الله عنهم صفة حالهم ونكتة مقالهم وميراث علومهم وأعمالهم ، وبذلك جروا فى كل أمورهم لا بالهوى قبل كلامهم ، وربما جاء بعدهم من أراد محاولة ذلك بنفسه لنفسه فعاد ما توجه عليه بعكسه ، وما هو إلا كما يحكى عن النحلة علمت الزنبور طريق النسج فنسج على منوالها وصنع بيتا على منوالها ثم ادعى أن له من الفضيلة مالها ، فقالت له هذا البيت وأين العسل وإنما السر فى السكان لا فى المنزل ، ثم قال : فأحزاب أهل الكمال ممزوجة بأحوالهم مؤيدة بعلومهم مسددة بإلهامهم مصحوبة بكراماتهم انظره :

واعلم أن من آداب الطريق سلوك طريقة الشريعة مع العمل بالأحوط وعدم تتبع الرخص إذ من شرطها ملازمة الآداب والمثابرة على خدمة رب الأرباب : ونقل أنها كلها آداب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب ، فمن لزم الأدب نال كل مطلب وأرب ومن حرمه فقد سلك مسلك العطب ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . وفى [جه] والأدب عند الفقهاء عبارة عن القيام بما بعد الواجبات والسنن من الفضائل والرغائب المتعلقة بأحوال الإنسان من نوم ويقظة وأكل وشرب وذكر ودعاء ونحو ذلك . وعند الصوفية عبارة عن جمع خصال الخير وأوصاف البر فهو وصف جامع لأوصاف مجيدة وأخلاق حميدة تناسب وصف العبودية وجلال الربوبية ، من جمعها فقد اتصف بالآداب وكان أديبا متأدبا مع الله تعالى ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ، والأدب بالمعنى الأول مندرج فى هذا اه :

وعن الحسن البصرى رضى الله عنه : الأدب التفقه فى الدين ، والزهد فى الدنيا ، والمعرفة بما لله عليك اه . وعن بعضهم : الناس فى الأدب على ثلاث طبقات : أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم فى الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسمار الملوك وأشعار العرب . وأما أهل الدين فأكثر آدابهم فى رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات . وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم فى طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر اه . وقيل : الأدب ثلاثة : أدب الشريعة ، وأدب الخدمة ، وأدب الحق . فأدب الشريعة الوقوف عند رسومها ، وأدب الخدمة الفناء عن رؤيتها مع المبالغة فيها ، وأدب الحق أن تعرف مالك وما له اه .

ومن جوامع الأدب ما كتبه بعض العارفين إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد ، فخف مما خوفك الله واحذر مما حذرك الله ، وخذ مما فى يديك لما بين يديك ، فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام اه . ثم كتب إليه أيضا : أما بعد ، فإن الهول أعظم والأمور المفظعات أمامك ولابد لك من مشاهدة ذلك إما بالنجاة وإما بالعطب . واعلم أن من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ومن خاف أمن ومن أمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ، فإذا زللت فارجع وإذا ندمت فأقلع وإذا جهلت فاسأل وإذا غضبت فأمسك ، فتمسك بهذه الآداب إن أردت أن تكون من الأحباب انظر [شب] (تجانية) أى منسوبة (للختم) بسكون الفوقية إحدى لغى الخاتم الآتية إن شاء الله ، من ختم الشىء بلغ نهايته وغايته ، فلا ريب أن سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين قد بلغ الغاية القصوى فى الولاية الكبرى والخلافة العظمى .

رتب تسقط الأماق حسرى دونها ماوراءهن وراء

رزقنا الله منها المرتبة الفضلى والمنزلة العليا آمين بجاهه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أى منسوبة للختم المحمدى المعلوم (والقطب) المكتوم بضم القاف : سيد القوم وملاك الشيء ومداره ، ويطلق على حديدة الرحى ونجم تبنى عليه القبلة . وفى [جه] قال رضى الله عنه : أوصاف القطب يرى عالما كجاهل أبله فطنا آخذا تاركا زاهدا راغبا سهلا عسيرا هينا صعبا اه . ولذا قيل : معرفة الولى أصعب من معرفة الله تعالى لأنه تعالى معلوم بصفاته الكمالية ونعوته الجلالية ، ومعرفة الولى بالصفات التى يكون بها وليا باطنة لاتعرف ولاتظهر إلا لمن طوى الله عنه بشريته ، لأن ظاهره مستو مع ظاهر غيره أكلا وشربا ونكاحا وصحيا فى أمور الدنيا كحالة الغافلين ، فلذا صعبت معرفته بكونه وليا اه . وفى [غص] وسأله رضى الله عنه عن القطبانية هل لها مدة يقيم فيها صاحبها من سنة فما دونها إلى ثلاثة أيام إلى يوم كما قيل ؟ فقال رضى الله عنه : اعلم أنه ليس للفروع إلا ما كان للأصول ، وقد أقام صلى الله عليه وسلم فى القطبية مدة رسالته وهى ثلاثة وعشرون سنة على الأصح ، واتفقوا على أنه ليس بعده أحد أفضل من أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد أقام فى خلافته عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم سنتين ونحو أربعة أشهر وهو أول الخلفاء الأقطاب ، واستمرت القطبية بعده إلى ظهور المهدى فهو آخر الخلفاء المحمديين . ثم يتولى بعده قطب وقته وخليفة الله عيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فيقيم فى الخلافة أربعين سنة ، فالحق عدم تقدير مدة القطبانية بمدة معينة . وقد بلغنا عن الشيخ أبى النجا سالم المرزوق أنه أقام فى القطبية دون العشرة أيام ، وكذلك الشيخ أبو مدين المغربى ، فقلت له : فهل يختص القطب بكونه لايكون إلا من أهل البيت كما سمعته من بعضهم ؟ فقال : لا يشترط ذلك . ولعل من اشترط ذلك كان شريفا فتعصب لنسبه والله أعلم . اه. سيدنا أبى الفيض (أحمد) بن محمد فتحا . وفى [جه] وصفة ذاته الكريمة وصورته الفخيمة يتميز بوجوده العيانى كما يتميز بوصفه العرفانى أنه حفظه الله وكلأه أبيض مشرب بحمرة معتدل القامة منوّر الشيبة ، ذو صوت جهورى وسمت بهىّ وقدر علىّ ، حلو المنطق فصيح اللسان يعبر عن مراده فى غاية البيان ، انظره . ونظم ذلك سيدنا عبيدة رضى الله عنه وعنا به آمين بقوله فى لاميته المعلومة :

تميز بالوصف الجنانى مثل ما	تميز بالـكون العيانى مسجلا
له صورة بـين الأنـام عليـة	ترى مرة وسطى وأخرى ترى عبلا(١)
على طبق ما لاقته راشحة بما	حوت من جمال أو جلال سنى ذهلا(٢)
بياض محلاها مشوب بحمرة	وقامتها قـدوى ومنطقها أحلى
يرى جهورى الصوت أحسنه على	سنا شيبة أبهى بهى مثى حجلا
له الجود طبع والفتوة ديدن	له ولنعم القـول إن طابق الفـعلا
مهابا جليـلا ذا حيـاء وعزة	وسحر بيـان لا يمل إذا يمـلا

انظرها فإنها أكثر من مئتانة بيت . وفى [جه] ومن شأنه رضى الله عنه إذا قوى حاله أنه يزيد بهاؤه وجماله ويتهلل وجهه ويلوح سناه ويبدو عليه أثر باطنه ومعناه . فترى عليه حسنا بارعا ونورا

---

(١) (قوله عبلا) كسكرى : أى ضخمة . (٢) (قوله ذهلا) الذهل بالضم : ساعة من الليل .

لامعا يبهرك جماله وجلاله وبهاؤه وكماله فيأخذ بلبك ومجامع قلبك ، فيملكك هواه ولا تلتفت لسواه حسنا لدنيا وسرا إلهيا . ولله در القائل :

أنظر ترى شمس المعارف أشرقت بجبينه الباهى العلى الأشرف
كل المشايخ ألبسوا حلل البها لكن سماهم بالجمال اليوسفى

وقال غيره :

أنظر لروض الحسن فيه تفتقت بجماله وبهائه أزهاره
من يستطع يرى لذاك حقيقة حارت لذى لب به أبصاره
وبقلبه النور الإلهى اجتلى فعلى محياه بدت أسراره

وقال غيره :

انظر لمطلع حسنه وجماله قد أشرقت بجبينه أنواره
سر المعارف قد حواه ضميره فبدت بغرة وجهه آثاره
هو بحرها الطامى ألم تر أنه تهمى بفيض دائما أسراره

(التجانى) بتخفيف ياء النسب وأل من التجانى من المصراع الأول ، وتجان بكسر فوقية وتخفيف جيم وقد تشدد قبيلة معروفة بالصحراء الشرقية من بلاد الغرب الأيسر ، وهم أخوال شيخنا رضى الله عنه وعنا به آمين . وفى [جه] وهذا السيد رضى الله عنه يعنى جده الرابع وهو سيدى محمد بالفتح ، هو الذى وفد أولا لعين ماضى وتوطن بها وبنى وتزوج منهم فكانوا أخوالا لسيدنا رضى الله عنه ولهذا ينتسبون للتجانية ، ليس لهم نسب لأهل عين ماضى بل غلبت عليهم الكنية والشهرة لأجل مصاهرتهم لهم اه (المضاوى) بفتح الميم كسماوى نسبة إلى عين ماضى قرية معروفة من قرى تلك القبيلة على غير قياس ، والقياس الماضى بحذف الياء الرابعة على حد قول ابن مالك رحمه الله :

والحذف فى اليا رابعا أحق من قلب . . . .

ويجوز الماضوى بفتح الضاد وقلب الياء واوا على حد قوله ، وأول ذا القلب انفتاحا . فولادته رضى الله عنه وعنا به آمين بعين ماضى سنة خمسين بعد المائة والألف كما فى [جه] وفى [م] :

حصل مفخر العلا حين ولد بعين ماضى ذا بفضلها شهد

فأشار رحمه الله إلى تاريخ ولادة سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين بقوله : حصل مفخر العلا ، فإن عدد حروفه بحسب الجمل خمسون ومائة وألف مع ما أثبته من الفخر والشرف لتلك البلدة ، بحسب بروز سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين فيها لأن البلاد تكتسب الشرف والفخار بمن يولد فيها أو يحلها من السادات الأخيار ، ورحم الله من قال :

وما فضل الأرجاء إلا رجالها وإلا فلا فضل لترب على ترب

ومن قال :

وإذا تأملت البقاع وجدتها تشقى كما تشقى الأنام وتسعد

وفى [حف] روى أنس رضى الله عنه أنه قال : ومامن صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادى بعضها بعضا هل مر بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك ؟ فمن قائلة نعم ومن قائلة لا ، فإذا

قالت نعم علمت أن لها عليها بذلك فضلا ، وما من عبد ذكر الله تعالى على بقعة من الأرض أو صلى لله عليها إلا شهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه يوم موته ، وقيل فى قوله تعالى - فما بكت عليهم السماء والأرض - تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لأن الأرض تبكى عليهم ولا تبكى على من ركن إلى الدنيا واتبع الهوى ، انظره . وقال مجاهد رضى الله عنه : ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحا ، فقيل أو تبكى ؟ فقال : وما للأرض لا تبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ، وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوى كدوى النحل اه . وكما سعدت هذه البلدة بولادته سعدت بنشأته فيها . وفى [جع] ونشأ بين أبويه الطاهرين إلى أن بلغ حد التمييز فأسلماه المكتب فقرأ القرآن وهو صغير . وفى [جه] حفظ القرآن العظيم فى صغره حفظا جيدا فى سبع سنين على ما أخبرنى به عن نفسه رضى الله عنه اه . ونقل أنه حج سبع حجج فى هذا السن رضى الله عنه وعنا به آمين ، وفى ذلك قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

له حجج سبع لسابع سنه ... وإتقان قرآن لذا السن مسجلا

(وفاسى) نسبة إلى فاس مدينة الصلحاء والأكياس ، وقاها الله من كل باس ، وصانها من كل شيطان ومهواس آمين (تربة) أى مدفن ودار ، وبها توفى رضى الله عنه وعنا به آمين ، صبيحة الخميس السابع عشر من شوال ، بعد أن أدى فريضة الصبح على أحسن حال ، عام ثلاثين ومائتين وألف كما فى [جع] و [ع] . ونقل عن أبى عبد الله سيدى محمد الكنسوسى رضى الله عنه وعنا به آمين أنه قال : توفى ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شوال عام ثلاثين ومائتين وألف ، وأنه حضر جنازته وكان ممن صلى عليها ، ولكنه إذ ذاك لم يأخذ طريقة سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين لاشتغاله بالعلوم الرسمية ، وأشار صاحب [م] رحمه الله إلى عام حلول سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين مدينة فاس حماها الله من كل باس آمين بقوله :

ثم إلى فاس مدينة الفخر ... ظعن فى عام ثلاثة عشر
وزينت ببهجة التجانى ... فى العام سادس ربيع الثانى

وكان ظعنه رضى الله عنه وعنا به آمين إليها من أبى سمغون ، لأجل تتميم الفائدة قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

بكى أبو سمغون سابع عشر ... فى النبوى عام ثلاثة عشر
بفقد أنفاس التجانى القطب ... ممد كل الخلق دون ريب
واستبشرت فاس بذا التجانى ... ذا العام سادس ربيع الثانى

كما أشار رحمه الله إلى مدة عمره ووفاته بقوله :

وعمر شيخنا العلى فضلا ... ومنصبا حوى بهاء كهلا
وحين مات شيخنا ذو الشان ... مات الإمام العارف الربانى

وأشار رحمه الله بحروف حوى بهاء كهلا بحسب الجمل وهو ثمانون سنة إلى مدة عمر سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين ، وبحروف مات الإمام العارف الربانى بحسب الجمل وهو ثلاثون ومائتان وألف إلى عام وفاته رضى الله عنه وعنا به آمين ، مع ما ضمنه لذلك من الأوصاف البهية والأخلاق السنية ،

فلله دره ما أغزر علمه وأدق فهمه ، وأما نسبه الطاهر وحسبه الباهر فسيأتي إن شاء الله تعالى نظما ونثرا .

[تتمة] اعلم أن هذه الطريقة الأحمدية التجانية تسمى أيضا محمدية وإبراهيمية حنيفية ، وسميت بأسماء كثيرة لأن لها من الفضائل والخصائص ما ليس لغيرها لأن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى غالبا ، ومعنى كونها محمدية أنه أخذها عن سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة ويقظة لامناما ، وهذا مقام عال معروف عند أهل الله تعالى لايدركه إلا أفراد الأفراد ، ويقال لهذا المقام : المقام المحمدي ، وقد خص الله تعالى قدره وتبارك خيره شيخنا أبا الفيض رضي الله عنه وعنابه آمين ، بأن جعله خاتما لهذا المقام المحمدي فلا يدركه أحد بعده ولا أدركه أحد قبله ، بل خصه الله به بمحض فضله وكرمه - لا يسئل عما يفعل - وفي [غ] عن العياشي عن شيخه العجيمي أن صاحبها : أي المحمدية بعد تصحيح بدايته وسلوكه على منهج الاستقامة المبين في الكتاب والسنة، يشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن تستولى محبته على قلبه ويصير تمثاله بين عيني بصيرته ، فيسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة ولا يجعل لمخلوق عليه منة إلا النبي صلى الله عليه وسلم فيراه يقظة ومناما ويسأله عما يريد ، ثم قال : عن الشعراني ، عن الشيخ أحمد الزواوي صاحب المرائي المحمدية إنه كان يقول : طريقنا أن نكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ؛ حتى نصير من جلسائه ونصحبه يقظة مثل أصحابه ونسأله عن أمور ديننا وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا ونعمل بقوله فيها اه .

قلت : ورأيت في مرائيه رضي الله عنه أن ورده في الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم خمسون ألفا اه ، ثم قال : وحاصل ذلك كله أن القطب الذي يدور عليه السلوك في الطريقة المحمدية عندنا هو الإكثار من الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع كون الذاكر على أحسن الحالات وأكلها باستحضار معاني الذكر والإنصات إليه بقدر الاستطاعة ، وكذا استحضار صورته الكريمة صلى الله عليه وسلم في باطنه ، واعتقاد أنه جالس بين يديه يستمد منه ؛ فإن قدر على استحضار صورته صلى الله عليه وسلم الذاتية الواردة في الأحاديث المروية عنه صلى الله عليه وسلم فذلك أكمل وأبلغ ، وإن لم يقدر فليستحضر أنه جالس بين يدى صورة نورانية عليها ثياب من نور في غاية مايكون من الجلال والجمال ونعوت الكمال ، يداوم على ذلك حتى يشرق في قلبه نور الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، وتصير تنطبع الصورة الكريمة في ذهنه كلما تأمل في ذلك وتفكر فيه ، وهذه أصعب مراتب الانطباع ، ثم ينتقل منه إلى انطباع صورته الكريمة في عيني بصيرته وقت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ثم ينتقل منه إلى انطباع صورته الكريمة في عيني قلبه كلما سد عينيه نوما أو يقظة ، ومن هذه الحالة ينتقل إلى حالة رؤيته يقظة كفاحا ، وأهل هذه الحالة على قسمين : منهم من يرى في اليقظة روحه الشريفة متشكلة في صورته الشريفة ومنهم من يرى حقيقة ذاته الشريفة وكأنه معه في حياته صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء هم أهل المقام الأعلى في رؤيته صلى الله عليه وسلم ، انظرها . اللهم اجعلنا من هذا القسم بمحض الفضل والكرم وبجاهه صلى الله عليه وعلى آله وسلم آمين . وذكر صاحب [مح] رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين أربعة عشر وجها في سبب تسميتها محمدية ، فانظره .

وأما تسميتها إبراهيمية حنيفية قال تعالى - قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم - الآية . ومنها أنها سهلة ناشئة عن الدائرة الفضلية التى منها اتخذ الله إبراهيم خليلا فى الأزل قبل إيجاده وإيجاد الكون ، وما فيه قال تعالى - ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل - ومنها أنها طريقة الاصطفاء والاجتباء لاحرج فيها ولا مشقة ، قال تعالى - هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم - ومنها أن من أركان هذه الطريقة إسلام الوجه إلى الله تعالى الإسلام التام والانقياد إلى كل مأمور به على الوجه الأكمل فى شريعة الإسلام ، وذلك من ملة إبراهيم عليه السلام - إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين - ومنها تمام تعلقه بالله تعالى وإخلاص وجهته إليه وتبرؤه من التعلق بما سواه وذلك من ملة إبراهيم عليه السلام فإنه لما أدرج فى المنجنيق ليرمى به فى النار عرض له جبريل عليه السلام بعدما أعرض عن ملك الرياح وملك الأمطار فقال له ألك حاجة ؟ فقال له أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى ، فقال له جبريل سله إذاً قال علمه بحالى يغنى عن سؤالى ، ويذكر عن بعض أهل هذه الطريقة الأحمدية أنه تراءى له فى بعض وقائعه سيدنا الخضر رضى الله عنه فقال له أنا الخضر فهل من حاجة ؟ فقال له إن الله تعالى أغنانى عنك وعن غيرك من الأولياء بشيخى ووسيلتى إلى ربى سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه ، فلا شك أن مشرب صاحب هذا الحال مشرب إبراهيمى انظر [مح] و [غ] .

قلت : أخبرنى بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه أنه اجتمع بسيدنا محمد مصطفى الشيخ ماء العينين فى عالم الأرواح فقال له إنى أحبك فأشار له بالأخذ عنه ، فقال له قد أغنانى الله عنك بشيخى يعنى أبا الفيض أحمد بن محمد التجانى ، فعند ذلك أتاه الشيخ ماء العينين بابنين من أبنائه وطلب منه أن يدعو لهما ، فدعا الله أن يجعلهما قرة عينه وأن يورثهما ما ورث لأسلافهما ، وأن يصلح حالهما ومآلهما رزقنا الله وإياه ذرية صالحة وصلاحا موروثا - ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما - آمين آمين . ومن هذا ما حكى أن ابن جميل رضى الله عنه وجد مع تلميذه رغيفا عليه حلوى فقال له من أين لك هذا ؟ فقال أعطانيه الخضر عليه السلام ، فقال له إن كان شيخك الخضر فاذهب إليه وإن كنت شيخك فلا تقبل منه ذلك ، فجاء إليه الخضر ليعطيه ذلك على العادة فامتنع وقال إنى مع شيخى ، فقال له الخضر الآن تفلح . والتلميذ المذكور هو ابن أفلح ، وكان متقيدا بقضاء حاجات نساء شيخه ، لأن عادة أهل الله تعالى أن يقيدوا أكبر التلامذة بخدمة نسائهم لسعة خلقه وضيق خلقهن : انظر الحفنى ، والله تعالى أعلم وأحكم .

[فصل فى بعض مناقبه رضى الله عنه وعنا به آمين]

والمناقب : جمع منقبة . وفى [س] المنقبة المفخرة . وفى [جه] واعلم رحمك الله أنى لا أستوفى ما لسيدنا وشيخنا ومولانا أحمد التجانى رضى الله عنه من المآثر والآيات والمناقب والكرامات أبد الآبدين ودهر الداهرين لأنى كلما تذكرت فضيلة وجدت فضيلة أخرى وكلما تذكرت آية رأيت أكبر من أختها إلى هلم جرا ، ثم قال وإنما نورد صبابة منها وشظية[1] من عدها ، فقد يكل عنها القرطاس والقلم ، ويعيا فى طلبها اليد والقدم ، فهى فى الناس أشهر من نار على علم ، وقد صدق الشاعر عنه فى بيته حيث يقول :

---

(١) (قوله صبابة) بضم الصاد : البقية من الماء واللبن ، والقليل من المال ، وشظية : هى القطعة اليسيرة من كل شىء . اهـ مؤلفه .

فسل عنه أهل العلم والعقل والحجا ومن كان ذا علم وكل ذوى النسك

انظره ، ورحم الله من قال فيه :

مناقبه كالشهب والترب والحصى وأضعافها ألفا وألفا بلا حصر

ومن قال فيه أيضا :

فاسرد مناقبه فإنها درر والزم حماه تنل معين سقياه

قال رحمه الله :

(هُوَ الْبَرْزَخُ الْأَعْلَى وَأُسُّ الْوَسَائِلِ وَيَنْبُوعُ رَحْمَةٍ وَبَحْرُ الْحَقِيقَةِ)

(هو) أى الخاتم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (البرزخ) كجعفر جمعه برازخ : وهو الحاجز بين الشيئين ، فسيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين هو الحاجز بين الحقيقة المحمدية وبين العوالم كلها صامتها وناطقها وساكنها ومتحركها فيما يصل إليها من الفيوضات والتجليات والمعارف والأسرار والرحمات الإيجادية والإمدادية (الأعلى) أى الأكبر والأعظم ، إذ هو برزخ البرازخ وشيخ المشايخ ؛ إذ ما من ذرة فى الكون إلا وقد استمدت من برزخيته العظمى ، رضى الله عنه وعنا به آمين . وفى [جه] ومعنى البرزخية العظمى قيامه بين الحق والخلق بالنيابة عن الحقيقة المحمدية ، واختصاصه أيضا بالتحقق بأمر الله فى كل مرتبة من مراتب الوجود ، وإعطائه لكل مرتبة من المراتب حقية أو خلقية حقها عما تستحقه من الآداب ، وليس هذا لغيره : أى لغير القطب المكتوم من العارفين ولا لمفاتح الكنوز ، فهو فى جميع هذه الأمور خليفة النبى صلى الله عليه وسلم دون جميع الأولياء ، وجملة ما فيه أنه فى جميع مراتبه فى حضرة الحق نسبته عند الله إلى جميع الوجود من العارفين ومن وراءهم بمنزلة إنسان العين من العين به يرحم الوجود وبه يفيض الإفاضة على جميع الوجود ، وبه يبقى الوجود فى حجاب الرحمة والعطف ، وبه يبقى الوجود فى بقاء الوجود رحمة لكل العباد وسحابة ماطرة فى سائر البلاد ، وجوده فى الوجود حياة لروحه الكلية ، وتنفس نفسه بمد الله به العلوية والسفلية ؛ ذاته مرآة مجردة يشهد كل قاصد فيها مقصده ، حضرته صباغة تصبغ كل من أم له فيما توجه إليه وأمله ، انظره . وفى [مح] فإن قلت : ما صورة برزخية القطب المكتوم المعبر عنها عند العارفين والصديقين وأفراد الأحباب وجواهر الأقطاب بجوهر الجواهر وبرزخ البرازخ والأكابر ؟ فالجواب أن الحضرات المستفيضة سبع : الأولى : حضرة الحقيقة الأحمدية وهى غيب من غيوب الله تعالى فلم يطلع أحد على ما فيها ، خص الله بها نبينا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم . والثانية : حضرة الحقيقة المحمدية ، فيها جميع مدارك الأنبياء والرسل والملائكة والمقربين والصديقين والأقطاب والأولياء والعارفين . والثالثة : حضرة ساداتنا الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام على اختلاف أذواقهم ومراتبهم ، وأهل هذه الحضرة هم الذين يتلقون كل ما فاض وبرز من حضرة الحقيقة المحمدية ، ثم قال والرابعة : حضرة خاتم الأولياء الذى يتلقى جميع ما فاض من ذوات الأنبياء رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين هو برزخ البرازخ ، ثم قال والخامسة : حضرة أهل طريقته الخاصة بهم ، ثم قال والسادسة : الحضرة التى فيها حضرات ساداتنا الأولياء رضى الله تعالى عن جميعهم ، وهى مستمدة من حضرة خاتمهم الأكبر جميع ما نالوا ، ثم قال والسابعة : الحضرة التى فيها حضرات تلاميذهم ، انظره فقد رتب سبع دوائر على ترتيب الحضرات ، انظرها فيه .

وفى [جع] وفضل سيدنا رضى الله عنه انقطاع إلا هى من فيض بحر الحقيقة المحمدية باختيار الحق سبحانه فلا منازع أن هذا القطب المكتوم هو الواسطة بين الحقيقة المحمدية وبين الخلق فى إضافة المدد والخيرات الدينية والدنيوية على العموم فردا فردا ، ماعدا النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام لأنهم لاواسطة بينهم وبين الحقيقة المحمدية فى الإمداد ؛ وكذا القطب المكتوم : أى لاواسطة بينه وبين الحقيقة المحمدية فى مشربه الخاص به ، وأما غيره من الأقطاب فكلهم بواسطته لكنهم لم يروها لأنها محجوبة عنهم ؛ ومع ذلك إن كل واحد منهم يصرح بأنه يأخذ العلم من غير واسطة رفقابهم اه، وسيأتى لذلك مزيد بيان إن شاء الله تعالى (وأس) بتثليث الهمزة : أصل كل شىء كالأساس كسحاب (الوسائل) جمع وسيلة وهى مايتقرب به إلى الله تعالى .

وفى [س] الوسيلة المنزلة عند الملك والدرجة والقربة ووسل إلى الله توسيلا عمل عملا تقرب به إليه كتوسل اه. قال تعالى ـ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون ـ فسيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وأفاض علينا من فيضه آمين أصل جميع الوسائل المتقدمة والمتأخرة ، وشيخ المشايخ وبرزخ البرازخ ، والمنبع الذى تتفجر منه الفيوض والعلوم والمعارف والأسرار لجميع الأولياء والأقطاب والعارفين والأحباب ، ولذا قال سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين : كل المشايخ أخذوا عنى فى الغيب ، وقال : إن جميع الأولياء يدخلون زمرتنا ويأخذون أورادنا ويتمسكون بطريقتنا من أول الوجود إلى يوم القيامة ، انظر [مح] (وينبوع) بفتح تحتية : العين والجدول الكثير الماء (رحمة) مفاضة من الحضرة المحمدية على سائر البرية عموما وخصوصا إيجادية أو إمدادية حسية أو معنوية ، فهو رضى الله عنه وعنابه آمين رحمة مفاضة على سائر العالمين من حضرة سيد المرسلين عليه وعليهم أفضل صلاة المصلين وأزكى سلام المسلمين آمين (وبحر) هو فى الأصل : الماء الكثير (الحقيقة) وهى عند أهل الحق سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه عند مشاهدة أنه الفاعل لا أنت وهى لاتكون إلا بعد الاغتراف من الشريعة ، فالشريعة كالشجرة والحقيقة كالثمرة بل هى عينها على المختار ، وقيل الشريعة أمر للعبد بالتزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية عند التحقيق بمقام الإحسان المشار إليه فى خبر «أن تعبد الله كأنك تراه» فالشريعة جاءت بتكليف الخلق والحقيقة إنباء عن تصريف الحق ، فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده ، فقولك ـ إياك نعبد ـ حفظ للشريعة ـ وإياك نستعين ـ إقرار بالحقيقة .

وقال بعضهم : الحقيقة هى العلوم الباطنة : وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم أوحى إليه ثلاثة علوم : علم أمره الله بإفشائه وهو علم الأحكام ، وعلم خيره الله فيه وهو علم الأسرار ، وعلم أمره بكتمه إلا عن بعض خواصه وهو علم سر القدر ؛ الذى قال فيه الحاتمى رضى الله عنه : سر القدر لم يطلع الله عليه نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا إلا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، وقد أطلعنى الله عليه بالوراثة المحمدية اه وفى الحديث « علم الباطن سر من أسرار الله تعالى يقذفه فى قلب من يشاء من عباده » وهو نور يقذفه الله فى قلب من يحبه ، وهو علم الكشف به يشهد الأمر على حقيقته ، ويجب الإيمان به وبأهله وتعظيمهم ومحبتهم ليحشر معهم ويحصل له بعض نصيب من علومهم الباطنة .

ومما نقل عن الحاتمى رضى الله عنه أيضا : يتأكد على كل عارف ستر ماتعطف الحق تعالى به على قلبه من علوم الأسرار ولا يظهره فيقع عليه النكير اه انظر [شب] ؛ ومن هنا قال الجنيد رحمه الله :

لايبلغ أحد درجة الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صدّيق بأنه زنديق ، ومن هذا المعنى قول أبي هريرة رضي الله عنه : أفضى إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم لو ذكرته لكم لقطعتم منى هذا البلعوم ؛ وقال سيدنا على رضى الله عنه وعنا به آمين :

إنى لأكتم من علمي جواهره كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
يارب جوهر علم لو أبوح به لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولا استحل رجال مسلمون دمى يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وفي [جع] سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : القطب المكتوم له تجل يضاهي تجليات الأولياء يتجلى له الحق سبحانه في كل لحظة مائة ألف تجل ، كل تجلّ يعطى فيه مايعطى لجميع أهل الجنة مائة ألف مرة أو أكثر منها ، ويؤدى وظائف كل واحد منها في تلك اللحظة ، وفي اللحظة الثانية يتجلى له بتجليات يصير جميع ماتقدم من التجليات جزءا من مائة ألف جزء من تجل واحد ، وهكذا الذى بعدها في اللحظة الثالثة ، وقس عليها إلى ما لانهاية له ولا حد اه : ولذا قال إمام الصوفية الجنيد رضى الله عنه : من أقبل على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة واحدة كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما أدركه في ألف سنة اه . وفي [جه] قال سيدنا رضى الله عنه : أهل التجلى يعطى الله للواحد في كل نفس كذا من التجليات ، في كل تجل من الخيرات قدر ما يعطيه لجميع الخلق ، وفي النفس الثانى كذلك ؛ وفي النفس الثالث كذلك ، وهكذا مادام عمر الدنيا والآخرة ونسبة كل تجل لما بعده كنقطة في بحر ، ويقوم بوظائفها وآدابها ، انظره . وفيه : وحقيقة التجلى هو الظهور فالتجلى بالأسماء الإلهية تكون لكل عارف على قدر مرتبته والفرد الجامع هو المحيط بجميع ذلك ، والعارف يرى في نفسه أن ليس ثم غيره يتجلى بتلك الأسماء والصفات إلا هو ، وهكذا لكل عارف ، لكنه يعلم أن ذلك من إفاضة القطب عليه إذ لو أراد القطب إمساكه لأمسكه عنه ، وكل عارف على قدر مرتبته في هذا الميدان إلا القطب الجامع فإنه محيط بجميع المراتب أياكان حتى مراتب الملائكة ، وله وراء ذلك من التجلى بالأسماء والصفات التى يطلبها الكون بقدر ماشاء الله لانهاية لله في أسمائه وصفاته ، وكل عارف يرى الموجود داخلا تحت مشيئته موجودا بقدرته حيا بحياته كل على قدر مرتبته إلا الفرد الجامع فله جميع المراتب ، وله الاستيلاء على جميع المراتب وله الذوق في جميع المراتب ، وله الإحاطة الشاملة في جميع المراتب ، وله المنع والعطاء في جميع المراتب اه . قال رحمه الله :

(فَبِالْخَتْمِ وَالْمَكْتُومِ سُمِّيَ عِنْدَهُمْ عَلِيمٌ وَلَابِقِ وَكِتْمَانِ رُتْبَةِ)

(فبالختم) المحمدى المعلوم من ختم الشيء : بلغ قصاراه ومداه (و) بالقطب (المكتوم) من كتم الشيء : أخفاه وستره ، ومعنى المكتوم الذى كتم الله شأنه وأحواله وأسراره عن كل أحد من خلقه ، حتى عن الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، ماعدا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فهو الذى علمه الله شأن هذا القطب لأنه من أمته وظل صورته الكاملة . وفي [جع] أن حقيقته في مقامه الخاص به لم يطلع عليها أحد إلا الله وسيد الوجود صلى الله عليه وسلم لأن له نسبة من حقيقته المحمدية ، لكونها لم يطلع عليها أحد من الأكابر ولا يعلمها إلا الله وصاحبها عليه الصلاة والسلام وهذا الحكم لها في الدنيا والآخرة ، وكذلك حقيقة القطب المكتوم اه أى لم يطلع عليه إلا الله وسيد

الوجود صلى الله عليه وسلم لما مر . وفى [غ] فقد ثبت عنه رضى الله عنه من طريق الثقات الأثبات من ملازميه وخاصته : أنه أخبر تصريحا على الوجه الذى لا يحتمل التأويل أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أخبره يقظة بأنه الخاتم المحمدى المعروف عند جميع الأقطاب والصديقين ، بأن مقامه لامقام فوقه فى بساط المعرفة بالله ، وهذا الختم هو المتلقى لجميع مايفيض من ذوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الأمداد وهو المفيض لتلك الأمداد على جميع الأولياء وإن لم يعلموا به اه . وللذى السر المكنون سيدى محمد قنون رضى الله عنه وعنا به آمين من قصيدة :

فاق الأنام سوى صحب النبى فلا ... تنـكر مقاما به قد خصه الله
إن النـبى بسر الختم بشره ... صدق ولا تعترض فالله أعطاه

(سمى) من التسمية (عندهم) أى عند أهل الله تعالى ، فإنهم رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم يسمونه الختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم ، وبه سماه الحاتمى رضى الله عنه بل ادعى فى بعض شطحاته أنه هو بقوله :

بنا ختم الله الولاية فانتهت ... إلينا فلا ختم يكون لمن بعدى
وما فاز بالختم الذى لمحمد ... من أمته والعلم إلا أنا وحدى

لرؤية رآها . وهى أنه رأى حائطا من ذهب وفضة كمل إلا موضع لبنتين إحداهما من ذهب والأخرى من فضة فانطبع رضى الله عنه فى موضع تينك اللبنتين ، وقال رضى الله عنه : وكنت لا أشك فى أنى أنا الرائى ولا أنى أنا المنطبع فى موضعهما وبى كمل الحائط ، ثم عبرت الرؤيا بختام الولاية بى ، وذكرتها للمشايخ والكاملين المعاصرين ، وماقلت من المرئى فعبروها بما عبرتها به . وفى [مع] وأنت خبير بأن محيى الدين رضى الله عنه لم يعتمد بكونه ختما على قاطع وإنما اعتمد على هذه الرؤيا ونحوها ، ويؤيد ماقلنا ويشهد له أنه صرح بعد ذلك بأنه لم يكن هو القطب المكتوم والبرزخ المعلوم والخاتم المحمدى المعلوم ، وذلك أنه رضى الله عنه رأى مقاما فوق مقامات الأقطاب كلها مافوقه إلا مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فظن أنه له واطمأنت به نفسه غاية الاطمئنان والفرح ، وأنشد « بنا ختم الله الولاية ... البيتين ، فبينما هو كذلك إذ سمع مناديا يقول له : ليس لك ماظننت وتمنيت ، وإنما هو لولى فى آخر الزمان ليس ولى أكرم على الله تعالى منه » فعند ذلك قال : سلمت الأمور لخالقها ومكونها ، ولقد طالما جلت ببصيرتى فى الغيوب لأطلع عليه وعلى مقامه واسمه واسم بلده ومكانه وكيف حاله ، فما أطلعنى الله تعالى على شىء منه ولا شممت له رائحة أصلا اه . وفيه تصريح بأنه رضى الله عنه تبرأ من ادعاء الختمية الكبرى وأنها لم تحصل لمن مضى قبله ، وأنها إنما تكون لولى فى آخر الزمان .

ونقل عن الشيخ المختار الكنتى رضى الله عنه أنه قال : إن القرن الثانى عشر من الهجرة المحمدية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام يشاكل قرنه صلى الله عليه وسلم من وجوه : أحدها أن فيه خاتم الولاية كما فى قرنه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء . ثانيها أن أتباع هذا الولى المجدد الخاتم يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، كما أن أصحاب ذلك النبى الخاتم الماحى يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وحده ويجاهدون الأمم الضالة ، كما أن هؤلاء يجاهدون النفس والهوى والشيطان الجهاد الأكبر قال الرسول صلى الله عليه وسلم « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » ، قالوا

وما الجهاد الأكبر ؟ قال جهاد النفس والهوى » ثالثها : الإشارة إلى أن هذا القرن أفضل من جميع ما تقدمه من القرون السالفة سوى القرون الثلاثة لورود النص فيها بأفضليتها قال صلى الله عليه وسلم «خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم » الحديث ، ثم فسر ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله « خير هذه الأمة أولها وآخرها » اه تأمل هذا الكلام من هذا الإمام تجده مصرحا بختمية سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين ، لأنه رضى الله عنه مادعى الختمية الكبرى لنفسه مع أنه فى القرن المذكور وابن العربى الحاتمى رضى الله عنه مات فى القرن السابع ، وسيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين ولد فى وسط القرن الثانى عشر وظفر بالإذن من الحق بتربية الخلق سنة ست وتسعين منه » وعاش رضى الله عنه فى الختمية الكبرى والخلافة العظمى ثلاثين سنة : وإذا فهمت هذا تعلم علم يقين أن الختمية لم تثبت لأحد قبل سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين انظر [مح]. وفى [جم] لطيفة أن حقيقة هذا القطب المكتوم محجوبة عن الجميع لم يرها أحد منهم : أى من الأقطاب فهذا الشيخ الأكبر يجلالته يعنى الحاتمى رضى الله عنه بحث على معرفة هذا القطب ما اسمه وما قبيلته وما موضعه وما وقته فلم يطلعه الله على شىء من أحواله فسلم الأمر لله تعالى وترك، وأما الذى وقع له النهى عن إفشاء أمره بعد اطلاعه على حاله هو الذى يظهره الله سلطانا عدلا فى الأمة وهو غير الإمام المنتظر لأن الإمام المنتظر غير مخاطب فلما نهى عنه سماه مكتوما من عند نفسه، وأما المكتوم الأكبر فسماه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لأن مقامه مكتوم عن جميع الأولياء فلم يطلع عليه أحد اه . وفى [مح] وأما شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا سيدى أحمد بن محمد الشريف الحسنى التجانى رضى الله عنه وأرضاه وعنابه آمين قال : لقد أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنى أنا القطب المكتوم منه إلىّ مشافهة يقظة لامناما ، فقيل له ومامعنى المكتوم ؟ فقال رضى الله عنه وعنابه آمين : هو الذى كتمه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبيين إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه علم به وبحاله ، وهو الذى حاز ما عند الأولياء من الكمالات الإلهية واحتوى على جميعها اه . وفيه : وخاتم الأولياء هو الولى الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب العارف باستحقاق أصحابها ليعطى كل ذى حق حقه ، وهو حسنة من حسنات سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم مقدم الجماعة انظره .

ومن كلام أبى المواهب السائحى رضى الله عنه وعنابه آمين نكتة يجب التنبيه عنها : وهى : أنى وقفت على كلام بعض الخاصة فى التعريف بمقام سيدنا رضى الله عنه، فرأيت ظاهر صنيع كلامه يقتضى أن الختمية هى الكتمية بنفسها. ومما يدل على أن الكتمية غير الختمية كون بعض من يعتمد من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه وصفه ببلوغ الكتمية وتوقف فى بلوغه الختمية ، وهذا يدل على أنهما أيضا غير متلازمتين : والصاحب المذكور هو سيدى محمد بن المشرى رحمه الله المتواتر تصريح الشيخ رضى الله عنه بوصفه نفسه بهما . والذى تقرر عندنا فيهما أنهما حقيقتان متغايرتان وإن كان المتصف بهما واحدا ، فحقيقة الختمية هو مامر معناه يعنى قبل هذا الكلام وتركته اكتفاء بما يأتى لعفى [غ] ثم قال : وحقيقة الكتمية قد أوضحها العلامة المشارك أحد أفراد هذه الطريقة وأركانها ، حبيب سيدنا رضى الله عنه وخازن أسراره سيدى محمد بن المشرى السائحى السباعى فى كتابه الذى ترجمه بالجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحر القطب المكتوم فى أول الكتاب المذكور، وعبر عنها بعبارة تشفى غليل الصدور

وتملأها بالمسرات والحبور : وحاصل مايتعقل به معناها أن النبى صلى الله عليه وسلم له حقيقة لايعلمها أحد إلا الله تعالى ، وأطلعه عليها هو صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر الأنبياء والرسل ، وكذلك القطب المكتوم له حقيقة مكتومة لم يطلع عليها أحد إلا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأطلع الله عليها صاحبها خاصة ، ولا سبيل إلى غيره من الأولياء يدركها أو يطلع عليها ، فاعلم الفرق بينهما وإن اتحد المتصف بهما ، والله يتولى هدانا وهداك .

وقد أشار الإمام ابن العربى فى فتوحاته إلى مقام الكتم وأنه يكون بالمغرب على قوله صلى الله عليه وسلم « لاتزال طائفة من أمتى » الخ ، وإنما جعلهم الله بالمغرب لأنه محل الختم والكتم وهو سر لايعلمه إلا الله تعالى (لختم) كمال (ولاية) خاصة لبلوغه فيها مالم يبلغه غيره ممن سبق ولحق . وفى [جه] وسألته رضى الله عنه عن حقيقة الولاية فأجاب رضى الله عنه بما نصه قال : الولاية عامة وخاصة ، فالعامة هى من آدم عليه السلام ، والخاصة هى من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم إلى الختم ، والمراد بالخاصة هو من اتصف صاحبها بأخلاق الحق الثلاثمائة على الكمال ولم ينقص منها واحد وإن لله ثلاثمائة خلق من اتصف بواحد منها دخل الجنة ، وهذا خاص بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم ومن ورثه من أقطاب هذه الأمة الشريفة إلى الختم ، هكذا قال ونسبه للحاتمى رضى الله عنه . ثم قال سيدنا رضى الله عنه : ولا يلزم من هذه الخصوصية التى هى الاتصاف بالأخلاق على الكمال أن يكونوا كلهم أعلى من غيرهم فى كل وجه ، بل قد يكون من لم يتصف بها أعلى من غيره فى المقام ، وأظنه يشير إلى نفسه رضى الله عنه وبعض الأكابر من أصحابه ، لأنه أخبره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن مقامه أعلى من جميع المقامات اهـ . وفى [مح] وبه : أى وبالقطب المكتوم ختم الله الأقطاب المجتمعة فيهم الأخلاق الإلهية ، وهذه الأخلاق لايعرفها إلا من ذاقها ، ولاتدرك بالوصف ولايعرف مافيها إلا بالذوق انظره .

[تنبيه] الولاية الخاصة التى ختمها القطب المكتوم والختم المحمدى المعلوم سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين هى القطبانية العظمى والخلافة الكبرى ، وهى كما فى [جه] اعلم أن حقيقة القطبانية هى الخلافة العظمى عن الحق مطلقا فى جميع الوجود جملة وتفصيلا حيثما كان الرب إلها كان هو خليفة فى تصريف الحكم وتنفيذه فى كل من عليه ألوهية الله تعالى ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق ، فلايصل إلى الخلق شىء كائنا ما كان من الحق إلا بحكم القطب وتوليه ونيابته عن الحق فى ذلك وتوصيله كل قسمة إلى محلها ، ثم قيامه فى الوجود بروحانيته فى كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلا ، فترى الكون كله أشباحا لاحركة لها وإنما هو الروح والقائم فيها جملة وتفصيلا وقيامه فيها فى أرواحها وأشباحها ثم تصرفه فى مراتب الأولياء فيذوق مختلفات أذواقهم ، فلا تكون مرتبة فى الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه ، فهو المتصرف فى جميعها والممد لأربابها وله الاختصاص بالسر المكتوم الذى لامطمع لأحد فى دركه اهـ . وفيه قال رضى الله عنه : أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح القطبانية وهو لايعطى ولا يذكر إلا لمن سبق فى علم الله أنه يصير قطبا ، وهذا الذكر له خواص عظام من جملتها أن من سلكه أحد عشر يوما فكل حاجة دعا به فيها مرة واحدة حصلت وفيه إجابة كالاسم الأعظم ولو حصل لعاصى لحصلت له الإجابة فضلا عن المفتوح عليه ، ولم يذكره سيدنا رضى الله عنه لأحد لأنه خاص به اهـ . وفى [غص] وعن الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله عنه أن

القطبية ستة عشر عالما إحاطيا الدنيا والآخرة ومن فيهما عالم واحد من هذه العوالم اه . قال تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو - ويخلق مالا تعلمون - (وكتمان) بكسر الكاف مصدر كتمه كتما وكتمانا ، ويقال كتمه بالتضعيف واكتتمه وكتمه إياه مخففا : أى ولكتمان (رتبة) الرتبة بالضم المنزلة كالمرتبة ، فرتبة سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين مكتومة عن غير سيد الوجود صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ وفى [جع] ثم قال سيدنا رضى الله عنه مرة أخرى : نسبة الأقطاب معه أى مع القطب المكتوم كنسبة العامة مع الأقطاب لأن مقامه فى غيب الغيب لا علم لهم به لا دنيا ولا أخرى لأن له مقاما فى الجنة لا يعلمه أحد حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اه . وتقدم أنه لم يطلع على حاله ومقامه إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لا غير ، ولسيدى أحمد العربى النبار رحمه الله فى مدح سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين :

وإلى الولاية منتهى ختمت به ... تبعا ليكمل وصفك اليد باليد
سمحت مفاخرها الأكابر سابقا ... فتنافسوا شغفا بها فى مرصد
واستيقنوا بوجودها فى حبهم ... حتما فما أيسوا وكل يجتهد
وسعوا لها بتحمل وتجمل ... وتقربوا بتزهد وتعبد
حتى إذا أنباهم منها الندى ... أنى حجبت عن المحاول لو هدى
رتبى سمت من ذاتها هبة وفى ... طى الكمال منبؤ لم ينفد
زمنى الأخير وإن تقدم منهل ... وتعللى للدوى البقاء السرمد
ففيوضهم منى وأنتم هترتى ... ومقامكم فى برزخ المتشيد
عرفوا اهتنا معنى الكمال مؤخرا ... عن عصرهم واستسلموا للمرشد
وبدا لتربية الورى فى عصره الـ ... ممنوح منه شفاعة لم تردد
ختمت ولا يبهم به لا جاحد ... وكماله منهم ولا من ملحد

انظره . قال رحمه الله :

(بِهِ خَتَمَ الْمَوْلَى كَمَالَ الْوِلَايَةِ ... كَمَا خُتِمَتْ رَأْساً بِرُوحٍ وَكِلْمَةِ)

(به) أى بالختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين ، وتقديم المعمول يؤذن بالحصر (ختم) يقال ختم الشىء بلغ غايته ونهايته (المولى) تعالى قدره وتبارك خيره (كمال) مصدر كمل كنصر وكرم وعلم والكمال التمام (الولاية) بالكسر الخطة والإمارة والسلطان . والمراد بها الخاصة كما مر أى فلا يظهر فيها مظهره أحد سواء من تقدم أو تأخر . وفى [جه] قال العياشى رحمه الله : الولاية منة تقدمتها خدمة اه . وقال شيخنا رضى الله عنه : هى محض منة تقدمتها محض خدمة اه . وفى [غ] فهو رضى الله عنه خاتم الولاية المحمدية وسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام هو خاتم الولاية المطلقة حيث ينزل خاتما وارثا ، ومعنى كونه خاتما لمنصب الولاية المحمدية أنه لا يظهر أحد فى ذلك المنصب بمثل الظهور الذى ظهر به فيه فهو خاتم لكمال الظهور فى ذلك المنصب لا لنفس الظهور ، وذلك لما تقرر عند علماء الطريق من أن الختم المناصب العلية باعتبار من تختم عليه معنيين أحدهما أن لا يظهر أحد بذلك المنصب بعد من ختم عليه وذلك كمنصب النبوة والرسالة فإنهما ختما على نبينا صلى الله عليه وسلم ،

وسمى الختم فى هذا المقام أن لايظهر أحد أصلا بذينك المنصبين الشريفين بعده عليه الصلاة والسلام. والثانى أن لايظهر بكمال الظهور فى ذلك المنصب أحد بعد من ختم عليه ، وذلك كما فى منصب الولاية المحمدية فإنه ختم على سيدنا الشيخ رضى الله عنه حسبما أخبر بذلك عن نفسه ، وليس المراد بالختم فى هذا المقام أن لايظهر أحد بمنصب الولاية بعده ، وإنما المراد أن لايظهر أحد بعده بمثل كمال الظهور الذى ظهر به هو بذلك المنصب ، ومن لازم من ختم عليه منصب ما من المناصب سواء على المعنى الأول أو على المعنى الثانى أن يبلغ فى المنصب المختوم أعلى درجة فيه بحيث يرتقى عن جميع من أدرك ذلك المنصب قبله وكذا من يدركه بعد أيضا على المعنى الثانى وذلك صادق بخيريته وأفضليته من هذه الحيثية فيصح اتصافه بالخيرية والأفضلية على جميع من عداه ممن أدرك ذلك المقام إما على الحقيقة كما نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع من عداه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وإما بالنسبة للحيثية المذكورة وإن كان غيره قد يفضله من حيثية أو حيثيات أخر كما فى حق من يختم عليه منصب الولاية المحمدية أو غيره من المناصب، والله أعلم اه (كما ختمت) الولاية العامة (رأسا) أصلا يقال رأس المال أى أصله (بروح) بضم الراء سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام . وفى [س] الروح بالضم مابه حياة النفس ويؤنث والقرآن والوحى وجبريل وعيسى عليه السلام انظره (وكلمة) بكسر الكاف إحدى لغات كلمة كنبقة ، وجمعها بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه بقوله :

هاك لغى كلمة محققه بسدرة وتمرة ونبقه

وفى [س] وعيسى كلمة الله لأنه انتفع به وبكلامه ، أو لأنه كان بكلمة كن من غير أب اه .

قال رحمه الله :

(سَيَنْزِلُ خَاتِمًا ظُهُورَ وَلَايَةٍ فَلَيْسَ وَلِيٌّ بَعْدَهُ بِالْمَشِيئَةِ)

(سينزل) أى سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام آخر الزمان بعد ظهور المهدى المنتظر ، وفى الحديث « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم » اه . وهذا استفهام عن حال من حيى عند نزوله وكيف سرورهم عند لقيه وكيف يكون فخر هذه الأمة وروح الله يصلى وراء إمامهم ، وفى آخر « ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء واضعا يديه على أجنحة ملكين بشرقى دمشق » وفى رواية « أنه ينزل ببيت المقدس » وفى أخرى « بالأردن [1] » وفى أخرى « بعسكر المسلمين » قال العزيزى : حديث نزوله ببيت المقدس عند ابن ماجه وهو عندى أرجح ولاينافى سائر الروايات لأن بيت المقدس هو شرقى دمشق بعسكر المسلمين إذ ذاك والأردن اسم الكورة كما فى الصحاح وبيت المقدس داخل فيه فاتفقت الروايات ، فإن لم يكن فى بيت المقدس الآن منارة بيضاء فلابد أن تحدث قبل نزوله اه. وروى « طوبى لعيش بعد المسيح يؤذن للسماء فى القطر وللأرض فى النبات حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبت ، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره ويطأ على الحية فلا تضره ، ولاتشاحح ولاتحاسد ولا تباغض » وروى « لن يخزى الله أمة أنا أولها وعيسى بن مريم آخرها » وإذا نزل قيل يمكث سبع سنين وقيل أربعين : وفى [جه] قال رضى الله عنه : رأيته صلى الله عليه وسلم وسألته عن الحديث الوارد فى سيدنا عيسى عليه السلام

---

(١) الأردن بضم الهمزة والدال وشد النون : كورة بالشام اه .

قلت له وردت عنك روايتان صحيحتان واحدة قلت فيها يمكث بعد نزوله أربعين وقلت فى الأخرى يمكث سبعا ماالصحيحة منهما؟ قال صلى الله عليه وسلم «رواية السبع» اهـ : وإذا نزل وقع العموم الحقيق فى الطريق المحمدى باتباع الكل له ويحكم بالقرآن لابالإنجيل : وفى [جد] وكان صلى الله عليه وسلم يقول «يوشك أن ينزل فينا عيسى ابن مريم حكما مقسطا يؤمنا منا» يعنى بشرعنا لابشريعته هو «فقلت له فهل يعرف عيسى شرع محمد صلى الله عليه وسلم بالوحى أوبالتعريف الإلهى من الوجه الخاص الذى بين كل إنسان وبين ربه عز وجل ؟ فقال رضى الله عنه يكون له إذ نزل كل من الأمرين إذ الرسول لايأخذ علمه من غير مرسله أبدا، فتارة يأتيه الملك فيخبره بشرع محمد صلى الله عليه وسلم الذى جاء به إلى الناس وتارة يلهم ذلك إلهاما فلا يحكم على الأشياء بتحليل أوتحريم إلا بما كان يحكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لوكان بين أظهرنا ، فقلت له فهل يرتفع بنزوله جميع مذاهب المجتهدين أم تكون المذاهب معمولا بها فى عصره ؟ فقال رضى الله عنه ذكر الشيخ محيى الدين رضى الله عنه أنه يرتفع بنزوله إلى الأرض جميع مذاهب المجتهدين حتى لايبقى على وجه الأرض مذهب لمجتهد فلايكون فى زمنه إلا الشرع المعصوم ، إذ غاية علوم المجتهدين الظن لا اليقين وعلوم الأولياء تجل عن ذلك فضلا عن الأنبياء إذ هى من حق اليقين ، فقلت له فهل له أن يحكم بشرعه الذى كان عليه قبل رفعه إلى السماء من حيث إنه معدود من شرع محمد صلى الله عليه وسلم الباطن ؟ فقال رضى الله عنه لايحكم بشرعه الخاص به وإن كان من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بحكم التضمين لأن ذلك الشرع كان لطائفة مخصوصة وقد مضت قبل بعثته الظاهرة فما بقى لتلك الشريعة حكم بالنسبة إلى هذه الأمة إلا إن قررها شرعها، فقلت فإذن عيسى عليه السلام فى ذلك رسول من وجه تابع من وجه ؟ فقال رضى الله عنه نعم ، ولذلك يكون له يوم القيامة حشران تابعا ومتبوعا لأن نبينا صلى الله عليه وسلم ختام نبوة التشريع فلانبى بعده مستقلا انظره (خاتما) بكسر التاء وفتحها من ختم الشىء طبعه (ظهور ولاية) عامة (فليس) أى فبسبب ذلك ليس (ولى) يظهر ويوجد (بعده) أى بعد سيدنا عيسى أى بعد نزوله ووفاته إذ لايبقى فى ذلك الزمان إلا شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة وليس يومئذ فى الأرض من يقول الله الله وذلك فى آخر الزمان (بالمشيئة) أى بمقتضى المشيئة الصمدانية والحكمة الفردانية . وفى [غص] إن لهذه الأمة خاتمين جامعين لكل رتبة ومقام وارث ولاية بأحدية جمعها وتنوع وحدتها حتى تستغرق كل نعمة ووصف وإمداد واستمداد أحديا كان أو أحديا بسر تنزله وإحاطته بعلومه المطلقة والمقيدة ، وماهو خصيص به أصلا وفرعا حكما وعينا سعة وضيقا قيداً وإطلاقا حتى إن كل ولى كان أويكون إنما يأخذ من هذين الختمين الذى يكون أحدهما خاتم ولاية الخصوص والآخر يختم به الولاية العامة فلاولى بعده إلى قيام الساعة اهـ . قال رحمه الله :

(وإنى كَنيتُهُ أبا الفيض إنه يمدُّ جميع العالمينَ بفيضة)

(وإنى) بكسر الهمزة (كنيته) بتخفيف النون من الكنية : وفى [س] كنى زيدا أبا عمرو وبه كنية بالكسر والضم سماه به وأكناه وكناه بتشديد النون اهـ : أى إنى كنيت سيدنا الختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم أحمد بن محمد التجانى الحسنى رضى الله عنه وعنابه آمين (أبا الفيض) بإلهام من الله تعالى ولمطابقة الاسم المسمى (إنه) بفتح الهمزة وكسرها لأنها فى قوة التعليل على حد قوله تعالى - ندعوه إنه هو البر الرحيم - (يمد) بضم تحتية من الإمداد أو بفتحها من المد بفتح الميم وهو السيل والاستمداد

من الدواة وكثرة الماء كالأمداد انظر [س] (جميع العالمين) جمع عالم بفتح اللام فيهما . وفى [س] العالم الخلق أوما حواه بطن الفلك اه . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : إن لله تعالى أربعين ألف عالم ، الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد . وقال كعب الأحبار : لايحصى عدد العالمين أحد إلا الله سبحانه . قال تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو - ويخلق مالاتعلمون - وسيأتى عن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين أن عدد العوالم الإلهية ثمانية آلاف، العرش بكل ما فى جوفه عالم واحد من هذه العوالم الخ (بفيضة) أحدية محمدية أحدية ، ولاريب أن سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين هو الواسطة بين الحقيقة المحمدية وبين الخلق فى إفاضة المدد والخيرات الدينية والدنيوية فردا فرداً ، لاتخرج عن ذلك ذرة شاذة ولافاذة ماعدا النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، وطوى هنابيت وهو :

عسى الله أن يفيض أحسن فيضة　　　علىَّ به من أبحـر لدنيـة

قال رحمه الله :

(فـكلُّ ولىٍّ كيف كانَ بِبحرهِ　　　أُمِدَّ بقدرِ ماله مِن فضيلةِ)
(منْ أوّلِ نشأةِ العوالمِ كلها　　　إلى النفخِ يَسقى كلَّ فردٍ وذرَّةِ)

(فـكل ولى) أى فـكل فرد من أفراد الأولياء من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة. وفى [غ] قال الأستاذ القشيرى فى رسالته : للولى معنيان أحدهما : فعيل بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول ، فعلى هذا هو من يتولى الله سبحانه أمره قال تعالى - وهو يتولى الصالحين - فلا يكله إلى نفسه طرفة عين بل يتولى الحق سبحانه رعايته . والثانى : فعيل مبالغة من الفاعل ، وهو الذى يتولى عبادة الله تعالى فطاعته تجرى على التوالى من غير أن يتخللها عصيان ، وكلاالوصفين واجب حتى يكون الولى وليايجب قيامه بحقوق الله على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله إياه فى السراء والضراء اه . وفى [جه] وسألته رضى الله عنه عن حقيقة الولى فأجاب رضى الله عنه بقوله : حقيقة الولى من تولى الله أمره بالخصوصية مع مشاهدة أفعال الحق سبحانه ، ومرة قال مع مشاهدة الأفعال والصفات ، قلنا له أيجهل الولى أو العارف شيئا من أحكام الشريعة المطلوبة فى حقه ؟ قال نعم إلا بالتعلم والسؤال ولا تفاض من غير تعلم إلا لنادر من العارفين ، ولايحاط بمعرفة أحكام الشريعة وجميع العلوم التى يحتاج إليها الناس إلا الفرد الجامع لأنه هو الحامل للشريعة فى كل عصر ولو كان أميا لم تسبق له القراءة اه (كيف) أى على أى حال (كان) أى سواء كان من الأقطاب أو الأفراد أو الأوتاد أو الأبدال أو الصالحين والأخيار. وفى [جد] قلت لشيخنا رضى الله عنه: من أكمل الأولياء وأكثرهم مددا فى نفسه وأقلهم استدراجا؟ فقال رضى الله عنه: أكمل الأولياء من دخل فيها وعمل فيهاالأعمال الصالحة، ولم يشعر بكمال نفسه ولاشعربه أحد من الخلق حتى يخرج من الدنيا وأجره وافر لم ينقص منه ذرة ، فقلت له وهل ينقص الولى بمعرفة الناس بكماله ؟ فقال رضى الله عنه نعم ، أما سمعت قوله صلى الله عليه وسلم « خص بالبلاء من عرفه الناس » فلا يزال الود يقوم له فى قلوب المعتقدين إلى أن يستوفى جزاء أعماله الصالحة كلها ، لأن الود والمحبة ماداما فى باطن الخلق إلا من ظهور كماله لهم فأحسن أحوال من ظهر كماله للخلق أن يخرج من الدنيا مفلسا بالأعمال الصالحة سواء بسواء والسلام ، انظره : اللهم الطف بنا

وبعبادك وارزقنا وإياهم العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة ، واجعلنا من ضنائن خلقك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها فى عافية آمين . وقد أخبرنى من أثق به رحمه الله ورضى عنه : أنه اجتمع بسيدنا أبى الفيض أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنه وعنا به آمين فى عالم الأرواح ، فقال فى دعائه له جعلك الله أخفى من دبيب النمل اه . اللهم استجب بفضلك دعاءه وحقق رجاءه ياأرحم الراحمين ياأرحم الراحمين . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لانميل قط إلى حب الظهور بالتصريف فى هذه الدار فإن من أحب ذلك ذهب دينه ورحل إلى الآخرة صفر اليدين ، اللهم إلا أن يكون ظهر بإرادة الله من غير ميل كما يقع لكمل الأولياء. وقد كان سفيان بن عيينة رضى الله عنه يقول: لو أحبوا أن يعرفوا ماعرفوا . قلت : وقد بلغنا أن إبليس عرض عليه أنه يظهر فى هذه الدار فأبى واختار الخفاء . وكان سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول: الفقير فى هذه الدار كالجالس فى بيت الخلاء فإن رد الباب عليه قضى حاجته وخرج مستورا لم يرأحد له عورة ، وإن فتح الباب كشفت عورته وهتكت سريرته ولعنه كل من يراه، وكان سيدى محمد الغمرى رحمه الله يقول : الظهور يقطع الظهور. وكان سيدى أفضل الدين يقول: ليفتش الفقير نفسه إذا ظهر فربما ظهر بميل نفس سابق وهو يعتقد أنه ظهر بإرادة الله من غير ميل .

واعلم أنه ما ظهر قط ولى ولا عالم فى هذا الوجود إلا وتكدر فى نفسه ، ويصير يطلب ذرة من ذلك الصفاء الذى كان يجده مع الله فى نفسه قبل ظهوره فلايجده ، ولذلك حن جميع العارفين إلى أحوال بدايتهم فاعلم ذلك اه .وفيه أخذ علينا العهود أن نكتم أسرار الحق إذا تعطف علينا بشىء منها ولا نفشى شيئا منها فى الملأ فإن ذلك طرد عن حضرات الحق وسد لباب المزيد ، كما أن من ادعى مقاما لم يصل إليه حرم الوصول إليه عقوبة وإن كان ولابد من ذكر ذلك السر ليستفاد منه علم أوأدب فليقل سمعت بعض الفقراء يقول كذا وكذا بطريق بعيدة بحيث لايعلم الحاضرون أنه يورى بقوله انظره (يبحره) أى من بحر سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (أمد) بالبناء للمفعول خبر عن كل (بقدر) بحسب (ما) سبق وكتب (له) فى الأزل عند الله تعالى (من فضيلة) والفضيلة الدرجة الرفيعة والمرتبة الشريفة فى الفضل فكلهم رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم مستمدون من فيضه الأحمدى ونوره المحمدى بحسبه الكل من الفواضل والفضائل والأسرار والأنوار والفيوضات والتجليات وإن لم يروا ذلك لأنه محجوب عنهم، فلذلك كانوا كلهم أوجلهم رضى الله عنهم يصرحون بأنهم يأخذون العلوم بلاواسطة أحد رفقابهم لأن حقيقة هذا القطب المكتوم والبرزخ المختوم والختم المحمدى المعلوم محجوبة عنهم أجمعين لم يروها ولن يروها لافى الدنيا ولا فى الآخرة. وفى [مح] اعلم أن أفراد الأحباب من الصديقين والأغواث وجواهر الأقطاب وبرازخ الأغواث يعلمون أن مقام خاتم الأولياء الذى يكون مقامه ختم المقامات يفوق جميع مقامات الأولياء ولا يكون فوقه إلا مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك الخاتم هوسيد الأولياء وممدهم وإن لم يعلموا عينه، انظره . وفى [د] كل الشيوخ أخذوا عنى من عصر الصحابة إلى النفخ فى الصور اه.

قلت : ومن كان قبل ساداتنا الصحابة رضى الله عنهم وعنابهم آمين من أولياء الأمم الماضية فمن باب أولى وأحرى كما سيأتى إن شاء الله تعالى . ولأبى مهدى سيدى عبد الله الكنسوسى رضى الله عنه وعنا به آمين :

من بحره كل المشايخ ترتوى وبسره كل ينال أمانا

(من أول) وهو ضد الآخر (نشأة) مصدر نشأ كمنع وكرم حيى (العوالم) بكسر اللام جمع عالم بفتحها ماسوى الله كلها علويها وسفليها صامتها وناطقها متحركها وجامدها (إلى النفخ) من نفخ بفمه أخرج منه الريح أى إلى وقت النفخ فى الصور للبعث والحشر (يسق) من سقى كرمى ، ويقال سقاه بتضعيف وأسقاه بهمزة (كل فرد) من أفراد العالم والفرد نصف الزوج والمتحد (و) كل (ذرة) من ذر العالم، والذرة بفتح معجمة جمعها ذر . وفى [س] الذر صغار النمل مائة منها زنة حبة شعير الواحدة ذرة اه . وأما الدر بفتح مهملة فالنفس واللبن والعمل ، وفى الفرق بينهما قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

الذر بالفتح وبالإعجام مادق من نمل فخذ نظامى
فمائة منها بوزن حبة من الشعير قاله ذو خبرة
أما بفتحها وبالإهمال فالنفس واللبن كالأعمال

وفى [جم] وله أى للقطب المكتوم جمعية جميع ما يعطى لجوامع العالم من الفيض ماعدا الأنبياء، وكذلك جميع العوالم تستمد منه كما تقدم وهو الواسطة بينها وبين الحقيقة المحمدية عليها الصلاة والسلام اه. وعن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين : لايشرب ولى ولا يسقى إلا من بحرنا من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور اه : وفى [جم] أيضا : فللفرد الجامع وجهتان : وجهة إلى الذات المقدسة فهى متلاشية فيها يتلقى تجليها بما هى عليه من العز والعظمة والكبرياء والجلال والعلو ولا قدرة لأحد فى الوجود على هذا إلا هو ، وله وجهة إلى الوجود يفيض على الوجود ما اقتضته مرتبة الألوهية فهو البرزخ الجامع بين الله وبين خلقه ، وهذا الأمر لا يعرف بالقال وإنما يعرف بالذوق والحال ، انظره : فالوجود كله عائش فى ظله ولو زالت ظليته لا نمحق الوجود كله فى أسرع من طرفة العين سبحان الملك الحكيم العزيز العليم . قال رحمه الله :

(فما فاضَ منْ ذاتِ النبىِّ محمد تلقته ذَات الختمِ دونَ وسيطةِ
(كما تتلقى كلٌّ فيضٍ منْ أنبيا وَرُسْلٍ عليهم جميعاً تحيتى)

(فما فاض) يقال فاض الماء يفيض فيضا وفيوضا وفيضانا تحركا كثر حتى سال كالوادى (من ذات) أى حقيقة (النبى) بهمزة أو تحتية مشددة (محمد) صلى الله عليه وسلم أى من حقيقته المحمدية من الفيوض المختصة بسيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين ، المفاضة عليه من الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ له مشرب خاص به منه صلى الله عليه وسلم (تلقته) من تلقى الشىء صادفه وقابله وأدركه (ذات) أى حقيقة (الختم) المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (دون) بمعنى غير ومنه حديث «ليس فيما دون خمس أواق صدقة» أى فى غير خمس أواق (وسيطة) أى من غير واسطة بينه وبين الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وسلم (كما تتلقى) ذات الختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم رضى الله عنه وعنابه آمين (كل فيض) فاض (من) ذوات ساداتنا (أنبيا) قصره للوزن جمع نبى . وهو إنسان أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه (و) كل فيض فاض من ذوات ساداتنا (رسل) بسكون السين تخفيفا جمع رسول : وهو إنسان أوحى إليه بشرع

وأمر بتبليغه (عليهم جميعا) أى على جميع الأنبياء والرسل (تحيتى) والتحية السلام : وفى [مح] عن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين أن القطب المكتوم وهو الواسطة بين الأنبياء والأولياء فكل ولى لله تعالى من كبر شأنه ومن صغر لا يتلقى فيضا من حضرة نبى إلا بواسطته رضى الله عنه من حيث لا يشعر به ومدده الخاص به إنما يتلقاه منه صلى الله عليه وسلم ، ولا اطلاع لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص به لأن له مشربا معهم منه صلى الله عليه وسلم اه : وفى [جه] معنى أن كل ولى قدمه على قدم نبى : أى يذوق ذوق ذلك النبى ويتوجه توجه ذلك النبى من غير إحاطة بما كان عليه ذلك النبى ، بل يحصل له قسط ونصيب مما كان عليه ذلك النبى اه. وعن الحاتمى رضى الله عنه أنه قال : فلا بد أن يكون فى كل عصر مائة ألف ولى وأربعة وعشرون ألفا على عدد الأنبياء ويزيدون ولا ينقصون اه . وفى [عم] أن المحتضر ربما نطق عند خروج روحه بسيدنا عيسى أو بسيدنا موسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام فيظن من سمعه أنه مات يهوديا أو نصرانيا ، وليس كذلك بل إنما ذكر أنه على مقام ذلك النبى وعلى قدمه ومشربه ، انظره . ومن نحو هذا المعنى ما حكى عن ابن حنبل رضى الله عنه أنه لما حضرته الوفاة ولقن لا إله إلا الله فقال لا فرق بعد موته ، فقيل له كنا نقول لك لا إله إلا الله وتقول لا ، فقال كان إبليس تعرض لى وقال لى سلمت منى يا أحمد فقلت له مادامت الروح فى الحلقوم لا أسلم منك ، وذلك جواب له لا لكم . وعن بعضهم أنه لما احتضر دار به أصحابه فإذا قال من على يمينه لا إله إلا الله محمد رسول الله معر وجهه[1] ورده لليسار ، وإذا قال من على يساره لا إله إلا الله محمد رسول الله معر وجهه ورده لليمين ، فبقوا معه على هذه الحالة حتى غلبهم النوم ، فرأى بعضهم الناس يتسارعون ، فقال ما بال الناس ؟ فقيل ماشون إلى فلان اسم المحتضر يهنونه بالموت على الإسلام ، فأسرع معهم ليهنئه ، فلما هنأه أمسك بيده وقال آه يا فلان ما هذا الذى فعلتم معى ؟ تركتمونى وحيدا للشياطين يتسلمونى ، فقال كنا نلقنك لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأنت تمعر وجهك وتعرض عنا يمينا ويسارا ، فقال ما كنت أعرض عنكم وإنما كنت أعرض عن الشياطين فإنهما أتيانى على صفة أبى من جهة اليمين وعلى صفة أمى من جهة اليسار ، فهذا يدعونى إلى دين النصرانية وهذه تدعونى إلى دين اليهودية ، وكان كلامكم يؤنسنى وأستوثق به فلما تمم تسلمانى ، لكن الحمد لله الذى أعاننى ، فإنى لما بقيت وحيداً نزل ملك من السماء وبيده حربة فهزها عليهما وقال لهما إليكما عن ولى الله فوليا هاربين فاستفاق من نومه فقام إلى صاحبه فوجده قد مات : اللهم يا مثبت القلوب ثبتنا على دينك المستقيم — إن الدين عند الله الإسلام — ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه — قال رحمه الله :

(فمنها تفرَّقَتْ فُيُوضُ الخليقةِ ... فما ذَرَّةٌ إلاَّ وفازَتْ بقِسمةِ)

(بواسطة الختمِ التِّجانى أحمــدا ... أبى الفَيضِ قُلْ بذا بسرٍّ وجهرة)

(ولا تخش مَنْ يَرُدُّ عنك مقالتى ... سِوَى جاهلٍ أو منكرٍ شمسَ ضَحوة)

(فمنها) الفاء سببية أى فمن ذات الختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (تفرقت) ضد تجمع (فيوض) بضم الفاء جمع فيض بفتحها (الخليقة) كسفينة الناس

---

(١) معر وجهه : غيره غيظا .

والبهائم وتطلق على الطبيعة ، والمراد بها هنا جميع من فى الكون من الخلائق إذ ما فى الكون ذرة إلا وهى مستمدة من الحقيقة المحمدية بواسطة سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين ، ولا تخرج عن ذلك ذرة من الذر إلا النبيون والمرسلون عليهم الصلاة والسلام فإنهم يستمدون منها بلا واسطة إذ لا يقوى لتلاقى تجلياتهم وفيوضاتهم إلا هم عليهم الصلاة والسلام (فما) الفاء سببية ومافيه أى فما خلقت (ذرة) فى الكون (إلا و) قد (فازت) من الفوز وهو الظفر بالخير ، ويطلق على النجاة والهلاك يقال فاز فلان مات وفاز به ظفر وفاز منه نجا (بقسمة) بكسر القاف أى بحظ ونصيب مما كتب لها بالقسمة الأزلية (بواسطة) البرزخ المختوم والقطب المكتوم و (الختم) المحمدى المعلوم شيخنا (التجانى) فيه تقديم الصفة على الاسم والكنية والاسم على الكنية وهو جائز قال تعالى - إنما المسيح عيسى ابن مريم - (أحمدا) بألف الإشباع (أبى الفيض) رضى الله عنه وعنابه آمين . وفى [مح] عن سيدنا رضى الله عنه وعنابه آمين أن الفيوض التى تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذوات الأنبياء وكل مافاض وبرز من ذوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تتلقاها ذاتى ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور وخصصت بعلوم بينى وبينه منه إلىّ مشافهة لا يعلمها إلا الله عز وجل بلا واسطة . وعنه أيضا رضى الله عنه وعنابه آمين أنه قال: أنا سيد الأولياء كما كان صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء ، انظره . وفى [جع] ومما خصه الله به إدراك جميع العلوم المحمدية وهى مائة علم وأحد عشر علما قال بعض العارفين: ينقسم كل علم منها إلى اثنين وسبعين جزءا، وكل جزء من هذه الصغار إلى اثنين وسبعين جزءا ، وقال شيخنا رضى الله عنه : بل كل علم منها ينقسم إلى مائة ألف وأحد عشر ألف علم ، من علم علما من هذه العلوم علم علم الأولين والآخرين ، الكامل من الرجال يدرك منها اثنين وسبعين كمولاى عبد السلام بن مشيش ، وأخبرنا أيضا رضى الله عنه أنه طلبها من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وضمنها له ، وهى من أعظم خصوصية له رضى الله عنه اه . وقد مر عنه أن هذا القطب المكتوم هو الواسطة بين الحقيقة المحمدية وبين الخلق فى إفاضة المدد والخيرات الدينية والدنيوية على العموم فردا فردا ما عدا النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام إلخ .

وإذا فهمت جميع ما مر تعلم علم يقين بلا ريب ولا مين أن القطب المكتوم والبرزخ المختوم والختم المحمدى المعلوم سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين هو الذى يتلقى بنفسه من الحقيقة المحمدية ما اختص به من الفيوض والتجليات وبواسطة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مايفاض على جميع من فى الكون ممن تقدم أو تأخر من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة ، فيدخل فى ذلك ساداتنا الصحابة رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم ، ولا يلزم من ذلك تفضيله عليهم لأن المزية لا تقتضى الأفضلية ، ولأنهم الحائزون راية السبق والصحبة التى لا تقاس بكل منقبة ورتبة ، والفائزون بطلعته صلى الله عليه وسلم البهية ، والغارفون بلا واسطة من ذاته الكريمة الحسية العلوم الشرعية والأسرار الوهبية ، وذلك مفقود فى حق من بعدهم من الأولياء والأقطاب ، ولو القطب المكتوم والختم المحمدى المعلوم ، على أن سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين قال: لما سئل عن تفضيل الصحابى الذى لم يفتح عليه وعن القطب من غير الصحابة اختلف العلماء فى التفضيل بين أصغر الصحابة مرتبة وبين القطب ، والحق أن الصحابى أفضل من القطب لورود النص فيهم بعينه ، وهو قوله صلى الله

عليه وسلم « إن الله اصطفى أصحابى على سائر العالمين ماعدا النبيين والمرسلين»وأما المقابل فاستدل بقوله تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - قال سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين : إن القطب لا يقدر غيره على تقواه قد بل ولا على علمه، وهذان نصان ولكن الفضل الذى بالنص لايقاس بعمل ولاغيره ،هذا إذا لم تظهر علته فأحرى إذاكانت ظاهرة كهذه، وهى مشاهدة طلعته الزكية عليه أفضل الصلاة والسلام انظر [جه] وزاد فى [جع] وهذه من الأمور التى ينبغى معرفتها لغلط بعض العامة فيها لما يرون من كرامات بعض الأقطاب وعلو مقامهم اه . وفى ذلك قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

حمدا لمن عن فعله لا يسأل ... وغيره عن كل فعل يسأل
سبحانه بيــده السماء ... والأرض يفعل الذى يشاء
فيصطفى من شاء من عباد ... فيتجلى فيـه للإمـداد
يخص مـن يشاء بالمزايا ... وفضـله قد وسـع البرايا
ثم صـلاته عـلى إنسان ... عين الوجود مدد الأكوان
محمـد سليـل عبـد الله ... والآل والصحب بلا تناه
سميته بفيضـة الرحمـن ... على الورى من برزخ التجانى
فهاك مافاه به اللسان ... من بعـد ما أبرزه الجنان
من فيض بحر شيخنا التجانى ... مما به خص من الرحمان
من ذلك استمداد كل الكون ... من برزخيته دون مين
فكل من فى الكون حتى الصحب ... مستمد من شيخنا فى الغيب
فإن ذا مزية خص بهـا ... لا تقتضى الفضل فكن منتبها
بذا أجبت بعض من قد سألا ... فاستحسن الجواب عما استشكلا
ككل أمة مضت من الأمم ... قد استمدت منه وهو فى العدم
وهو استمد من ذوات الأنبيا ... كل فيوضات جميع الأشيا
كذلك الأملاك منه تستمد ... من غير ريب فيه قل واعتمد
سبحان من أنشأه كيف يشا ... وخصه بما يشاه كيف شا
وليس فى ذلك عندى ريب ... وربنا وليس فيه عيب
وذاك فى كلامه الفصيح ... يلوح بالتلويح والتصريح
فقال فى مقام الاستمداد ... مـن نشأة أولى إلى الآباد
ومن لدن آدم للآباد ... أمـد كل الـكون بالإمداد
وعنـد ذكره علا المقام ... على جميع الأوليا الـكرام
قال فمن عصر الصحابة إلى ... النفخ فاستثناهم تأمـلا
لأنهم سادوا جميع من مضى ... ومن أتى سبحان من بذا قضى
يـكفيك فيهم بلا التباس ... كنتم خير أمـة للناس
وقول سيد الوجود المقتفى ... ذى الصدق إن الله أصحابى اصطفى

هل جميع العالمين ما عدا | الانبيا والرسل كى بذا اهتدا
بالصحبة التى علت كل الرتب | وما لها من النظير فى القرب
إذ كل ما من عمل قد قبلا | فى الكون يرسم لهم بأفضلا
فاقدر إذن قدرهم بلا مرا | سبحان من فضلهم على الورى
ولا تكن إمعة(١) الأقوام | وقل بما عندك من أفهام
فالحق يؤخذ من الصغير | إن بان منه ومن الحقير
وذاك من خواص هذى الأمة | يارب فارحمنا بعين الرحمة
محمد سليل عبد الله | عليه والآل صلاة الله
يارب إن زلت بى الأقدام | أو عثر اللسان والأقلام
فارحم عبيدك من الأهوال | وكن له فى سائر الأحوال
آمين آمين ختام الحق | جعله على لسان الخلق

ـ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ـ .

فدونك بحرا خضته وقف الأنى | بساحله صونا لموضع حرمتى

ـ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ـ (قل) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (بذا) أى باستمداد جميع من فى الكون من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور من برزخية القطب المكتوم والختم المحمدى المعلوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (بسر) بكسر مهملة ضد العلانية (وجهرة) كثمرة من جهر كمنع قال تعالى ـ أرنا الله جهرة ـ عيانا غير مستتر (ولا تخش) من خشى كرضى خاف فهو خاش وخش (من يرد) من رد كنصر صرفه (عنك مقالتى) مصدر قال قولا وقيلا بالكسر وقولة ومقالا ومقالة (سوى) بضم وكسر كهدى ورضى بمعنى غير (جاهل) من جهل كسمع جهلا وجهالة ضد علم: أى جاهل بقدر سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين إذ من جهل شيئا عاداه وأنكره ، لكن متى ظهر له الحق قبله ورجع إليه (أو منكر) تجاهلا وتعاندا ، والمنكر عنادا لايعتبر لأنه لايقبل الحق إذا ظهر له ولا تنضبط دعواه ولا يصحبه اعتدال فى أمره ولايقنع بشىء بل من شأنه أن يقول ولو طارت معزى أى هى معزى ولو طارت . وفى [مح] قال الشيخ زروق فى [تأسيس القواعد] إنكار المنكر إما أن يستند لاجتهاد أو حسم ذريعة أو لعدم التحقيق أو لضعف الفهم أو لقصور العلم أو لجهل المناط أو لانبهام البساط أو لوجود العناد ، فعلامة الكل الرجوع للحق عند تعينه إلا الأخير فإنه لايقبل ما ظهر ولا تنضبط دعواه ولا يصحبه اعتدال فى أمره اه . وفى [تبق] أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من المريدين يجادل أحدا من الفقهاء ولاينكر عليه لأن ذلك فرع من النفاق مع أنه ينقص علم العبد بكل شىء أنكره ، ولم يزل القاصرون فى كل عصر ينكر بعضهم على بعض لقصور نظرهم ولو أنهم اتسعوا فى العلم لقل إنكارهم وحمل بعضهم بعضا على محامل صحيحة والله تعالى أعلم اهـ (شمس) مؤنثة جمعها شموس لتعدد مطالعها . وفى [هب] أنوار الشمس والقمر والنجوم مستمدة من نور البرزخ ، ونور البرزخ مستمد من النور المكرم ومن نور الأرواح التى فيه ، ونور الأرواح مستمد من نوره صلى الله عليه وسلم ؛ انظره .

(١) إمعة بالكسر والتشديد : من يتبع الناس بلا تسديد .

وروى « إياكم والجلوس فى الشمس فإنها تبلى الثوب وتنتن الريح وتظهر الداء الدفين » . وفى [جص] تحول إلى الظل فإنه مبارك (ضحوة) بفتح الضاد ارتفاع النهار » ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء »

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

قال رحمه الله :

(عدَى الأنبيا والرُّسْلِ كلٌّ يُباشِرُ فُيوضَهُ من خِتام أهلِ النبُوءَةِ)

(عدى) حرف جر واستثناء (الأنبيا) بالقصر جمع نبى ، ويجمع على نبواء كتقواء جمع تقى وعلى أنباء ونبيئين (والرسل) بسكون السين تخفيفا جمع رسول ، ويجمع على رسلاء كـكريم وكرماء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، وروى « صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثنى » اه . وفى [جع] وسألنا سيدنا رضى الله عنه كيف نثنى على الملائكة عليهم السلام لأجل ثنائهم علينا واستغفارهم لنا ، كما حكى الله عنهم سبحانه وتعالى بقوله ـ هو الذى يصلى عليكم وملائكته ـ وبقوله ـ ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ـ الآية ، فأجاب رضى الله عنه أما أنا فأقول : اللهم صل على كل واحد من أنبيائك ورسلك وملائكتك عدد ما فى علمك يارب اه .

(قلت) : فحق لنا شكرهم أى شكر جميع الملائكة لأجل صلاتهم علينا ، وفى الخبر «من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أسدى إليكم معروفا فكافئوه» انظره (كل) أى كل واحد منهم عليهم الصلاة والسلام (يباشر) من باشر الأمر وليه بنفسه (فيوضه) وتجلياته وأسراره وأنواره ومعارفه يأخذها بلا واسطة (من ختام) كـكتاب إحدى اللغى الواردة فى الخاتم وجمعها العراقى رضى الله عنه بقوله :

خذ عد نظم لغات الخاتم انتظمت ثمانيا ما حواها قبل نظام
خاتام خاتم ختم خاتم وختا م خاتيام وخيتوم وخيتام
وهمز مفتوح تاء تاسع وإذا ساغ القياس أتم العشر خاتام

ونظام جمع ناظم كعذال جمع عاذل ، ولم يذكر رحمه الله ختما محركة وذكره [س] وابن سيده وابن هشام فى الكعبية ، ولأجل تتميم الفائدة قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

زد ختما تمهن به لغى خاتم نص على ذاك قاموس وأقوام

(أهل) يقال أهل الأمر ولاته وأهل القرآن حملته وأهل البيت سكانه (النبوءة) بضم نون وموحدة وهمزة بعد واو . وفى [س] والاسم النبوءة أى بضم النون مع الموحدة ، ويقال أيضا النبوة بتشديد الواو مع ضم ماقبلها والنبوة بكسر النون كسدرة . وفى [جه] وسئل رضى الله عنه عن حقيقة النبوة فأجاب رضى الله عنه بقوله : حقيقة النبوة مشتملة على ثلاثة أمور ، وهى شرط فيها إن نقص واحد منها فليست بنبوة . الأول : كمال المعرفة بالله الباطنية والعيانية والإحاطة بجميع صفات الله وأسمائه تحققا بما ثبتت الإحاطة به للنبوة والصديقية لا ما وراء ذلك . الثانى : إيحاء الله بأمر إن شاء يتعبد به فى خاصة نفسه إن كان نبيا أو بالتبليغ لغيره إن كان رسولا . والثالث : يقول الله له أنت نبى إما منه إليه أو بواسطة الملك . وقال الخليفة العظمى سيدى الحاج على حرازم رضى الله عنه وعنا به آمين : وهذا الحد جامع مانع وهو فى غاية

الوضوح ، كل من اطلع عليه عرف معنى النبوءة وزال عنه مايتوهم من دخول الغير ، ورضى الله عن سيدنا ماأوضح عبارته وماأحسن إشارته اه . وفسرها فى [هب] بكلام طويل وكذا الرسالة انظره إن شئت . وفى [جع] قال رضى الله عنه : ماقضى الله فى سابق علمه بوصله إلى خلقه من العلوم والمعارف والفيوض والمواهب من جميع خلقه من الأزل إلى الأبد كله من أوله إلى آخره كله جمعه فى حقيقته صلى الله عليه وسلم إجمالا وتفصيلا . فما قضى به سبحانه وتعالى بتخصيص رسوله صلى الله عليه وسلم دون خلقه تركه باطنا فى حقيقته فما فاه به ولو بحرف واحد ، وأما ما أمره بتبليغه إلى خلقه وزعه على ترتيب فى باطن المشيئة إجمالا وتفصيلا وإفرادا فهو يوصله إليهم على قدر ماسبق فى المشيئة بميزان لايزيد ذرة ولاينقص ذرة اه . وفى [هب] سمعته رضى الله عنه يقول : لولا الدم الذى فى الذات واللحم والعروق المانع من معرفة حقائق الأمور لم يتكلم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منذ وجدوا إلى أن ظهر نبينا صلى الله عليه وسلم إلا بأمر نبينا صلى الله عليه وسلم ، فلا تكون إشارتهم إلا إليه ولاتكون دلالتهم إلا عليه ، حتى إنهم يصرحون لكل من تبعهم بأنهم إنما ربحوا منه وأن مددهم جميعا إنما هو منه صلى الله عليه وسلم . وأنهم فى الحقيقة نائبون عنه لامستقلون ، وأنهم بمنزلة أولاده صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم بمنزلة الأب لهم [1] حتى يكون الخلق كلهم فيه سواء ، ودعوة الجميع إليه صلى الله عليه وسلم واحدة فإن هذا هو الكائن فى نفس الأمر ، والأمم الماضية بمجرد موتهم وانفصالهم عن هذه الدار يعلمونه يقينا وفى الآخرة يظهر لهم عيانا ، وعند دخول الجنة يقع الفصل بينهم وبين الجنة حيث تنكمش عنهم وتنقبض وتقول لهم لا أعرفكم لستم من نور محمد صلى الله عليه وسلم فيقع الفصل بأنهم وإن سبقوا عليه فهم ممتدون من أنبيائهم ، وأنبياؤهم عليهم الصلاة والسلام ممتدون منه صلى الله عليه وسلم ، فإذن الجميع ممتد منه صلى الله عليه وسلم . قال رضى الله عنه : لولا الدم وماسبق فى الإرادة الأزلية لكان هذا الواقع فى دار الدنيا ، فقلت ولم منع هذا الدم من معرفة الحق؟ فقال رضى الله عنه لأنه يجذب الذات إلى أصلها الترابى ويميل بها إلى الأمور الفانية فتتشوف للبناء والغرس ولجمع الأموال وغير ذلك ، يميل بها إلى ذلك فى كل لحظة وهو عين الغفلة والحجاب عنه تعالى ، ولولا ذلك الدم لم تلتفت الذات إلى شىء من هذه الأمور الفانية أصلا .

(قلت) : ولا يخفى أن حجابيته تختلف فهى كثيفة فى حق العوام ضعيفة فى حق الخواص ، وتقرب من الانتفاء فى حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومنتفية رأسا فى حق سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ؛ انظره . وفيه : وسمعته رضى الله عنه يقول مرة أخرى : إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن سقوا من نوره صلى الله عليه وسلم لم يشربوه بتمامه بل كل واحد يشرب منه ما يناسبه وكتب له ، فإن النور المكرم ذو ألوان كثيرة وأحوال عديدة وأقسام كثيرة فكل واحد شرب لونا خاصا ونوعا خاصا . قال رضى الله عنه : فسيدنا عيسى عليه السلام شرب من النور المكرم فحصل له مقام الغربة وهو مقام يحمل صاحبه على السياحة وعدم القرار فى موضع واحد . وسيدنا إبراهيم عليه

---

(١) ولابن الفارض رضى الله عنه :

وإنى وإن كنت ابن آدم صورة ... فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

من خط مؤلفه .

الصلاة والسلام شرب من النور المكرم فحصل له مقام الرحمة والتواضع مع المشاهدة الكاملة فتراه إذا تكلم مع أحد يخاطبه بلين ويكلمه بتواضع عظيم فيظن المتكلم أنه يتواضع له وهو إنما يتواضع لله عز وجل لقوة مشاهدته ، وسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام شرب من النور المكرم فحصل له مقام مشاهدة الحق سبحانه فى نعمه وخيراته وعطاياه التى لايقدر قدرها، وهكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة الكرام ، والله أعلم .

وسمعته رضى الله عنه يقول: إنما ظهر الخير لأهله ببركته صلى الله عليه وسلم، وأهل الخير هم الملائكة والأنبياء والأولياء وعامة المؤمنين ، فقلت وكيف يفرق بينهم ؟ فقال رضى الله عنه الملائكة ذواتهم من النور وأرواحهم من النور ، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ذواتهم من تراب وأرواحهم من نور وبين الروح والذات نور آخر هو شراب ذواتهم، وكذا الأولياء غير أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام زادوا عليهم بدرجة النبوة التى لا تكيف ولاتطاق : وأما عوام المؤمنين فلهم ذوات ترابية وأرواح نورانية ولذواتهم شبه عرف من ذلك النور الذى للأولياء والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقلت ومانسبة هذه الأنوار من نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكيف استمدادها منه؟فضرب رضى الله عنه مثلا عاميا على عادته نفعنا الله به وقال كمن جوّع جماعة من القطط مدّة حتى اشتاقوا للأكل اشتياقا كثيرا ثم طرح خبزة بينهم فجعلوا يأكلون منها أكلا حثيثا والخبزة لاينقص منها قلامة ظفر، فكذا نوره صلى الله عليه وسلم تستمد منه العوالم ولاينقص شيئا، والحق سبحانه وتعالى يمده بالزيادة دائما ولاتظهر فيه الزيادة بأن يتسع فراغها بل الزيادة باطنة فيه لاتظهر أبدا كما أن النقص لايظهر فهذا النور المكرم تستمد منه الملائكة والأنبياء والأولياء والمؤمنون والمدد مختلف كما سبق ، والله أعلم اه . وللبوصيرى رضى الله عنه فى بردته :

فاق النبيين فى خلق وفى خلق ... ولم يدانوه فى علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس ... غرفا من البحر أورشفا من الديم
وواقفون لديه عند حدهم ... من نقطة العلم أو من شكلة الحكم
فهو الذى تم معناه وصورته ... ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك فى محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

ثم قال:

وكيف يدرك فى الدنيا حقيقته ... قوم نيام تسلوا عنه بالحلم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم
وكل آى أتى الرسل الكرام بها ... فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها ... يظهرن أنوارها للناس فى الظلم
حتى إذا طلعت فى الأفق عم هدا ... ها العالمين وأحيت سائر الأمم

ثم أشار غفر الله ذنبه وستر عيبه إلى درء ماعسى أن يتطرق إلى الأفهام القاصرة والأذهان القاترة من تساوى المدركين أو تقاربهما فبين أن بينهما مهامه تحار فيها القطا وتبيد فيها نجب المطىّ بقوله :

(فما نَشِقَ المكتومُ مَدْرَكَ أنبيا ... فلو ذَرَّةٌ منه لذاب تبــددت)

(فما نشق) يقال نشقت الطيب شممته، القطب (المكتوم) والختم المحمدى المعلوم سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (مدرك) كمقعد من الدرك محركة قاع الشىء وقعره وغايته (أنبيا) بالقصر

فضلا عن أن ينشق مدرك الرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام .وفى [هب] وسألته رضى الله عنه عن قول أبي يزيد البسطامى رضى الله عنـه : خضنا بحوراً وقفت الأنبياء بسواحلها ؟ فقال رضى الله عنه : النبوة خطرها جسيم وقدرها عظيم وصاحبها كريم ، ذومقام رفيع وجناب منيع لا يبلغ أحد مقداره ولاينشق سائر غباره ، فهيهات أن يصل الولى إلى رحالها ،وشتان مابينه وبين رجالهـا، ولـكنه قد علم أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم هو سيد الأنبياء وإمام المرسلين وخيرة خلق الله أجمعين، وقد يعير صلى الله عليه وسلم بعض أثوابه لبعض الكاملين من أمته الشريفة فإذا لبسه حصل له ماقاله أبو يزيد البسطامى ، وذلك فى الحقيقة منسوب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو الخائض لتلك البحور والمقدم على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اه . وفى [جه] اعلم أن الأصل الأصيل الذى لامحيدعنه ولابد لـكل مؤمن من اعتقاده ومن خرج عنه خرج عن قاعدة الإيمان هو أن الحق سبحانه وتعالى تجلى بعلو كبريائه وعظمته وجلاله وعموم صفاته العلية وأسمائه وخصوصها وأن ذلك التجلى ليس هو فى كل شخص كما عند الآخر ولاعلى قانون واحد ولاعلى كيفية مطردة بل البصائر فيه متفاوتة وأسرار الخلق فى ذلك متباينة من كثير وقليل ، فهو يتجلى لكل شخص على قدر طاقته وعلى قدرماتسعه حوصلته من تجلى الجمال القدسى الذى لاتدرك له غاية ولايوقف له على حدولانهاية ، وإذا عرفت هذا فاعلم أن الذى فى مرتبته صلى الله عليه وسلم من تجليات الصفات والأسماء والحقائق لامطمع فى دركه لأحد من أكابر أولى العزم من الرسل فضلا عمن دونهم من النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وأن الذى فى مرتبة أولى العزم من الرسل لامطمع لأحد فى دركه من عموم المرسلين ، وأن الذى فى مرتبة الرسالة لامطمع فى دركه لأحد من النبيين ، وأن الذى فى مرتبة النبوة لامطمع فى دركه لأحد من عموم الأقطاب ، وأن الذى فى مرتبة القطبانية لامطمع لأحد فى دركه من عموم الصديقين ، وإذا كان الأمر كذلك وعرفت هذا التفصيل فاعلم أن الشطحات التى صدرت من أكابر العارفين ما يوهم أو يقتضى أن لهم شفوفا وعلوا على مراتب النبيين والمرسلين مثل قول أبي يزيد البسطامى خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله ، ومثل قول الشيخ عبد القادر الجيلى : معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا مالم تؤتوه ، ومثل قول ابن الفارض رضى الله عنه :

ودونك بحرا خضته وقف الألى ... بساحله صونا لموضع حرمتى

وكقوله :

وإنى وإن كنت ابن آدم صورة ... فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

إلى أن قال :

وفى المهد حزبى الأنبياء وفى عنا ... صرى لوحى المحفوظ والفتح سورتى

وكقوله أيضا :

فحى على جمعى القديم الذى به ... وجدت كهول الحى أطفال صبوتى

ومن فضل ماأسأرت شرب معاصرى ... ومن كان قبلى فالفضائل فضلتى

وكقوله فى الـكافية :

كل من فى حماك يهواك لـكن ... أنا وحدى بـكل من فى حماكا

وكقول بعض العارفين : نهاية إقدام النبيين بداية إقدام الأولياء . والجواب عن هذه الشطحات أن للعارف وقتا يطرأ عليه الفناء والاستغراق حتى يخرج بذلك عن دائرة حسه وشهوده ويخرج عن جميع مداركه ووجوده ، لكن تارة يكون ذلك فى ذات الحق سبحانه وتعالى فيتدلى له من قدوس اللاهوت من بعض أسراره فيضا يقتضى منه أنه يشهد ذاته عين ذات الحق لمحقه فيها واستهلاكه فيها ، ويصرح فى هذا الميدان بقوله سبحانى لا إله إلا أنا وحدى الخ من التسبيحات كقوله جلت عظمتى وتقدس كبريائى ؛ وهو فى ذلك معذور لأن العقل الذى يميز به الشواهد والعوائد ويعطيه تفصيل المراتب بمعرفة كل بما يستحقه من الصفات غاب عنه وانمحق وتلاشى واضمحل ، وعند فقد هذا العقل وذهابه وفيض ذلك السر القدسى عليه تكلم بما تكلم به ، فالكلام الذى وقع فيه خلقه الحق فيه نيابة عنه فهو يتكلم بلسان الحق لا بلسانه ومعربا عن ذات الحق لا عن ذاته ؛ ومن هذا الميدان قول أبى يزيد البسطامى : سبحانى ما أعظم شانى ، وقول الحلاج : وأنا الحق وما فى الجبة إلا الله ، وكقول بعضهم :

« فالأرض أرضى والسماء سمائى » وكقول التسترى رضى الله عنه :

انظر أنا شىء عجيب لمن رآنى ... أنا المحب والحبيب مالم ثانى

وكقوله : أنا من أهوى ومن أهوى أنا . . . . . البيت (١)

وأقوال ابن الفارض مثل هذه كثيرة ، وهذا ما يعطيه الفناء والاستغراق فى ذات الحق ، وهذا أمر خارج عن المقال يدرك بالذوق وصفاء الأحوال ، فلا يعلم حقيقته إلا من ذاقه ، وتارة يكون الاستغراق للعارف والفناء فى ذات النبى صلى الله عليه وسلم لغيبته عن ذاته فى ذات النبى عليه الصلاة والسلام ، فيتدلى له صلى الله عليه وسلم ببعض أسراره فإذا كسبت ذاته ذلك السر فلا يشهد ذاته إلا ذات النبى صلى الله عليه وسلم ، ويعلمه الله ببعض ما اختص به نبيه صلى الله عليه وسلم من الخصوصيات التى لا مطمع فيها لغيره صلى الله عليه وسلم ، فيتكلم بلسانه صلى الله عليه وسلم نيابة عنه ببعض ما اختص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من الخصوصيات العظام . مما له به علو وشرف وشفوف على مراتب جميع النبيين والمرسلين ، فهو يخبر عما أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم مخبرا عن نفسه ، فمن يسمعه يظن أنه ينسبه لنفسه وإنما نسبه للنبى صلى الله عليه وسلم لغيبته فى ذاته ، فإذا انفصل عن هذا الفناء والاستغراق ورجع لحسه وشاهده تبرأ من ذلك لعلمه بمرتبته ، وعلى هذا المساق فى كل ما تسمع من الشيوخ مما يقتضى أن لهم شفوفا على مراتب النبيين والمرسلين مثل الدسوقى رضى الله عنه :

أنا كنت مع نوح لما شهد الورى ... بحورا وطوفانا على كف قدرتى

أنا كنت فى رؤيا الذبيح فداءه ... وما أنزل الكبش سوى بفتوتى

أنا كنت مع أيوب فى زمن البلا ... وما شفيت بلواه إلا بدعوتى

وأكثر من هذا رضى الله عنه . فكل ذلك لفنائه فى ذات النبى صلى الله عليه وسلم مترجما عن مقامه صلى الله عليه وسلم وهذا يغنى فى الجواب ومن وراء ذلك ما لا يلحقه العقل ولا يأتى عليه القول ولا يحل ذكره لبعده عن الأفهام والسلام . وهذا الذى ذكرناه من فناء العارف فى ذات الله وفى ذات النبى صلى الله عليه وسلم ليس هو لكل العارفين ولا فى كل وقت وقت من أوقات من يقع له ، بل هو

---

(١) وتمامه : نحن روحان حللنا بدنا ... فإذا أبصرتنى أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا

خاص ببعض الأوقات لبعض العارفين فقط والسلام استدراك البحر الذى خاضه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفت الأنبياء بساحله هى بحار الحقائق التى تجلى الله بها عليه دون غيره من أكابر النبيين والمرسلين فمن دونه إلى هلم جرا ، فإن تلك الحقائق لو تجلى الله بها للنبيين والمرسلين ولو بأقل قليل منها لصاروا محض العدم فى أسرع من طرفة البصر ، وإنما وقفوا بساحل تلك التجليات وهى التجليات التى اختصهم الله بها من طلوع الجلال والجمال والعظمة والكبرياء ، فتلك الحقائق التى هى لهم بالنسبة إلى حقائقه صلى الله عليه وسلم المنكشفة له خصوصا كالساحل للبحر فإنهم تكلموا بلسانه صلى الله عليه وسلم لغيبتهم فيه وفنائهم فيه، انظره . وفى [هب] واعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسموات وأرضين وجنات وحجب وما فوقها وما تحتها إذا جمعت كلها وجدت بعضا من نور النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن مجموع نوره صلى الله عليه وسلم لو وضع على العرش لذاب ولو وضع على الحجب السبعين التى فوق العرش لتهافتت ، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع عليها ذلك النور العظيم لتهافتت وتساقطت ، انظره . ولذا قال رحمه الله (فلو) أى فبسبب ذلك لو تبدت وظهرت (ذرة) فاعل لفعل محذوف على حد: لو ذات سوار لطمتنى (منه) أى من مدرك ساداتنا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام (لذاب) بمعجمة ضد جمد يقال ذاب ذوبا وذوبانا محركة وأذابه وذوبه ، وأما دأب بمهملة فمعناه جد وتعب ، وفى الفرق بينهما قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

ذاب بإعجام كسال ما جمد أما بإهمال فجد وقصد

أو تقول: ذاب بمعجمة معناه سال جرى أما بإهمالها فجد زد تعبا

(تبدت) بمعنى ظهرت، ويقال تبدى أقام بالبادية وليس بمراد، يعنى لو ظهرت ذرة واحدة مما يفاض ويتجلى به على ساداتنا الأنبياء والرسل من الحقيقة المحمدية عليها وعليهم أفضل الصلاة والسلام للختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين لذاب وانماع وصار محض العدم ، لعدم قدرته وطاقته لتحمل أعباء تلك التجليات والفيوضات المفاضة عليه من الحقيقة المحمدية عليهم الصلاة والسلام .

وابن اللبون إذا ما لزّ فى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

ويقال لزه شده وألصقه بغيره ، وقرن كسبب حبل يشد به البعيران ، والصولة السطوة والقهر ، والبزل بضم الموحدة جمع بزول كرسول ورسل سكنت زايه تخفيفا أو بفتحها جمع بازل كراكب وركب والقناعيس جمع قنعاس كقرطاس وقراطيس من الإبل العظيم الهامة الغليظ العنق الشديد الظهر . قال رحمه الله :

(وما شمّ أقطابٌ وفردٌ ومفتحٌ وكلُّ ولىّ مدركَ الختمِ قدوتى)

(وما شم) يقال شممت بالكسر أشم بالفتح وشممت بالفتح أشم بالضم (أقطاب) جمع قطب (وفرد) هو من لا نظير له جمعه أفراد . وفى [جع] سمعته رضى الله عنه يقول : مراتب الرجال الكبار ثلاثة : مرتبة العارفين شهود الحق فى المراتب ، ومرتبة الأفراد شهود الحق لا فى المراتب ، والمرتبة الثالثة فى غيب الغيب مكتومة لا تدرك ولا يعرفها إلا صاحبها ، وهو القطب الجامع لأن له المرتبتين الأوليين وهو شهود الحق فى المراتب للتصرف فى الكون ويشاهد الحق فى غير المراتب، وله

هذه المرتبة المكتومة لا يشاركه فيها غيره ، انظره . وفى [غ] ومقام الأفراد بين الصديقية والنبوة ونظيرهم من الملائكة الأرواح المهيمون فى جلال الله ، قاله الشيخ محيي الدين. ثم قال : وقد جهلهم أكثر الناس من أهل طريقنا كأبي حامد وأمثاله لأن ذوق مقامهم عزيز اه ، وفى [جع] ومن كلامه رضى الله عنه : أن خواص أولياء الله الكبار كمفاتيح الكنوز . والأفراد الأربعة خصهم الله بأمور لم تكن لغيرهم من عامة الأقطاب فضلا عن الأولياء . منها : أن البيت المعظم وهى الكعبة المشرفة تطوف كل يوم صيما بكل واحد منهم وهو فى مكانه . ومنها : تسليم السحاب على كل واحد منهم وكذلك الجراد وفى ظنى يصبح على كل واحد منهم ويمسى كذلك ، ومنها : أن المفاتيح كل واحد منهم يدرك من العلوم المحمدية اثنين وسبعين علما والأولياء لا يصلون إليها منهم إلا بعض الكمل كمولاى عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه ، كما حكى عنه سيدى عبد الرحمن الشامى قال : إنه أدرك اثنين وسبعين علما ، وأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه أدرك أحدا وسبعين تقص عن شيخه بواحد، ومنها حبوب النور الطالعة من الأولياء إلى العالم العلوى غاية ما يطلع للقطب إحدى عشرة وأما الأفراد فلكل واحد منهم ثلاث عشرة والمفاتيح لكل واحد خمس عشرة ، وهذه الخصوصية لهم على عامة الأقطاب وأما خاصة الخاصة من الأقطاب كالجيلانى والحاتمى ومن شاركهم فى مقامهم ، فالغالب أن لهم ما للمفاتيح من الخصوصية المذكورة ، ويزيدون عليهم بأمور لم يشموا لها المفاتيح رائحة ولا علم لهم بها ، فضلا عن إدراكهم لها كشهدهم الخاص وإحاطتهم بما احتوى عليه قول دائرة الإحاطة من الأسرار والمعارف والفيوض ، أو غيرها من العلوم التى لا مطمع لغيرهم فيها والخلافة كما تقدم ، انظره . وفى [جه] الدليل على أن سيدنا الخضر من الأفراد وليس نبيا على القطع ما حكاه الله فى القرآن فى قصته مع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى — لقد جئت شيئا نكرا — لقد جئت شيئا إمرا — لو كان نبيا ما أنكر عليه سيدنا موسى فعله ، لأن سيدنا موسى عليه السلام يعلم عصمة النبوة ، وأن صاحبها لا يتقدم إلى فعل شىء إلا بأمر إلهى ، ويكون الأمر فى تلك القضيتين الأوليين فى القرآن وهما خرق السفينة وقتل الغلام فإنهما من أعظم الأمور المستقبحة شرعا وطبعا ، فإن العقلاء اتفقت على ذينك الفعلين ، والأمور الإلهية أطبقت كلها على تحريمهما لأنهما من أعظم الفساد فى الأرض ، فلو علم أنه نبى لعلم أنه لا يقدم عليهما إلا بأمر إلهى لا يمكن تركهما ، وحيث أنكر عليه دل ذلك على أنه ليس بنبي ، وأيضا فى الاستدلال على عدم نبوته وهو أكبر من الأول إذ لو كان الخضر نبيا لأعلم الله موسى بنبوته لأجل أن لا ينكر عليه ، لأن الإنكار على صاحب النبوة تضليل له والمضلل للنبى كافر وسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام معصوم فما تجرأ عليه بقوله — لقد جئت شيئا نكرا — إلا لعلمه أنه ليس بنبى ، فاتضح لك الأمر والحمد لله اه . وفى [جع] اعلم أن الخضر عليه السلام ولى فقط وليس بنبى عند الجمهور . قال الشيخ الأكبر رضى الله عنه : الخلاف فيه — يعنى فى نبوته — عند أهل الظاهر لا عندنا فإنه عندنا مقطوع به من الأولياء لا من النبيين اه . ثم قال : وقال إبراهيم التيمى رضى الله عنه : وكان أحد الأبدال فى رواية تلقيه المسبعات العشر من الخضر إلى أن قال له فى آخر الحديث هو سيد الأولياء ، انظره . وفى [هب] فقلت وهل سيدنا الخضر نبى كما ذهب إليه بعض العلماء حتى قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى ينبغى اعتقاد نبوته لئلا يكون غير النبى أعلم من النبى ؟ فقال رضى الله عنه : ليس بنبى وإنما هو عبد أكرمه الله

بمعرفته وأمده بالتصرف فى رعيته وأعطاه من تمام التصرف وكمال المعرفة مايعطى للغوث من هذه الأمة المحمدية ، وأدرك ذلك الخضر بلا شيخ ولاسلوك بل أمده الله تعالى بذلك ابتداء ، فهذه درجته وهى لاتبلغ مبلغ النبوءة ولاالرسالة ، انظره (ومفتح) كمنبر جمعه مفاتح والمراد مفاتح الكنوز من ساداتنا الأولياء رضى الله عن جميعهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين . وفى [جع] وسئل رضى الله عنه عن قول ابن عطاء الله : سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه ، فأجاب رضى الله عنه بقوله : وفى مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم حين سئل من أولياء الله ، هم الذين إذا رُءوا ذُكِرَ الله ، اه ، لكن هذا الحديث لايصدق إلا فى طائفة خاصة وهم مفاتيح الكنوز لامن عداهم حتى القطب اه وفيه لطيفة ، وأما ما أعطاه الله من القوة للأولياء فالأولياء الصادقون كل واحد فى قوته قوة مائة رجل ، والعارفون بالله أهل عالم الملك كل واحد فى قوته قوة ثلاثمائة رجل ، وأهل عالم الملكوت لكل واحد منهم قوة خمسمائة رجل ، ولكل واحد من أهل عالم الأمر ألف رجل ، ولقطب الأقطاب خمسة عشرمائة رجل وقوة الأفراد الأربعة سبعة عشرمائة رجل ، وقوة مفاتيح الكنوز ألفا رجل . وأما معرفة العوالم فعالم الملك من السماء إلى الأرض ، وعالم الملكوت من السماء الأولى إلى السابعة ، وعالم الجبروت من السماء السابعة إلى الكرسى ، وعالم الأمر من الكرسى إلى العرش إلى ماوراءه ، فمعنى الملك هو عالم الناسوت وهى شدة الكثافة وهو التجلى بالأجسام الكثيفة ، والملكوت عالم الأنوار وهو التجلى بصور الأجسام اللطيفة ، والجبروت عالم الأسرار وهو التجلى بصور الأجسام القدسية من الكروبيين ومن ضاهاهم ، وعالم اللاهوت هو التجلى بصور الروحانية القدسية المنزهة عن المادة والطبيعة ، فكل عالم تجلى فيه بنسبة من نسب الحضرة الإلهية اه (و) ماشم أيضا (كل ولى) من الأولياء وهو من عطف العام على الخاص ، ومر أنهم لابد أن يكونوا فى كل عصر مائة ألف ولى وأربعة وعشرين ألفا على عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لايزيدون ولا ينقصون . إذ لابد أن يكون قدم كل ولى من الأولياء على قدم نبى من الأنبياء ، وفى الحديث « أولياء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل » .

ونقل عن القطب سيدى عبد الله الغزوانى رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه آمين ، المدفون بقصور مراكش صانها الله من كل بأس وشواش آمين : أنه سئل عن أهل الدائرة هل ينقص عددهم أم لا فأجاب رضى الله عنه : اعلم أن أهل الدائرة لاينقص عددهم ولا ينقص عددهم ما دامت الدنيا فالقطب واحد بمكة لم يزل ، والنقباء سبعة بالشـام ، والنجباء اثنا عشر بمصر ، والبدلاء أربعون رجلا بالمغرب ، والأوتاد أربعة على أركان الأرض ، والأولياء والصالحون والأخيار فى سائر أقطار الأرض موجودون وعدة الجميع ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر ، وقيل وأربعة عشر على عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام ، والغوث يعنى القطب عليه ثلاثمائة وستون حجابا من النور لأهل النور ، وثلاثمائة وستون حجابا من الظلام لأهل الظلام ، فرأسه كرسى وصدره عرشى ووسطه أراضى السبع ، يمد العوالم بأسرها ، متصفا بأوصاف الله تعالى متخلقا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم اه فهو روح الكونين وعليه مداره ، يتصرف فى الوجود بأحكام الله وقدرته وجلاله ، يمد كل واحد من الأولياء بما يليق بحاله ومقامه : ولهذه النيابة قال أبو العباس المرسى رضى الله عنه :

لو كشف عن حقيقة الولى لعبد أى لأن أوصافه من أوصاف إلهه ولعوته من نعوته ، لأنه ينسلخ من جميع الأوصاف البشرية كما تنسلخ الشاة من جلدها ويلبس خلعة الأخلاق الإلهية فلو كشف للعبد عن حقيقة الولى لعبده ، ولكن - إن الله بالناس لرءوف رحيم - وله الحمد فى الأولى والآخرة - وفى [جص] الأبدال فى هذه الأمة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، وفيه : الأبدال أربعون رجلا وأربعون امرأة انظره .

قال الحفنى : سموا بذلك لأن من مات منهم أبدل مكانه غيره ، أو لأن أخلاقهم بدلت بأخلاق الأنبياء ، أو لأنهم بدل الأنبياء فقد ورد ، إن الأرض لما فقدت منها الأنبياء اضطربت واشتكت فأوحى الله إليها أن اسكنى وأجعل بدل الأنبياء فيك الأبدال يكونون على أخلاق الأنبياء ، أو لأن الواحد منهم إذا سافر من مكانه وجاء شخص يزوره جعل الله بدله فى محله روحانية وحقيقة بحيث يتكلم مع الزائر كما لو كان حاضرا ، ومن علامة الأبدال عدم التزوج وحسن خلقهم ، وبعضهم دائما ساكن القلب والجوارح فى المشاهدة ، وبعضهم ساكن القلب ، وجوارحهم دائما فى اضطراب شديد إلا أنهم لا يشغلهم ذلك عن مشاهدة مولاهم ، وهم أخص من مطلق الأولياء أى أعلى مرتبة ، وأخص منهم الأوتاد الأربعة كل واحد فى ركن من أركان الكعبة ، والذى فى ركن الحجر الأسود على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يمد الخلق بالإمدادات العظيمة ، والثلاثة الباقية كل على قلب نبى من الأنبياء .

قال المناوى : وأنا ذلك الوتد الذى بالركن الأسود تحدثا بالنعمة ، وأخص منهم القطب الذى على الكعبة الذى هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وله التصرف والإمداد لسائر الأولياء الأحياء والأموات . وقد ورد فى الحديث تسميته قطبا كما وردت التسمية أيضا بالأوتاد ، وأما تسميته بالغوث فمن كلام أهل الله تعالى ، فأرقى الأولياء القطب الغوث ثم الوليان الذى أحدهما على يمينه والآخر على يساره المسميان بالإمامين ثم الأوتاد ثم الأبدال ثم مطلق الأولياء ، ومعنى كون الولى على قلب نبى أن نور ولاية النبى الذى كان ينزل عليه ينزل على ذلك الولى : أى الأسرار التى تنزل على قلب ذلك النبى تنزل على قلب ذلك الولى وإن اختلفت كيفا وهو قولهم فى سيدى أحمد البدوى عيسوى ، وأما ما اشتهر من أن معنى عيسوى أنه كلما قدم الزمن زاد المدد فليس مرادا وإن كان صحيحا فى نفسه ، وبهذا تعلم معنى قول أهل التصوف فلان محمدى وفلان عيسوى إلخ ، والمقام الأحمدى أعلى من المحمدى كما هو مبسوط فى كتب القوم يعرفه أهله سواء أظهروه أم كتموه .

[فائدة] قال الشبراملسى فى [تاريخ بغداد] للخطيب عن الكتانى قال : النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والأبدال أربعون والأخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد ، فسكن النقباء الغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الأبدال الشام والأخيار سياحون فى الأرض والعمد فى زوايا الأرض ومسكن الغوث مكة ، فإذا عرضت الحاجة من أمر الأمة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث فلاتتم مسئلته حتى تجاب دعوته اه . وعن سهل بن عبد الله رضى الله عنه صارت الأبدال أبدالا بأربعة : قلة الكلام ، وقلة الطعام ، واعتزال الأنام ، والصلاة بالليل والناس نيام . وعن معروف الكرخى رحمه الله : من قال فى كل يوم عشر مرات : اللهم أصلح أمة محمد ، اللهم فرج عن أمة محمد ، اللهم ارحم أمة محمد ، كتب من الأبدال اه (مدرك) كمقعد (الختم)

المحمدى المعلوم والقطب المكتوم والبرزخ المختوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (قدوتى) وسيدى وسندى وعدتى وعمدتى أحمد بن محمد الحسنى التجانى متعنا الله برضاه الأبدى وأفاض علينا من فيضه الأحمدى ومن نوره المحمدى آمين . وفى [جع] ومما خص الله به قطب الأقطاب أموراً خصه الله بها عن أكابر الأولياء وهم رؤوس الأفراد، وهى ماأجاب به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم قدوتنا رضى الله عنه حين سأله عن مفاتيح الكنوز ، وقطب الأقطاب أيهما أعلى مرتبة عند الله تعالى؟ فقال له صلى الله عليه وسلم : هو أعلى منهم فى مقامات ومراتب أورثه الله التجلى الكامل المحيط بالتجليات كلها ، وأورثه الله الاسم الأعظم بجميع إحاطاته ، وأورثه الله المدد من النبى صلى الله عليه وسلم بلاواسطة، وأورثه الله مدد جميع الأولياء يكون على يديه ، وتحريك الجمادات وتحريك كل حىّ حى، والإمارة على كل شىء والتعظيم على كل شىء، وبالمعانى التابعة للكلام المتقدم هذا المفتاح الذى أورثه من النبى صلى الله عليه وسلم وهو خليفته صلى الله عليه وسلم فى ذلك كله . اهـ بلفظه الطاهر صلى الله عليه وسلم . وفيه أيضا: ومما أكرم الله به قطب الأقطاب أن يعلمه علم ماقبل وجود الكون وما وراءه ، وأن يشهده الذات بعين الذات ، وأن يعلمه جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من الكون وهى الأسماء العالية، وأن يخصصه بأسرار دائرة الإحاطة وجميع فيوضه، وبهذه الأمور خص عن رؤوس الأفراد. ولا يعلمون أنها خاصة به إلا دائرة الإحاطة فإنهم يعلمون أنها خاصة به. وأما مشهده فلا علم لهم به لأنه يدخل الحضرة من باب المخدع وهو محجوب عنهم، ونسب رضى الله عنه هذا الكلام لأبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه اهـ . زاد فى [جه] ثم قال أيضا: الخليفة له التصرف العام والحكم الشامل التام فى جميع المملكة الإلهية، وله بحسب ذلك الأمر والنهى والتقرير والتوبيخ والحمد والذم على حسب مايقتضيه مراد الخليفة سواء كان نبيا أو وليا مستوون فى هذه المرتبة ، والرسول ليس له عموم الأمر والنهى إلا ما سمعه من مرسله سبحانه وتعالى لا يزيد وراء ذلك شيئا ، وإنما هو فى ذلك مبلغ فقط ليس بآمر وناه : إلا أن يكون الرسول خليفة فله المرتبة الأولى فالخليفة الولى أوسع دائرة فى الأمر والنهى والحكم من الرسول الذى ليس بخليفة مثاله فى الشاهد مثال الملك الأعظم يولى أحدا من حاشيته رتبة التصرف فى جميع مملكته من رعيته توكيلا له واستخلافا ولا يولى ذلك وزيره ولا أهل مجالسته مع كونهم أعظم عنده من أهل حاشيته فى المرتبة ، وهذا المثال يدفع مايتوهم من شفوف مرتبة الولى الخليفة على مرتبة الرسول الذى ليس بخليفة اهـ . وفى [جع] وخص الله سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين بأسرار وأنوار لم تكن لغيره : منها أن الاسم الأعظم الكبير الكامل من الرجال يذكره فى اليوم مرة أو مرتين ، وطلب هو من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن يذكره كل يوم عشر مائة ألف وضمنه له ، وطلب أن يجمع له بين الفردانية والقطبانية وضمنهما له ، انظره ـ قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ـ قال رحمه الله :

(فنسبتهُ للعارفينَ كنسبةِ الـــــــخوَاصُّ لعامَةٍ لِرُتبة ختمَةٍ)

(فنسبته) أى الختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (للعارفين) بالله تعالى . وفى [جه] كل العارفين فى شغل عن الله تعالى لأنهم بقى لهم ضرب من حظوظهم إلا أهل التجلى الأكبر الذين لاحظ لهم فى الجنة فإنهم عنده سبحانه وتعالى مقيدون فى حضرة قربه ووصلهم بما لا تحيط العقول وصفه . ولو أنه واصل العارفين بتجليه لهم وما أعطاهم فى ذلك لذابوا

من هيبة الجلال فإن هؤلاء لا التفات لهم إلى الجنة ونعيمها ولا عبرة لهم بها أوجدت أم عدمت ، وفيهم يقول بعض العارفين : قوم بشهوات الفرج والبطن مشغولون وللمجالسة آخرون ؛ فما فاز بالله غيرهم فإنهم فى كل لحظة يتجلى عليهم بما تسبته للتجلى الأول كبحر إلى نقطة ، وهكذا فما يدركون من اللذات والنعيم والفرح والسرور بحيث أن لو طولبوا بالحور لحظة واحدة لا ستغاثوا منهن كما يستغيث أهل النار من النار فهم الخاصة العليا من صفوة الله ، وهذا المقام أفضل المقامات وأعلاها ، وهذا المقام لم يكن لأحد من العالمين سوى هذه الطائفة إلا هو صلى الله عليه وسلم له هذه المرتبة العلية مع مشاركته للعالمين فى شهوة البطن والفرج ، فهذا لا يحجبه عن هذا وهذا لا يحجبه عن الآخر ، فهو بالضرورة أن من ذاق ذلك فى جنات لم يقدر أن يلتفت إلى غيره ، ومن ألف التلذذ بالحور وأنواع النعيم لم يقدر لهذا المطلب ؛ ولا يحوم حوله إلا هو صلى الله عليه وسلم اه (كنسبة الخواص) من الأولياء الكبار والخواص جمع خاصة وهى ضد العامة وأل فيه من المصراع الأول (لعامة) وفى [س] والعام اسم جمع للعامة وهى خلاف الخاصة اه : وفى [جع] ثم قال مرة أخرى : نسبة الأقطاب معه أى مع القطب المكتوم كنسبة العامة مع الأقطاب لأن مقامه فى غيب الغيب لا علم لهم به لا دنيا ولا أخرى لأن له مقاما فى الجنة لا يعلمه أحد حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . قيل له : حيث كان الأمر ما ذكرتم فلا ينتفع به أحد ؟ قال : أصحابه الذين يعرفون ذاته البشرية وإن كانوا لا يرون إلا ظله كما كانت الصحابة معه صلى الله عليه وسلم لا يرون إلا ظله وانتفعوا به دنيا وأخرى ، ولهذا المقام الأمجد قال فى بعض شطحاته : فلا يقدر أحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا إلا أنا وحدى كما سيأتى إن شاء الله تعالى (لرتبة) كغرفة : المنزلة والدرجة (ختمة) للولاية الخاصة التى منحها بمحض الفضل والرضوان من الكريم المنان تعالى قدره وتبارك خيره كما مر . قال رحمه الله :

(مقَامُهُ لَا يدرِيهِ إلا مُحمدٌ   لهُ فى مُحمدِيةٍ خيرِ وَقفَةٍ

وليست لأقطابٍ ولا لفاتحٍ   بها الله خصهُ بفضلٍ ومنةٍ)

مقامه أى الختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين : أى المقام الذى خصه الله به فضلا ومنة منه سبحانه وتعالى (لا يدريه) لا يعلمه ولا يطلع عليه ولا يشم رائحته أحد (إلا) سيد الوجود وعلم الشهود والسبب فى كل موجود سيدنا ومولانا (محمد) صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأنه حسنة من حسناته صلى الله عليه وعلى آله وسلم وظل ذاته الكريمة (له) أى للختم المحمدى المعلوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (فى) حقيقة (محمدية) صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وفى [جه] اعلم أنه لما خلق الله الحقيقة المحمدية أودع فيها سبحانه وتعالى جميع ما قسمه لخلقه من فيوض العلوم والمعارف والأسرار والتجليات والأنوار والحقائق بجميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها ، ثم هو صلى الله عليه وسلم الآن يترقى فى شهود الكمالات الإلهية مما لا مطمع فيه لغيره ولا تنقضى تلك الكمالات بطول أبد الآباد اه . وفيه : فليس فى جواهر الوجود أشرف وأعلى منها ولا أصفى ولا أطهر ولا أكمل منها ، ثم إنها فى حقيقتها لا تدرك ولا تعقل . قال أويس القرنى رضى الله عنه لسيدنا عمر وسيدنا على رضى الله عنهما حين لقياه : لم تريا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ظله .

فالا : ولا ابن أبي قحافة ؟ قال ولا ابن أبي قحافة ، لأنه ما قال لها ذلك حتى وصل لجة المعارف طلبا للوقوف على عين الحقيقة المحمدية ، فقيل له هذا أمر عجز عن الوصول إليه أكابر الرسل فلا مطمع فيه لأحد بوجه ولا حال. قال أبو يزيد رضى الله عنه : غصت لجة المعارف طلبا للوقوف على عين الحقيقة المحمدية ، فإذا بيني وبينها ألف حجاب من نور ولو دنوت من الحجاب الأول لا حترقت كما تحترق الشعرة إذا ألقيت فى النار فتأخرت القهقرى انظره (خير) أفضل وأعظم (وقفة) من وقف يقف دام . وفى [جع] وله أى للقطب المكتوم وقفة ومقابلة فى الحقيقة المحمدية لم تكن لغيره من جميع الأكابر ، ومع هذا إن حقيقته فى مقامه الخاص به لم يطلع عليها أحد إلا الله وسيد الوجود صلى الله عليه وسلم لأن له نسبة من حقيقته المحمدية اه (وليست) هذه الوقفة والمقابلة (لأقطاب) أى للأكابر من الأقطاب (ولا لمفاتح) جمع مفتح كمنبر وكذلك لم تكن للأفراد فضلا عن غيرهم رضى الله عن جميعهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين (بها) أى بتلك الوقفة والمقابلة (الله) تعالى قدره وتبارك خيره (خصه) يقال خصه بكذا فضله به (بفضل) أى بمحض فضله الواسع (ومنه) بكسر الميم مصدر منّ عليه منا ومنة أنعم عليه . قال رحمه الله :

(وليس لعارف وُصولُ مَقامِهِ   وقد صرّح النبى بذا لوسيلتى)

(وليس لعارف) بالله تعالى ممن تقدم أو تأخر . وفى [جه] وقد سئل الجنيد عن العارف بالله فقال : لون الماء لون إنائه ، وقال القشيرى فى رسالته بعد أن ذكره عنه يعنى أنه بحكم وقته ، وقال أيضا قال أبو يزيد للخلق أحوال ولا حال للعارف لأنه محيت رسومه وفنيت طويته وعفيت آثاره بآثار غيره ، وقال الشيخ زروق فى قواعده بعد أن ذكر وصف العابد والزاهد وغيرهما فإن أرسل نفسه مع مراد الحق فهو العارف ، وقد مثل أهل الطريق العارف بحافظ القرآن كله وذا الحال بحافظ سورة منه أو سور فإذا قلت عارف فقد نسبت إليه المقامات كلها وأغنى عن أن تصفه بشىء من المقامات من الزهد والتوكل والتفويض وغيرها لأنها منطوية فيه ، انظره . وفى [جع] اعلم أن العارف يكون كامل اليقظة والرضى لأمرين لابد منهما : الأمر الأول مايفاتح به فى مقامه من الفتوحات والفيوض والتجليات وعجائب الحقائق والأسرار التى لايطيق العقل إحاطة الإدراك لها فضلا عن التلفظ بها فيعرف ما يلزمه فى كل فصل وفى كل أمر من ذلك على حدته من الوظائف والآداب والمقابلات التى هى مقتضيات العبودية ، والأمر الثانى تيقظه وترصده لما يتقلب فيه الوجود من الأطوار من خير أوشر أو غير ذلك ، فيعلم فى كل فصل من ذلك وفى كل أمر أى تجلّ للحق هو البارز فيه ، ومن أى حضرة كان ذلك الطور ولماذا وجد وماذا يراد منه فيعطى لكل شىء من ذلك ما يستحقه بحكم الوقت من الوظائف والآداب والمقابلات التى هى مقتضيات العبودية حتى لايشذ عليه من ذلك فى كل مقدار طرفة عين من الزمان شىء ، وهذا الأمر هو المعبر عنه بالمراقبة فى مقام العارفين وهى مشروطة بتقديم المشاهدة وكمال المعرفة فلا تقع مالم تقع المعرفة والمشاهدة فإن الروح عند مطالعة الجمال القدسى مقتضاها الذهول عن الأكوان لما فى الجمال القدسى من الشغل عنها ، وهذه المراقبة لأكابر الكمل من العارفين وهى بساط الخلافة الكبرى ، فصاحبها هو الذى يتأتى له أن يكون خليفة الله على خلقه لاستكماله مرتبة العبودية ، فإن قامت هذه المعارف فيتأتى له التحقق بالله فى كل مرتبة وهو المعبر عنه بالقطب وقد لايكون قطبا اه . وفيه : وسألته رضى

الله عنه لماذا لم يتصرف العارف بالأسماء العالية وعسكرة الأسماء ؟ فأجاب رضى الله عنه : أما الأسماء العالية فلا يعرفها ولا يطلع عليها إلا الفرد الجامع ، وأما عسكرة الأسماء وغيرها من أسماء الله فيعرفها العارفون ، ولكن العارف يغلبه الحياء من الله أن يطلب حاجة بأسماء الله ، ولكن إذا أراد حاجة يوجه همته إليها فتقضى إن أراد الله قضاءها اه . وفى [جه] وسألته رضى الله عنه عن دائرة العارف ؟ فأجاب رضى الله عنه بما نصه : قال : اتساع دائرة العارف إذا رفع إلى محل القرب أن الله صفة السمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة، كل صفة من هذه تحيط بجميع الوجود فى آن واحد لايختلف عليها لاختلاط الوجود بذواته أو بألفاظه أو بحركاته ، فإنه يميز كل فرد من ذلك على حدته تميزا لايختلط بغيره لافى ولا فى سمعه بصره ولافى صفة من باقى صفاته، وهكذا العارف إذا رفعه إلى محل القرب بصير سمعه يسمع كسماع الحق باتساع دائرته فإنه فى ضيق الدائرة لايحتمل إلا فردا واحدا من كل شئ لافى الألفاظ ولافى الذوات ولا فى الحركات لضيق دائرته ووعائه، فإذا ارتفع إلى محل القرب اتسعت دائرته باتساع معروفه فحمل من الأكوان فى الآن الواحد من الحركات والذوات والألفاظ ضربا ماوسعه معروفه، فلا تختلط عليه أصوات الوجود فى الآن الواحد ولا تختلط عليه ذوات الوجود فى الآن الواحد ، ولا تختلط عليه حركات الوجود فى الآن الواحد سمعا وبصرا، وهكذا فى قوله «ويده التى يبطش بها» فإن بطشه يتسع باتساع القدرة الأزلية يقدر مثلا على أن يقوم الأرض كلها فى طرفة عين ؛ وهكذا رجله التى يمشى بها فإنه يقدر على أن يمشى الوجود برجله فى طرفة عين وهذا معنى الحديث «كنت سمعه » الخ انظره . وفى [عف] قال ذو النون: علامة العارف ثلاثة: لايطفئ نور معرفته نور ورعه ؛ ولا يعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ، ولا يحمله كثرة نعم الله وكرامته على هتك أستار محارم الله تعالى ، فأرباب النهايات كلما ازدادوا نعمة ازدادوا عبودية ، وكلما ازدادوا دنيا ازدادوا قربا ، وكلما ازدادوا جاها ورفعة ازدادوا تواضعا وذلة - أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين - وكلما تناولوا شهوة من شهوات النفوس استخرجت منهم شكرا صافيا، يتناولون الشهوات تارة رفقا بالنفوس لأنها معهم كالطفل الذى يلطف بالشيء ويهدى له شيء لأنه مقهور تحت السياسة مرحوم ملطوف به ، وتارة يمنعون نفوسهم الشهوات تأسيا بالأنبياء واختيارهم التقلل من الشهوات الدنيوية انظره (وصول) مصدر وصل الشيء وصولا ووصلة بالضم بلغه وانتهى إليه (مقامه) أى موضعه ومرتبته. وفى [مح] عن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين: إن مقامنا عند الله فى الآخرة لايصله أحد من الأولياء ولايقاربه لامن كبر شأنه ولامن صغر ، وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ فى الصور ليس فيهم من يصل مقامنا اه . وقد أخرج هنا رضى الله عنه وعنابه آمين ساداتنا الصحابة رضى الله عنهم وعنابهم آمين إذ مقامهم أعلى من مقامه فلذا قال من عصر الصحابة كما مر . وفى [جمع] ويكفى فى علو مرتبة صاحب هذا المقام وعلو شأنه وبعد مرامه عن الغير أن صاحبه هو الواسطة فى الإمداد بين الحقيقة المحمدية والخلق كما تقدم ، ثم قال: وقد حل سيدنا رضى الله عنه قطب الأقطاب فى هذا المقام الأعظم عام الثالث عشر فى القرن الثالث عشر فى شهر الله المعظم صفر يوم الاثنين خلت منه ٧ ، ونحن إذ ذاك بمدينة فاس عمرها الله آمين اه . وفيه : سمعته يقول رضى الله عنه: أخبرت من الغيب أنى أقطع المقامات التى بين المعرفة والقطبانية فى مقدار ما بين الظهر إلى العصر ، وأماما بين القطبانية إلى مقامه

الموعود به وهو فوق مفاتيح الكنوز وليس فوقه مقام فى الولاية قال: أقطعها فى مقدار ما يقرأ القارئ سورة القدر مرتين. قلت له: وكم عددها؟ قال لا يحصى. قلت له هو الذى أخبرتنا به فيما مضى وهو أعلى من جميع المقامات ومافوقه إلا مقام الأنبياء والرسل؟ قال نعم، وفى رواية عنه رضى الله عنه أنه قال: قيل لى تدخل المعرفة الكبرى فى وقت الظهر، وتقطع جميع المقامات التى بين المعرفة والقطبانية من الظهر إلى العصر، وتدخل القطبانية فى وقت العصر. وفى رواية أخرى عنه رضى الله عنه قال: قيل لى تدخل فى الساعة العاشرة من النهار، هكذا أخبرت بها ثم قال والعاشرة هى العصر اه. وفيه: فائدة. سأله رضى الله عنه عن عدد المقامات التى بين المعرفة والقطبانية؟ فأجاب: أما عددها فمائة ألف مقام. قال الشيخ رضى الله عنه حاكيا كلام الحاتمى: إن المقام الأول من مقامات المعرفة فيه شىء من المكر الخفى ولا يأمن صاحبه إلا إذا انتقل عنه للذى فوقه، وبين الأول والثانى سبعمائة ألف حجاب، وبين الثانى والثالث سبعة آلاف ألف حجاب، وهكذا لايزال مرتقيا بقطع الحجب إلى ما لا نهاية له لأن المقامات لاتنتهى: فكذلك الحجب بين كل مقام ومقام لاتنتهى، هذا بعد الوصول إلى المعرفة. وأما الحجب التى قبل الوصول إلى المعرفة فعند جمهور العارفين أنها سبعون ألف حجاب، وقال بعضهم أكثر وبعضهم أقل، وأما عند الشيخ رضى الله عنه فعدد الحجب التى قبل الوصول إلى المعرفة مائة ألف حجاب وخمسة وستون ألف حجاب، وهذا هو الصحيح، لأنه هو الذى أخبر به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم اه (وقد صرح) والتصريح خلاف التعريض وتبيين الأمر (النبى) بحذف الهمزة تخفيفا بقطة لامناما (بذا) أى بعدم وصول أحد من العارفين إلى مقامه الخاص به رضى الله عن جميعهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين (لوسيلتى) إلى ربى سيدنا أبى الفيض أحمد بن محمد التجانى الحسنى رضى الله عنه وعنابه آمين. وفى [جه] قال رضى الله عنه: إن لنا مرتبة عند الله تعالى تناهت فى العلو إلى حد يحرم ذكره وليس هى ما أفشيته لكم ولو صرحت بها لأجمع أهل الحق والعرفان على كفرى فضلا عمن عداهم، وليست هى التى ذكرت لكم بل هى من ورائها ومن خاصية تلك المرتبة أن من لم يحافظ على تغيير قلبى من أصحابنا بعدم حفظ حرمة أصحابنا طرده الله من قربه وسلبه ما منحه اه. وفى [جع] قال سيدنا رضى الله عنه ليس مرتبة كاملة من كل وجه وصاحبها محيط بجميع المراتب إلا له صلى الله عليه وسلم أو للقطب المكتوم فإن مرتبته جامعة لجميع المراتب، سمعت سيدنا رضى الله عنه يقول: طلبت من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلوغ الغاية فى أقصى مقام القطبانية التى مافوقها إلا مقام النبوة، وقال لى رضى الله عنه: قال لى صلى الله عليه وسلم: مقامك هو مقام ام ع ن االم ز ت غ ت. انتهى.

[تنبيه] لاينبغى لأخ صادق أن يتجاسر فى استخراج أصحاب هذه المقامات المرموز لهم بهذه الحروف بل الواجب عليه أن يقول مالنا إلا اتباع أحمد، فما أفشاه أفشيناه وما أخفاه أخفيناه، ومن فتح الله عليه وأفشى شيئا من ذلك يخاف عليه السلب والطرد، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم. وفيه: أنى سمعته رضى الله عنه يقول: قال لى صلى الله عليه وسلم: لك فى الجنة أربعون مقاما من مقامات الأنبياء اه. وفيه أيضا: وسألت سيدنا رضى الله عنه قبل أن يخبرنى بعلو مقامه هل بلغ أحد مقام الشيخ عبد القادر والحاتمى رضى الله عنهما لما سمعت من شطحاتهما كقول الشيخ عبد القادر:

ما فى الصبابة منهل مستعذب — إلا ولى فيه الألذ الأطيب

إلى آخر الأبيات، وكقول الحاتمى :

بناختم الله الولاية فانتهت ... إلينا فلا ختم يكون لمن بعدى
وما فاز بالختم الذى لمحمد ... من أمته والعلم إلا أنا وحدى

فأجاب رضى الله عنه مخبرا عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، لأنه سأله عن جميع الأولياء أيهم أعلى مقاما ؟ فأخبره صلى الله عليه وسلم أن الشيخ عبد القادر والحاتمى مقامهما أعلى من جميع الأولياء، وأخبرنى شيخنا رضى الله عنه أنه زاد على الشيخين المذكورين فى المقام بأمر لم يصلاه لم يظفرا به فإن فضل الله لاحدله إلا ماحجره الحق من النبوة. قال صلى الله عليه وسلم «أمتى كالمطر لايدرى أينفع أوله أم آخره» وسئل سيدنا رضى الله عنه عن مقامه والفضل الذى خصه الله به ؟ فأجاب رضى الله عنه : إن مقامه لم يعط لأحد غيره ما عدا الصحابة رضى الله عنهم قال له بعض الحاضرين : يقول المعاند هذا تحجير ؟ قال ليس بتحجير وإنما هو فضل سبقت به مشيئة الحق يخص برحمته من يشاء ولا منازع له فى حكمه اه . ثم قال : ولما سمع سيدنا رضى الله عنه مقالة المعاند التى تقدمت تواجد رضى الله عنه وقال لهم من لدن آدم إلى النفخ فى الصور على رغم أنوفكم اه . وفى [مح] وقد أخبرنى بعض من لقى الشيخ رضى الله عنه وأرضاه وعنا به أنه رجع يوما من المسجد يوم الجمعة إلى بيته ، فلما بلغ إلى باب بيته جلس وحوله جماعات فقال : الحمد لله الذى بلغنى فى هذا الوقت مرتبة الشيخ عبد القادر الجيلانى وزادنى على ما أعطاه أربعين مقاما ، وقال رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنابه : أعطانى الله فى السبع المثانى وهى الفاتحة مالم يعطه إلا للأنبياء ، وقال رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنابه : إن الله تعالى أعطانى مالم يعطه لأحد من الشيوخ أبدا ، فضلا منه وجودا بلا استحقاق شىء عليه ، بل فى سابق علمه قضى بذلك ، فلله الحمد وله مزيد الشكر ، انظره . وقوله إلى آخر الأبيات وهى :

أو فى الوصال مكانة مخصوصة ... إلا ومــنزلتى أعز وأقــرب
وهبت لى الأيام رونق صفوها ... فحلت مناهلها وطاب المشرب
وغدوت مخطوبا لكل كريمة ... لايهتدى فيها اللبيب فيخطب
أنا من رجال لايخاف جليسهم ... ريب الزمان ولا يرى ما يرهب
قوم لهم فى كل مجد رتبــة ... عــالية وبكل جيش مــوكب
أنا بلبل[1] الأفراح أملأ دوحها ... طــربا وفى العلياء باز أشهــب
أضحت جيوش الحب تحت مشيئتى ... طوعا ومهما رمته لايعزب
أصبحت لا أملا ولا أمنية ... أرجــو ولا موعودة أترقــب
مازلت أرتع فى ميادين الرضى ... حتى وهبت مكانة لاتوهب
أضحى الزمان كحلة مرقومة ... تزهــو ونحن لهــا الطراز المذهب
أفلت شمــوس الأولين وشمسنا ... أبدا على فلك العلا لا تغرب اه

ومن شطحاته أيضا رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه قوله فى تائيته :

على الدرة البيضاء كان اجتماعنا ... وفى قاب قوسين اجتماع الأحبة

---

(١) (قوله بلبل) بضم الموحدتين كقنفذ طائر معروف . والدوح جمع دوحة : الشجرة العظيمة اه .

وعاينت إسرافيل واللوح والرضى ... وشاهدت أنوار الجلال بنظرتى
وشاهدت ما فوق السموات كلها ... كذا العرش والكرسى فى طى قبضتى
وكل بلاد الله ملكى حقيقة ... وأقطابها من تحت حكمى وطاعتى
أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة ... على سائر الأقطاب قولى وحرمتى
توسل بنا فى كل هول وشدة ... أغيثك فى الأشياء دهرا بهمتى
أنا لمريدى حافظ ما يخافه ... وأحرسه من كل شر وفتنة
مريدى إذا ما كان شرقا ومغربا ... أغثه إذا ما سار فى أىّ بلدة

انظرها . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

وما قد سمعت فيه زر بحقه ... لتنله أفضل المنى والمواهب
وماذا تقول فى محمدّ بجبهم ... أبى الفيض وهو ختم كل المراتب
سما وعلا على جميع الأكابر ... بفضل رسول الله أس الأطايب
فمنه استمد كل قطب وعارف ... ومن صفو بحره استقى كل شارب
فرد سلسبيله تنل خير شربة ... ولا تعدون عينا لذيذ المشارب

قال رحمه الله :

(سِوَى الصَّحْبِ فازُوا بالمُنى والسَّعادَةِ ... بنَظْرَةِ وَجْهِ المصطفى وبصُحْبةِ)

(سوى) بكسر السين وضمها ويستعمل ظرفا وغيره (الصحب) أى الصحابة رضى الله عنهم وعنا بهم آمين (فازوا) من الفوز وهو الظفر بالمراد أى ظفروا كلهم (بالمنى) بضم الميم جمع منية بضمها وكسرها يقال تمنيت كذا أردته وأحببته (والسعادة) الأبدية دنيا وأخرى (بنظرة) أى بمجرد نظرهم إليه صلى الله عليه وسلم نظرة اعتقاد واحترام وإجلال وإكبار ، وأما من ينظر إليه صلى الله عليه وسلم بعين الازدراء والاحتقار ويراه يتيم أبى طالب ممن سبقت له الشقاوة والعياذ بالله فلا تنفعه رؤيته ولو كان يراه كل يوم ألف مرة (وجه) الوجه معلوم ومستقبل كل شىء وجمعه أوجه ووجوه وأجوه بضم الهمزة سيدنا ومولانا محمد (المصطفى) صلى الله عليه وعلى آله وسلم من اصطفى الشىء : اختاره وأخذ صفوه ، فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم صفوة الله من خلقه ونخبته وخيرته من بريته . وللبوصيرى رضى الله عنه :

ليته خصنى برؤية وجه ... زال عن كل من رآه الشقاء

(وبصحبة) كغرفة مصدر صحبه كسمعه عاشره ولو لحظة فكل من نظر فى وجهه صلى الله عليه وسلم حيا وميتا فقد فاز بخير الدارين وحاز الفضل والشرف بدون مين ، لكن من صحبه فى حياته هو الحائز راية السبق على من سبق ولحق ، ولذا كانت ساداتنا الصحابة رضى الله عنهم وعنابهم آمين أفضل من غيرهم لقوله تعالى - كنتم خير أمة أخرجت للناس - وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله اصطفى أصحابى على سائر العالمين سوى النبيين والمرسلين » وقوله صلى الله عليه وسلم « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وقوله صلى الله عليه وسلم « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وقوله صلى الله عليه وسلم « خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون

ويشهدون ولا يستشهدون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن » اهـ . وفى [خل] إن هذه القرون الثلاثة اختصت بمزية لا بوازيهم بها غيرهم وهى أن الله تعالى اختصهم لإقامة دينه وإعلاء كلمته فالقرن الأول خصهم بخصوصية لا سبيل لأحد أن يلحق غبار أحدهم فضلا عن عمله لأن الله تعالى خصهم برؤية نبيه عليه الصلاة والسلام ومشاهدته ونزول القرآن عليه غضا طريا يتلقونه من فى النبى صلى الله عليه وسلم حين يتلقاه من جبريل عليه السلام وبالقتال بين يديه صلى الله عليه وسلم ونصرته وحمايته وإذلال الكفر وإخماده ورفع منار الإسلام وإعلائه . وحفظهم القرآن الذى كان ينزل نجوما نجوما فأهلهم الله لحفظه حتى لم يضع منه حرف واحد فجمعوه ويسروه لمن بعدهم ، وفتحوا البلاد والأقاليم للمسلمين ومهدوها لهم . وحفظوا أحاديث نبيهم عليه الصلاة والسلام فى صدورهم . وأثبتوها على ما ينبغى من عدم اللحن والغلط والسهو والغفلة ، ثم قال ابن مسعود رضى الله عنه : من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم فى آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم اهـ . انظره . قال رحمه الله :

(فلا مَطمعٌ فى نَيْلِ فَضْلِ الصحابةِ   ودَرْكُ مقامِهم لِكلِ الخليقةِ
فأعمالُنا معْهُمْ كما قالَ شيخُنا   كطيرِ القَطاةِ معْ دَبيبِ نُمَيْلةِ)

(فلا مطمع) بالرفع والتنوين ومطمع كمقعد : ما يطمع فيه (فى نيل فضل) وشرف جميع (الصحابة) رضى الله عنهم وعنا بهم آمين (و) لا فى (درك) أى إدراك (مقامهم) مرتبتهم ومنزلتهم عند الله تعالى (لكل) لجميع (الخليقة) ممن تقدم أو تأخر فلهم الرتبة العليا والمنزلة الكبرى والمنقبة القصوى والصحبة الفضلى التى لا تقاس بكل درجة وقربة :

رتب تسقط الأمانى حسرى   دونها ما وراءهن وراء

وفى [جص] « طبقات أمتى خمس طبقات كل طبقة منها أربعون سنة ، فطبقتى وطبقة أصحابى أهل العلم والإيمان ، والذين يلونهم إلى الثمانين أهل البر والتقوى ، والذين يلونهم إلى الستين ومائة أهل التقاطع والتدابر ، والذين يلونهم إلى المائتين أهل الهرج والحروب » اهـ . اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة . قال الحفنى : فأصحابه صلى الله عليه وسلم لهم شهود باطنى بالذات العلية وقوة إيمان فلا يساويهم غيرهم فى ذلك وإن تفاوت بعضهم فى ذلك انظره (فأعمالنا) جمع عمل (معهم) بسكون العين : أى فنسبة أعمالنا معشر المحمديين مع أعمالهم (كما قال شيخنا) سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (كطير) أى مثل طيران . وفى [س] الطيران محركة حركة ذى الجناح فى الهواء بجناحيه كالطير والطيرورة[1] اهـ (القطاة) طائر معروف جمعها قطى وقطوات ويضرب بها المثل فى الإسراع والاهتداء . قيل : إنها تترك فراخها بالصحراء وتذهب عند طلوع الشمس لطلب الماء مسيرة عشرين ليلة فما دونها فترد دونه ضحوة يومهن فيحملن الماء لفراخهن فينهلهن ثم يرجعن بعد الزوال إلى تلك المسافة فيشربن ، ويأتين فراخهن فى عشية يومهن فيسقينهن عللا بعد نهل ولا يخطئن مواضع فراخهن ،

---

(١) الطيرورة على وزن الصيرورة .

فيقال لذلك فلان أهدى من القطى (مع) بسكون العين (دبيب) مصدر دب بدال مهملة: مشى على هينة وسكينة. وأما ذب بمعجمة فمعناه دفع، وفى ذلك قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه:

دبيت بالإهمال أى مشيت   وعنه بالإعجام أى دفعت

(نميلة) تصغير نملة وهى معروفة، وفى [إرشاد السارى] لطيفة: روى الدارقطنى والحاكم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه كما ذكره فى [حياة الحيوان] أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقتلوا النمل فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقى فإذا هو بنملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها تقول اللهم إنا خلق من خلقك لا غنى لنا عن فضلك، اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين واسقنا مطرا تنبت لنا به شجرا وأطعمنا ثمرا. فقال سليمان عليه السلام لقومه ارجعوا فقد كفينا وسقيتم بغيركم» اهـ وفى [جع] قلت للشيخ رضى الله عنه: إن صاحب هذه الصلاة يعنى صلاة الفاتح الذى يذكرها له فضل أكثر من جميع من تقدمه من عباد الله المؤمنين لكون جميع صلواتهم على النبى صلى الله عليه وسلم وجميع أذكارهم وأورادهم تضاعف له كما تقدم فى فضل صلاة الفاتح وكذلك غيرها كالجوهرة، وقول دائرة الإحاطة قال هو كذلك ولكن كل واحد من الصحابة الذين بلغوا الدين مكتوب فى صحيفته جميع أعمال من بعده من وقته إلى آخر هذه الأمة. وإذا فهم هذا ففضل الصحابة لا مطمع فيه لمن بعدهم ولو كان من أهل الفضل الكثير المذكور فى هذا الباب لمرتبة الصحبة أيضا، ثم ضرب مثالا لعمل الصحابة مع غيرهم قال: عملنا مع عملهم كمشى النملة مع سرعة طيران القطاة، وصدق الشيخ رضى الله عنه فيما مثل به لأنهم حازوا قصبة السبق بصحبة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم انظره ولما سئل ابن المبارك عن عمر بن عبد العزيز ومعاوية رضى الله عنهما أيهما أفضل؟ فقال: الغبار الذى دخل فى أنف فرس معاوية فى غزوة غزاها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من مائة ألف عمر بن عبد العزيز، وبمثل ذلك أجاب إمامنا مالك رضى الله عنه لما سئل عن ذلك. قال رحمه الله:

(فَكَمْ من مَزِيَّةٍ له وكرامةٍ   تَوَقَّفَ تورُّعاً عَن الأفضلية)

(فكم) خبرية بمعنى عدد (من مزية) جمعها مزايا. وفى [س] المزية كغنيمة الفضيلة كالمازية اهـ (له) أى للختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (و) كم له من (كرامة) وهى الأمر الخارق للعادة (توقف) من توقف فى الشىء تلوم فيه وعليه تثبت (تورعا) مصدر تورع من كذا تحرج وتأثم منه (عن) بمعنى فى (الأفضلية) أى فى تفضيل القطب المكتوم والختم المحمدى المعلوم على ساداتنا الصحابة رضى الله عنهم وعنابهم آمين، ولا تنافى بين ما هنا من أن فضل الصحابة لا مطمع فيه لأحد ممن سبق ولحق إلى الأبد، وأن مقامهم أعلى من مقام غيرهم ولو الختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين وبين ما مر من أن جميع من فى الكون حتى الصحابة رضى الله عنهم يستمدون من برزخية القطب المكتوم والبرزخ المختوم والختم المحمدى المعلوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين لأن الله تعالى بمحض فضله وكرمه خصه بتلك المزية والمزية لا تقتضى الأفضلية راجع ما مر.

[لطيفة] قد أخبرنى من أثق به أنه لما وصل هنا فى النسخ من المبيضة رأى فى منامه كأنه فى براح واسع من الأرض، فوجد فيه بعر غزال فشمه فوجده أذكى وأطيب من المسك فصار يحثو منه ويزرعه

فى المحل الذى لم يكن فيه من ذلك البراح كما يفعل الزارع للزريعة حين بزرعها فانتبه ، ولله الحمد والمنة فى الأولى والآخرة اهـ . وأخبرنى أيضا أنه رأى فى بعض الأيام فلله الحمد وله المنة كأنه فى مكان عال مع بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم يقتطف ويجنى معهم أنواره صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يتسابقون إلى ما ظهر لهم من أنواره صلى الله عليه وسلم تسابق الصبيان إلى الكداة فلله الحمد والشكر فى الأولى والآخرة ، يختص برحمته من يشاء بلاسبب ولاتعب بل بمحض فضله وكرمه - لايسئل عما يفعل وهم يسئلون - قال رحمه الله :

(فلا تَقتضى مَزِيَّةٌ أفضليةً ويوجَدُ فى المفضولِ خيرُ مزيةٍ)

(فلا تقتضى) لاتستلزم (مزية) إذا أكرم بها شخص ومنحها بمحض العناية الفردية وبمقتضى المشيئة الصمدية (أفضلية) أى كونه أفضل ممن ليست فيه لوجود مزايا أخر فى غيره وفقدها فيه (و) قد (يوجد) من وجده ألفاه وأدركه فى الشخص المفضول عليه غيره (خير) أفضل (مزية) أى فضيلة ليست فى الفاضل ، وعن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين فى شأن من يتولى الله قبض روحه ومن يتولى سيدنا عزرائيل عليه السلام قبض روحه نيابة عن الله سبحانه وتعالى مانصه كما فى [جمع] : ولايلزم من هذا أن يكون الذى يتولى سبحانه وتعالى قبض روحه دون تولية عزرائيل عليه السلام أفضل من الذى يتولى قبض روحه عزرائيل فإن هذه مزية والمزية لاتختص بالفاضل دون المفضول فى كل شىء وفى كل مرتبة كما نشير إليها فيما يأتى ثم تقول : إن الحق لاحجر عليه كما قد منا يفعل فى ملكه وتصرفه ما يشاء سواء كان فى عموم الخير والإطلاق فيختص بمناقضة عموم الخير من يشاء من خلقه كان فى خصوص الخير وهو ظاهر ، فإن المزايا لايختص الله بها الفاضل فى كل مرتبة وقد يخص بها المفضول فى بعض المراتب فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولاشهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم من الله عز وجل » يعنى به فى يوم القيامة ، فقد بان لك أن المزية يخص الله بها المفضول دون الفاضل ، وهذه أعظم مزية حيث كان النبيون على جلالة قدرهم وشفوف رتبتهم من حيث أن الظنون لاتطرقها علوا يتمنون عند الله مقام من لا يكون نسبته إليهم حتى نقطة قلم فى بحر طوله ألف ألف عام وعرضه كذلك وعمقه كذلك بالنسبة إلى علو مقامهم وكشف سر هذه الحكاية من حيث أن هذه المزية لم تقع لأكابر النبيين فى علو مقامهم عند التدلى لمثل هذه فإن هؤلاء المغبوطين بمنزلة الأطفال فى حجر الحق يلاطفهم بأنواع التحف لعدم طاقتهم لحمل أعباء الحضرة الإلهية لما تجلى به فى ذلك الوقت كما قال سبحانه وتعالى - وترى الناس سكارى وماهم بسكارى - فلما عظم الموقع فى هذا التجلى الذى لاطاقة للأرواح به لاطف صغار أحبابه بمايغبطهم به الأكابر ترويحا لهم من ضغطة الوارد ورفقابهم لضعف مقامهم أن يعظم بكاؤهم وأنينهم لصعوبة ما برز من التجلى . وأما النبيون عليهم الصلاة والسلام لقوة مقاماتهم على تحمل أعباء الحضرة الإلهية وتلقى كل ما يرون من التجليات بما يعطيه الوقت من كمال الأدب ، فهم ثابتون كالجبال الرواسخ لاتدهشهم التجليات ولا تزعجهم عواصف المعضلات ، فلم يحرك لهم الحق هذه المزية التى استأنس بها صغار الأحباب علما من الحق سبحانه وتعالى أن مقامهم الأعلى ومركزهم الأسمى بما اشتمل عليه من علو الآداب ومعرفتهم بعظمته وجلاله لايتنزلون إلى توقع هذه المزية فإنما

حاصلها من شهوات النفوس التي هي ملاطفة من الحق لضعفاء خلقه، وأما الأكابر العالون فلا ترضى منهم ولا ترضى لهم كما وقع في بعض الكتب المنزلة: إن الله تعالى يقول فيها ما للأقوياء والشهوات إنما أبحت الشهوات لضعفة خلقي يستعينون بها على طاعتي ». ثم قال: وإذا عرفت هذا عرفت بعد ما بين مقامات النبيين من مقامات المغبوطين وأن الذي وقع من تمنيهم لمقامات المغبوطين بما لحقهم من الشفقة على أهليهم وقرابتهم أن لا يتحملوا أعباء ذلك المقام ولا يتبعوا له ويكثر أنينهم وبكاؤهم، وقد علم ما في البشرية من الميل إلى الأقارب والأحباب والشفقة عليهم فيما يحل من البلايا والنقم وإن كان صاحب هذه البشرية في أعلى المقامات فلهذا غبطوا من ليسوا بأنبياء لكونهم لا أتباع لهم يخشون عليهم من شدة الوارد، انظره . والله تعالى أعلم وأحكم .

[فصل في بعض كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين]

اعلم أن الكرامة هي الأمر الخارق للعادة وهي في حق الولي كالمعجزة في حق الرسول، ويفترقان بالتحدي وعدمه، وقد قسموا هذا الخارق للعادة إلى ستة أقسام، ونظمها من قال رحمه الله :

إذا ما رأيت الأمر يخرق عادة ... فمعجزة إن من نبي لنا صدر
وإن بان منه قبل وصف نبوة ... بالارهاص سمه تتبع القوم في الأثر
وإن جاء يوما من ولي فإنه الـ ... كرامة في التحقيق عند ذوي النظر
وإن كان من بعض العوام صدوره ... فكنوه حقا بالمعونة واشتهر
ومن فاسق إن كان وفق مراده ... يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
وإلا فيدعى بالإهانة عندهم ... وقد تمت الأقسام عند الذي اختبر

وللبوصيري رضى الله عنه:

والكرامة منهم معجزات ... حازها من نوالك الأولياء

وفي [جه] سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول: ليس لولي كرامة إلا بحكم الإرث لمن ورث من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولذلك لم يقدر من هو وارث لعيسى عليه السلام أن يمشي في الهواء ويقدر على المشي على الماء . فقلت له فهل لمن هو وارث لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يمشي على الماء والهواء معا لعموم مقامه صلى الله عليه وسلم ؟ فقال رضى الله عنه نعم ، فقلت له قد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال ولو ازداد عيسى يقينا لمشى في الهواء، ومعلوم أن عيسى عليه السلام أقوى يقينا من سائر من مشى على الهواء من الأولياء بما لا يتقارب . فقال رضى الله عنه : ما مشى ولي منا في الهواء إلا بحكم صدق تبعيته لمحمد صلى الله عليه وسلم لا بزيادة اهـ . وفي [غ] وقد نقل الشيخ زروق عن العقباني رحمهما الله تعالى أن التكذيب بكرامات الأولياء كالتكذيب بمعجزات الأنبياء لأن كل كرامة لولي فهي تصديق لنبيه الذي اتبعه ، وهو أيضا أعني الإنكار لهذه الكرامات جهل بقدرة القادر جل وعلا وتعجيز له ، وكفى بهذين الأمرين الخطيرين خسارة وتعرضا للشقاء، والعياذ بالله تعالى اهـ . وفي (جه) واعلم أن هذه الكرامات على قسمين : ظاهرة وباطنة كما عند الشيخ ابن عطاء الله ، فالمحسوسة هي الخوارق التي يجريها الله على يد الصالحين من عباده . كطي الأرض والمشي على الماء والطيران في الهواء، وتكثير الطعام والشراب والإتيان بثمرة في غير إبانها، وإنباع الماء من غير حفر أو إجابة دعوة بإتيان مطر في غير وقته ، أو اطلاع على المغيبات أو نحو ذلك، وشرط اعتبارها وجود الاستقامة بل لا تسمى

كرامة إلا مقرونة مع ذلك ، وهذا إذا ظهرت على يد ثابت العقل ظاهر التمييز ، وقد يظهرها الله تعالى على يد بهلول ليظهر بها نصابه ويحمى بها من الإذاية جنابه ، فلا يشترط فيها حينئذ وجود الاستقامة لكونه ساقط التكليف فهى من ذوى الاستقامة على الخصوصية أدل وأعلى منصب وأجل لجمعهم بين الفضيلتين دوام العبادات وخرق العادات . والمعنوية : هى ما يمن الله به على عباده من المنن الباطنة كالمعرفة بالله والخشية له ، ودوام المراقبة والرسوخ فى اليقين والقوة والتمكين ، ودوام المتابعة والفهم عن الله ، ودوام الثقة به والتوكل عليه إلى غير ذلك ، وهذه عند الله أفضل من الأولى وأجل ، انظره.
وفى (جع) ومنها : أى ومن مناقبه وكراماته رضى الله عنه أننا كنا يوما نذكر بين يديه ما يشاهده الأولياء من الخوارق فقال لنا رضى الله عنه : ما وقع لى هذا إلا مرة كنت سكرت من أول النهار إلى بعد العصر ، فشاهدت عوالم لا مثال لها ولا مما يصوره الفكر وكأنى ملك عليها أتصرف فيها اه . وفى [مح] وقال الشعرانى فى [كشف الحجاب ، والران عن وجه أسئلة الجان] وسألونى أيما أفضل الأولياء عندكم من كان كثير الكرامات أو من كان قليلها؟ فأجبتهم : الفضيلة لها جهتان جهة تتعلق بالولى وجهة تتعلق بأهل عصره ، فجهة الولى فى نفسه أن يكون على الكتاب والسنة لا يخرج عنهما قيد شبر ، وأما جهة أهل عصره فإنه كلما كثر تكذيبهم له كثرت كراماته ، فأكثر الأولياء كرامة من كثر تكذيب قومه له وأقلهم كرامة من كثر تصديق قومه له لأن الرسول إنما يبعث لإقامة الحجة على أهل الضلال ، وكذلك أتباعه من الأولياء ومن هداه الله لا يتوقف فى إجابة الداعى إلى حضرته عن ظهور كرامة أبدا وقد أنشدوا فى الكرامات :

بعض الرجال يرى كون الكرامات ... دليل حق على نيل المقامات
وإنها عين بشرى قد أتتك بها ... رسل المهيمن من فوق السموات
وعندنا فيه تفصيل إذا علمت ... به الجماعة لم تفرح بآيات
كيف السرور والاستدراج يصحبها ... فى حق قوم ذوى جهل وآفات
وليس يدرون حقا أنهم جهلوا ... وذا إذا كان من أقوى الجهالات
وما الكرامات إلا عصمة وجدت ... فى حق قوم بأفعال ونيات
تلك الكرامة لا تبغى بها بدلا ... واحذر من المكر فى طى الكرامات

وفى الحكم : ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة اه . وقد قيل إن الاستقامة أفضل من ألف كرامة ، وما أكرم الله تعالى عبدا بكرامة أفضل من الاستقامة ، وغايتها أن لا يلتفت العبد إلى غير الله تعالى ، وهى الدرجة القصوى التى بها كمال المعارف والأحوال ، وصفاء القلوب فى الأعمال ، وتنزيه العقائد عن مفاسد البدع والضلال . وعن القشيرى رحمه الله : من لم يكن مستقيما فى حاله ضاع سعيه وخاب جده ، ولذا قيل لا يطيق الاستقامة إلا الأكابر فإنها لا تحصل إلا بالخروج عن المألوفات ومفارقة العادات ، والقيام بين يدى الله تعالى على حقيقة الصدق ، رزقنا الله منها النهاية القصوى وغمسنا فى دائرة الفضل والرضى بجاه الواسطة العظمى صلى الله عليه وسلم آمين . وعن أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه : لو أن رجلا بسط مصلاه على الماء وتربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه فى الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة ، وقيل له إن فلانا يمشى فى ليلة إلى مكة

فقال إن الشيطان يمر فى لحظة من المشرق إلى المغرب ، وقيل له إن فلانا يمشى على الماء ، فقال الحيتان فى الماء والطير فى الهواء أعجب من ذلك اه . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

فلا يغرنك صوم الناس ولا صلاتهم بلا التباس
بل زنهم بالصدق والأمانه والحفظ للحدود والديانه

وفى [خل] وكان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول : إن أكبر الكرامات فى هذا الزمان اتباع السنة والعض عليها بالنواجذ ، والتشمير لامتثال ماوردت به فى كل وقت وأوان ، وترك البدع وقلاها وترك الالتفات لمن يتعاطاها أو يرضى بها إذ أن هذا ليس زمان ذلك . وليس ثم أسباب تعين عليه إلا فضل الله ، ولأن أكثر الناس فى هذا الزمان لعدم اليقين وضعف الإيمان لايسكنون لما من الله به عليهم من الاتباع ولزوم الخير والمسارعة إليه حتى يروا كرامة أو رؤيا منام ، وكل ذلك مهمل يحتمل لأشياء ، والاتباع لايحتمل إلا وجها واحدا وهو التوفيق لأنه خلعة محققة خلعت عليه من قبل المولى سبحانه وتعالى لايراها إلا أهل الصدق والتصديق اه . اللهم اجعلنا من صفوتهم آمين . قال رحمه الله :

(كَرَامَاتُهُ كالبحر والقطر والحصى وشِيمَتُهُ إخفاؤها أَىّ خُفْيَةِ)

(كراماته) أى الختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (كالبحر) أى كأمواج البحر لاتحصى ولا تستقصى (و) كعدد (القطر) ماقطر من السماء مفرده قطرة (و) كعدد (الحصى) مفرده حصاة وهى صغار الحجارة . وفى [جه] وماذا يقول الإنسان فيمن تولاه الله واصطفاه وحلاه بنعوته واجتباه وخصصه بمعرفته وارتضاه ، فالمدح يقصر دونه إذهو أرفع من أن يصفه اللسان أو يعبر عن حقيقته الفكر والجنان ، وما الأمر إلا كما قال قائلهم :

ومن لى بحصر البحر والبحر زاخر ومن لى بإحصاء الحصى والكواكب

وفيه : قد منح الله سيدنا أبا العباس التجانى رضى الله عنه من الإحسان والعرفان والرسوخ والإيقان ومتابعة السنة المحمدية والسيرة النبوية وكمال الاستقامة التى هى أصل هذا الباب وخلاصة كل كرامة ولباب ، وحباه من ذلك كله حالا وعلما وعملا ماعدم فيه النظير ، ثم قال فأكرمه سبحانه بكرامات ذوات عدد ومده من ذلك بأعظم مدد ، وأظهر من الكرامات على يد سيدنا وشيخنا أبى العباس مولانا أحمد التجانى رضى الله عنه مالا يكاد يعد ولا ينحصر كثرة ولا يحد ، فلا تلقى أحدا من قرابته أو ممن يصاحبه ويليه إلا وجدته لهجا بما اتفق له من ذلك ومحدثا بما رأى لديه وشهد به من العجب هنالك ، فصارت عندهم لكثرة مايشاهدون منها ويرون من الأمور المنبئة عنها أمرا ضروريا وعلما يقينيا لايستغربون صدورها ولا يكترثون أمورها ، فحدث عن البحر ولا حرج وارو عن المشاهدة لاماقى سلك النقول اندرج . وقد شاهدنا من سيدنا مالايحصى ولايستقصى من الخوارق العظام والكرامات الجسام فى الغيبة والحضور وفى السفر والإقامة وفى جل الأمور ، وهى على أصناف مختلفة الأوصاف مابين تصريفات ودفع خطوب ونصر مظلوم وتكثير طعام وإبراء عاهات ، وبين مكاشفات وإجابة دعوات وغيرها من خوارق العادات من الأمور الصادرة منه وعلى يديه انظره . وفى [م] :

وكم لهـذا الشيخ من كرامة غدت على رفعته علامة
ثم قال : فلا يطيق حصرها إنسان يوما وعنها يعجز اللسان
وهل يعدد حصى البطحاء أو هل تكت أنجم السماء اه

وقوله رضى الله عنه وعنابه آمين تكت بمثناة فوقية . وفى [س] وفى المثل : لاتكته أو تكت نجوم السماء : أى لاتعده ولا تحصيه اهـ .

[لطيفة] أخبرنى من أثق به أنه لما وصل هذا محل فى النسخ من المبيضة إذا قارع يقرع بابه فخرج إليه فمد له زنبيلا مملوءا بماء من مشهد سيدنا أبى الفيض الأبرك ومدفنه الأنور رضى الله عنه وعنا به آمين ، فقال له ماحملك ياسيدى على هذا وما سببه لأنى ما رأيتك قط ولا عرفتك ؟ فأخبره أنه أتى به بعض الولاة فلما دخل عليه ورأى فيه حالا لا يرضى حلف أنه لايضيع فيه هذه البركة ، وخرج من عنده فسأل بعض الأحباب الصادقين عمن يستحق شيئا من بركة الشيخ التجانى فأرشدونى إليك ، والبركة لمن سبقت له لالمن سبقت له فلله الحمد وله المنة والشكر فى الأولى والآخرة ؛ وهذه من كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين (وشيمته) بكسر المعجمة الطبيعة جمعها شيم كديمة وديم (إخفاؤها) أى الكرامات من أخفى الشىء ستره وكتمه (أى) نعت لمصدر محذوف أى إخفاء أى (خفية) بمعنى إخفاء على حد ـ والله أنبتكم من الأرض نباتا ـ أى إنباتا . وفى [س] خفيت له كرضيت خفية بالضم والكسر اختفيت اهـ . وفى [جه] اعلم أن سيدنا رضى الله عنه يخفى الكرامات ولا يظهر منها شيئا فسبحان من جعل خموله ظهوراً وظهور غيره دثورا وقطع الناس بتعظيمه دهورا وبقى غيره كأن لم يكن شيئا مذكورا انظره . وفى [م] :

ومع ماترى من الخوارق ... على يد هذا الإمام الفائق
يخفى الخوارق خفاء غاية ... ويبغض المدعى الولاية

قال رحمه الله :

(فـكَمْ له من مُكاشَفاتٍ صحيحَةٍ ... وكَمْ لهُ من إبراء أعضَلِ علّةِ)
(وكَمْ من دُعاهُ مُستَجابٍ بِسُرْعَةٍ ... وكَمْ من إغاثةٍ بأسْرَعِ لمْحَةِ)

(فكم) خبرية بمعنى عدد كثير (له) أى للختم المحمدى للعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (من مكاشفات) لاتحصى ولا تستقصى (صحيحة) مطابقة للواقع واضحة وضوح الفجر الساطع . وفى [جه] المكاشفة الحقيقية أن يكاشف عن الله ورسوله بفهم كلامهما وما تضمنه من الأسرار العقلية والأنوار التوحيدية من علوم غامضة وأفهام دقيقة وحقائق ربانية ، وكلما كرر النظر فيهما تجدد له أفهام وأسرار وحكم وإشارات غير مافهم أولا وهكذا لو بقى أبد الآباد ، فهذه المكاشفة التى بها يزداد معرفة ومحبة وقربا من الله تعالى ، ولا يعطى الله هذه إلا لخاصة أوليائه . وقد خصه الله من ذلك بما لم يشاركه فيه غيره فإذا شرع فى تفسير آية أو حديث أبدى فيهما من بديع التأويلات وكثرة الاحتمالات مالا يمكن التعبير عنه ولا يوجد فى كثير من المطولات ، ولا يزال يترقى فيهما فيكون الثانى أبدع من الأول وهكذا فى جميع أوقاته ، وفى المجلس الواحد وفى الآية الواحدة أو الحديث ؛ وأما كلامه فى الحقائق فلا يقوم بمعناه إلا من تمكنت معرفته واتسعت فى سائر العلوم الظاهرة والباطنة مادته وعلت فى الولاية درجته . ومن خصائصه رضى الله عنه وحدثنى به عن نفسه أنه يطالع فى الكتاب ويده تجذب عقد التسبيح ويسبح بلسانه حتى يختم ورده فيجمع بينهما ولا يشغله واحد عن الآخر : وقد حدثنى أيضا أنه يطالع ويذكر ويملى على الغير فى العلوم ويتكلم مع الناس ويكتب بمجلس واحد فى آن واحد فلم يشغله واحد عن الآخر ، انظره . وفى [جع] وكلما ذكرت من أمور

الكشف فهو فى أول أمره وأما اليوم فضرب عنها وسد بابها لكماله رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

وفيه : وأما كشفه رضى الله عنه فإنه كان كثيرا مايستره بقوله قلبى يحدثنى بكذا أووقع فى خاطرى كذا وكذا فيخرج كما قال ، وأخبرنى مرة بقدوم الأمير الظالم فى وقته حين كنا فى بلاد الصحراء وبخراب قرية قبل وقوعه وبقدوم بعض خواص أصحابه فكان كما قال ، وهذا عند أهل الطريق من كرامة منزل الإخلاص انظره وفى [جه] ويشكوه الرجل بعلل معنوية وأمراض نفسية يذكر مافى باطنه وهو إمامه فيجيبه عنها بعينها كأنما سمع كلامه فيشفى علته وتتقلب فطرته فيشاهد منة الله وإحسانه وتفضله وامتنانه ، وماكان قط شاهدها قبل ذلك ولا تنبه لما هنالك انظره . ولأبى مهدى رضى الله عنه وعنابه آمين :

وكشوفه كالشمس ضاءت للورى ... ماجاحد إلا من العميان

وفى [م] : وكم يكاشف به مما يرى ... مطابقا لما به قد أخبرا

(وكم له) رضى الله عنه وعنا به آمين (من إبراء) وشفاء (أعضل علة) حسية أو معنوية أى علة معضلة أى شديدة . يقال داء عضال كغراب أعيا الأطباء وغلبهم وأعجزهم ؛ ولذا كتب بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه لمن يستشفى من إخواننا بالسبعة الرجال المدفونين بتكركست رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين ، ونصه :

وأخلص النية فى التجانى ... خيم ببابه على الأمانى
هو الوسيطة العظيم الشان ... به شفاء الروح والأبدان
ولا تحد عنه وإياك الملل ... ترى الشفا والبرء من تلك العلل
ودع أخى سبل الشيطان ... فإنها توقع فى النيران
قم وارتحل واستشف بالتجانى ... وبخلافه فى الأوطان
وتب من الذنوب والنسيان ... وغفلة عن أحمد التجانى
هذا إذا رمت الشفا من المكان ... بالسبعة الرجال قم بلا توان اه

يقظه الله من سنة غفلته وأنقذه من ورطة رحلته ، وشفاه من مرضه وعلته وعفاه من محنته وزلته ، وأغرقه فى وسع فضله ورحمته ، آمين . وفى [م] :

وكم علمنا له من إبراء ... حليف أمراض بلا دواء

وفى [غ] وأما حصول البرء والشفاء لمن توجه إليه واستشفى من أدوائه المعضلة بتقديم همته فهو مما لايأتى الحصر على تفصيلاته فى حياته وبعد مماته ، وذلك بمجرد التهمم بذلك بين يديه قيد حياته أو نحو ذلك كالاستشفاء به والقصد إلى ضريحه الأنور بعد وفاته . وقد كان بعض علماء فاس يعتريه ألم نحو المسمى عند الأطباء بماليخوليا فكان من عادته إذا أحس بمبدإ ذلك الألم أعاذنا الله منه يأمر بحمل فراشه إلى زاوية الشيخ رضى الله عنه ، انظرها . وللعلامة الأديب سيدى أحمد بن قاسم جسوس ، أغرقنا الله وإياه فى دائرة فضله وسعادته ، وأمدنا وإياه بنوره وعنايته لما حل به من المرض ما أنهك جسمه وأوهن عظمه وأعجز علاجه سقراط وجالينوس وبقراط : قصيدة بديعة الدور كثيرة الغرر سماها بـ [نفحات الأرج وأبيات الفرج فى مدح سيدنا أبى الفيض] والتوسل به والاستشفاء به رضى الله عنه وعنا به آمين . منها :

أمولاى ياقطب الوجود وغوثه ... وحامى الحمى أنى يضيع جاره

أمولاى يا كنز الوجود ورمزه ومركزه البادى عليه مداره
أمولاى ياغوث البرايا جميعها إذا الخطب يوما لافحات جماره
أمولاى مغنى القوم من كل قاصد من السر" سر الله جل اقتداره
أمولاى سر الله أنت فكم بدا عليك حلاه تاجه وسواره
أمولاى جدلى بالدواء معجلا لعلى أرى دائى استحال عقاره (١)
أما إن هذا العبد أقصر رقه عليك وما تنفك عنه ضراره
وتلعب أيدى النائبات بجسمه فيغدو ويمسى لايقر قراره
فداو فإن الداء عز دواؤه وأنحل جسمى فاستبان عواره (٢)
وأنت وأيم الله أى وسيلة إلى الله قرما لايضام جواره

أنظرها (وكم) له رضى الله عنه وعنابه آمين (من دعاه مستجاب بسرعة) وفى [جع] وأما إجابة دعائه فهى كالسيف الصارم ، وهى أيضا من منزل الإخلاص ، انظره . وفى [م] :

دعاؤه كصارم بتار مدده كصيب مدرار
فإن دعا عليك فالخسر وإن لك دعا فأنت بالخير قمن

(وكم) له رضى الله عنه وعنابه آمين حياوميتا (من إغاثة) من أغاثه أعانه ونصره (بأسرع لمحة) ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

متى ضاق بى الأمر استغثت بأحمدا أرى فرجا ومخرجا دون مهلة
أبا الفيض أحمد التجانى عدتى فمن" على" بالمنى وبوصلة
وأنقذ عبيدا قد أحاطت به العدا فلم يستطع دفعا بحول وقوة
ودارت بى الأهواء والنفس والهوى وإبليس لم يألو بكل مكيدة
وقد أثقلت ظهرى ذنوب كثيرة كما أثقلت ظهرى ديون الخليقة
وقد شددت أربابها فى اقتضائها وما تركوا جهدا بعنف وغلظة
فمن لى منجدا ومن لى منقذا من أسرهم إلا أبا الفيض عدتى
أنادى أبا الفيض التجانى أحمد أغثنى أغثنى من أعاد عديدة
فمالى حيلة ومالى قوة أغثنى أغثنى فى رخاء وشدة
وإنى بك استحميت من كل مارد ونفس ومن هوى بفضل ومنة

وفى [م] : وكم له من دفع خطب هائل ونصر مظلوم وردع صائل
وكم إغاثة لذى أسفار فى الفلك فى البحار والبرارى
ثم قال : وكم إغاثة بغيث وابل لشيخنا فى عام جدب ماحل

وفى [غ] وقد حدثنى من أثق به من أهل العلم وشرف النسب : أن بعض فقهاء تلمسان أعادها الله دار إسلام ممن استوطن حضرة فاس وكان من جملة المدرسين بالقرويين أنه حدثه فقال له : إنى

---

(١) العقار بالفم : الخمر . (٢) العوار : مثلث العين العيب .

كنت فى حال شبيبتى ارتحلت من بلدنا تلمسان إلى فاس بقصد قراءة العلم ، فكان من جملة من قرأت عليه من العلماء بها فلان، وذكر له صاحب سيدنا رضى الله عنه سيدى محمد بن المشرى رحمه الله تعالى قال : وحين أزمعت السفر من فاس والرجوع إلى بلدى أتيت مشايخى بقصد توديعهم وطلب صالح الأدعية منهم والوصية لى بما ينفعنى الله تعالى به على العادة فى ذلك ، ومن جملة من أتيته من المشايخ بذلك القصد السيد المذكور آنفا فكان من وصيته لى أن قال لى : إذا كنت فى شدة وضيق فاستغث بهذا الرجل، يعنى الشيخ رضى الله عنه ، وأكد على فى ذلك قال : فسافرت إلى بلدى ثم سافرت من بلدى بعد ذلك قاصدا حج بيت الله الحرام ، فركبت البحر فكان من قدر الله تعالى أن تكسرت بنا السفينة التى كنا بها ، قال : فبقيت أنا وأناس نحو السبعة ، فحملتنا بعض ألواح السفينة حتى ارتفعت لنا جزيرة بوسط البحر ، فتحاملنا إليها وجلسنا ننتظر الموت لايكلم أحدنا أحدا ، فبينا أنا أفكر إذ أتى الله تعالى ببالى مدينة فاس والفقهاء الذين كنت أقرأ عليهم ، فوقعت الوصية ببالى فاستغثت بالشيخ رضى الله عنه وأنا فى ذلك الحال ، فأخذنى شبه سنة وإذا بالشيخ رضى الله عنه وقف أمامى وقال لى : قل يا عليا بالألطاف نجنا مما نخاف ، قال : فانتبهت ، وأنا أقولها فلم نلبث إلا قليلا وإذا بسفينة ظهرت لنا ، فظهرت أشخاصنا لرئيسها فقصد الجزيرة وحملنا وسار بنا حتى أنزلنا حيث الأمن من البر ، قال : فأرخت ذلك اليوم ، ولما رجعت إلى فاس سألت عن الشيخ رضى الله عنه فقيل لى مات ، فسألت عن تاريخ وفاته رضى الله عنه فألفيت اليوم الذى وقع لنا فيه ما وقع وشاهدت فيه تلك الكرامة العظيمة هو اليوم السابع من وفاته رضى الله عنه ، انظرها ففيها الغنية . ولصاحب [مح] رضى الله عنه وعنابه آمين :

إذا مسك الزمان يوما بضيمه	فناد أيا تيجان ياواحد العصر
أغثنى فقد ضاق الزمان بأهله	فيأتيك بالألطاف فى معظم الأمر
ويكشف كل الكرب عنك بهمة	علت فوق أفلاك السموات والبدر
ويأتيك بالخيرات من كل جانب	ويدفع عنك الكرب فى البر والبحر الخ

قال رحمه الله :

(وَكَمْ لَهُ من تَصَرُّفٍ فى العوالِمِ وَكَمْ لَهُ من رُؤْيا لِخَيْرِ البريئةِ)

(وكم له) رضى الله عنه وعنا به آمين حيا وميتا من تصرف فى (العوالم) العلوية والسفلية . وفى [جه] فمن مرائى شيخنا رضى الله عنه التى تدل على ماينتهى إليه أمره قال رضى الله عنه : رأيت وأنا صغير قبل البلوغ كأنه انتصب لى كرسى المملكة وأنا جالس عليه ولى عساكر كثيرة وأنا أصرفها فى قضاء الحوائج كأنى ملك ، ثم قال : وقال أيضا : رأيت نفسى فى صورة ملك وعقد لى الناس البيعة ومعى خلق كثير ونصبوا لى كرسى الخلافة على سطح مرتفع وعلى لباس الملوك فلما حانت الصلاة وهى صلاة الظهر أردت أن آمر أحدا من الناس يصلى بنا على عادتى فى اليقظة ، فتفكرت وقلت الخليفة هو الذى يصلى بالناس ، فتقدمت وصليت بالناس حتى أتممت الصلاة وسلمت انظره . وفيه فى باب الكرامات : فأما ما كان من قبيل التصريفات إما ظاهرا فحيث يفهم ذلك عنه رضى الله عنه تصريحا أو إشارة أو تلويحا ، وإما محتملا بحيث يحتمل أن يكون من قبيل التصريف أو المكاشفة ، فقد رأينا منه وشاهدناه وتحققنا ذلك عيانا وأبصرنا له مايعجز عنه الخط والقلم ولا يأتى عليه حد ولا علم إذ هو الباب لاتستوفى

آياته ولا تلحق غاياته ولا تنحصر أنواعه وأصنافه ولا تستكمل نعوته وأوصافه ولا يحصى عدده ولا ينقطع مدده ، بل هو أكثر من أن يستقصى أو ينال مرامه الأقصى ، انظره . وفى [م] :

وكم تصرف لذا الولى　　فى العالم العلوى والسفلى

ثم قال : وكم من الولاة عن مرتبته　　لظلمه عزله بهمته

وكم له من نصر وال لم يكن　　من قبل ذاك واليا حتى يعن

(وكم له) رضى الله عنه وعنابه آمين (من رؤيا) بالبصيرة والبصر (لخير البريئة) صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وفى [جه] وقال أيضا : رأيت رؤيا تدل على حالى كله ، وذلك أنى رأيته صلى الله عليه وسلم راكبا على حصان فقلت وأنا ذاهب نحوه : إن سلمت عليه وهو فوق الحصان لم أدرك مرادى إلا بمشقة وإن سلمت عليه غير راكب فأدرك مرادى من غير تعب ، فلما وصلته صلى الله عليه وسلم نزل من فوق الحصان وسلمت عليه ، فهكذا وقع فى خاطرى فى ذلك النوم ، فلما سلمت عليه دخل إلى بستان رجل من عين ماضى وأحرم يصلى ، فلما أردت أن أحرم معه بينما أنا فى استحضار النية ولم أحرم حتى ركع وسجد صلى الله عليه وسلم فأحرمت معه فى الثانية فكملتها معه إلى أن سلم ، فأولتها وأنا فى ذلك الحال بأن نصف عمرى يضيع ولم أدرك فيه شيئا ونصفه الآخر أدرك فيه مرادى . فكان الأمر كذلك فله الحمد والمنة ، ثم قال : ومنها أنه قال كنت أتحرج وأشدد غاية فى الماء المتغير من أثر الوضوء بل ولا أتوضأ منه حتى رأيته صلى الله عليه وسلم يتوضأ فى إناء وكان الماء متغيرا من أثر الوضوء وقال لى : أنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذلك تركت التحرج ورحت منه ؛ انظره وانظر [جع] تزدد .
قال رحمه الله :

(كَرُؤْيَاهُ لِلنَّبِى يقرأُ والضحى　　وعندَ فَتَرْضَى قد رَماهُ بلحظة

وَقَالَ لهُ سَل ما تريدُ فإننى　　أؤَمِّنُ فى الدُّعا فأعظِم بدعوةِ)

(كرؤياه) رضى الله عنه وعنا به آمين (للنبى) حال كونه صلى الله عليه وعلى آله وسلم (يقرأ) سورة (والضحى) وعند وصول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى قراءته ـ ولسوف يعطيك ربك (فترضى ـ قدر ماه) ورمقه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعينيه الشريفتين ولحظه بهما (بلحظة) أى بأحسن لحظة ، واللحظة كتمرة مصدر لحظه كمنعه ، نظر إليه بمؤخر عينيه ، وفى الحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة ، أى النظر بشق العين مما يلى الصدغ (وقال) النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم (له) أى للختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (سل) من سال يسال كخاف يخاف لغة فى سأل بالهمز والأمر منه سل واسئل انظر [س] (ماتريد) ماتحبه من المعارف والتجليات والأسرار والمقامات والأنوار (فإننى) بكسر الهمزة (أؤمن) بضم الأولى وفتح الثانية وكسر الميم المشددة من التأمين : أى أقول آمين ، وهو اسم من أسماء الله تعالى يمد ويقصر . وتشديد الممدود لغة ومعناها اللهم اسمع واستجب . وفى [جص] ، آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين ، وفيه ولا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم إلا أجابهم الله ، وفيه ، أعطيت ثلاث

خصال أعطيت صلاة الصفوف، وأعطيت السلام وهو تحية أهل الجنة وأعطيت آمين ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم، إلا أن يكون الله تعالى أعطاها هارون فإن موسى كان يدعو ويؤمن هارون » وفيه : « ما حسدتكم اليهود على شئ ما حسدتكم على قول آمين » وفيه : « لم تحسدنا اليهود بشئ ما حسدونا بثلاث : التسليم والتأمين واللهم ربنا ولك الحمد : أى حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه، فمن قال ذلك تسارع مائة ملك ونيف وعشرون أونيف وثلاثون فى كتابة ثوابه » انظر الحفنى . وفى إرشاد السارى وعند أبى داود من حديث أبى زهير النمرى قال « وقف النبى صلى الله عليه وسلم على رجل قد ألح فى الدعاء فقال أوجب إن ختم فقيل بأى شئ؟ قال بآمين » فأتاه الرجل فقال يا فلان اختم بآمين وأبشر ، فكان أبو زهير يقول آمين مثل الطابع على الصحيفة ، فآمين طابع الدعاء وخاتم الله على عباده يدفع الله بها الآفات عنهم كما أن خاتم الكتاب يمنعه من ظهور ما فيه على غير من كتب إليه وهو الفساد ، كذلك الختم فى الدعاء يمنعه من الفساد الذى هو الخيبة كما فى مسلم من حديث أبى هريرة مرفوعا « إذا دعا أحدكم لا يقل اللهم اغفر لى إن شئت ولكن ليعزم وليعظم الرغبة » أى فى الإجابة، وقال عبد الرحمن : ابن زيد آمين كنز من كنوز الجنة، وقال غيره : آمين درجة فى الجنة تجب لقائلها اه . وعن نافع : كان ابن عمر لا يدعه إذا قرأ الفاتحة ويحضهم على قوله عقبها ، وقال سمعت منه فى ذلك خيرا كثيرا ومايفعله الإخوان من الجهر به عقبها فى الدعاء لا بأس به . وفى البخارى « وأمن ابن الزبير ومن وراءه حتى إن للمسجد للجة » أى لصوتا مرتفعا (فى الدعا) قصره للوزن والدعاء بالضم الرغبة إلى الله تعالى فيما عنده (فأعظم) فعل ماض تعجبى على صيغة الأمر (بدعوة) فاعل مجرور بباء زائدة : أى ما أعظم هذه الدعوة وما أحراها بالإجابة . وفى [جع] قال رضى الله عنه : رأيته صلى الله عليه وسلم وأنا فى تونس قال لى ادع بالمعرفة أو ؟ رادك وأنا أؤمن على دعائك فدعوت الله تعالى وأمن صلى الله عليه وسلم ثم قرأ سورة والضحى ، فلما وصل إلى قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - رمقنى ببصره الشريف صلى الله عليه وسلم وكمل السورة اه . ولبعضهم رحمه الله مخاطبا لسيد الوجود والسبب فى كل موجود صلى الله عليه وسلم :

ألم يرضك الرحمن فى سورة الضحى ... وحاشاك أن ترضى وفينا معذب

فأجابه بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

فوالله لا يرضى وفينا معذب ... ويستشفع الكريم فيمن يعذب
فيشفعه فينا ويغفر ذنبنا ... ويكرمنا بخير ما نترقب

وفى [الشفا] وروى عن بعض آل النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ليس آية فى القرآن أرجى منها، ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من أمته النار اه . قال رحمه الله :

(وما لِبِلالٍ قال تَجلِ حمامةٍ ... مِن انفقْ بلالُ لاتخفْ مِنْ مَضيقةٍ)

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنايه آمين أنه قال له النبى صلى الله عليه وسلم مثل (ما) أى الكلام الذى قال (لبلال) بن رباح الصحابى الجليل مؤذن الرسول عليه الصلاة والسلام ولبلال متعلق بقوله (قال)

أى مثل ما قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لسيدنا بلال (نجل). وفى [س] النجل: الولد والوالد ضد اه (حمامة) بالصرف للضرورة على حد :

ولاضطرار أو تناسب صرف ذو المنع : : : .

وحمامة كسحابة اسم أمه رضى الله عنها وهى صحابية أيضا ، وهى فى الأصل المرأة الحسناء ، وروى أن سواده يفرق على الحور العين خالات فيكمل به حسنهن وذلك شأن من أحبه الله تعالى. وفى [جص] «اتخذوا السودان فإن ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشى وبلال المؤذن» والمراد بالسودان الحبشة بدليل هؤلاء الثلاثة فإنهم منهم ، وللنهى عن الزنج بحديث «اجتنبوا الزنج للبطن والفرج» وورد أن البيت الذى يدخله حبشى أوحبشية تدخله البركة انظر الحفنى. وكان سيدنا عمر رضى الله عنه وعنابه آمين يقول : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا : يعنى بلالا ، وفى [إرشاد السارى] وكان صادق الإسلام طاهر القلب شحيحا على دينه وعذب فى الله عذابا شديدا فصبر وهان على قومه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد، انظره. وروى أنه أذن مرة بالشام فبكى وأبكى وأنه قال لأبى بكر رضى الله عنه وعنابه آمين : إن كنت اشتريتنى لنفسك فأمسكنى وإن كنت اشتريتنى لله تعالى فدعنى وعملى لله عز وجل ، فإنى رأيت أن أفضل عمل المؤمن الجهاد وأردت أن أرابط (من اتفق) بنقل حركة الهمزة للنون ومن ومدخولها المقصود لفظه بيان لما وأنفق أمر من الإنفاق (بلال) منادى مبنى على الضم حذف منه حرف النداء (لا تخف) من خاف فزع (من مضيعة) كسفينة من ضاع يضيع هلك وتلف ، ونص الحديث «أنفق بلال ولا تخف من ذى العرش إقلالا» اه. وفى رواية «يا بلال» وفى أخرى «بلالا» بالتنوين لمشاكلة إقلالا وذا قاله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لبلال «لما دخل عليه فوجد عنده صبرة تمر فقال ما هذا؟ فقال أدخره لأضيافك» انظر الحفنى. قال رحمه الله :

(وكل الذى تملى فمنى مترجم فأعظم بترجمان خير الخليقة)

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين أنه قال له النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم (كل) أى جميع (الذى تملى) أى تمليه للناس من أمليته الكتاب أملته. وفى [س] وأمله قال له فكتب عنه قال تعالى - وليملل الذى عليه الحق - (فمنى) متعلق بقوله (مترجم) أى فأنت مترجم عنى اسم فاعل من ترجمه عنه كدحرج فسره بحسب ما يفهمه السامع (فأعظم) فعل ماض تعجبى على صيغة الأمر (بترجمان) بضم الفوقية والجيم وفتحها وضم الجيم المفسر للسان ، وهو فاعل مجرور بباء زائدة أى ما أعظم ترجمان (خير) أفضل (الخليقة) الناس وتطلق على البهائم والطبيعة ، فسيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين ترجمان النبى صلى الله عليه وسلم كما أنه صلى الله عليه وسلم ترجمان الحق جل وعلا. وفى [جع] ومن أكبر كراماته حفظه للعلوم النافعة فكل من أراد أن يسأله ويكتب عنه يمل عنه من غير تأمل فى كل ما أراد كأنه لوح بين عينيه وهذا مشاهد للخاصة والعامة ، وقال لى مرة بعد أن كتبت عليه جواب مسألة لو سألنى أربع سنين وأنا أملى عليه وهو يكتب لم يفرغ يعنى من غير تأمل. قلت : وهذه أحوال أهل العلم اللدنى رضى الله عنهم ، ولا يستغرب هذا منه لأن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم قال له : كلما أمليت فأنت مترجم عنى اه. وفى [جه] وسألته رضى الله عنه هل خبر ميه

الوجود صلى الله عليه وسلم بعد موته كحياته سواء ؟ فأجاب رضى الله عنه مانصه : قال : الأمر العام الذى يأتيه عاما للأمة طوى بساط ذلك بموته صلى الله عليه وسلم وبقى الأمر الخاص الذى كان يلقيه للخاص فإن ذلك فى حياته وبعد مماته دائما لاينقطع ، انظره . وفى [خل] ولأجل هذا المعنى قال علماؤنا رحمهم الله إن النبى صلى الله عليه وسلم إذا رؤى فى المنام فأمر بشئ أو نهى عن شيء فالواجب أن يعرض على كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام فإن وافق علم أن الرؤيا حق وأن الكلام حق وتكون الرؤيا تأنيسا للرائى وبشارة له ، وإن خالفت علم أن الرؤيا حق وأن الشيطان أوصل إلى سمع الرائى غير ماتكلم به النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : فعلى هذا فمن رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه وخاطبه وكلمه ووصل إلى ذهن الرائى لفظ أو ألفاظ من الفوائد التى هى واقعة فى زمن الرائى أو قبله وتكون مخالفة لشريعته عليه الصلاة والسلام فلا يجوز له ولا لغيره التدين بها ، ولا أن يعتقد أن ماوصل إلى ذهنه فى منامه مما خالف الشريعة المطهرة أنه صحيح لأن تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن نسبة ذلك وماشاكله إليه واجب متعين . انظره ، فقد أفاد وأجاد رضى الله عنه وأرضاه ، ولهذا قال سيدنا رضى الله عنه وعنابه آمين : أما الأمر العام فقد طوى بساطه قال تعالى ـ اليوم أكملت لكم دينكم ـ الآية ، وقال ـ مافرطنا فى الكتاب من شيء ـ قال رحمه الله :

(وأنتَ من الأولادِ للحسنِ انتسَبْ   وأنتَ حبيبى وارثى فى الحقيقة)

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين أنه قال له النبى صلى الله عليه وسلم يقظة لامناما (أنت من الأولاد) جمع ولد كسبب وأسباب لحديث «إن الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب» وفى [جه] وأما نسبه رضى الله عنه فهو شريف محقق ويرفع نسبه إلى مولانا محمد الملقب بالنفس الزكية بن مولانا الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن مولانا على رضى الله عنهما ، ونسبه رضى الله عنه مذكور فى رسومهم عند أوائلهم فلم يلتفت سيدنا لذلك لما هو عليه من الجد والاجتهاد ، ولم يكتف بما هو مذكور من الآباء والأجداد والرسوم وأخبار الأعيان والآحاد ، حتى سأل سيد الوجود وعلم الشهود صلى الله عليه وسلم فى كل نفس مشهود عن نسبه وهل هو من الأبناء والأولاد ومن الآل والأحفاد ؟ فأجابه صلى الله عليه وسلم بقوله أنت ولدى حقا أنت ولدى حقا أنت ولدى حقا كررها صلى الله عليه وسلم ثلاثا ، وقال له صلى الله عليه وسلم : نسبك إلى الحسن بن على صحيح وهذا السؤال من سيدنا رضى الله عنه لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لامناما اهـ (للحسن) السبط الشهيد بالسم سمته زوجته جعدة بنت الأشعث ، دس إليها يزيد بن معاوية أن تسمه ويتزوجها ، وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت والعياذ بالله . وكم سام الشقوة الأشقياء . ومرض أربعين يوما ، فلما توفى رضى الله عنه أرسلت إلى يزيد بن معاوية تسأله الوفاء بما وعد فقال : إنا لم نرضك للحسن فنرضاك لأنفسنا . ولما احتضر قال لأخيه الحسين رضى الله عنه : الآن قد حضرت وفاتى ودنا فراق لك وأنا لاحق بربى وأجد كبدى يتقطع ، وإنى لعارف من أين دهيت فأنا أخاصمه إلى الله تعالى ، فبحقى عليك لاتكلمت فى ذلك بشيء فإن أنا قضيت فحى فغسلنى وقمصنى وكفنى واحملنى على سريرى إلى قبر جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجدد به عهدا ، ثم إلى قبر جدتى فاطمة بنت أسد فادفنى هناك ، وأقسم عليك بالله أن لاتريق فى أمرى محجمة دم .

ومن مناقبه رضى الله عنه وعنابه آمين «أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحمله على عاتقه ويقول اللهم إنى أحبه فأحبه » وأنه صلى الله عليه وسلم قال « من أحبنى فليحبه وليعلم الشاهد الغائب اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه ثلاث مرات » وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوق من أسواق المدينة فانصرف فانصرفت ، فقال أين لكع ثلاثا ، ادع الحسن بن على ، فقام الحسن بن على يمشى وفى عنقه السخاب (١) فقال النبى صلى الله عليه وسلم بيده هكذا فقال الحسن بيده هكذا فالتزمه ، فقال اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه » قال أبو هريرة : فما كان أحد أحب إلىّ من الحسن بن على بعد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وأنه صلى الله عليه وسلم قال « من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن » وأنه صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر « إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وقد فعل وله الحمد فى الأولى والآخرة حيث التقى ومعه أربعون ألفا مع سيدنا معاوية رضى الله عنه ونزل له عن الخلافة واشترط عليه شروطا وقبلها سيدنا معاوية ، وأنه صلى الله عليه وسلم قال « من أحب حسنا وحسينا وأباهما وأمهما كان معى فى الجنة » وفى رواية « وكان متبعا لسنتى » اللهم إنى أشهدك وأشهد رسولك صلى الله عليه وسلم أنى أحبهما وأباهما وأمهما وأبا بكر وعمر وعثمان وجميع أصحاب نبيك صلى الله عليه وسلم ، وصح أنه رضى الله عنه حج خمسا وعشرين حجة ، وأنه خرج من ماله مرتين ، وأنه كثير الجود والسخاء ، وكان عطاؤه رضى الله عنه كل سنة مائة ألف ، فحبسها عنه سيدنا معاوية رضى الله عنه فى بعض السنين فحصل له ضيق شديد . قال : فدعوت بدواة لأكتب لمعاوية لأذكره نفسى ثم أمسكت ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال ، كيف أنت يا حسن ؟ فقلت بخير يا أبت ، وشكوت إليه تأخير العطاء عنى ، فقال : أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك ؟ فقلت نعم يارسول الله ، وكيف أصنع ؟ فقال : قل اللهم اقذف فى قلبى رجاءك واقطع رجائى عمن سواك حتى لا أرجو أحدا غيرك ، اللهم وما ضعفت عنه قوتى وقصر عنه عملى ولم تنته إليه رغبتى ولم تبلغه مسألتى ولم يجر على لسانى مما أعطيت أحدا من الأولين والآخرين من اليقين فخصنى به يا رب العالمين يا أرحم الراحمين اهـ . قال ، فوالله ما ألححت به أسبوعا حتى بعث إلى معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف ، فقلت : الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولايخيب من دعاه فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال : ياحسن كيف أنت ؟ فقلت بخير يا رسول الله وحدثته بحديثى ، فقال : يا بنى هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق . وكان رضى الله عنه فى غاية من الحلم والعفو والاحتمال والصبر وكظم الغيظ والإحسان للمسىء ، وغير ذلك من الأخلاق السنية والأوصاف البهية وراثة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله وقيل لسيدنا الحسين رضى الله عنهما وعنا بهما آمين :

ما ودنى أحد إلا بذلت له ... صفو المودة منى آخر الأبد
ولا جفانى وإن كنت المحب له ... إلا دعوت له الرحمن بالرشد
ولا اؤتمنت على سر فبحت به ... ولا مددت إلى غير الجميل يدى
ولا أقول نعم يوما فأتبعها ... منا ولو ذهبت بالمال والولد اهـ

---

(١) (قوله سخاب) ككتاب : قلادة من سك وقرنفل . والسك بالضم : نوع من الطيب .

وروى أن رجلا من أهل الشام قال : دخلت المدينة فرأيت رجلا راكبا على بغلة ذا سمت وهدى مال إليه قلبي ، فسألت عنه فقيل لى هو الحسن بن على ، فامتلأ قلبى بغضا وحسدت عليا أن يكون له ولد مثله ، فجئته فقلت له أنت ابن أبي طالب ؟ قال نعم ، قلت فعل بك وبأبيك وجعلت أسبهما وهو يتبسم ، فلما انقضى كلامى قال أحسبك غريبا ؟ قلت نعم ، قال سر بنا ، إن احتجت إلى منزل أنزلناك وإلى مال واسيناك وإلى حاجة عاونّاك ، فانصرفت وما على وجه الأرض أحب إلى منه . وأنه رضى الله عنه كان له غلام فجنى جناية أوجبت عليه عقوبة شديدة فلما أقعد للضرب قال يا مولاى - والكاظمين الغيظ - قال كظمت ، قال يا مولاى - والعافين عن الناس - قال عفوت ، قال يا مولاى - والله يحب المحسنين - قال أنت حر لوجه الله ولك ضعف ما كنت أعطيك . وأنه أغلظ مروان بن الحكم عليه يوما فسكت ، ثم امتخط مروان فى يمينه فقال له رضى الله عنه ويحك أما علمت أن الشمال لمثل هذا؟ فسكت مروان فجزاه على إغلاظه بالتأديب وتعليم الخير ، وكان مروان أشد الناس بغضا لأهل البيت . وروى عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه قال : كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو له ، فدخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ ابن الوزغ ابن الملعون . اه وفضائله لا تستقصى ولا تعد ولا تحصى رضى الله عنه وعن جميع أهل بيته صلى الله عليه وعلى آله وسلم (النسب) من الانتساب . وفى [جع] فصل فى التعريف بنسب شيخنا رضى الله عنه ووسيلتنا إلى ربنا قطب الأقطاب علم الشريعة وبحر الحقيقة مولانا أبى العباس أحمد ابن مولانا محمد المكنى ابن عمر ابن المختار ابن أحمد بن محمد بن سالم بن أبي العيد بن سالم بن أحمد الملقب بالعلوانى ، ابن أحمد بن على بن عبد الله ابن العباس بن عبد الجبار بن إدريس بن إدريس بن إسحاق بن زين العابدين بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن الحسن المثنى ابن الحسن بن على بن أبي طالب كرم الله وجهه : فهذا نسبه الموجود فى العقود ولكن لم يعول الشيخ رضى الله عنه عليه وإن كان محققا عند آبائه حتى سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن نسبه وحققه له . سمعته يقول رضى الله عنه : سألت سيد الوجود صلى الله عليه وسلم عن نسبى هل أنا شريف أم لا ؟ فأجابه صلى الله عليه وسلم : أنت ولدى وكررها ثلاثا ، فمن حين سمع تحقيق نسبه من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم صرح بالشرف وجزم به ، وذلك لتحقيق نسبه فى نفس الأمر لأن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أخبره يقظة لا مناما ، انظره : وعلى ما ذكره هذا السيد الجليل الشريف الأصيل فى هذا النسب الشريف والحسب المنيف قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

فهاك منى دررا وعسجدا	نسب شيخنا التجانى أحمدا
ابن محمد يكنى ابن عمر	لشدة فى دينه كمن غبر
والده المختار نجل أحمدا	ابن محمد بفتح وردا
أول من نزل عين ماضى	فصانها صون أجام الماضى
سليل سالم من الأدناس	ابن أبي العيد من الأكياس
هو ابن سالم سليل أحمدا	يدعى بعلوانى بن أحمدا
ابن على بن عبد الله	ولد عباس عن الملاهى
ثم أضف عبدا إلى الجبار	هو ابن إدريس من الأخيار
سليل إدريس الكريم الأفضل	ولد إسحاق العليم الأكمل

ابن على هو زين العابدين   هو ابن أحمد إمام الزاهدين
ابن محمد بنفس زكية   قد لقبوه حبذا التسمية
وهو ابن عبد الله ذى الكمال   ابن المثنى الحسن الأفعال
ابن الشهيد الحسن الهمام   ابن على منبع الكرام
ريحانة لسيد الوجود   وحبه وسبطه الحفيد
يارب حقق نسبى وحسبى   بسيد الوجود خير العرب
يارب كمل لى كل مأرب   بجاه أحمد العلى الرتب
صلى وسلم بارك الله على   محمد وآله ومن تلا   اه

وللعلامة السيد بابا بن أحمد بيب رضى الله عنه وعنا به آمين :

يا سائلا عن نسب التجانى   أحمد ذى العلوم والعرفان
فإنه ينمى إلى خير نسب   لمن له النفس الزكية لقب
وهو محمد بن عبد الله من   كان أبوه ينتمى إلى الحسن
وجده الحسن ثانى الحسنين   سبط الرسول بنت خير الثقلين
فكان سبط سبطى النبى   جدا لهذا العارف الولى
أكرم به من نسب لا نسبا   أفضل من آل الرسول المجتبى
يارب نجنا من الجحيم   بجاه هذا النسب الكريم
فنسب الشيخ علا فوق العلا   حتى علا على السموات العلا   اه

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين: أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له (أنت حبيبى) وأنت (وارثى فى الحقيقة) وفى [جع] قال الشيخ رضى الله عنه : قال لى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم: أنت حبيبى وكل من أحبك حبيبنا . وضمن الولاية لكل من أحبنى ولو كان على أى حالة فتمسكوا بعهدنا اه . قال رحمه الله :

(وكانَ يَرَى النبىَ فى حالِ يقظةٍ   وليسَ يَغيبُ عنهُ مِقدارَ طرْفةٍ
ويسأله عن كلّ أمرٍ يريدُهُ   فيارَبُّ ورِّثنى مقامَ وَسِيلتى)

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين : أنه (كان) للدوام والاستمرار (يرى) أى يبصر بعينى رأسه (النبى) صلى الله عليه وسلم : أى ذاته الحقيقية . وفى [هب] وأما من رأى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فى المنام فإن رؤياه تنقسم إلى قسمين : أحدهما مالا تعبير فيه وذلك بأن يراه على الحالة التى كان صلى الله عليه وسلم عليها فى دار الدنيا التى كان الصحابة رضى الله عنهم يشاهدونه صلى الله عليه وسلم عليها، ثم إن كان الرائى من أهل الفتح والعرفان والشهود والعيان فإن الذى رأى هو ذاته الطاهرة الشريفة، وإن لم يكن من أهل الفتح فتارة تكون رؤياه كذلك وهو النادر وتارة تكون وهو الكثير يرى صورة ذاته الشريفة لاعين ذاته ، وذلك لأن لذاته الشريفة الطاهرة صورا بها يرى صلى الله عليه وسلم فى أماكن كثيرة فى المنام وفى اليقظة ، وذلك لأن لذاته صلى الله عليه وسلم نورا منفصلا عنها قد امتلأ به العالم كله فما من موضع منه إلا وفيه النور الشريف ، ثم هذا النور تظهر فيه ذاته عليه الصلاة والسلام كما تظهر

صورة الوجه فى المرآة فأنزل النور بمثابة مرآة واحدة ملأت العالم كله والمرتسم فيها هو الذات الكريمة فمن هنا كان يراه عليه الصلاة والسلام رجل بالمشرق وآخر بالمغرب وآخر بالجنوب وآخر بالشمال ، وأقوام لايحصون فى أماكن مختلفة فى آن واحد ، وكل يراه عنده وذلك لأن النور الكريم الذى ترسم فيه الذات مع كل واحد منهم ، انظره . ولا بد (فى حال) أى وقت وساعة (يقظة) بسكون القاف للوزن واليقظة محركة ضد النوم من يقظ ككرم وفرح وضرب على ما قيل . وفى [هب] وسمعته رضى الله عنه يقول : لكل شىء علامة ، وعلامة إدراك العبد مشاهدة النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة أن يشتغل الفكر بهذا النبى الشريف اشتغالا دائما بحيث لايغيب عن الفكر ولاتصرفه عنه الصوارف ولا الشواغل ، فتراه يأكل وفكره مع النبى صلى الله عليه وسلم ويشرب وهو كذلك ويخاصم وهو كذلك وينام وهو كذلك . فقلت وهل يكون ذلك بحيلة وكسب من العبد ؟ فقال رضى الله عنه لا إذ لو كان بحيلة وكسب من العبد لوقعت له الغفلة عنه إذا جاءه صارف أو عرض شاغل ولكنه أمر من الله تعالى يحمل العبد عليه ويستعمله فيه ، ولا يحس العبد من نفسه اختيارا فيه حتى لو كلف العبد دفعه ما استطاع ولهذا كانت لا تدفعه الشواغل والصوارف فباطن العبد مع النبى صلى الله عليه وسلم وظاهره مع الناس يتكلم معهم بلا قصد ويأكل بلا قصد ويأتى بجميع ما يشاهده فى ظاهره بلا قصد لأن العبرة بالقلب وهو مع غيرهم ، فإذا دام العبد على هـذا مدة رزقه الله تعالى مشاهدة نبيه الكريم ورسوله العظيم فى اليقظة ، ومدة الفكر تختلف فمنهم من تكون له شهرا ومنهم من تكون أقل ومنهم من تكون له أكثر . قال رضى الله عنه : ومشاهدة النبى صلى الله عليه وسلم أمرها جسيم وخطبها عظيم ، ولولا أن الله تعالى يقوى العبد ما أطاقها ، لو فرضنا رجلا قويا عظيما اجتمع فيه قوة أربعين رجلا كل واحد منهم يأخذ بأذن الأسد من الشجاعة والبسالة ، ثم فرضنا النبى صلى الله عليه وسلم خرج من مكان على هذا الرجل لانفلقت كبده وذابت ذاته وخرجت روحه وذلك من عظمة سطوته صلى الله عليه وسلم ، ومع هذه السطوة العظيمة ففى تلك المشاهدة الشريفة من اللذة مالا يكيف ولا يحصى حتى أنها عند أهلها أفضل من دخول الجنة ، وذلك لأن من دخل الجنة لايرزق جميع ما فيها من النعم بل كل واحد له نعيم خاص به بخلاف مشاهدة النبى صلى الله عليه وسلم فإنه إذا حصلت له المشاهدة المذكورة سقيت ذاته بجميع نعيم أهل الجنة فيجد لذة كل لون وحلاوة كل نوع كما يجد أهل الجنة فى الجنة ، وذلك قليل فى حق من خلقت الجنة من نوره صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وعلى آله وصحبه وسلم . قال رضى الله عنه : وفى كل مشاهدة يحصل هذا السقى فمن دامت له دام له هذا السقى انظره ، ثم قال : وسمعته رضى الله عنه يقول : سألنى الشيخ عبـد الله البرناوى أتعلم شيئا فى الدنيا هو أحسن من دخول الجنة ، وشيئا فى الدنيا هو أقبح من دخول جهنم ؟ فقلت : أعرف ما سألت عنه ، أما الذى هو أفضل وأعز من دخول الجنة فهو رؤية سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فى اليقظة فيراه الولى اليوم كما يراه الصحابة رضى الله عنهم فهى أفضل من الجنة ، وأما الذى هو أقبح من دخول جهنم فهو السلب بعد الفتح ، انظره : وفيه أن فى باطن كل ذات ثلاثمائة وستة وستين عرقا كل عرق حامل للخاصية التى خلق لها ، والعارف ذو البصيرة يشاهد تلك العروق مضيئة شاعلة فى معانى خواصها ، فالكذب عرق مشمول بخاصيته وللحسد عرق يضىء به وللرياء عرق يضىء به وللكبر عرق يضىء به ، وهكذا حتى تأتى على سائر العروق حتى أن العارف إذا نظر إلى الذوات

رأى كل ذات بمنزلة فنار علقت فيه ثلاثمائة وست وستون شمعة كل شمعة على لون لايشابه لون غيرها ثم هذه الخواص فى كل واحدة منها تفاصيل وأقسام فخاصية الشهوة مثلا لها أقسام بحسب ماتضاف إليه فإن أضيفت إلى الفروج كانت قسما وإن أضيفت إلى الجاه كانت قسما وإلى المال كانت قسما وإلى طول الأمل كانت قسما ، وهكذا خاصية الكذب فمن حيث أن صاحبها لا يقول الحق تعد قسما ومن حيث أن صاحبها يظن فى غيره أنه لا يقول الحق ويشك فى كلامه ولا يصدقه تعد قسما ، ولا يفتح على العبد حتى يقطع هذه المقامات بأسرها فإذا أراد الله بعبد خيرا وأهله للفتح فإنه يقطعها عنه شيئا فشيئا على التدريج ، فإذا قطع عنه مثلا خاصية الكذب حصل على مقام الصدق ثم على مقام التصديق ، وإذا قطع عنه خاصية الشهوة فى المال حصل على مقام الزهد أو شهوة المعاصى حصل على مقام التوبة أو شهوة طول الأمل حصل على مقام التجافى عن دار الغرور وهكذا ، ثم إذا فتح عليه وحصل السر فى ذاته تدرج فى مقامات المشاهدة للعوالم ؛ فأول مايشاهد الأجرام الترابية ثم الأجرام العلوية ثم الأجرام النورانية ثم يشاهد سريان أفعاله تعالى فى خليقته ، وله فى مشاهدة الأجرام الترابية تدريج فأول مايشاهد الأرض التى هو فيها ، ثم يشاهد البحور التى فيها ثم يشاهد ما بين الأرض التى هو فيها والأرض الثانية بأن يخرق نظره التخوم إلى الثانية ثم يشاهد الأرض الثانية ثم تخومها إلى الثالثة وهكذا إلى السابعة ، ثم يشاهد الجو الذى بينه وبين السماء الأولى ثم السماء الأولى . وهكذا على نحو الترتيب السابق فى الأرض ، ثم يشاهد البرزخ والأرواح التى فيه ثم الملائكة والحفظة وأمور الآخرة ، وعلى العبد فى كل مشاهدة من هذه المشاهدات حق من حقوق الربوبية وأدب من آداب العبودية ، ويعرض له فى ذلك قواطع وتعتريه عوائق ويشاهد أمورا هائلة قتالة ، فلولا توفيق الله تعالى وفضله على العبد الضعيف ورحمته به لكان أقل درجاتها يرجع بسببها من جملة الحمقى ، ثم قطعه لمقامات المشاهدة وأهوالها أصعب عليه من قطعه مقامات خواص النفوس لأن قطعه لمقامات الخواص باطنى لا يشعر به إلا بعد الفتح وقطعه لمقامات المشاهدة ظاهرى يعاينه ويراه لأنه أمر يخوضه بعد الفتح ، فإذا صفا نظره وتم نور بصيرته ورحمه الله الرحمة التى لاشقاء بعدها رزقه الله سبحانه رؤية سيد الأولين والآخرين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم فيراه عيانا ويشاهده يقظة ، ويمده الله تعالى بما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فحينئذ يحصل على مقام الهناء والسرور فهنيئا له السعادة انظره . اللهم ارزقنا هذه السعادة الأبدية بمحض العناية الصمدية آمين :

إن يكن عظم زلتى حجب رؤيا	ك فقد عز داء قلبى الدواء
آه مما جنيت إن كان يغنى	ألف من عظيم ذنب وهاء

عرفت الذى قد حال بينى وبينه	ذنوب بها العمر الحزين مضيع
عواصف عصيانى وقيد جرائمى	منعت بها عنه ومثلى يمنع
عصيت فقلت كيف ألقى محمدا	ووجهى بأثواب المعاصى مبرقع
عدمتك قلبى كيف تطلب قربه	وأنت كما أدرى إلى الذنب تسرع
عسى الله من أجل الحبيب ومدحه	يداركنى بالعفو فالجود أوسع

اعلم أن هذه الكرامة العزيزة المنال العظيمة المقدار والمثال من أكبر عوائقها وأعضل موانعها صحبة الظلمة والفجرة والفسقة . وقد نقل الشعرانى أن الإمام السيوطى رضى الله عنه كتب لمن سأله شفاعة

عند سلطان وقته ما نصه : اعلم يا أخى أننى اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتى هذا خمسا وسبعين مرة يقظة ومشافهة ، ولولا خوفى من احتجابه صلى الله عليه وسلم عنى بسبب دخولى للولاة لطلعت القلعة وشفعت فيك عند السلطان ، وإنى رجل من خدام حديثه صلى الله عليه وسلم وأحتاج إليه فى تصحيح الأحاديث التى ضعفها المحدثون من طريقهم ،ولا شك أن نفع ذلك أرجح من نفعك أنت يا أخى اه . قال : ويؤيد الشيخ جلال الدين فى ذلك ما اشتهر عن سيدى محمد بن رزين المادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يراه يقظة ومشافهة ولما حج كلمه من القبر ، ولم يزل هذا مقامه حتى طلب منه شخص أن يشفع له عند حاكم البلد ، فلما دخل عليه أجلسه على بساطه فانقطعت عنه الرؤية ، فلم يزل يتطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تراءى له من بعيد فقال «تطلب رؤيتى مع جلوسك على بساط الظلمة لا سبيل لك إلى ذلك » فلم يبلغنا أنه رآه بعد ذلك حتى مات .

هــذه علتى وأنت طبيبى ... ليس يخفى عليك فى القلب داء
الأمان الأمان إن فؤادى ... من ذنوب أتيتهن هباء

أنا رجل أثقلت ظهرى بزلة ... ومن زل يأوى للشفيع ويلجأ
أغثنى أجرنى ضاع عمرى إلى متى ... بأثقل أوزارى أران أرزأ
إذا لم يكن لى من جنابك شافع ... شقيت فمالى غير جاهك ملجأ

دهور تقضت بالذنوب ومن تكن ... عليه ذنوب فالشفيع محمد

صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم .

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين : أنه (ليس يغيب) النبى صلى الله عليه وسلم (عنه) أى عن الختم المحمدى المعلوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين ، وهذه كرامة أخرى غير التى قبلها وإن كانت تشاركها فى رؤية الذات الحقيقية حقيقة (مقدار) بكسر الميم مبلغ الشىء (طرفة) كتمرة مصدر طرف ببصره أطبق أحد جفنيه على الآخر أو أطرق بعينيه حرك جفنيها المرة منه طرفة وعن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين فى قول أبى العباس المرسى رضى الله عنه : منذ أربعين سنة ماحجبت فيها عن رسول الله طرفة عين ، ولو حجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ماعددت نفسى من المسلمين ،مانصه : الجواب عن هذا أن هذه الخصوصية ليست للمرسى وحده وإنما هى لقطب الأقطاب فى كل وقت منذ جلوسه على كرسى القطبانية ،ولاتقع بينه وبين رسول الله حجابية أصلا ، وكلما جال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حضرة الغيب ومن حضرة الشهادة إلاوعين قطب الأقطاب متمكنة من النظر إليه ولا يحتجب عنه فى كل لحظة من اللحظات اه كما فى [جح] وعن سيدى على الخواص رحمه الله : لايكمل عبد فى مقام العرفان حتى يجتمع برسول صلى الله عليه وسلم أى وقت شاء اه .

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين : أنه كان (يسأله) أى النبى صلى الله عليه وسلم (عن كل أمر) من الأمور النازلة به (يريده) أى يريد فعله أو تركه ، ويشاوره فى جميع أموره فيعتمد على ما اقتضته إشارته صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى كل شىء دق أوجل .

[تنبيه] اعلم أن هذه الرؤية اليقظية لذاته صلى الله عليه وسلم الحقيقية حقيقة لاتقتضى الصحبة لمن أكرمه الله تعالى بهذه المنقبة ، لأن شرط الصحبة أن يراه الرائى وهو فى عالم الملك وهذه رؤية وهو فى

عالم الملكوت وهى لاتفيد الصحبة ، وورد أن جميع أمته صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه فرآهم ورأوه ولم يفدهم ذلك صحبة لأن الرؤيا فى عالم الملكوت . فعالم الملك هو عالم الحس والشهادة وعالم الملكوت هو عالم اللطافة والغيب ومن شأنه خرق العوائد . وعن الحاتمى رضى الله عنه أن من أكرمه الله بهذه المزية الجسيمة والمنقبة العظيمة يحشرون معه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة كما تحشر الصحابة الكرام معه ، لكنهم لايرتقون إلى درجة الصحابة رضى الله عنهم . انظر [غ] (فيارب) منادى مضاف منصوب بحذف ياء المتكلم اكتفاء عنها بكسرة (ورثنى) من التوريث يقال ورثه يرثه بالكسر فيهما وأورثه بالهمز وورثه بالتضعيف : أى جعله من ورثته (مقام) منزلة ومرتبة (وسيلى) سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين وما ذلك على الله بعزيز ، وسيأتى أن من خصوصيات أهل هذه الأحمدية إلحاقهم بدرجة وسيلتهم قال تعالى ـ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنابهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء ـ

[لطيفة] أخبرنى من أثق به أنه كان يوما مع بعض الخاصة متعنا الله وإياه بالرضى الأبدى وأفاض علينا وعليه من النور الأحمدى والسر المحمدى آمين ، فتذاكرنا فى فضائل أهل الأحمدية فأخذه الحال فقال : والله مايرفع الشيخ قدما حتى نضعه ، فلما صحى من حاله قال لى : ما الذى قلت ؟ فقلت له : ـ وأما بنعمة ربك فحدث ـ فتبسم رضى الله عنه وعنابه آمين وزادنا فى أمثاله آمين ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه أبيات فى التوسل على حروف سهل بن سعد الصحابى من الصحابى رضى الله عنهما وعنابهما آمين وهى :

سألت رسول الله رؤية وجهه ... سألته ذاك فى منام ويقظة
هنيئا لمن رأى النبى بيقظة ... هويت رسول الله فى كل لحظة
لتقضى مناى ياكريم بجاهه ... لديكم فإنه لخير وسيلة
بجاه النبى ومن حوته العباءة ... بسهل بن سعد من" ربى برؤية
تنال بها كل المنى والسعادة ... نفوق بها أوج المعالى السعيدة
سما وعلا من قد رآه بيقظة ... سماء وغيرها بكل فضيلة
عسى نفحة وعطفة من نبينا ... على بنظرة بفضل ومنة
دعوتك ياألله بالله فاستجب ... دعائى بجاه المصطفى ووسيلتى

وله مثل ذلك فى حسن بن على رضى الله عنهما وعنا بهما آمين :

حشاك رسول الله تطرد من أتى ... حماك لعله يفوز بنظرة
سألتك بالسبطين رؤية وجهكم ... سؤال غريق فى ذنوب عظيمة
تنال بها خير المنى والمواهب ... تفوز بها بمحض فضل ومنة
بأمهما الزهرا وجاه أبيهما ... بجاهك ياخير الورى أمنن برؤية
نحوز بها ذرى المعالى العزيزة ... نفوق بها جميع من فى البسيطة
عليك رسول الله أزكى تحيتى ... عسى رؤية منكم بنوم ويقظة
لترحم إلهى مذنبا متوسلا ... لكم رسول الله فامنن بمنيتى
يريد رسول الله نوما ويقظة ... يشاهده فى كل حال وجنة

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأذقنا بالصلاة عليه لذة وصاله آمين . قال رحمه الله :

(وَيصحبهُ الإثنين مَعْ يَوْمِ جُمعَةٍ ومعَهُ منَ الأملاكِ عِدَّةُ سَبعةٍ
لكَتْبِ أسامِي مَنْ يرَاهُ برِقمةٍ وأنَّهُ مِنْ أهْلِ الجنَانِ برُؤيةِ
بدُون الحسابِ والعِقاب فهذهِ سرَتْ بورِاثةٍ لكلِّ خليفةِ)

ومن كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين : أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم (يصحبه) من صحبه إذا لازمه ولا يفارقه طرفة عين (الاثنين) اسم يوم من الأسبوع ، وفى [س] والاثنان والثنى ثانى يوم فى الأسبوع جمعه أثناء وأثانين اه (مع) بسكون العين (يوم جمعة) بسكون الميم وتضم وتفتح مفردا وجمعا ويجمع على جمع كصرد ، وفى [جع] مسألة سمعته رضى الله عنه يقـول : تفكرت فى اختصاص سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بيوم الإثنين فتبين لى أنه لما كان هو الوجود الثانى لم يتقدمه إلا الوجود القديم ، وكذلك هذا اليوم هو الثانى من الأيام لم يتقدمه إلا يوم الأحد فلهذا كانت تقلب أطواره صلى الله عليه وسلم فى يوم الاثنين فيه ولادته وفيه هجرته وفيه دخوله لطيبة وفيه أرسل وكذلك سيدنا آدم عليه السلام فى اختصاصه بيوم الجمعة وتقلب أطواره فيه لمناسبة وجوديته لأن سيدنا آدم هو الموجود الأخير من الموجودات وهو المعبر عنه عند العارفين بالتجلى الأخير واللباس الآخر، وهذا اليوم هو اليوم الأخير من الأيام التى خلق الله فيها خلقه قال تعالى ـ خلق السموات والأرض فى ستة أيام ـ وفى اليوم السابع قال تعالى ـ ثم استوى على العرش ـ على ما أراد وعلم ولم يخلق فيه مخلوقا فلهذه المناسبة كانت أطوار سيدنا آدم عليه السلام من خلقه ودخوله الجنة وخروجه منها وتوبته فيه اه قال رضى الله عنه : قلت لسيدنا رضى الله عنه على هذا القياس يكون يوم الاثنين أفضل من يوم الجمعة لاختصاص أطوار سيد الوجود صلى الله عليه وسلم به ؟ قال لى : التفضيل أمر إلهى لا علة له ولا يقاس ويفضل الله سبحانه ما شاء مما شاء على ما يشاء فما سمع من التفضيل لمخلوق من خبر الله وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم فهو المفضل ومالا فلا اه ، وذكر فى [خل] لتخصيص مولده بربيع الأول ويوم الإثنين أربعة أوجه . فقال الوجه الأول ما ورد فى الحديث من أن الله تعالى خلق الشجر يوم الإثنين اه . وفى ذلك تنبيه عظيم وهو أن خلق الأقوات والأرزاق والفواكه والخيرات التى يتغذى بها بنو آدم ، ويحيون ويتداوون وتنشرح صدورهم لرؤيتها وتطيب بها نفوسهم وتسكن بها خواطرهم عند رؤيتها لاطمئنان نفوسهم بتحصيل ما يبقى حياتهم على ما جرت به العادة من حكمة الحكيم سبحانه وتعالى ، فوجوده صلى الله عليه وسلم فى هذا الشهر فى هذا اليوم قرة عين بسبب ما وجد من الخير العظيم والبركة الشاملة لأمته صلوات الله عليه وسلامه ، أنظره . وفى [هب] أنه صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل قبل مجىء الفيل ، وببركة وجوده صلى الله عليه وسلم بمكة طرد الله الفيل عن أهلها ، وأن شهر ولادته هو ربيع الأول وأنه ولد عليه الصلاة والسلام فى سابع ربيع الأول ، وهـذا هو الواقع فى نفس الأمر يعنى أنه ولد ليلة السابع منه ، أنظره . وفى [جص] وإن الله تعالى فى كل يوم جمعة ستمائة ألف عتيق يعتقهم من النار كلهم قد استوجبوا النار ، وفيه . سيد الأيام عند الله يوم الجمعة أعظم من يوم النحر والفطر ، وفيه خمس خلال : فيه خلق الله آدم ، وفيه أهبط من الجنة إلى الأرض، وفيه

توفى وفيه ساعة لايسأل العبد فيها الله شيئا إلا أعطاه أياه مالم يسأل إثما أو قطيعة ، وفيه : تقوم الساعة وما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا ريح ولا جبل ولا حجر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة ، وفيه : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه أهبط ، وفيه تيب عليه ، وفيه قبض ، وفيه تقوم الساعة ، ما على وجه الأرض من دابة إلا وهي تصبح يوم الجمعة مصبخة حتى تطلع الشمس شفقا من قيام الساعة إلا ابن آدم ، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مؤمن وهو فى الصلاة يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه » اه . زاد ابن حنبل « مالم يكن إثما أو قطيعة رحم » اه . واستدل بهذا الحديث من قال إن يوم الجمعة أفضل من يوم عرفة ، وقيل إن يوم عرفة أفضل ووفق بعضهم بأن أفضل أيام الأسبوع يوم الجمعة ، وأفضل أيام السنة يوم عرفة اه وهو توفيق حسن (ومعه) بسكون العين أى ومع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم (من الأملاك) جمع ملك كسبب وأسباب . وفى [س] الملك محرك واحد الملائكة والملائك اه (عدة) بكسر العين أى جماعة (سبعة) بسكون موحدة (لكتب) مصدر كتب الكتاب خطه (أسامى) جمع أسماء جمع اسم ، ويجمع أسماء أيضا على أسام وأسماوات (من) موصولة أو موصوفة بقوله (يراه) يبصره فى هذين اليومين ولو بعد وفاته إن شاء الله تعالى - ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون - فكل من رأى سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين فى هذين اليومين أو رآه سيدنا بالأولوية إذ نظره ترياق للبرية ، ولو كان الرائى أو المرئى يهوديا أو نصرانيا فضلا عن المؤمنين إذ لا يراه فيهما إلا من صبغت له السعادة وأنه يموت على الإسلام - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم - حاشا من كان مبغضا له أو لأهل طريقته ، فهو والعياذ بالله من المحرومين المطرودين - الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - (برقعة) كغرفة . وفى [س] الرقعة بالضم التى تكتب وما يرقع به الثوب اه أى برقعة من ذهب كما صرح به فى [جه] (وأنه) بفتح الهمزة أى ويكتبون أن من رأى سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (من أهل الجنان) بكسر الجيم جمع جنة بفتحها ، وهى فى اللغة الحديقة ذات النخل والشجر (برؤية) والرؤية بالضم النظر بالعين أى بسبب رؤيته لسيدنا أبى الفيض فى هذين اليومين (بدون) أى من غير تقدم (الحساب) أى محاسبته تعالى إياه على ما سلف منه من المخالفات (و) بدون (العقاب) أى ومن غير أن يعاقبه الله تعالى على ما فعل من السيئات إكراما لجناب سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين . وفى [جع] ومن كراماته الكبرى التى شاعت فى الأقطار واستفاضت فى البوادى والقرى والأمصار وهى قول سيد الوجود صلى الله عليه وسلم إن من رأى وجهك يوم الجمعة أو يوم الإثنين دخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ثم قال : وهذا نص قوله صلى الله عليه وسلم لقدوتنا « بعزة ربى يوم الاثنين ويوم الجمعة لم أفارقك فيهما من الفجر إلى الغروب ومعى سبعة من الأملاك وكل من يراك فى اليومين يكتبون اسمه فى ورقة من ذهب ويكتبونه من أهل الجنة وأنا شاهد على ذلك ، وتكثر من الصلاة على فى هذين اليومين فكل صلاة تصليها على أسمعك وأرد عليك ، وكذلك جميع أعمالك تعرض على والسلام » اه . وفى [جه] وكذا كل من حصل له النظر فينا يوم الجمعة أو الإثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب إن لم يصدر منه سب فى جانبنا ولا بغض ولا إذاية ومن حصل له النظر فى هذين اليومين فهو من الآمنين إن مات على الإيمان وإن سبق أنه يحصل له العذاب

فى الآخرة فلا يموت إلا كافرا اه (فهذه) أى فهذه الكرامة المثلى والمنقبة الفضلى (سرت) من السرى بأن يقال سرى عرق الشجر دب تحت الأرض (بوراثة) بكسر الواو مصدر ورث يرث ورثا ووراثة وإرثا ورثة بكسر أوائلها وهو من الأفعال التى ورد الكسر فى ماضيها ومضارعها . وفى لامية ابن مالك :

وأفرد الكسر فيما من ورث وولى ورم ورعت ومقت مع وفقت حلا

وثقت مع ورى المخ أحوها اه أى بسبب الوراثة الأحمدية التجانية (لكل خليقة) من خلائف سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين . وفى [مح] إن من آحادهم يعنى أهل الطريقة الأحمدية من إذا رآه شخص يوم الاثنين أو يوم الجمعة فإن الرائى يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب وراثة أحمدية تجانية . قلت : قد تقدم أنى رأيت فى يد الشيخ رضى الله عنه وأرضاه وعنابه آمين حلة من نور وقال لى : من رآها يدخل الجنة ، ثم ألبسنى إياها اه . وفى [غ] فينبغى للمصدق الراغب فى الاستكثار من الخير أن ينظر فى وجه كل من لقيه فى اليومين من أهل هذه الطريق بهذه النية قصدا لأن يعثر على أحد من أصحاب هذه الوراثة ونية المؤمن خير من عمله اه . قال رحمه الله :

(وجا ذا لكلٍّ من رأى الختمَ مُطلقا وقيّدَ ما مَضَى بخير مزيةِ)

(وجا) قصره للوزن (ذا) أى جاء هذا أى دخول من رآه الجنة بلا حساب ولا عقاب فى اليومين المذكورين (لكل) لجميع [من رأى] أبصر بعينه أو بعين البصيرة إن شاء الله فالله لا يخيب الرجاء (الختم) المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (مطلقا) أى فى جميع الأسبوع لا بخصوص اليومين المذكورين (و) لكن قد (قيد ما مضى) من الرؤية فيهما (بخير) أفضل وأشرف (مزية) وهى كتابة الملائكة عليهم السلام اسم الرائى أو المرئى فى رقعة من ذهب ، وتأكد الوعد فيه بالقسم وذلك مزيد اعتناء من النبى صلى الله عليه وسلم بمن رآه فيهما . وفى [غ] ورأيت فى كلام بعض من كان مشارا إليه بالفتح من الأصحاب ما يشير إلى أن المختص برائيه فى اليومين هو السعادة التى لا شقاوة بعدها يعنى أنه لا يراه فى اليومين إلا من سبق فى علم الله تعالى أنه يكون سعيداً فيدخل الكفار فى هذا الخطاب وينسحب الحكم عليهم فى هذا المقام بفضل الملك الوهاب ، فيقال لا يراه فى هذين اليومين إلا من سبق فى علم الله تعالى أنه يختم له بالسعادة كائنا من كان فإذا رآه الكافر فى أحد اليومين ختم له بالإيمان ، وعليه فتختص الرؤية المطلقة فى كل يوم بمن كان مسلما سواء كان من الأصحاب أم لا ، حسبما هو مصرح به فى الجواهر ، وهذه المقيدة باليومين بما يشمل كل من رآه ولو كافرا ، ويؤيد هذا ما أخبرنا به غير واحد من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه : وهو أن يهوديا كان يخيط للشيخ رضى الله عنه ثيابا فجلس بإزائه بعض الأصحاب وتحدثوا بهذه الكرامة بينهم فسمعهم اليهودى من غير أن يلقوا إليه بالا فاحتال بأن أكمل ما كان يخيطه فى أحد اليومين الاثنين والجمعة ، ثم طلب ممن كان ينوب عن الشيخ رضى الله عنه فى قضاء المآرب أن يدفع ما خاطه للشيخ بيده ، وذكر أنه أراد أن يطلب منه الدعاء فشاور النائب سيدنا رضى الله عنه على ذلك وذكر له ما طلبه ، فأذن له الشيخ رضى الله عنه فدخل وجلس بين يديه وأمعن النظر فى وجهه ثم قال له : ياسيدى ها أنا رأيت وجهك وهذا يوم كذا ودعا له الشيخ وانصرف فآل أمره إلى أن مات مسلما بعد وفاة سيدنا رضى الله عنه تصديقا لضمانه صلى الله عليه وسلم لسيدنا المؤكد بالقسم اه :

. . . . وما أحـ ـسن مايبلغ المنى الأذكياء
وإذا سخر الإله أناسا لسعيد فإنهم سعداء

وفى [د] إن هـذه الكرامة وقعت لسيدنا رضى الله عنه وهو بالشلالة ، وأن من لا يصدق بهذا الوعد لايدخل فيه اه . قلت : ومن شرطها أيضا أن ينظر إليه بعين الاحترام والاعتقاد لا بعين الازدراء والانتقاد ، وإلا فاحكم عليه بالطرد والإبعاد من هذه الرحمة المفاضة على العباد والكرامة العميمة سائر البلاد . وفى [مح] زار بعض السلاطين ضريح أبى يزيد رضى الله عنه وقال هـل منا أحد ممن اجتمع بأبى يزيد ؟ فأشير إلى شخص كبير السن كان حاضرا هناك ، فقال له السلطان : هل سمعت شيئا من كلامه ؟ فقال نعم ، فقال من رآنى لا تحرقه النار ، فاستغرب السلطان ذلك فقال كيف يقول أبو يزيد ذلك وهذا أبو جهل رأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو تحرقه النار فقال ذلك الشيخ للسلطان إن أبا جهل لم ير النبى صلى الله عليه وسلم وإنما رأى يتيم أبى طالب ، ولو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحرقه النار ، ففهم السلطان كلامه وأعجبه هذا الجواب منه : أى أنه لم يره بالتعظيم والإكرام واعتقاد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لورآه بهذه العين لم تحرقه النار ، ولـكنه رآه بعين الاحتقار واعتقاد أنه يتيم أبى طالب فلم تنفعه تلك الرؤية ، وأنت يا أخى لو اجتمعت بقطب الوقت ولم تتأدب معه لم تنفعك تلك الرؤية بل كانت مضرتها أعظم عليك من منفعتها ، انظره . قال رحمه الله :

(وما احتاجَ أهْلُ البيتِ والأحمَديَّةِ وأهْل محبّةٍ لهـذِى الفَضيلةِ)

(وما احتاج أهل البيت) أى أهل بيته صلى الله عليه وعلى آله وسلم لهذه الفضيلة والكرامة لآية التطهير . ونقل : أن بعض الشرفاء العلويين زار سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين فى أحد هذين اليومين بهذه النية ، فلما دخل عليه جلس بين يديه وأمعن النظر فيه وقال : ياسيدنا ما اسم هذا اليوم ؟ فأجابه سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين بلبيهة فقال له : الـكلام فى غير آل بيته صلى الله عليه وسلم اه . وفى [د] عصاة أهل البيت يسلك بهم مسلك أهل بدر يقال لهم « اعملوا ماشئتم فقد غفرت لـكم » وفى الحديث « سألت ربى أن لايدخل أحدا من أهل بيتى النار فأعطانى ذلك » اه .

فليصنع الركب ماشاءوا بأنفسهم هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وعن القرطبى عن السدى فى قوله تعالى ـ إن الله غفور شكور ـ غفور لذنوب آل محمد شكور لحسناتهم . وعن الحاتمى رضى الله عنه : أن أهل البيت النبوى يسلك بهم يوم القيامة مسلك أهل بدر وهذا مفهوم من آية التطهير . ولودخل واحد منهم النار لـكان غير مطهر من الذنوب وهو كغيره سواء فى المؤاخذة بالذنوب ، وحاشاهم من هذا فإنهم مطهرون من سائر الذنوب وإذا كانوا مطهرين عند الله فلم يؤاخذهم بالذنوب وإذا لم يؤاخذهم فلم يدخل واحد منهم النار وهذه فائدة التطهير ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لسيدتنا فاطمة رضى الله عنها وعنا بها آمين « إن الله تعالى غير معذبك ولا أحد من أولادك » وإنه قيل لم سميت ابنتك فاطمة يارسول الله ؟ قال « إن الله فطمها وذريتها من النار » وأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال « وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقر بالتوحيد ولى بالبلاغ أن لايعذبهم » وعن على رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم إنهم عترة رسولك فهب مسيئهم لمحسنهم وهبهم لى ففعل » . قلت : مافعل ربكم بكم يفعله بمن بعدكم .

[لطيفة] حكى أن بعض الفضلاء لم يصل على جنازة رجل من أهل البيت كان منهمكا فى المعاصى فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له : لم لم تصل على فلان ؟ قال ياسيدى إنه مرتكب للكبائر ، فقال نسألك عن مسألة فقهية أجبنى وهى أن الولد العاق هل يخرج عن نسبه بسبب عقوقه ؟ فقال لا ، فقال يكفى أنه ولدى فتاب لله ، ووقع لغيره مثل ذلك فقالت له سيدتنا فاطمة رضى الله عنها وعنا بها آمين : أوما يسعه كرمنا ولم تتركه لعصيانه لأنها عالمة بأنه من أهل التطهير . وعن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين : أن أهل البيت لايقفون فى المحشر المعلوم الذى فيه عامة الخلق وإنما لهم موضع خاص بهم كأولياء الله لأنهم خاصة الله العليا ، وهذا موكول إلى التسليم له والتصديق لأنه ذكره من علومه اللدنية الغيبية فلا يمكن البحث فيها لأن الأمور الغيبية لا يمكن إفشاؤها لكل أحد ، وهذا القائل قطب ومرتبته أعلى من مراتب الخلق فى العلوم الظاهرة والباطنة ، ومن كان على هذه الصفة فلا يخبر بغير الواقع لأنه الوارث الحقيق وهو خليفة النبى صلى الله عليه وسلم فهو أكمل وأتقى وأعلم من غيره ، ومن كان على هذا الوصف فلا يصدر منه خلاف الحق لا قولا ولا فعلا ولا ذوقا ولا حالا ، انظر [نصرة الشرفاء فى الرد على أهل الجفاء] لابن المشرى رضى الله عنه وعنا به آمين (و) مااحتاج أهل الطريقة (الأحمدية) المحمدية لهذه الفضيلة . وفى [جع أنتم وجميع الأحباب لاتحتاجون إلى رؤيتى إنما يحتاج لرؤيتى من لم يكن حبيبا ولا أخذ عنى ذكرا ولا أكلت طعامه ، وأما هؤلاء فقد ضمنهم لى بلا شرط رؤية مع زيادة أنهم معى فى عليين ، ولا يظن ظان أن عليين هى وعموم الجنة على حد سواء ، وقد تفضل على صلى الله عليه وسلم بأن ضمن لى دخول من ذكرتهم إليها بلا حساب ولا عقاب واستقرارهم فيها ، وأن من رآنى فقط غايته يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ولا يعذب ولا مطمع له فى عليين إلا أن يكون ممن ذكرتهم وهم أحبابنا ومن أحسن إلينا ومن أخذ عنا ذكرا فإنه يستقر معنا فى عليين ، وقد ضمن لنا هذا بوعد صادق لا خلف له إلا أنى استثنيت من عادانى بعد المحبة والإحسان فلا مطمع له فى ذلك ، وطلبت أيضا أن يموتوا كلهم على الإسلام فإن كنتم متمسكين فأبشروا بما أخبرتكم به فإنه واقع لجميع الأحباب قطعا ، انظره (و) مااحتاج (أهل محبة) ومودة صادقة لسيدنا أبى الفيض وأهل طريقته رضى الله عنه وعنا به آمين (لهذى الفضيلة) والكرامة الثابتة لكل من رأى سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين ، لأن لهم مزايا وافرة ومناقب فاخرة زيادة على هذه الكرامة الباهرة ، وطوى هنا بيت وهو :

ولكن فكيف الصبر ما الصبر شيمتى ‍ ‍ ‍ ولا صبر لى إلا برؤية يقظة

اللهم بجاهه عندك أرنا وجهه مناما ويقظة حالا ومآلا دنيا وبرزخا آمين :

عست عطفة منكم علىّ بنظرة ‍ ‍ ‍ فقد تعبت بينى وبينكم الرسل

قال رحمه الله :

(وقالَ تحدَّثنا بنعمةِ ربِّهِ ‍ ‍ ‍ لِذَا ذِكرِ صحْبِ قولَ بعضِ أئمةِ

فرجلاىَ هاتانِ على كلِّ عارفٍ ‍ ‍ ‍ منَ النشأةِ الأولى لآخرِ نفخةِ

وقال أنا العاصِيُّ محضاً تواضعاً فقبَّلَ رِجلَيْهِ صدوقُ الطويَّةِ
وَرَحَّبَ بالعاصِيِّ فاقَتْ صحابَهُ أكابِرَ أقطابِ الأنامِ برُتبَةِ)

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنا به آمين : أنه (قال تحدثا) أى على سبيل التحدث (بنعمة) بكسر النون جمعها نعم وأنعم (ربه) تصديقا بقوله تعالى ـ وأما بنعمة ربك فحدث ـ وإن من شكر النعم التحدث بها . وفى [جص] التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر . وفيه : من شكر النعمة إفشاؤها. وعن الحسن بن علىّ : إذا أصبت خيرا فحدث إخوانك . وروى أن فضيل بن عياض وسفيان ابن عيينة جلسا ليلة إلى الصباح يتذاكران النعم ، ويقولان أنعم الله علينا فى كذا وأنعم الله علينا فى كذا هكذا (لدا) يرسم بالألف إذا كان بمعنى عند وبالياء إذا كان بمعنى فى . وفى ذلك قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

لدا بمعنى عند فارسم بالألف وإن بمعنى فى فبالياء ألف
نحو لدا الباب لدى الحناجر فقس عليهما بلا مناكر

أى عند (ذكر صحب) أى أصحابه رضى الله عنهم وعنا بهم آمين (قول) أى مقالة (بعض السادة (الأئمة) وهو القطب الجليل والشريف الأصيل سلطان أولياء وقته سيدى ومولاى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل أعلى عليين مأواه آمين . ومقالته هو : قدمى على رقبة كل ولى لله يريد رضى الله عنه بذلك أولياء عصره ولذا قال سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (فرجلاى) تثنية رجل بالكسر ، وفى [س] الرجل بالكسر القدم أو من أصل الفخذ إلى القدم اهـ . وقدمه هما رضى الله عنه وعنا به آمين معا ولذا قال (هاتان) مشيرا إليهما (على كل عارف) من العارفين من كبر شأنه ومن صغر (من النشأة الأولى) وهى مبدأ الوجود (لآخر نفخة) وهى نفخة البعث والحشر . وفى [د] قدماى هاتان على رقبة كل ولى لله تعالى من أول نشأة العالم إلى النفخ فى الصور ، وأما هو إنما أراد بقوله قدمى هذه على رقبة كل ولى لله أولياء عصره فقط يعنى الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه اهـ . وفى [مح] قال : يعنى سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وأرضاه الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه قال : قدمى هذه على رقبة كل ولى لله تعالى يعنى أهل عصره ، وأما أنا فقدماى هاتان ، جمعهما رضى الله عنه وكان متكئا فجلس وقال على رقبة كل ولى لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ فى الصور . قلت : قد أخبرنى شيخى سيدى محمد الغالى أبو طالب الشريف الحسنى وأنا معه فى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام : أن الشيخ رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين قال ذات ليلة فى مجلسه : أين السيد محمد الغالى ؟ فجعل أصحابه ينادون أين السيد محمد الغالى على عادة الناس مع الكبير إذا نادى أحدا ، فلما حضر بين يدى الشيخ قال رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين : قدماى هاتان على رقبة كل ولى لله تعالى ، وقال سيدى محمد الغالى وكان لا يخافه لأنه من أكابر أحبابه وأمرائه ياسيدى أنت فى الصحو والبقاء أم فى السكر والفناء ؟ فقال رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين بل أنا فى الصحو والبقاء وكمال العقل ولله الحمد وقال : قلت له وما تقول فى قول سيدى عبد القادر رضى الله عنه قدمى هذه على رقبة كل ولى لله تعالى ؟ فقال صدق ، رضى الله عنه يعنى أهل عصره وأما أنا فأقول قدماى هاتان على رقبة كل ولى لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ فى الصور . قال : فقلت له ياسيدى فكيف تقول إذا قال أحد بعدك مثل ما قلت ؟ فقال رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين لا يقوله أحد

بعدى ؛ قال : فقلت له ياسيدى قد حجرت على الله تعالى واسعا ألم يكن الله تعالى قادرا على أن يفتح على ولى فيعطيه من الفيوضات والتجليات والمنح والمقامات والمعارف والعلوم والأسرار والترقيات والأحوال أكثر مما أعطاك؟ فقال رضى الله عنه وأرضاه وعنا به : بلى قادر على ذلك وأكثر منه ، ولكنه لايفعله لأنه لم يرده ، ألم يكن قادرا على أن ينبئ أحدا ويرسله إلى الخلق ويعطيه أكثر مما أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم ؟ قال . قلت بلى لكنه تعالى لايفعله لأنه ما أراده فى الأزل ولم يسبق به علمه تعالى اه . وقال سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (أنا العامى) بتشديد الميم نسبة للعام جمع عامة ضد الخاصة (محضا) أى خالصا . وفى [مح] وقد أخبرنى سيدى محمد الغالى رضى الله تعالى عنه : أن الشيخ رضى الله تعالى عنه وعنا به قال يوما فى مجلسه : من كان يحبنى لله ورسوله فليحبنى ، ومن كان يحبنى لغرض فبالله الذى لا إله إلا هو أنا عامى صرف لم يكن لى شىء . وغفله سيدى محمد الغالى حتى قبل رجله وقال مرحبا بالعامى الصرف الذى فاق أصحابه أكابر الأقطاب ، فأجابه الشيخ رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به آمين بقوله : نعم وأى شىء فى ذلك عند الله تعالى اه ؛ وفى [د] أمن صاب نكون مسلمين والله ما شممنا رائحة الإسلام ، فقيل له أنت ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة وأنت تقول هذا فيقول كان ذلك حقا ولكن أمن صاب الخ ، وفيها نحن مساكين ماعندنا إلا الله والنبى صلى الله عليه وسلم فى الوجود اه . ولقد صدق رضى الله عنه وعنا به آمين ، ولذا قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

من كان صادقا من الإخوان ينشد يبقى مدا الزمان
مالى فى الكون سوى الرحمن والمصطفى وأحمد التجانى

(تواضعا) لله تبارك وتعالى لحديث ، من تواضع لله رفعه الله ، وفى آخر ، الجلوس مع الفقراء من التواضع وهو أفضل من الجهاد ، وفى آخر ، تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله وتخرجوا من الكبر ، وفى آخر ، براءة من الكبر لباس الصوف ومجالسة فقراء المؤمنين وركوب الحمار واعتقال العنز ، وفى [بغ] ومع ماجمعت من كرامات هذا الشيخ الجليل القدر كان فى غاية من التواضع من لم يعرفه لم يميزه بين أصحابه اه أى وراثة محمدية . وفى [جه] ومن أخلاقه العظيمة التى سبق فيها من قبله وأعجز من يأتى بعده : التواضع والآداب وحسن الخلق والمعاشرة ، رقيق القلب رحيما بكل مسلم متبسما فى وجه كل من لقيه ، كل من لقيه يظن أنه أقرب إليه من غيره لما يرى من طلاقة وجهه وحسن كلامه وكثرة إقباله ، حتى إذا لقيه المحزون زال حزنه بمجرد لقائه ، هينا لينا فى كل شىء حتى فى مشيه يذكرك قوله تعالى ـ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ـ الآية ، مارأيت أوسع خلقا ولا أوسع صدرا ولا أكرم نفسا ولا أعطف قلبا ولا أحفظ عهداً وودا ولا أكثر علما وفهما منه ، ومع جلالة قدره يقف مع الصغير والكبير ويجالس الضعفاء ويتواضع للفقراء اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال : ومع هذا كله رضى الله عنه تجده يتواضع فى نفسه لله وفى ذات الله لعباد الله أهل النسبة إلى الله وآل البيت النبوى وكل نسبة دينية ومحبة إيمانية ، أما فى نفسه فإنه لايرى لها قدرا ولا ينسب لها أمرا ولا يرى استحقاق شىء على أحد حتى أهله وعياله ، ويخدم نفسه وأهله ولاتستنكف نفسه عن فعل شىء كائنا ما كان ، ولا يحب امتيازا ولا اختصاصا بشىء ، ويرى لغيره المزية عليه

ويقول : لعل الله يرحمنا فى جماعة المسلمين ، وينسب لنفسه الأشياء الوضيعة ، ولا يرى نفسه من خصلة ذميمة أو فعلة قبيحة ، ويشهد حقوق الناس عليه ويقول : لم نوف لمن عرفناه حقه ولم نستوفه أبدا ، ويقول : المؤمن هو الذى يرى حقوق الخلق عليه ولا يرى لنفسه على أحد حقا . وأما التواضع فى الله لعباد الله فإنه يخدم بنفسه من والاه من الأصحاب وغيرهم فى الحضر والسفر ، لا يبالى بعناء نفسه فى ورد ولا صدر ولا يترك أحدا يشتغل بتعظيمه أو يميزه بشىء كتقبيل اليد ونحوه ، ولا يقدر أحد أن يسومه بشىء من ذلك ولا يرى نفسه أهلا لشىء من ذلك أبدا اهـ (فقبل) من التقبيل : وهو اللثم بالفم (رجليه) الشريفتين رضى الله عنه وعنا به آمين سيدى محمد الغالى أبو طالب الشريف الحسنى رضى الله عنه وعنا به آمين (صدوق) مبالغة فى الصدق والتصديق (الطوية) كعطية . وفى [س] الطوية الضمير والنية كالطية بالكسر اهـ .

فكن صادقا فى حبهم ومصدقا لأحوالهم واحذر مخالفة الشمس

(ورحب) من الترحيب أى قال له مرحبا وأهلا وسهلا (بالعامى) نسبة للعام ضد الخاص (فاقت) يقال فلان فاق أصحابه إذا علاهم فضلا وشرفا (صحابه) رضى الله عنهم وعنا بهم آمين (أكابر أقطاب الأنام) الناس (برتبة) عظيمة عجز عنها من ليس منهم . وعن سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين : لامطمع لأحد من الأولياء فى مراتب أصحابنا حتى الأقطاب الكبار ماعدا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ . وفى [د] لو اطلع أكابر الأقطاب على ما أعد الله تعالى لأصحابنا فى الجنة لبكوا عليه وقالوا ما أعطيتنا شيئا ياربنا ، قاله تحدثا بنعمة الله ونصيحة وترغيبا لأخذ طريقته المحمدية على منشئها أفضل الصلاة والسلام اهـ . وفى [جم] فائدة : سئل سيدنا رضى الله عنه هل يحصل لأصحاب الفاتح لما أغلق الخ مايحصل للعارفين من كثرة الخيرات والتجليات أم لا ؟ فأجاب رضى الله عنه قال : يحصل لهم أكثر منهم ، وأكده بقوله : إن العارفين لو اطلعوا على مايحصل لأهل هذا الشأن فى الدار الآخرة لبكوا عليه طول أعمارهم ، على مايشاهدون من عظيم فضل الله واختصاصه بمن أراد ، يختص برحمته من يشاء اهـ . وعن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين : أعمار الناس كلها ذهبت مجانا إلا أصحاب الفاتح لما أغلق فقد فازوا بالربح دنيا وأخرى ، ولا يشغل بها عمره إلا السعيد اهـ . ولا بدع أن يكون غير المفتوح عليه أكمل وأكبر فى الآخرة من المفتوح عليه فى الدنيا . وفى [هب] وسمعته رضى الله عنه يقول : شأن الفتح عجيب وأمره كله غريب ، وكم عبد لله محبوب عند الله تعالى يمنعه الله سبحانه من الفتح رحمة به ، وذلك أن فى الفتح أمورا إذا شاهدها المفتوح عليه قبل أن تطيب ذاته وأن تصل فى ساعة يرجع نصرانيا ، وفيه أمور إذا شاهدها يرجع يهوديا ، وكم من رجل لا يفتح عليه إلا عند خروج روحه ، وكم من رجل يموت غير مفتوح عليه ويبعثه الله تعالى على حالة هى أكمل وأكبر من المفتوح عليه ، انظره . وبهذا تعلم علم يقين وجه كون عوام الأحمدية أعلى مرتبة فى الآخرة من أكابر الأقطاب والأغواث فضلا عن غيرهم رضى الله عن الجميع آمين . قال رحمه الله :

(ورُوحى تَمدُّ العارفينَ وأوليا ورُوحُ النبى تَمدُّ أهل النبوة)

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنا به آمين أنه قال (روحى) الروح بالضم مابه حياة النفس يذكر ويؤنث (تمد) بضم فوقية من الإمداد وبفتحها من المد بفتح الميم كما مر (العارفين) بالله تعالى

قاطبة من حيث لاعلم لهم بذلك رفقا ورحمة بهم ، ولذا كان بعضهم يصرح بأنه يأخذ العلوم والمعارف والأسرار بلا واسطة راجع مامر (وأوليا) قصره للوزن : أى وتمد الأولياء كافة من لدن آدم إلى النفخ فى الصور (وروح النبى) بحذف الهمزة أو بتخفيف تحتية صلى الله عليه وعلى آله وسلم فالروح الشريفة الكريمة المطهرة (تمد) بضم فوقية وبفتحها كما مر (أهل النبوءة) أى سادتنا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام . وفى [د] قل لهم روحه الشريف صلى الله عليه وسلم وروحى هكذا ، وأشار بسبابته ووسطاه رضى الله عنه : من يوم أنشأ الله العالم والروح الشريف صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وروحى تمد الأقطاب والعارفين والأولياء ، ثم قال رضى الله عنه : وبعبارة أخرى هو صلى الله عليه وسلم : أكان أحد نال من الله لاعاقل ولاماجل من الأنبياء وغيرهم إلا بواسطته وتحت يديه صلى الله عليه وسلم ؟ قلت بلى ، قال وهو آخرهم عليه الصلاة والسلام . سببه أن بعض أصحابه رضى الله عنه سأله بعض الناس عن قوله رضى الله عنه : كل الشيوخ أخذوا عنى من عصر الصحابة إلى النفخ فى الصور ؟ فقال له صاحب الشيخ رضى الله عنه : نعم قالها ، قال له السائل وكيف ذلك وهو فى المائة الثالثة عشر ؟ فسئل رضى الله عنه عن كيفية ذلك فذكره لمؤلف هذه الأوراق اهـ .
قال رحمه الله :

(وما أحدٌ مِن أوليا الله كلهمْ يُسْكَنُ صَحبَهُ أعالِىَ جَنَّةِ
بدونِ الحسابِ والعقابِ سوى أنا ولو عملوا فى الذنبِ كلَّ جَرِيمةِ)

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين أنه قال (ماأحد) أى ليس أحد (من) أكابر الأقطاب والعارفين و (أوليا) قصره للوزن (الله) تعالى (كلهم) ممن تقدم أوتأخر من أمته صلى الله عليه وسلم فضلا عن أولياء الله فى الأمم السالفة رضى الله عنهم أجمعين وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين (يسكن) من التسكين يقال سكنته الدار وأسكنته إياها (صحبه) جمع صاحب كراكب وركب (أعالى) جمع أعلى كأفاضل جمع أفضل (جنة) وأعلاها عليون : أى مع السابقين الأولين ، فإن الله تعالى قدره وتبارك خيره قد خص سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين كما أخبره به سيد الوجود وعلم الشهود صلى الله عليه وسلم أنه لايتقدم عليه مع أصحابه أحد فى دخول الجنة إلا الصحابة رضى الله عنهم ، وأما عليون ففى [جه] ولايظن ظان أن عليين هى عموم الجنة على حد سواء بل النسبة بينهما لوخرجت حبة عنب أوغيرها من الثمار التى فى الجنة الأولى إلى الدنيا فضلا عن الحور لأطفأت نور الشمس ، ولوخرجت حبة عنب أوغيرها من الجنة الثانية إلى الأولى لأطفأت جميع أنوارهم وفتنتهم ، ولوخرجت حبة عنب أوغيرها من الجنة الثالثة إلى الثانية لأطفأت جميع أنوارهم ، ولو خرجت حبة عنب أوغيرها من الجنة الرابعة إلى الثالثة لأطفأت جميع أنوارهم ، ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من الجنة الخامسة إلى الرابعة لأطفأت جميع أنوارهم ، ولوخرجت حبة عنب من الجنة السادسة إلى الخامسة لأطفأت جميع أنوارهم ، ولوخرجت حبة عنب أوغيرها من السابعة إلى السادسة لأطفأت جميع أنوارهم وهى الفردوس : أى السابعة وعليون فوق الفردوس ولو خرجت منه حبة عنب أوغيرها إلى الفردوس لأطفأت جميع أنوارهم وفتنتهم عن كل ماعندهم ، وعليون مقام الأنبياء وأكابر الأولياء من هذه الأمة ومن اهتدى من الأمم السابقة من غير نبوة لامن عداهم فاعرف النسبة بين عليين والجنات وقس عليه كل ماخلق الله فى الجنة من الحور والقصور وغيرها اهـ

(بدون) أى من غير تقدم (الحساب و) لاتقدم (العقاب) لواحد منهم بمحض فضل الله وجوده وكرمه (سوى أنا) أى وحدى خصوصية ومزية له رضى الله عنه وعنا به آمين ، وليس هذا من باب قوله:

ثلاثة [١] مهلكة للعبد أنا ونحن وأبى وجدى

بل هو من باب التحدث بنعمة الله والتعريف بحاله ومرتبته والترغيب فى التمسك بطريقته والتشبث بأذياله ولو بمحبته وذلك من باب النصيحة لهذه الأمة المحمدية جزاه الله عنا أفضل ماجزى به شيخا عن مريده آمين . وفى الحديث «أنا النبى لا كذب أنا ابن عبدالمطلب . أناسيد ولدآدم ولافخر . وأنا أعلمكم بالله» وعن سيدنا على رضى الله عنه وعنا به آمين : أنا عبد الله وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا الصديق الأكبر لم يقلها أحد قبلى ولايقولها أحد بعدى إلا كذاب مفتر ، ولقد صليت قبل الناس سبع سنين اه (ولو عملوا) وفعلوا (فى الذنب كل جريمة) أى ذنب غير الشرك قال تعالى - إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء - ونرجو أن تكون هذه العصابة الأحمدية ممن يشاء بمحض فضله وكرمه وجوده وإحسانه .

فليصنع الركب ماشاءوا بأنفسهم هم أهل بدر فلايخشون من حرج

وفى الحديث « إن الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

وفى [جع] قال سيدنا رضى الله عنه فى بعض شطحاته : فلا يقدر أحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولاعقاب ولوعملوا من الذنوب ماعملوا إلا أنا وحدى ، كما هومذكور فى رسالة التحدث بالنعمة اه. ونصها: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ، يحمد الله يصل الكتاب إلى كافة أحبابنا بالأغواط كل واحد باسمه وعينه ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من أحمد بن محمد التجانى ، وبعد نسأل الله عز وجل أن يتولاكم بعنايته ، وأن يفيض عليكم بحور فضله وولايته . وأن يكفيكم هم الدنيا والآخرة ، وأن ينجيكم من فقر الدنيا وعذاب الآخرة ، يليه إعلامكم أن فضل الله لاحد له وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، وأقول لكم إن مقامنا عند الله فى الآخرة لايصله أحد من الأولياء ولا يقاربه لا من صغر ولا من كبر ، وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ فى الصور ليس فيهم من يصل مقامنا ولايقاربه لبعد مرامه عن جميع العقول وصعوبة مسلكه عن أكابر الفحول ، ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته منه صلى الله عليه وسلم ، وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولاعقاب ولوعملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصى ما بلغوا إلا أنا وحدى ، ووراء ذلك مما ذكر لى فيهم وضمنه صلى الله عليه وسلم أمر لايحل ذكره ولايرى ولايعرف إلا فى الدار الآخرة ومع هذا فلسنا نستهزئ بحرمة ساداتنا الأولياء ولانتهاون بتعظيمهم فعظموا حرمة الأولياء الأحياء والأموات ، فإن من عظم حرمتهم عظم الله حرمته ومن أهانهم أذله الله وغضب عليه فلا تستهينوا بحرمة الأولياء والسلام اه. وفى هذه الرسالة بشارة عظيمة لأصحاب سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين. اللهم حقق لنا هذه النسبة الفخيمة الرتبة، الجليلة المنقبة العزيزة المنال العديمة المثال آمين :

---

(١) (قوله ثلاثة) صوابه أربعة ، وقوله وأبى وجدى صوابه : ثم لى وعندى ، اه مصححه .

يارب حقق نسبي وحسبي بشيخنا أحمد مولى الرتب
آمين آمين ختام الله على لسان المؤمن الأواه

وفيه : وأقول للإخوان إن من أخذ وردنا وسمع ما فيه من دخول الجنة بلاحساب ولاعقاب وأنه لاتضره معصية إن سمع ذلك وطرح نفسه فى معاصى الله واتخذ ذلك حبالة إلى الأمان من عقوبة الله فى معاصيه ألبس الله قلبه بغضنا حتى يسبنا فإذا سبنا أماته الله كافرا ، فاحذروا من معاصى الله ومن عقوبته ومن قضى الله عليه منكم بذنب فلا يقربنه إلا وهو باكى القلب خائفا من عقوبة الله والسلام اهـ . ولذا قال غفر الله ذنبه وستر عيبه آمين :

(فَلَا تَتَّكِلْ وَاعْمَلْ بِهَدْيِ مُحَمَّدٍ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا فِى الصَّحِيفَةِ)

وإذا علمت ذلك (فلا تتكل) من الاتكال أى فلا تترك العمل وتعتمد على ما سمعت فإنه من المكر الخفى المنهى عنه شرعا قال تعالى - فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » وفيه التحذير من الاغترار بالأعمال ، وأنه ينبغى للعبد أن لايتكل عليها ولايركن إليها مخافة من انقلاب الحال عند الخاتمة للقدر السابق ، وينبغى للعاصى أن لايقنط ولغيره أن لايقنطه من رحمة الله التى وسعت كل شىء ومن تاب تاب الله عليه - وهو الذى يقبل التوبة عن عباده - الآية (واعمل) من العمل وهو الفعل قال تعالى - وافعلوا الخير لعلكم تفلحون - الآية وفى [جص] « اعملوا ولا تتكلوا فكل ميسر لما خلق له فذو السعادة ميسر لعمل أهل السعادة وذو الشقاوة ميسر لعملها » ، وفيه : ذر الناس يعملون فإن الجنة مائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة وأوسطها وفوقها عرش الرحمن ومنها تفجر أنهار الجنة فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » اهـ . وفى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا أو يمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا » وفيه : عن حذيفة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تمر على قلبين على أبيض مثل الصفاء فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض ، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لايعرف معروفا ولاينكر منكرا إلاماأشرب من هواه » انظره . وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن نكثر من الأعمال الصالحة عبودية لله تعالى من غير اتكال عليها دون الله قال صلى الله عليه وسلم « لايدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته » ، وهذه طريقة السلف الصالح رضى الله عنهم ، وكان سيدى على الخواص يقول : أكثروا من الأعمال الصالحة جهدكم فلعلها لا يتحصل منها كلها فى هذا الزمان مقدار أجر صلاة واحدة من صلوات السلف الصالح .

قلت : وقد ذهبت طائفة من الأولياء يسمون الملامتية إلى التقليل من النوافل خوفا أن يخطر على بالهم أن مثلهم لايعذبه الله لكونهم فعلوا الفرائض وزادوا على ما كلفوا فاقتصروا على فعل الواجبات ومؤكدات السنن ، وهؤلاء أفراد لايقتدى بهم فسلم لهم حالهم وشعار الدين قائم بغيرهم فاعلم ذلك اهـ (بهدى)

بفتح الهاء وسكون الدال (محمد) صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإن خير الهدى هديه صلى الله عليه وسلم وفى الحديث « من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد » وفى [جص] أما بعد « فإن أصدق الحديث كتاب الله وإن أفضل الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار . أتتكم الساعة بغتة . بعثت وأنا والساعة هكذا . صبحتكم الساعة ومستكم . أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلىّ وعلىّ وأنا ولى المؤمنين . وفيه : أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عوازمها وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الأنبياء وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير العلم ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتى الصلاة إلا دبراً ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرا ، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ، وخير ما وقر فى القلوب اليقين ، والارتياب كفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من جثى جهنم ، والكنز كى من النار والشعر من مزامير إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حبالة الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المآكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقى من شقى فى بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع ، والأمر بآخره وملاك العمل خواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب ، وكل ما هو آت قريب ، وسباب المسلم فسوق وقتال المؤمن كفر ، وأكل لحمه من معصية الله وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتأل على الله يكذبه ، ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يتبع السمعة يسمع الله به . ومن يصبر يضعف الله له ، ومن يعص الله يعذبه . اللهم اغفرلى ولأمتى ، اللهم اغفر لى ولأمتى أستغفر الله لى ولكم » اه . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتبع السنة المحمدية فى جميع أقوالنا وأفعالنا وعقائدنا ، فإن لم نعرف لذلك الأمر دليلا من الكتاب والسنة أو الإجماع أو القياس توقفنا عن العمل به ثم ننظر ، فإن كان ذلك الأمر قد استحسنه بعض العلماء استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ثم فعلناه أدبا مع ذلك العالم ، وذلك كله خوف الابتداع فى الشريعة المطهرة فنكون من جملة الأئمة المضلين ، وقد شاورته صلى الله عليه وسلم فى قول بعضهم : إنه ينبغى أن يقول المصلى فى سجود السهو سبحان من لا ينام ولا يسهو ، فقال صلى الله عليه وسلم : هو حسن ، ثم لا يخفى أن الاستئذان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكون بحسب المقام الذى فيه العبد حال إرادته الفعل فإن كان من أهل الاجتماع به صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة كما هو مقام أهل الكشف استأذنه كذلك ، وإلا استأذنه بالقلب وانتظر ما يحدثه الله تعالى فى قلبه من استحسان الفعل أو الترك . وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : ليس مراد الأكابر من حثهم على العمل على موافقة الكتاب والسنة إلا مجالسة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الأمر لا غير ، فهم يعلمون أن الحق تعالى لا يجالسهم إلا فى عمل شرعه هو ورسوله صلى الله عليه وسلم ، أما ما ابتدع فلا يجالسهم الحق تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم فيه أبدا ، وإنما يجالسون فيه من ابتدعه من عالم أو جاهل ، فعلم أنه ليس قصد

أهل الله تعالى بعباداتهم حصول ثواب ولا غيره فى الآخرة لأنهم فى الدارين عبيد والعبد لا يملك شيئا مع سيده فى الدنيا والآخرة وإنما يأكل ويلبس ويتمتع بمال سيده وسداه ولحمته من نعمته ، ولو أن الحق تعالى أعطاه شيئا لوجب عليه التبرى منه إلى ربه ، ولا يجوز له أن يشهد ملكه له طرفة عين فلهذا المشهد خرجوا فى جميع عباداتهم عن العلل النفسانية فرضوا عن ربهم رضى مطلقا ورضى عنهم رضى مطلقاً - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم - انظره (فكل) أى فكل إنسان وكل مخلوق (ميسر) ومهيأ (لما) كتب له وعليه (فى الصحيفة) أى فى صحيفته فى الأزل، وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « فرغ الله عز وجل إلى كل عبد من خمس : من أجله ورزقه وأثره ومضجعه وشقى أو سعيد » اه وعنه صلى الله عليه وسلم « إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكا ، ويؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة » فمن سبقت له السعادة صرف قلبه إلى عمل خير يختم له به وعكسه بعكسه . وفى الحديث «إن الذى سبق فى علم الله لايتغير ولايتبدل» وإن الذى يجوز عليه التغيير والتبديل مايبدوللناس من عمل العامل ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما فى علم الحفظة والموكلين بالآدمى فيقع فيه المحو والإثبات كالزيادة فى العمر والنقص منه . وأما مافى علم الله تعالى فلايتغير ولا يتبدل قال تعالى - لا تبديل لكلمات الله - ونقل بعضهم أنه مكتوب فى التوراة : «يا ابن آدم جعلت لك قرارا فى بطن أمك وغشيت وجهك بغشاء لئلا تفزع من الرحم وجعلت وجهك إلى ظهر أمك لئلا تؤذيك رائحة الطعام ، وجعلت لك متكأ عن يمينك ومتكأ عن شمالك ، فأما الذى عن يمينك فالكبد وأما الذى عن شمالك فالطحال ، وعلمتك القيام والقعود فى بطن أمك فهل يقدر على ذلك أحد غيرى ، فلما أن تمت مدة حملك أوحيت إلى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك فأخرجك على ريشة من جناحه ، لالك سن يقطع ولايد تبطش ولا قدم تسعى بها ، وأنبعت لك عرقين رقيقين فى صدر أمك يجريان لبنا خالصا حارا فى الشتاء باردا فى الصيف ، وألقيت محبتك فى قلب أبويك فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد ، فلما قوى ظهرك واشتد أزرك بارزتنى بالمعاصى واعتمدت على المخلوقين ولم تعتمد على ، وتسترت من رائك ، وبارزتنى بالمعاصى فى خلواتك ، ولم تستحى منى ، ومع هذا إن دعوتنى أجبتك ، وإن سألتنى أعطيتك ، وإن تبت إلى قبلتك » اه - إن الله بالناس لرءوف رحيم - فلله الحمد والشكر فى الأولى والآخرة . قال رحمه الله :

(وَبشرَ محبنا بِكُلِّ سعادةٍ وَخيرٍ ولايةٍ قبيلَ المنية)

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين أنه قال (بشر) من التبشير ضد الإنذار والتبشير يكون بالخير وقد يكون بالشر إذا قيد نحو - فبشرهم بعذاب أليم - قال تعالى - لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم - (محبنا) محبة صادقة لله وفى الله لالغرض فاسد دينى أو دنيوى (بكل سعادة) أبدية دنيا وأخرى (وخير) أى وبشره أيضا بخير (ولاية) وهبية لاكسبية بل بمجرد محبته لسيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين ، إذ «المرء مع من أحب» و«المرء على دين خليله

فلينظر أحدكم من يخالل ، ومن أحب قوما حشر معهم ومن كثر سواد قوم فهومنهم» . وفى [جص] كل نفس تحشر على هواها فمن هوى الكفرة فهو مع الكفرة ولا ينفعه عمله شيئا اه . قال تعالى : ـ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ـ الآية (قبيل) صغر للتقريب (المنية) بفتح الميم الموت . وفى [جه] قال رضى الله عنه : أبشروا إن كل من كان فى محبتنا إلى أن مات عليها يبعث من الآمنين على أى حالة كان مالم يلبس حلة الأمان من مكر الله ، وفيه : وأما من كان محبا ولم يأخذ الورد لم يخرج من الدنيا حتى يكون وليا ، وفيه : وأما فضل اتباعه فقد أخبر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن كل من أحبه فهو حبيب للنبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يموت حتى يكون وليا قطعا اه . وفى [جع] قال الشيخ رضى الله عنه : قال لى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم : أنت حبيبى وكل من أحبك حبيبنا ، وضمنت الولاية لكل من أحبنى ولو كان على أى حالة فتمسكوا بعهدنا اه كما مر . وفى [م] :

ولن يموت من يحب شيخنا إلا إذا نال ولاية المنى

قال رحمه الله :

(وَمنْ سبنا ولم يتب مات كافرًا فياحَسْرَةً لسابٍّ جنبي وعِترَتى

وقد ضمن النبيّ ذلكَ بقطعَةً بوعدٍ صَدُوقٍ منه صُونَا لحرمتى)

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنا به آمين : أنه قال (من سبنا) وشتمنا (ولم يتب) من ذلك بأن أصر على ذلك حتى مات والعياذ بالله . وأما من صدر منه ذلك وتاب وندم فإن الله يتوب عليه قال تعالى ـ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ـ وفى الحديث «كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» أى كل ما أذنبوا تابوا قال تعالى ـ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ـ (مات كافرا) أى خارجا عن دين الإسلام نعوذ بالله من الخزى والضلال ومن الشقاء والوبال . وفى [جع] ومنها : أى ومن كراماته رضى الله عنه قوله له صلى الله عليه وسلم : إن من سبك ولم يتب لا يموت إلا كافرا وإن حج وجاهد . قلت : إلا أن يكون شريفا من أهل البيت فإنهم لا يموتون على الكفر وإن عملوا من الذنوب ما عملوا لأنهم مطهرون اه . قال تعالى ـ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ـ وفيه : وسمعته رضى الله عنه يقول : لما أخبرنى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن من سبنى يموت كافرا قلت له : إن العارف بالله سيدى عبد الرحمن الشامى ذكر أن الحاج لا يموت على سوء الخاتمة . قال : قال لى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم : من سبك ولم يتب مات كافرا ولو حج وجاهد اه . فسب هذا الولى الكامل هو السم القاتل :

وجد السب فيه سما ولم يد ر إذا السم فى مواضع باه

وفى [د] من سرته مصيبتنا فالجنة عليه حرام اه (فياحسره) بتنوين من حسر عليه كفرح تلهف وندم (لساب) وشاتم (جنبى) الجنب والجانب شق الإنسان وغيره (وعترتى) بكسر مهملة وسكون فوقية نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون ممن مضى ، والمراد هنا كل من انتسب إليه رضى الله عنه وعنا به آمين بسبب دينى أو بدنى .

[تنبيه] من حضر من يسبه وعترته كمن يسبه إن رضى أو سكت ولم يرد عليه ـ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ـ الآية ، لكن :

إن السلامة من سلمى وجارتها أن لا تحل على حال بواديها

قال تعالى - وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين - وانظر ماوقع لعالم عصره وفريد دهره سيدى عبد الرحمن الشنجيطى رضى الله عنه وعنا به آمين . إذكان فى مجلس نيل فيه جانب الشيخ رضى الله عنه وعنا به آمين فسكت ولم يتكلم . وفى [غ] وحدثنى بعض الأصحاب من المبرزين فى العلم والفضل : أن سبب مرض هذا السيد الذى توفى منه أن بعض أهل فاس كانت عنده دعوة فدعاه من جملة من دعاه من العلماء والأماثل فباتوا عنده ؛ فلما كانوا فى أثناء الليل أخذوا يتذاكرون أخبار صلحاء الوقت فتناول بعضهم جانب الشيخ رضى الله عنه بشىء من الإنكار وساعده بعض الحاضرين على ذلك ، وهذا السيد سيدى عبد الرحمن مستحضر للجواب عن ذلك فلم يرد عليهم بشىء فأخذته سنة فى تلك الحال فرأى الشيخ رضى الله عنه وكأنه انقض عليه من الهواء فقال له : مالك لم تتكلم وما تصنع ههنا ؟ ثم أخذه بقوة وصعد به فى الهواء فانتبه مرعوبا وأحس بألم فى ذاته من حينه فكان ذلك سبب مرضه الذى توفى منه ، ولما احتضر كان يحدث بذلك تنبيها للغير وتنويها بشأن الشيخ رضى الله عنه اهـ (وقد ضمن) كفله والتزم به النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لسيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (ذلك) أى ما ذكر من موت من سبه وشتمه على الكفر إن لم تدركه العناية الربانية بالتوبة من ذلك (يقظة) بسكون القاف فالوزن ضد المنام (بوعد صدوق) أى دائم الصدق إذ وعده صلى الله عليه وسلم صادق أبدا لايتخلف وما ينطق عن الهوى (منه) أى صادر من النبى صلى الله عليه وسلم. وفى [جص] « العدة دين. ويل لمن وعد ثم أخلف، ويل لمن وعد ثم أخلف، ويل لمن وعد ثم أخلف » قاله صلى الله عليه وسلم ثلاثا (صونا) مصدر صانه حفظه (لحرمتى) . وفى [مس] الحرمة بالضم وبضمتين وكهمزة مالا يحل انتهاكه والذمة والمهابة اهـ . وفى [جه] أقول لكم إن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ضمن لنا أن من سبنا وداوم على ذلك ولم يتب لايموت إلا كافرا اهـ. قال رحمه الله :

(وكنتُ قسيمَ النارِ مثل أبى حسن فويلٌ لمبغضٍ لنا ولتتبق)

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنا به آمين أنه قال(كنت قسيم) أى حظ نصيب (النار) الأبدية أجارنا الله منها . وفى [د] أقول لهم كما قيل فى على بن أبى طالب رضى الله عنه هو قسيم النار من أحبنا يقال له ادخل الجنة ومن أبغضنا ومات على ذلك يقال له ادخل النار ؛ قاله تحدثا بنعمة الله . ولما سمع منه صلى الله عليه وسلم : من أحبه لا يموت إلا وليا ، ومن أبغضه ولم يتب لايموت إلا كافرا اهـ. حال كونى فى ذلك (مثل) شبه ونظير (أبى حسن) سيدنا على رضى الله عنه وعنا به آمين . وفى [جص] « على إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله . وفيه : علىّ باب حطة من دخل منه كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا » ، وفيه : على مع القرآن والقرآن مع على لن يتفرقا حتى يردا علىّ الحوض ، وفيه : على عيبة علمى ، ولذا كان سيدنا عمر رضى الله عنه وعنا به آمين يقول : لأبقانى الله إلى أن أدرك قوما ليس فيهم على ، ويقول : لولا على لهلك عمر لأنه يحل له المشكلات والمعضلات ، وفيه «على منى بمنزلة رأسى من بدنى» ، وفيه : «على منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لانبى بعدى» ، وفيه : «على يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين» واليعسوب : السيد والرئيس والمقدم ، فهو يلوذ به المؤمنون ، ويلوذ المنافقون والكفار والظلمة بالمال كما تلوذ النحل بيعسوبها الذى هو

أميرها ، ومن ثم قيل لعلى رضى الله عنه وعنا به آمين : أمير النحل ، انظر العزيزى [وفى] نصرة الشرفاء : اعلم أن هذه الشجرة النخبة الطاهرة جعلها الله فى هذه الأمة رحمة على قوم وعذابا على آخرين، ولهذا سمى النبى صلى الله عليه وسلم عليا قسيم النار من أحبه دخل الجنة ومن أبغضه دخل النار ، وقد قال فيه صلى الله عليه وسلم « من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، ومن أحب عليا فقد أحبنى ومن أبغض عليا فقد أبغضنى » انظرها . وفى مسلم قال على رضى الله عنه : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمين صلى الله عليه وسلم إلىّ أن لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق اه . ورحم الله من قال :

لعن الله من يسب عليا ... وحسينا من سوقة وإمام
يأمن الضب والحمام ولا يأ ... من آل النبى عند المقام

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

ليت شعرى ماذا يقول يزيد ... وعتاة بنى أميــة كلا
كيف يشتمون البرى عليا ... رب خــذهم جميعا أخذاً وبيلا
قتلوا الحسنين من غير شرع ... ماراعوا فيهما النبى وإلا
رب إن يزيد زده عــذابا ... وسعيرا مع الحجاج وغلا
وسلاسـلا فى الجحيم نكالا ... أحزنوا فيهما النبى والبتولا
واستحل العداء ماحرم الله ... وقد هتكوا حرم الرسولا
رب فاملأ بهم جحيما ونارا ... أغضبوا المصطفى وبنتا ونسلا
ليتنى جلدها إذ ذاك وحيا ... أنصر الحسنين نصرا جميــلا
فابك صاح دما على أهل بيت الـ ... مصطفى حزنا بكاء عويلا

وفى [جه] قال شيخنا رضى الله عنه فى فضل سيدنا على كرم الله وجهه قال : وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « كنت أنا وعلىّ نورين بين يدى الله تعالى ثم أودعنا فى صلب آدم فلم يزل ينقلنا من صلب إلى صلب إلى عبد المطلب فخرجت فى عبد الله وخرج فى أبى طالب ، ثم اجتمع نورنا فى الحسن والحسين فهما نوران من نور رب العالمين » وقال سيدنا رضى الله عنه : مايصل شىء فى الوجود من العلم مطلقا إلا من صهريج على رضى الله عنه لأنه باب مدينة علمه صلى الله عليه وسلم لا من الخلفاء الأربعة ولا الصحابة بأجمعهم . وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : انقسم العلم كله عشرة أجزاء تسعة كلها لعلى ما شاركه فيها أحد ، والعشر كله مقسوم بين الخلق ، وكان أعلم الخلق بالعشر الباقى . وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى أبى بكر « ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين على أفضل من أبى بكر » الحديث ، قلنا : إن الأفضلية فى الشخص ليست من كل وجه إلا فى شخص واحد فهو أفضل وأعلى فى جميع الوجوه وهو صلى الله عليه وسلم ، يقول عليه الصلاة والسلام : « فى كل أمة محدثون فإن كان فى أمتى فعمر منهم » فهذه الأفضلية لعمر والمحادثة مرتبة علية ودرجة زلفى يختص الله من أحبه من الصفوة الكبرى ، فعمر منهم ، واختص أبو بكر بمرتبة الإيمان والسر ، واختص على بمرتبة العلم الباطن الحقيقى لا العلم الظاهر ، والمحدث بفتح الدال هو الذى قيده الله فى حضرته فهو أبدا يحدثه ، والمحدث بكسر الدال هو الذى يتلقى الخطاب

عن الحق فى حضرته ثم إلى غيره اه (فويل) اسم واد من أودية جهنم أجارنا الله منها آمين . وفى [س] الويل حلول الشراه (لمبغض) من أبغضه ضد أحبه (لنا) أى لجانبنا (ولفتيى) جمع فتى وهو الشاب والسخى الكريم ، والمراد أصحابه رضى الله عنه وعنهم وعنابهم آمين ، ولبعض أهل الأحوال على لسان سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين :

الوقت وقتى والزمان زمانى ... والسبق سبقى والعنان عنانى
وإذا أراد الله نصرة عبده ... من ذا يطيق له على خذلان
من حبنى فليجتنب من سبنى ... إن كان صان محبتى ورعانى
وإذا محبى قد ألظ بمبغضى ... فكلاهما فى البغض مستويان
والله يكرم من أراد كرامتى ... ويهين ربى من أراد هوانى
الله ألف بين ود صحابنا ... ليغيظ كل منافق طعان
رحماء بينهم صفت أخلاقهم ... وخلت قلوبهم من الشنآن
نسجت مودتهم سدى فى لحمة ... فبناؤها من أثبت البنيــان ... اه

قال رحمه الله :

(كما ضمن الغنى له وَلنسلِه ... ومَعرِفةَ المولى بفَضلٍ وَمِنَّةٍ)

(ومن) كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين : أن النبى صلى الله عليه وسلم (كما) ضمن له مامر (ضمن) له أيضا صلى الله عليه وعلى آله وسلم (الغنى) بالكسر والقصر كإلى ضد الفقر وككتاب ما طرب من الصوت وكسحاب الرمل ، ولابن دريد رحمه الله فى المقصور والممدود :

فأرى الغنى يدعو الغنيـ ... ـى إلى المسامع والغناء

والبيت من الكامل المجزوّ المرفل (له) أى للختم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين لأن من كمال الداعى إلى الله تعالى أن تكون الدنيا فائضة عليه يطعم منها أتباعه وينفق عليهم منها ، ومن لم يكن كذلك فدعاؤه إلى الله ناقص ويطرقه الذل فى طلب اللقمة والخضوع لمن أتاه بها من أصحابه وغيرهم كما هو مشاهد بالعيان ، اللهم إلا إن كان مشربه موسويا فمن كان كذلك فاحتياجه إلى الناس أفضل من استغنائه عنهم : وفى (خل) وقد دعا موسى عليه الصلاة والسلام وطلب من ربه أن يغنيه عن الناس فأوحى الله تعالى إليه « ياموسى أما تريد أن أعتق بغدائك رقبة من النار وبعشائك رقبة من النار ؟ قال بلى يارب » قال : هو كذلك « أو كما قال ، فكان موسى عليه الصلاة والسلام يتغدى عند رجل من بنى إسرائيل ويتعشى عند آخر ، وكان ذلك رفعة فى حقه لتعدى النفع إلى عتق من منّ الله عليه بعتق رقبته من النار . قوله : وكان ذلك رفعة فى حقه الخ : أى وكذلك من كان قدمه من أولياء هذه الأمة المحمدية على قدم سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فإن للوارث ما للموروث ، وهذا والله أعلم مقصد من يسأل الناس من ساداتنا أصحاب المرقعات ـ قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ـ ، وسلم تسلم ، وعليك بخويصة نفسك تغنم . وفى [عم] وقد قالوا من شرط الداعى إلى الله تعالى أن لا يكون متجردا عن الدنيا بأن تخلو يده منها وذلك لأنه يحتاج ضرورة إلى سؤال الناس إما بالحال وإما بالمقال ، وإذا احتاج إلى الناس هان عليهم وقلّ نفعهم به بخلاف ما إذا كان ذامال يعطى منه المحتاجين

من مريديه وغيرهم فإن فقد الحال الذى يميل به قلوب المريدين إليه كان معه المال يميلهم إليه به ، ومن لا حال له ولا مال لا ينفعه المقال : وفى الحديث، عز المؤمن استغناؤه عن الناس وشرفه فى قيام الليل، انظره (ولنسله) أى ولده . وفى [جع] وضمن لى صلى الله عليه وسلم الغنى ما دمت حيا ولأولادى وأولاد أولادى : أى أولاد الصلب والحفدة اه . وقد سرت بفضل الله هذه الكرامة لأولاد القلب وراثة أحدية كما هو مشاهد ، وليس الخبر كالعيان :

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راء كمن سمعا

- قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم - ولذلك لا ترى أصحابه رضى الله عنه وعنابه آمين إلا فقراء فى زي الأمراء زادهم الله عزا وشرفا .

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين : أن النبى صلى الله عليه وسلم كما ضمن لهم الغنى ضمن لهم أيضا (معرفة المولى) جل جلاله . وفى [جع] وأما حد المعرفة فقال الساحلى رضى الله عنه هى إحاطة العبد بعينه قال الشيخ رضى الله عنه مع محادثة الحق له وعلمه ببعض ما احتوت عليه روحه من الأسرار والمعارف اه ،وسيأتى لها مزيد بيان بحول الله وقوته (بفضل ومنة) أى بمحض فضل الله وامتنانه وجوده وإحسانه سبحانه وتعالى . قال رحمه الله :

(وَمَن أَدْرَكَ التَّكْلِيفَ مِنهمُ يشفع لدى ألفِ ألفٍ من رجالٍ ونسوَةٍ)

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين السارية لأولاده رضى الله عنهم وعنابهم آمين أنه (من أدرك) ووصل وبلغ (التكليف) أى زمنه وهو زمن البلوغ (منهم) بإشباع الميم أى من أولاد صلبه ولا يبعد سريان هذه الكرامة الباهرة والمنقبة الفاخرة لأولاد قلبه وراثة أحدية وعناية محمدية (يشفع) من الشفاعة أو من التشفيع مع سكون ميم الجمع فى منهم : أى يشفعه الله، تعالى قدره وتبارك خيره بمحض فضله وكرمه (لدى) أى فى (ألف ألف) نفس من هذه الأمة المحمدية صانها الله من كل فتنة وبلية، وحماها من كل محنة ورزية آمين . وقوله (من رجال ونسوة) بيان لضمير منهم إذ لا فرق بين الذكور والإناث فى ذريته الطاهرة وسلالته الزاهرة ، كثر الله عددهم وأدام وجودهم وأنالنا مددهم آمين . ولصاحب [م] :

فى ألف ألف مرأة ورجل يشفع فرد من بنى هذا الولى

اللهم شفعهم وإيانا فينا بجاهه صلى الله عليه وسلم آمين :

يارب بالنبى والتجانى شفعهم ونسلهم فى الجانى
محمدسليل عبد الواحد وفصله وأصله والوالد
وكل مؤمن من الأنام من إنس اوجن بلا ملام
آمين آمين ختام الحق جعله على لسان الخلق

قال رحمه الله :

(وَيُكتب تسبيحُ العوالم كلها لخادمهم غداً يفوزُ بجنة)

(و) من كراماته السارية لهم أيضا رضى الله عنهم وعنابهم آمين : أنه (يكتب) أى بأمر الله تبارك وتعالى ملائكته أن يكتبوا (تسبيح) أى جميع ثواب ماسبحته به (العوالم) بكسر اللام جمع عالم بفتحها

وهو ماسوى الله تعالى (كلها) أى علويها وسفليها جامدها ومتحركها صامتها وناطقها لخادمهم لله وفى الله بنية صادقة وهمة جادة ؛ ويمكن أيضا سريان هذه الكرامة العظيمة المقدار لأولاد قلبه وراثة أحمدية وعناية محمدية وما ذلك على الله بعزيز وهو أهون عليه (غدا) أى يوم القيامة (يفوز) بظفر خادمهم ببركة خدمته لهم رضى الله عنهم وعنابهم آمين (بجنة) عالية قطوفها دانية «من كثر سواد قوم فهو منهم ومن أحب قوما حشر معهم» :

وإذا سخر الإله أناسا ... لسعيد فإنهم سعداء

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

بخدمتى لنسل ذا التجانى ... بالمدح والدعاء بالرضوان
لعلنى أجنى بذا خيرا لأمل ... فنية المؤمن خير من عمل
يارب بارك لنا فى ذا النسل ... واجعلهم فى العد فوق النمل
ومن حماة الدين والإسلام ... ومن أساة الجهل والظلام
ومن أطبة القلوب بالهدى ... ومن ثواقب الدجى فى الاهتدا
واحفظهم من إنس ومن جان ... بالمصطفى وأحمد التجانى
آمين آمين ختام الله ... على لسان المؤمن الأواه

قال رحمه الله :

(مَتى حلَّ بلدةً تفيضُ بأنعُمٍ ... وقدْ كُفِيَ الأرزاقَ من غيرِ كُلفةٍ)

ومن كراماته رضى الله عنه وعنا به آمين الشائعة فى الأمصار والبلدان التى شوهدت بالعيان : أنه (متى حل) يقال حللت المكان أحله بالضم والكسر نزلت به (بلدة) من البلدان (تفيض) من فاض الماء كثر حتى سال (بأنعم) جمع نعمة بكسر النون وتجمع على نعم كقربة وقرب . وفى [جم] ومن كراماته رضى الله عنه : أن كل بلدة نزل فيها كثرت فيها الخيرات وهذا مما يشهد به أهل كل موضع حل فيه إلا أن يجحدوا نعمة الله عليهم ، وأما أحبابه فإن هذا أمر مجرب عندهم مرارا لايشكون فيه ، ولهذا كل واحد يرغب فى نزوله فى وطنه ، انظره .

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين أنه (قد كفى) بالبناء للمفعول من كفيته المؤنة (الأرزاق) جمع رزق بكسر الراء ما ينتفع به أى كفاه الله تعالى بمحض فضله وكرمه مؤنة الأرزاق وهمها (من غير) وجود (كلفة) بالضم ماتكلفته من نائبة وحق أو كل مافيه مشقة . وفى [جم] وأما تيسير الأرزاق والبركات فيها وفيضانها دائما فشاهد عند الخاص والعام حتى عند أهل الانتقاد من غير تعب ولا تجارة ولا حرث ، وهى من كرامات منزل أهل التقوى ، انظره . وهذه الكرامة قد سرت فى الإخوان سريان الروح فى الأبدان كما هو مشاهد بالعيان. وأخبرنى من أثق به أنه سأله من استغرب حاله وسكناه بالمدينة مع إعراضه عن الأسباب مع أنه يقول بها ويحرض عليها غيره ، فلما سأله عن معيشته مع هذا الحال الذى هو فيه ؟ فقال له : سل الشيخ أبا الفيض أحمد بن محمد التجانى يخبرك عن حالى وعن معيشتى قال تعالى - وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها - وأخبرنى أنه مااهتم بشىء من ضرورياته إلا وقد تيسر له بلا سبب ولا طلب

ولا كدٌّ ولاتعب ـ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ـ قال رحمه الله :

(كما كُفِيَ العِدَا وكلَّ المَصائِبِ كذَا مَنْ يُحِبُّهُ بِصِدْقِ مَحبَّةِ)

ومن كراماته رضى الله عنه وعنابه آمين أنه (كما) كفى ماهو (كفى) أيضا هم وشر (العدا) بكسر العين وضمها . وفى [ص] العدو ضد الصديق للواحد والجمع والذكر والأنثى ، وقد يثنى ويجمع ويؤنث ، جمعه أعداء وجمع الجمع أعاد والعدا بالضم والكسر اسم الجمع ، والعادى العدو جمعه عداة اه . وفى [جع] وأما وقايته من الأعداء مع كثرتهم ولم يمكنهم الله منه ، وكل هذا من كرامة هذا المنزل : يعنى منزل الإخلاص ، وفيه قال : قال لى صلى الله عليه وسلم : كل من سعى فى هلاكك أو إذايتك فأنا غضبان عليه ، ومن غضب عليه صلى الله عليه وسلم لم تكتب له صلاته ولم تنفعه اه . وفى [د] من فضل الله لم يواجهنى أحد بسوء قط ، وفيها : سمعت فى الحضرة الإلهية أنى لا تصل إلى يد أحد بسوء أبدا ثم قال وهكذا بقى رضى الله عنه فى عصمته حتى لقى الله اه . وفى [م] :

ولم يواجهه بمكروه أحد من الخلائق على طول الأبد
وكان محفوظا من الأعداء جميعها من غير ما مراء

وفى [جص] كفى بالمرء نصرا أن ينظر إلى عدوه فى معاصى الله . قال الحفنى : أى متى رأى شخص عدوّه منهمكا فى المعاصى كفاه ذلك نصرا عليه لأنه مخذول دنيا وأخرى ، ولابد أن يحصل له الوبال والدمار فى الدنيا وعذاب الآخرة أشد فقد رأى فى عدوه ما يسره اه لكن المؤمن أخو المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فينبغى للمؤمن إذا آذاه أو أساء إليه أحد من هذه الأمة المحمدية ، وأحرى هذه العصابة الأحمدية أن يتوجه إلى الله تعالى بقلبه أن يغفر له ولأخيه ذنوبه وأن ينقذه مما هو فيه من الإذاية وأن يرزقه التوبة والإنابة وأن يحسن إليه بقدر الإمكان قال تعالى ـ ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ـ الآية (و) كما كفى (كل المصائب) جمع مصيبة من عطف العام على الخاص (كذا) أى كفى شرورهمُ العدا وكل المصائب (من يحبه) رضى الله عنه وعنابه آمين (بصدق محبة) أى ملتبسا بمحبة صادقة . وفى [جع] ثم قال رضى الله عنه : وضمن لى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم الأمان من البلاء ، قلت له بلاء الدنيا والآخرة ؟ قال رضى الله عنه : أوليس قال صلى الله عليه وسلم : أنت من الآمنين وكل من أحبك من الآمنين ؟ فقلت نعم ، فلله الحمد والمنة على هذه الكرامة العظمى اه .

واعلم أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق أن أصحاب هذا القطب المكتوم والختم المحمدى المعلوم بمحض فضل النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم مصونون من البلايا والنقم والفتن ، محفوفون بسوابغ النعم والمنن ، ملطوف بهم لطفا عاما ولطفا خاصا ـ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ـ وأخبرنى من أثق به أنه قال : منذ عقلت ماواجهنى أحد بسوء ولا تعرض لى بمكروه والله أحمدية ـ هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم ـ اللهم لك الحمد ولك الشكر على ما أسديت وأوليت ومننت به على وأعطيت فى الأولى والآخرة :

لقد أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى

قال رحمه الله :

(وقد كانَ يحمى الجارَ لُذْ بجواره فتنجوُ منَ الأسوا ومن كل محنة)

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنا به آمين : أنه (قد كان) للدوام والاستمرار (يحمى) من الحماية وهى المنع والوقاية بهمته النافذة وسطوته القاهرة (الجار) جمعه جيران وأجوار وجيرة وهو المجاور ومن أجرته من أن يظلم وماقرب من المنازل والحليف والناصر ، وفى الحديث « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه يورثه ، ومازال يوصينى بالنساء حتى ظننت أنه سيحرم طلاقهن ، وما زال يوصينى بالمملوك حتى ظننت أنه يضرب له أجلا أو وقتا إذا بلغه عتق ، وفيه : أو صيكم بالجار . وفيه : أول خصمين يوم القيامة جاران : أى آذى أحدهما الآخر فتطلب مداراته وإن كان مؤذيا » ورحم الله من قال :

دار جار السوء إن جار وإن لم تجد صبرا فما أحلى النقل [1]

وفيه : وتعوذوا بالله من ثلاث فواقر [2] : جار سوء إن رأى خيرا كتمه وإن رأى شرا أذاعه ، وزوجة سوء إن دخلت عليها لسنتك وإن غبت عنها خانتك . وإمام سوء إن أحسنت لم يقبل وإن أسأت لم يغفر . وفيه : ثلاث خصال من سعادة المرء المسلم فى الدنيا : الجار الصالح ، والمسكن الواسع ، والمركب الهنىء . وفيه : حق الجار إن مرض عدته ، وإن مات شيعته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن أعوز سترته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ، ولا تؤذه بريح قدرك إلا أن تغرف منها له » اه » وشكى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاره فقال له صلى الله عليه وسلم : كف عنه أذاك واصبر لأذاه فكفى بالموت مفرقا . وقال : كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول يارب هذا أغلق بابه دونى فمنع معروفه . ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع إلى جنبه » قال الحفنى : فلا ينبغى للإنسان أن يشبع إلا إذا شبع جاره من زوجة وخادم الخ ، ولذا دعا شخص النبى صلى الله عليه وسلم لضيافة فقال له : إن كان فتكون معى عائشة فلم يرض فترك صلى الله عليه وسلم إجابته لكراهته أن يشبع وزوجته جائعة لعدم وجود شىء فى حجر أزواجه صلى الله عليه وسلم إذ ذاك اه . لحديث « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به » وروى « والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن . قيل من يارسول الله؟ قال من لا يأمن جاره بوائقه » والمطلوب من الإنسان أن يحسن إلى الجيران بقدر الطاقة والإمكان ، ومن الجار الزوجة والخادم ونحوهما فإنهما أشد جوارا من الجار الملاصق للدار فيطلب الإحسان إليهم أكثر ، وأشد منهما الحفظة الكرام اللذين ليس بيننا وبينهم جدار ولا حائل ، فينبغى للمؤمن أن لا يؤذيهم بارتكاب السيئات واقتحام المخالفات ، وأن يكرمهم بامتثال المأمورات والإكثار من الطاعات ، وقد ثبت أنهم يفرحون بالحسنات ويحزنون بالسيئات ، فهم أولى بالإكرام من كثير من الجيران (لذ) بذال معجمة من لاذ بالشىء تحصن به (بجواره) بكسر الجيم وضمها وهو أن تعطى الرجل ذمة فيكون جارك بها فتؤمنه وتجيره (فتنجو) نصب بفتحة مقدرة على الواو إجراء للمنقوص على سنن واحد (من الأسوا) قصره للوزن جمع سوء

---

(١) النقل جمع نقلة كغرفة وغرف : بمعنى الانتقال اه .

(٢) فواقر جمع فاقرة بالقاف : وهو عظم الظهر اه .

الأحزان والأهوال (ومن كل محنة) بكسر الميم جمعها محن كسدرة وسدر يقال محنه كمنعه ضربه واختبره.
وفي [د] أن مخزن الوقت أراد أن يجيز ماء في دار أيتام جيران لسيدنا رضي الله عنه فامتنع مقدمهم من ذلك وقال إن غلبت على أمري أدفعهم لدار الشيخ وهو يتكلم في شأنهم ، فأخبر بذلك فقال بالحق جيراني ما يجوزهم لا في الدنيا ولا في الآخرة ، فحول الله قلب المخزن وجوز الماء في المحجة اهـ .
ولبعض الأماثل من قصيدة يمدح بها سيدنا أبا الفيض رضي الله عنه وعنا به آمين :

فدعني أجر الذيل فخرا به ومن ... يكن جيرة (١) التجان قد خص بالفخر
فزد يا فقيرا في هواه تولعا ... وعمرك فاقطعه سرورا به وادر
ولا تلتفت أصلا وقدم جميع ما ... يصدك عنه واقطع الشفع بالوتر
فأنواره تجلي القلوب من الصدا ... وأوراده تكفي المريد من الحشر
عليك به يا كل من هو طالب ... ورام وصولا عن قريب ومضطر
وجد وجد بالنفس وارض بحبه ... فإنك تلقى النصر في العسر واليسر
يكل لساني عن حقيقة مدحه ... فياعجبا هل ينقص الدلو من بحر
فيارب بالمختار من آل هاشم ... وإخوانه أولي العناية والصبر
فصل وسلم دائما متواليا ... على من سما قدرا على ليلة القدر اهـ

قال رحمه الله :

(وناب النبيُّ عنهُ في هَمٍّ صَحبهِ ... بدُنيا وأخرى والسؤالِ وَسَكرَةِ)

(و) من كراماته رضي الله عنه وعنا به آمين : أنه (ناب) أي قام مقامه (النبي) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (عنه) أي عن الختم سيدنا أبي الفيض رضي الله عنه وعنا به آمين (في هم) وهو ما يعتري الإنسان من الهم ولا شيء أعظم على الإنسان منه، ولذا كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم كثيرا ما يستعيذ بالله منه ، وهو من الأمور التي تسرع بالشيب المجموعة في قول بعضهم :

الشيب من سبعة يأتي الرجال ومن ... يأتي له السبع لم يأمن الخطر
هم ودين ركوب البحر رابعها ... موت البنين عيال عند مفتقر
قهر الرجال وقطاع الطريق حكوا ... وقيل من بلغم يأتي بلا نكر
شاب الخليفة قالوا شبت قال لهم ... من المنابر خوف اللحن فاعتبر
وقيل للمصطفى قد شبت قال لهم ... هود وإخوتها قد صح في الخبر اهـ

ورحم الله من قال :

كن عن همومك معرضا ... وكل الأمور إلى القضا
وأبشر بخير عاجل ... تنسى به ما قد مضى
فلرب أمر مسخط ... لك في عواقبه رضى
ولربما اتسع المضيـ ... ـق وربما ضاق الفضا
الله يفعل مايشا ... ء فلا تكن متعرضا
الله عودك الجميـ ... ـل فقس على ما قد مضى

---

(١) (قوله جيرة) جمع جار اهـ .

وفى [جص] « إذا قصر العبد فى العمل ابتلاه الله تعالى بالهم . وفيه : إذا كثرت ذنوب العبد فلم يكن له من العمل مايكفرها ابتلاه الله بالحزن . وفى رواية : بالهم ليكفرها عنه . وفيه : إن فى الجنة درجة لاينالها إلا أصحاب الهموم » وعن سيدنا على رضى الله عنه وعنا به آمين أنه قال : أشد خلق ربك عشرة : الجبال والحديد ينحت الجبال ، والنار تأكل الحديد والماء يطفئ النار ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء والريح ينقل السحاب والإنسان يتقى الريح بيده ويذهب فيها لحاجته ، والسكر يغلب الإنسان والنوم يغلب السكر والهم يمنع النوم ، فأشد خلق ربك الهم ، انظر العزيزى ، وهو ممدوح فى أمور الآخرة ولذلك قالت رابعة العدوية لرجل رأته مهموما : إن كان همك من أمر الآخرة فزادك الله هما وإن كان من أمر الدنيا ففرج الله همك (صحبه) أى أصحابه رضى الله عنهم وعنا بهم آمين(بدنيا) بضم دال مهملة نقيض الآخرة جمعها دنى كدنية ومدى. وفى [جص] « تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فإنه من كانت الدنيا أكبر همه أفشى الله ضيعته وجعل فقره بين عينيه ، ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله تعالى له أمره وجعل غناه فى قلبه ، وما أقبل عبد بقلبه إلى الله تعالى إلا جعل له قلوب المؤمنين تفد إليه [1] بالود والرحمة وكان الله تعالى بكل خير إليه أسرع » (وأخرى) بضم الهمزة والأخرى والآخرة دار البقاء (والسؤال) أى وفى حال سؤال الملكين فى القبر . وفى [جص] « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه حتى أنه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم ، فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا ، ويفسح له فى قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا إلى يوم يبعثون . وأما الكافر أو المنافق فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول لاأدرى كنت أقول مايقول الناس ، فيقال له لا دريت ولا تليت ، ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه . وفيه : فتنة القبر فىّ ، فإذا سئلتم عنى فلا تشكوا » وفى [جع] سئل سيدنا رضى الله عنه عن مسئلة وهى أن النبى صلى الله عليه وسلم هل يأتى مع ملكى السؤال لقولهما وما تقول فى هذا الرجل الخ أم لا . وعلى أنه يأتى هل يكشف للميت أم لا أم يراه السعيد دون غيره بينوا لنا بفضلكم ونور علمكم بيانا شافيا بارك الله لنا فيكم والسلام ؟ فالجواب والله الموفق للصواب بأنه صلى الله عليه وسلم يأتى مع الملكين بدليل قول الملك له وما علمك بهذا الرجل الذى بعث فيكم ، فإنه لايشار بذا إلا للحاضر ، فلو كان غائبا لقال وما علمك بالرجل الخ ، فلما قال له هذا فهو تصريح بأنه حاضر معهما صلى الله عليه وسلم . وكون الميت يراه أولا يراه فيجب التوقف فيه لعدم الدليل على أحد الوجهين ، وأما كونه حاضرا معهما أولا فيحتمل أن يكون بالعادة البشرية على ما تعهده العامة ، ويحتمل أن يكون بالصورة الروحانية ولا يعلم حقيقتها إلا العارفون بالله لا غير . وصورتها أنه لا يخلو منه مكان ويتراءى فى كل مكان فى الآن الواحد ، وتلك الحقيقة والصورة بها يتراءى ملك الموت عليه الصلاة والسلام فإنه فى الآن الواحد يقبض ألف ألف روح فى أمكنة متباينة وكل روح تراه عندها حاضرا معها ، وهكذا ملائكة السؤال فإنهما مثلا

(قوله تفد) من الفديد وهو العدو يقال فد فدعدا هاربا من سبع أوعدو اه .

فى الآن الواحد يسألان ألف ألف ميت فى أمكنة متباعدة فى غاية البعد وكل ميت يراهما عنده حاضرين يسألانه، وهذه الحقيقة الروحانية لا يدركها إلا العارفون بالله وهى معروفة عندهم صورة وحكما وذوقا لا يشكل عليهم من أمرها شىء . وهى مستحيلة الوجود عند أرباب الحجاب ومن ادعاها عندهم فهو كاذب قطعا فى علمه وربما كفروه جهلا منهم ، وأما العارفون بالله لايشكل عليهم من أمرها شىء والسلام .

[تنبيه] لايسئل فى قبره الشهيد والمرابط والمطعون ، وكذا من مات فى زمن الطاعون بغير طعن إذا كان صابرا محتسبا ، والأطفال لأن السؤال يختص بمن يكون مكلفا ، والميت يوم الجمعة أو ليلتها والقارئ كل ليلة - تبارك الذى بيده الملك - وبعضهم يضم إليها السجدة ، ومن قرأ فى مرضه الذى يموت فيه قل هو الله أحد . قال بعضهم : السؤال فى القبر عام لكل مكلف ولو شهيدا إلا شهيد المعركة إذ الشهادة تحصل بأمور : منها ما جمعه بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه بقوله :

وسم الشهيد من بمعركة قتل	ومن مات بالطاعون والهدم والحرق
وبالبطن والحمى وبالجنب والنفا	س والسم واللدغ وبالسل والغرق
وبالسبع (١) والنفاس علم وغربة	وبالسجن عدوانا وبالشرق والعشق
ومن مات دون ماله أو عياله	ومن قد تردى فى شواهق أو شق

(و) فى حال (سكرة) الموت أى شدته . وروى « أنه لما احتضر صلى الله عليه وسلم وضعت له قارورة فيها ماء يرش على وجهه الشريف مما أصابه ويقول اللهم أعنى على غمرات الموت وعلى سكرات الموت » وعن عائشة رضى الله عنها وعنا بها آمين « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين يديه ركوة فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لاإله إلا الله إن للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول فى الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده » اهـ . وروى ابن أبى شيبة فى سننه : أن طائفة من بنى إسرائيل أتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لوصلينا ركعتين وسألنا الله تعالى يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت ، ففعلوا فبينما هم كذلك إذا طلع لهم رجل من قبره رأسه أسود اللون خلا شىء بين عينيه من أثر السجود فقال : ياهؤلاء ما أردتم إلىّ لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عنى مرارة الموت إلى الآن . وفى [حص] « أدنى جبذات الموت بمنزلة مائة ضربة من السيف . وفيه : أقل من الذنوب يهن عليك الموت وأقل من الدين تعش حرا » وروى « أن من أطعم أخاه الحلواء لم يذق حرارة الموت » والحلواء كل طعام ممزوج بحلو من عسل وسكر وغيرهما . وفى [ثبق] عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قال الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى لا أخرج عبدا لى من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه كل خطيئة عملها بسقم فى بدنه أو إقتار فى معيشته أو خوف فى دنياه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر ، فإن بقى عليه منها شىء شددت عليه الموت حتى يلقانى كيوم ولدته أمه ، وعزتى وجلالى لا أخرج عبدا من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها بصحة فى بدنه أو رغد فى معيشته أو أمن فى دنياه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر ، فإن بقى له منها شىء هونت عليه الموت حتى يلقانى وليس له حسنة يتقى بها النار » انظره . وفى [د] هو صلى الله عليه وسلم كفانى الحضور مع أصحابى

(١) السبع بسكون موحدة لغة فى السبع بضمها وتفتح معروف .

عند الموت وعند السؤال . وفى [م] :

لدى الممات والسؤال يحضر نبينا وذالهم مفتخر

وفى [غ] وحدثنى بها يعنى بهذه الفضيلة والكرامة بعض العلماء الأجلاء من خاصة أصحابه رضى الله عنه ومشاهير أعيانهم نفعنا الله ببركاتهم . قال قدس الله سره : حضرت مع والدى وكان ممن أخذ الطريق فى أول ظهورها عن سيدنا الشيخ جعلنا الله فى حماه ، وكان قد طال عهده رضى الله عنه برؤيته يعنى والده المذكور ، فسأله الشيخ من أنت؟ فقال إن المشايخ يعرفون تلامذتهم بظهر الغيب ويحضرون معهم عند الموت فى كلام ينحو منحى هذا ، فقال سيدنا رضى الله عنه مجيبا له عند ذلك : هو صلى الله عليه وسلم كفانى الحضور مع أصحابى عند الموت وعند سؤال الملكين فى القبر ففرح الحاضرون بهذه البشارة العظيمة ، ثم قال : وقد ظهر والحمد لله مصداق هذه البشارة العظيمة بين الأصحاب فى سائر البلاد حتى شهد بها غير ما مرة من حضرها من أهل الانتقاد . فكثيرا ما أخبر بذلك المحتضرون من الرجال والنساء والعبيد والإماء من أهل هذه الطريقة المباركة فى ذلك الموطن العظيم ، وكثيرا ما ظهرت آثار ذلك والشواهد الحالية على من لم يفصح بالإخبار به ، جعلنا الله من المتعلقين بأذياله والثابتين على حبه وحب من يحبه بجاه سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وسلم آمين آمين آمين ، والحمد لله رب العالمين انظرها . وفى [مح] قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به : إن أصحابنا لا يدخلون المحشر مع الناس ولا يذوقون مشقة ولا يرون محنة من تغميض أعينهم إلى الاستقرار فى عليين . وقال رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به : إن أصحابنا يوم القيامة ليسوا مع الناس فى الموقف بل هم مكتنفون فى ظل العرش فى موضع وحدهم ، ولا يقدم عليهم أحد فى دخول الجنة إلا الصحابة رضى الله تعالى عنهم . وفيه : إنهم لا يذوقون حرارة الموت وهى سكراته ، وإن من لازم حزب السيفى صباحا ومساء لا يذوق حرارة الموت أصلا بل تخرج روحه وهو لا يشعر ولا يتوجع ، وإن من لازم : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته مائة مرة كل يوم فإنه لا يذوق سكراته أيضا . وفيه : وقد أخبرنى سيدى محمد الغالى رضى الله تعالى عنه وأنا معه فى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام أن الشيخ رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به كان يحض على ذلك والدوام عليه ويقول : المداوم عليه لا يذوق حرارة الموت اه .

قلت : وقد رأيت فى بعض الكتب أن بعض الصالحين داوم عليه فمات وهو ساجد فى الصلاة اه .

قال رحمه الله :

(وقيلَ لهُ فى الغيْبِ هذا عَطاؤنا كما لابنِ داوُدِ عليه تحيَّتِى)

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنا به آمين : أنه (قيل له فى) عالم (الغيب) ضد عالم الشهادة وراثة محمدية . وفى البخارى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أرانى أتسوك بسواك فجاءنى رجلان أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الأصغر منهما فقيل لى كبر فدفعته إلى الأكبر منهما » اه . وفى [غ] المراد بقول الأولياء قيل لى الإلهام الصحيح المختص بالأكابر ، وهو أن يقع ذلك فى نفسه وقوعا لا يمكن تكذيبه ولا يصح رده ولا يصحبه هوى يثلج به الصدر وينشرح به القلب قاله الشيخ زروق . وقال بعض المحققين : هو معنى يجده الولى فى نفسه من غير تعلق بحس ولا خيال فيخرج

إتيان الملك بالأمر الإلهي كما تخرج الرؤية في قول والواقعة أيضا ، ثم قال : وبالجملة فما يلهمه الأولياء ويخاطب به عوالمهم اللطيفة أصل متين من الأصول المعتمدة عندهم رضي الله عنهم ، ودليله من السنة قوله صلى الله عليه وسلم « إنه كان فيمن قبلكم محدثون وإن كان في أمتي فعمر منهم » أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، ومحدث كمعظم الصادق في ظنه وفراسته ، وقيل هو الملهم من الله تعالى كأن الملك يحدثه وفي الحديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل » ورحم الله من قال :

يرى عن ظهر غيب الأمر ما لا ... يراه عين آخر عن عيان

وفي آخر « احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله » وفي [جص] « قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم أناس محدثون فإن يك في أمتي منهم أحد فإنه عمر بن الخطاب » قال الحفني : وقصر ذلك على سيدنا عمر بالنسبة لزمانه وإلا فقد وجد في هذه الأمة أولياء كثيرون يخبرون بالغيب فهم عوض عن أنبياء بني إسرائيل في الأمم السالفة الذين كانوا يخبرونهم بالغيوب ، وقد وقع أن شخصا سأل وليا عن مسئلة تتعلق بأهل الله فالتفت إلى يمينه ويساره ثم إلى قلبه وأجابه وقال : سألت ملك اليمين ثم ملك اليسار عن جواب سؤالك فكل قال لا أدري ، فسألت قلبي فوجدت جوابك كذا وكذا ، فعرفت أن قلبي أعلم من الملكين ، لكن محل جواز العمل بما ألهم به الولي في نفسه وغيره إن وافق الشريعة فإن لم يجد منصوصا في الشرع ترك العمل به في نفسه وغيره اه . وفي [جع] لطيفة في معنى المكالمة والمحادثة عند القوم . قال سيدنا رضي الله عنه : إذا رحم الله عبدا من عباده بسماع كلامه فإنه يزيل عنه الحجاب ويختطفه عن حسه حتى يغيب عن كل شيء وتغيب عنه حتى ذاته ولا يدري أين هو في ذلك الحال ، ثم يسمعه الله من كلامه ما قسم له من غير حرف ولا صوت ، ثم يرده إلى الحجاب فيرجع إلى حسه وحاله الأول ، ثم يسمع أيضا كلاما في عوالمه اللطيفة التي هي مراتب الروح من السر والخفاء والإخفاء وسر السر فيغيب أيضا غيبة مثل الأولى حتى لا يشعر بشيء من الكون حتى ذاته ، ثم يرد إلى حسه ويصحى من غيبته فيجد عنده كلاما في سره ويعلم جميع ما شاهده في الحالتين فعند ذلك يعبر عنه بما أراد ، ثم قال : قال سيدنا رضي الله عنه : وسماع كلام الله تعالى لمن سمعه لا بأذن فقط بل بجميع أجزاء ذاته كلها حتى تصير كل ذرة من ذاته تلتذ مثل جميع ذاته بكمالها ، رزقنا الله ما رزق أحبابه وأصفياءه آمين ، انظره (هذا عطاؤنا) فامنن أو أمسك بغير حساب ـ والعطاء : التفضل المحض الوارد من المتفضل بالكسر على المتفضل عليه بالفتح لا على سبيل الاستحقاق والوجوب (كما) قال الله تبارك وتعالى ذلك (لابن داود) بالصرف وهو سيدنا سليمان على نبينا و (عليه) وعلى جميع الأنبياء (تحيتي) أي سلامي فسيدنا أبو الفيض رضي الله عنه وعنا به آمين من الأولياء الراسخين في القدم السليماني . وفي [غ] قال محيي الدين رضي الله عنه في حديث « إنكم تسئلون عن نعيم هذا اليوم لم يكن سوى تمر وماء » إنما لم يدخل نفسه صلى الله عليه وسلم في الجماعة ليعلمنا أن لله عبادا سليمانيين يقول الله لأحدهم هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب قال : وهم سبعون ألفا من هذه الأمة ، وقال في عكاشة رضي الله عنه إنه منهم اه : قال رحمه الله :

(وَشَفَّعَهُ الكَرِيمُ في أهلِ عَصرِهِ ... وعشرين عاما زادَا بَعدَ المنية)

(و) من كراماته رضي الله عنه وعنا به آمين : أنه (شفعه) من التشفيع يقال شفعته فيه بالتضعيف وشفع كمنع شفاعة قبلت شفاعته ، الله المولى (الكريم) تعالى قدره وتبارك خيره (في أهل عصره) أي

دهره وزمنه . وفى [ص] العصر مثلثة وبضمتين الدهر اه [وعشرين عاما] سنة [زاد] أى زاده الكريم بمحض الفضل والامتنان والجود والإحسان على مدة عمره ما ذكر (بعد المنية) أى الموت فكل من ولد فى هذه المدة بعد وفاته رضى الله عنه وعنا به آمين فقد نالته شفاعته ، وقد علمت أنه ولد فى خمسين فى القرن الثانى عشر وتوفى فى ثلاثين فى الثالث عشر وزيادة العشرين تكمل المائة ، فهو رضى الله عنه وعنا به آمين قد شفع فى القرن كله بناء على أنه مائة سنة . وفى [د] شفعنى الله فى أهل عصرى من يوم ولادتى إلى يوم حلول رمسى ، ذكره تحدثا بنعمة الله فقال بعض أصحابه : وزيادة عشرين سنة . فقال من أين لك بذلك ؟ فأخبره أن خليفته سيدى الحاج على حرازم هو الذى أخبره بذلك ، فسكت ولم ينكر عليه ذلك رضى الله عنه ، وفيها : سبحان الله هذه الخلائق كل يقال له جز من أجلى ، وذلك والله أعلم لأن الله شفعه فى أهل عصره اه . وفى [جع] قلت له : والذى يتكلم فى جانبك من أهل العصر؟ قال إن لم يتب لن تنفعه شفاعتى لأنه كافر والكافر لاشفاعة فيه . قلت له: وهل تمكن منك الشفاعة فى الدنيا للمبغضين من غير توبة منهم ؟ قال لم يمكنى لصرف قلوبهم عنا لما سبق نسأل الله السلامة والعافية اه . قال رحمه الله :

(وفى الجنةِ العَلياءِ لهُ أربَعونَ مِنْ مقامات أنبياء من غيرِ رِيبةِ)

(و) من كراماته رضى الله عنه وعنا به آمين : أنه قال (فى الجنة العليا) قصره للوزن والعلياء السماء ورأس الجبل والمكان العالى وكل ما علا من شيء والمراد بها هنا عليون (له) بمحض فضل الله وامتنانه وكرمه وإحسانه (أربعون) مقاما (من) نظير وشبيه (مقامات) ساداتنا (أنبياء) بالتنكير للوزن على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام (من غير) وجود (ريبة) بكسر الراء التهمة والظنة . وفى [جع] وسمعته يقول رضى الله عنه . قال لى صلى الله عليه وسلم : لك فى الجنة أربعون مقاما من مقامات الأنبياء اه . وفى [جه] وأما ماطلبه رضى الله عنه فى الجنة من ملك وخدم وحور وقصور ، ومن كل نوع من أنواع الجنة فى جميع ما احتوت عليه من كل شيء ذكر فى الجنة أو لم يذكر وهو ممكن ، طلب من هذا الأمر ما تقصر عنه العقول وتكل عنه الألسن ، وكل نوع ذكر منه ألوفا مضروبة فى نفسها إلى أن يحسب كل مرتبة مضروبة فيما فوقها إلى أن يصل عددا من مراتب الألوف ما أظن أحدا يحصيه غيره رضى الله عنه ، ثم أخبرنا أن كل ماطلبه من هذه المطالب فهو مضمون له أن يبلغه كله من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فلله الحمد والشكر انظره . قال رحمه الله :

(يُنادى به فى الحشر هذا إمامكم وهذا مُمِدكم بأعلى المِنَصَّةِ)

ومن كراماته رضى الله عنه وعنا به آمين : أنه (ينادى) بالبناء للمفعول أى ينادى مناد من قبل الله تعالى (به) أى بالختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (فى الحشر) أى يوم الحشر والجمع للخلائق ويقول المنادى بعد أن أسمع جميع من فى الموقف (هذا) مشيرا إليه (إمامكم) الذى كنتم تستمدون منه (وهذا ممدكم) فى عالم الأرواح حال كونه (بأعلى المنصة) بكسر الميم ماتجلى عليه العروس من سرير وكرسى ، والمنصة بالفتح الحجلة وهى الثياب المرفعة والفرش الموطأة ، وقيل هما بمعنى واحد . وفى [مح] قال رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين : إذا جمع الله خلقه فى الموقف ينادى مناد بأعلى صوته حتى يسمعه كل من فى الموقف : ياأهل المحشر هذا

إمامكم الذى كان مددكم منه اه . وفى [م] :

يصعد منبرا من النور غدا يسمو به الكل سنا وسوددا
ثم ينادى عندذا مناد يا أهل ذا الحشر وهذا النادى
هذا إمامكم وذا ممددكم فى دار دنياكم بغير علمكم

وفى هذا اليوم يظهر تفاضل الأولياء والعارفين والأغواث والصديقين وتفاوت درجاتهم ومراتبهم بإظهار الله الفاضل وتمييزه من المفضول ، ويظهر ذلك لكل من فى الموقف بالعيان ولذلك سمى يوم التغابن ، وفيه يظهر لكل موفق سعيد ولكل شقى طريد أن سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين هو الختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم والبرزخ المختوم ، فيغنم الموفق السعيد ويندم الشقى الطريد . قال تعالى ـ ذلك يوم التغابن ـ قال رحمه الله :

(وَفَضْلَهُ فَاعْتَقِدْ عَلَى الْكُلِّ إِنَّهُ كشمس الضُّحَى وَهُمْ كَوَاكِبُ لَيْلَةِ)

(وفضله) وشرفه (فاعتقد) اعتقادا جازما (على الكل) أى على جميع الأولياء رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم ، وفى نسخة على الغير : أى على غيره ماعدا الصحابة رضى الله عنهم وعنا بهم آمين . وقد تقدم أنه لامطمع لمخلوق فى نيل فضلهم ومقامهم (إنه) بكسر الهمزة وفتحها لأنه فى موضع التعليل أى لأنه رضى الله عنه وعنا به آمين (كشمس الضحى) وفى [س] الضحو ، والضحوة ارتفاع النهار ، والضحى : فويقه اه (وهم) أى أولياء بأجمعهم رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم (كواكب) جمع كوكب وهو النجم (ليلة) وتقدم أنهم رضى الله عنهم بأسرهم يستمدون من برزخيته العظمى وحضرته الفضلى وإن لم يعلموا بذلك رفقا بهم وفى [جع] ومنها : أى ومن مناقبه رضى الله عنه أنه قال لى الواسطة المعظم رحمه الله : أتانى ملك من أعظم الملائكة وأفضلهم وقال لى : إذا سمعت الملائكة اسمى ترتعد هيبة من الله ، وأحمد التجانى فضله أعظم من فضلى ، وهذا الملك هو الذى علمه مفتاح القطبانية اه . قال رحمه الله :

(فَعَيْنُهُ عَيْنُ الْعَيْنِ فَافْهَمْ إِشَارَتِى ومن فيض بحره الأنامُ استمدَّتِ)

(فعينه) رضى الله عنه وعنا به آمين (عين العين) ولذا قيل لو كشف عن حقيقة الولى لعبد لانسلاخه عن أوصاف البشرية واتصافه بأوصاف الربوبية ، وهذه المرتبة للأغواث والأقطاب ومن له التصرف فى العالم بإذن العالم (فافهم إشارتى) قال تعالى ـ وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ـ الآية (ومن فيض بحره) المحيط الذى ما وراءه وراء ولاقعر له ولامنتهى؛

[فائدة] روى: أمان لأمتى من الغرق إذا ركبوا البحر أن يقولوا ـ بسم الله مجراها ومرساها ـ الآية وماقدروا الله حق قدره ، الآية (الأنام) كسحاب الخلق أو الإنس والجن أو جميع ماعلى وجه الأرض (استمدت) من أول نشأة العالم إلى النفخ فى الصور ماعدا النبيين والمرسلين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، وتقدم مافيه غنية لكل مريد صادق وحبيب وامق ورحم الله من قال :

فأصبح عين الوقت والقول قوله ولا أحد فى الناس يبلغ قدره

قال رحمه الله :

(ولا تَعْتَرِضْ عَلَىَّ فيما سَطَّرْتُه فتُجزَى بنيرانِ الجحيمِ العَظِيمَةِ)

(ولا تعترض) من الاعتراض وهو المنع والأصل فيه أن الطريق إذا اعترض فيه بناء وغيره منع

السابلة من السلوك انظر [ص] (على) بتسويلات نفسك وتخيلات رأسك وتولدات قلبك وتعصبات حزبك (فيها) أى فى شىء مما (سطرته) ككتبته وزنا ومعنى على سبيل النصيحة المأمور بها شرعا وطبعا وعقلا ونقلا. قال تعالى - وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم - ورحم الله من قال :

والله والله العظيم ومن — أقامه حجـة فى الدين برهانا
إن الذى قلت بعض من مناقبه — ما زدت إلا لعلى زدت نقصانا
وما علىّ إذا ما قلت معتقدى — دع الجهول يظن الحق بهتانا

(فتجزى) من الجزاء وهو المكافأة على العمل (بنيران الجحيم) النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق بعض ، وهى اسم من أسماء جهنم أجارنا الله من ساحتها ومن النظر إليها آمين (القظيعة) من فظع الأمر ككرم فظاعة اشتدت شناعته وجاوز المقدار فى ذلك ، وفى نسخة القطيعة من القطع ضد الوصل إذ كل معترض منتقد وكل منتقد فى بحبوحة الفصل والانفصال - فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور - قال رحمه الله :

(فَهَرْوِلْ إلى حِمَاهُ تَسْلَمْ مِنَ الرَّدى — وَلا تَلْتَفِتْ لِنِسْبَةٍ أوْ مَزِيَّةٍ
فَكَمْ مِنْ أخٍ صَدَّتْهُ نِسْبَةُ جَدِّهِ — وَتَعْلِيمُ عِلْمٍ صارَ مِنْ أهْلِ غِرَّةٍ)

وإذا علمت أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق ما مر (فهرول) من الهرولة: الإسراع فى المشى أو بين العدو والمشى (إلى حماه) والحمى بالكسر كإلى ويمد: ماحمى من شىء (تسلم) من سلم كعلم (من الردى) من ردى كرضى ردى كرحى: هلك، فكل من دخل حماه رضى الله عنه وعنا به آمين فقد أمن فى دنياه وأخراه من كل ما يسوء محياه وفاز بنيل مناه بمحض فضل مولاه - ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا - الآية وفى [مح] وقد أخبرنى بعض من لقيه رضى الله عنه وأرضاه وعنا به أنه ما تنزل إلى إفادة الخلق بعد ما أخبره صلى الله عليه وسلم إلا بعدقوله للنبى صلى الله عليه وسلم إن كنت بابا لنجاة كل عاص مسرف على نفسه تعلق بى فنعم وإلا فأى فضل لى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم أنت باب لنجاة كل عاص تعلق بك ، وحينئذ طابت نفسه لذلك اهـ . ولأبى مهدى رضى الله عنه وعنا به آمين :

يا من تحير فى مهامه أمره — تبغى الهدى والأمن طول زمان
إن كنت تأمل للسعادة والمنى — والعز والإقبال دون توان
ومنال غاية كل قصد عاجلا — فاعمد إلى المولى العظيم الشان
شيخ المشايخ بحر كل حقيقة — ودقيقة أعيت نهى الأذهان
نجل الرسول المصطفى وخليفة — فى الكون طود السر والإعلان
ختم الولاية طودها ومناطها — قطب العوالم غوثها التجانى[١]
العروة الوثقى التى من نالها — نال السعادة وارتقى فى الآن

ثم قال :

هو بالغيوب منبأ فى سره — كهف الأمان وغنية اللهفان

---

(١) (قوله التجانى) بتشديد الجيم اهـ .

(ولا تلتفت) من الالتفات يقال لفته كضربه لواه وصرفه عن مراده ومنه الالتفات والتلفت النظر [من] (لنسبة) بكسر النون وضمها القرابة أو فى الآباء خاصة تصدك عن الأحدية المحمدية (أومزية) أى فضيلة كعلم وصلاح (فكم) خبرية أى عدد كثير (من أخ) فى الدين قال تعالى - إنما المؤمنون إخوة - (صدته) من الصد يقال صده عن كذا منعه وصرفه (نسبة جده) أى نسب آبائه الكرام :

لئن فخرت بآباء ذوى حسب　　لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

أربعة　مهلكة　للعبد　أنا　ونحن　وأبى　وجدى

(و) كم من أخ صده عن الأحدية (تعليم) أو تعلم (علم) شرعى كفائى لما يرى فى ذلك من الثواب العظيم والأجر الجسيم (صار) من الصيرورة (من أهل غرة) بكسر معجمة من غره خدعه وأطمعه بالباطل، إذ ما ورد من الفضل فى العلم إنما هو فى حق العلماء العاملين به قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - وعن الشافعى رضى الله عنه : ينبغى للعالم أن يتخذ خبيئة عمل فيما بينه وبين ربه فإن العلم قليل الجدوى فى الآخرة . وعن الجنيد رضى الله عنه : ذهبت العبارات ، وطارت الإشارات ، ولم ينفعنا إلا ركيعات فى جوف ليلات. فكم من عالم ومتعلم شاهدناه معرضا عن الأحدية وعن غيرها من طرق المشايخ ، وتجد صدره عند ذكرها له ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء، زاعما أنها من أكبر العوائق عن إدراك الحقائق وفهم الدقائق، وما درى المسكين أنها سبب غفران ذنبه وتنوير قلبه وتيسير مطلبه ، ولابن الفارض رضى الله عنه :

ولا تك ممن طيشته دروسه　　بحيث استقلت عقله واستفزت

فثم وراء العقل علم يدق عن　　مدارك غاية العقول السليمة

وكان أبو داود الطيالسى يحدث عن شعبة أنه كان يقول : الإكثار من هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ، فإذا كان الإكثار من طلب الحديث بهذه المثابة عند هذين الإمامين مع ما فيه من الفوائد الأخروية فما ظنك بغيره من محدثات العلوم ومبتدعاتها . وقد ذكر طلب العلم عند إمام الأئمة فقال : إن طلب لحسن إذا صحت فيه النية، ولكن انظر ماذا يلزمك من حين تصبح ، إلى حين تمسى ، ومن حين تمسى إلى حين تصبح، فلا تؤثر عليه شيئا اه . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نقدم الإشتغال برياضة نفوسنا ومجاهدتها على الاشتغال بفواضل العلوم وفروع العلوم النادرة، ويقبح على من يكون مدرسا أو مفتيا أن يخطر فى باله غير الله عز وجل من أول الصلاة إلى آخرها فإن الشارع لم يرخص لأحد فى الغفلة عن الله فى الصلاة إلا عند العجز عن طريق الرياضة والمجاهدة ، وأما من قدر على ذلك فيلزمه ليصلح للوقوف بين يدى ربه عز وجل ، ومن تأمل جميع الآداب الشرعية وجدها كلها وصيلة إلى أن يصلح العبد للوقوف بين يدى الله لا غير ، وينبغى للعبد أن يهجر كل من تساهل فى الأدب مع ربه وقال هذا جائز تركه أو يجوز للإنسان أن يصلى بلا خشوع إذا خشى أن ذلك يضره فى دينه، وعليه بمجالسة أهل الخشوع وخلطتهم فبذلك يعان إن شاء الله تعالى على ذلك . وبالجملة فالواجب على العبد فى كمال العبادة رياضة النفس إلى حد يصير الحضور بين يدى الله تعالى من سجيتها لا تتكلف له لا كما يفعله بعض الموسوسين فيريد يحضر فى صلاته مع ربه فلا يقدر ويثب فى الهواء بيديه ويضعهما إلى صدره ولا يحصل له حضور ، وذلك لأنه يريد أن يطوى طريق الرياضة كلها فى لمحة من غير طريق وذلك لا يصح له ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك اه . وفى [مح] وكان سيدى عبد القادر

الجيلانى رضى الله تعالى عنه يقول : أولى الناس بالمقت عالم فاجر كثير الجدال لايرى غير زعمه ودعاوى وهمه إن تكلم جار وإن سكت حار. وكان رضى الله تعالى عنه يقول: من علامة أهل الطرد عن حضرة الله تعالى أن لا تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وذكروا واحدا من علماء عصره وأثنوا عليه فقال دعونا من ذكر أهل الطرد، فقالوا كيف ياسيدى وهو من علماء الإسلام ؟ فقال ليس له من العلم إلا الاسم . فقالوا كيف ؟ فقال هل رأيتم محبالله عز وجل يثقل عليه تكرار اسم محبوبه ويضيق صدره إذا أمر بذلك؟ فقالوا لا ، فقال لا أشق على الواحد منهم أن يقال له اترك درسك فى النحو واللغة أو فى هذه المسائل التى لا تعرف لها دليلا من الكتاب والسنة وتعال نذكر الله عز وجل ساعة وقد قال تعالى « أنا جليس من ذكرنى » فكل من لم يقدر على المجالسة مع الله تعالى فهو مطرود عن حضرته ، فقالوا ياسيدى اشتغالهم بالخير خير على كل حال . قال صحيح ولكن كلامنا فى أهل حضرة الله عز وجل لافى حضرات أحكامه ، وفرق بين من مشهوده ذاته وبين من مشهوده أسماؤه وصفاته ، فإن أحدهم يموت وهو مع أصحاب الأحكام من الخلق لايشهد الحق إلا عند موته ؛ بخلاف من يشتغل باسم الذات فلا يزال يذكر حتى يجتمع بصاحب الاسم إذ الاسم لايفارق المسمى ، بخلاف الأحكام . وقد طلب فخر الدين الرازى الطريق إلى الله تعالى فقال له الشيخ نجم الدين البكرى : لاتطيق مفارقة صنمك الذى هو علمك ، فقال له ياسيدى لا بد إن شاء الله تعالى ، فأدخله الشيخ الخلوة وسلبه جميع ما معه من العلم ، فصاح فى الخلوة بأعلى صوته لا أطيق ، فأخرجه وقال : أعجبنى صدقك وعدم نفاقك ولكن أنت صرت من معارفنا ، فاعلم ذلك وأنت أعلم بغيتك اه . وفيه : وقد كان أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول : ليس الكامل من الرجال من يوصل كل يوم ألفا من العوام وإنما الكامل من يوصل فقيها كثير الجدال فى مائة عام والله تعالى أعلم وأحكم - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - .

[فصل فى فضل الطريقة الأحمدية]

(فَقُمْ وَاجْتَهِدْ وَجِدَّ فِي الأَحْمَدِيَّةِ   وَدَعْ كُلَّ مَايُلْهِي عَنِ الأَحْمَدِيَّةِ)

(فقم) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق وإن كنت من أهل النسب والحسب والعلم والصلاح (واجتهد) من أجهد فى الشىء جد فيه (وجدّ) بضم الجيم وكسره من جد فى الأمر اجتهد فيه ؛ ورحم الله من قال :

الجد ينهض بالفتى من عقله   فانهض بجد فى الحوادث أوذر
ما أقرب الأشياء حين يسوقها   قدر وأبعدها إذا لم تقدر

(فى) طلب ونيل الطريقة (الأحمدية) المحمدية التجانية (ودع) اترك عنك (كل مايلهى) من ألهاه عن كذا شغله عنه (عن) طلب ونيل (الأحمدية) المحمدية قال تعالى - فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه فتردى - ومر عن بعض الأدباء رحمه الله :

ولا تلتفت أصلا وقدم جميع ما   يصدك عنه واقطع الشفع بالوتر

وللبوصيرى رضى الله عنه :

حسد المدلجون غب سراهم   وكفى من تخلف الإبطاء

ولابن الفارض رضى الله عنه :

وعد من قريب واستجب واجتنب غدا ... وشمر على ساق اجتهاد بنهضة
وكن صارما كالوقت فالمقت فى عسى ... وإياك علّ فهى أخطر علة
وقم فى رضاها واسع غير محاول ... نشاطا ولا تخلد لعجز مفوت
وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك الـ ... ـبطالة ما أخرت عزما لصحة
وأقدم وقدم ما قعدت له مع الـ ... ـخوالف واخرج عن قيود التلفت
وجد بسيف العزم سوف فإن تجد ... تجد نفسا فالنفس إن جدت جدت

وفى الحديث « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » وفى آخر « كم من مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غدا لا يبلغه » وفى الحكم : إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس ، ورحم الله من قال :

إن فى الموت والمعاد لشغلا ... وادكارا لذى النهى وبلاغا
فاغتنم نعمتين قبل المنايا ... صحة الجسم يا أخى والفراغا

وقد قيل : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ، والمريد ابن وقته . وروى : « ما من يوم إلا هو ينادى يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنم منى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة » وقيل لبعضهم : متى يستريح الفقير ؟ فقال إذا لم ير وقتا غير الوقت الذى هو فيه . وعن المرسى رضى الله عنه : أوقات العبد أربعة لا خامس لها : النعمة ، والبلية ، والطاعة ، والمعصية ، ولله عليك فى كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية ، فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه أن هداه لها ووفقه للقيام بها ، ومن كان وقته المعصية فمقتضى الحق منه وجود الاستغفار والندم ، ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله ، ومن كان وقته البلية فسبيله الرضى بالقضاء والصبر ، وفى الحديث « من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » اه . قال رحمه الله :

(عَلَى نَفْسِكَ الأَمَّارَةِ إِبْكِ تَحَسُّرًا ... إِذَا لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا بِالْمَشِيئَةِ)

(على نفسك الأمارة) بالسوء (إبك) من بكى يبكى بكاء وبكى (تحسرا) أى تلهفا وتحزنا (إذا لم تكن من أهلها) أى من أهل الطريقة الأحمدية ولا ممن يحبها ويحب أهلها ولا ممن له تعلق بهم بوجه من الوجوه المعتبرة شرعا (بالمشيئة) الربانية والعناية الصمدانية . ولابن الفارض رضى الله عنه :

ولا تتبع من سوّلت له نفسه ... فصارت له أمارة واستمرت
ودع ما عداها واعد نفسك فهى من ... عداها وخذ منها بأحصن جنة

وله أيضا رضى الله عنه :

على نفسه فليبك من ضاع عمره ... وليس له فيها نصيب ولا سهم

وفى [مع] وأما أهل الظلام والغباوة والضلالة والطغيان فلم يمنعهم من التعلق بشيخنا أحمد التجانى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به آمين ، مع ظهور فضله وفضل طريقته وفضل أهلها كظهور الشمس وقت الظهيرة صيفا رضى الله تعالى عنه وعنهم وأرضاهم وعنا به إلا الطرد عن رحمة الله تعالى والحرمان واللعن والشقاوة والخسران . خرجت مع سيدى محمد الغالى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به ذات يوم من المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم لزيارة شهداء أحد رضوان

الله تعالى عليهم ، فلما فرغنا من زيارتهم ورجعنا قلت له ياسيدى إنى أورد عليك اعتراضات على شيخنا رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به آمين على تقدير أنى منكر عليه وأعوذ بالله تعالى من ذلك وكن أنت مجيبا عليه ، فقال لى رضى الله تعالى عنه قل ما بدا لك ، فشرعت فى الإيراد والاعتراض وهو رضى الله تعالى عنه يدفع الإيرادات والاعتراضات ويحل الإشكالات ، فلما قربنا من دخول المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم قلت له : ياسيدى إنى لا أزال أتعجب ممن اطلع على فضل هذا الشيخ وعلى فضل طريقته رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به آمين ، وعلى فضل أهلها ، ونظر إلى جواهر المعانى وكان معه من له الإذن الخاص فى تلقين أذكارها ونظم من طلبها فى سلسلة أتباعها ، ثم يتريث قدر لحظة ولم يكن من زمرة أهلها فنظر إلىّ وقال لى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به آمين : تعجب مثلك من مثل هذا أعجب وأغرب عندى ، فقلت لم ؟ فقال لى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به آمين : أىّ الملل والكتب والأنبياء خير وأفضل ؟ قلت الإسلام والقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلم ، فقال رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به : لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن وأمره بدعوة الخلق إلى التوحيد والإسلام فكيف كان حالهم معه صلى الله عليه وسلم ؟ قلت انقسموا قسمين : أما السعداء فآمنوا به ونصروه وقاتلوا بين يديه فحازوا به شرف الدنيا وعز الآخرة ، وأما الأشقياء فكذبوه وقاتلوه فخسروا به دنيا ولعنوا وطردوا برزخا وأخرى ، فقال لى رضى الله تعالى عنه وأفاض علينا من بركاته : كيف يتعجب من يعلم هذا مما تعجبت منه ، وأنت تعلم أن سيدنا أحمد رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به آمين إنما كان خليفة للنبى صلى الله عليه وسلم لا غير ، وجميع ماحوته هذه الطريقة من الأنوار والأسرار والمواهب والتحف والعلوم والمعارف والمقامات والفيوضات، والأوراد والأحزاب والدعوات والتوجهات والمقاصد والخلوات والكشوفات والتجليات ، ومايفشى وما لايفشى أرزاق مقسومة فمن قدر له شىء منها يوفقه الله تعالى له ومن لا فلا ، ولكل لقمة آكل قسمت له فلا يأكلها غيره اه . قال رحمه الله :

(وَطَالِعْ جَوَاهِرَ الْمَعَانِى وَجَامِعَ ابْـــنِ مَشْرِ فَفِيهِمَا مَزَايَا الْوَسِيلَةِ)

(وطالع) من طالعه طلاعا ومطالعة أطلع عليه . وفى [عف] وقد تكون مطالعة العلوم وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى السماع ويحتاج المطالع للعلوم والأخبار وسير أهل الصلاح وحكاياتهم وأنواع الحكم والأمثال التى فيها نجاة من عذاب الآخرة أن يكون فى ذلك كله متأدبا بآداب حسن الاستماع لأنه نوع من ذلك ، وكما أن القلب استعد لحسن الاستماع بالزهادة والتقوى حتى أخذ من كل ماسمعه أحسنه فيكون آخذا بالمطالعة من كل شىء أحسنه ، ومن الأدب فى المطالعة أن العبد إذا أراد أن يطالع شيئا من الحديث والعلم يعلم أنه قد تكون مطالعة ذلك بداعية النفس وقلة صبرها على الذكر والتلاوة والعمل فتستروح بالمطالعة كما تتروح بمجالسة الناس ومكالمتهم ، فليتفقد المتفطن نفسه فى ذلك ولا يستحلى مطالعة الكتب إلى حد يأخذ ذلك من وقته ويراعى الإفراط فيه فإذا أراد مطالعة كتاب أو شىء من العلم لا يبادر إليه إلا بعد التثبت والإنابة والرجوع إلى الله تعالى ، وطلب التأييد من رحمة الله تعالى فيه فإنه قد يرزق بالمطالعة ما يكون من مزيد حاله ، ولو قدم الاستخارة لذلك لكان حسنا فإن الله تعالى يفتح عليه باب الفهم والتفهم موهبة من الله زيادة على مايتبين من صورة

العلم فللعلم صورة ظاهرة وسر باطن وهو الفهم ، والله تعالى نبه على شرف الفهم بقوله ـ ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ـ أشار إلى الفهم بمزيد اختصاص وتميز عن الحكم والعلم ، انظره : وفى [جم] وفى بعض الآثار : إذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل عند رفع الكتاب بسم الله وسبحان الله ولا إله إلا الله ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم عدد كل حرف وكتاب يكتب إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما اه . وإذا أردت أن لاتنسى حرفا فقل قبل القراءة : اللهم افتح لنا أبواب حكمتك وانشر علينا خزائن رحمتك ياذا الجلال والإكرام اه . وفى [غ] فائدة : مما ينبغى أن يعتنى به مريد المطالعة لكتب العلم أن يقول قبل الشروع بحضور قلب : اللهم إنى أستودعك جميع ما أنظره فى هذا الكتاب حتى ترده علىّ فى وقت احتياجى إليه : وهو غاية فى الحفظ والوعى بفضل الله تعالى ، وقد كنت أعمل عليه منذ استفدته فيما أطالعه من الكتب ، وكذا إذا جلست إلى أحد من الفضلاء بقصد المذاكرة فأقول فيهما :اللهم إنى أستودعك جميع ما أستفيده من هذا السيد أو فى هذا المجلس حتى ترده على الخ فكنت أجد بحمد الله بركة ذلك مع ضعف استعدادى وعدم تأهلى من فضل الله :

لم أكن للوصال أهلا ولكن　　　أنتم بالوصال أطمعتمونى　　　اه

(جواهر المعانى) الذى ألفه القدوة الكبير والخليفة الشهير سيدى الحاج على حرازم الفاسى رضى الله عنه وعنابه آمين ، الذى قال فيه سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين: لاينال أحد من أصحابنا شيئا إلا بواسطة سيدى الحاج على حرازم أعطى ذلك من غير سؤال . وفى [غ] ورأيت بعض أهل البصائر بل كافة الأصحاب المعتبرين فى أذواق أسرار الطريق يعتقدون أن ذلك فى حياته وبعد مماته ، وكان بعض أهل الفتح من أصحاب الشيخ رضى الله عنه ربما أشار إلى نفسه بهذه الخصوصية ، ويذكر مايفهم منه أنه أقيم مقام سيدى الحاج على فى ذلك بعد مماته . ويمكن التوفيق بأن المدد الجارى من حضرة الشيخ رضى الله عنه عموما وخصوصا لا يتاتى إلا بواسطة سيدى الحاج على حرازم غيبا ، وأن السيد المذكور ناب منابه فى عالم الشهادة والحس بعد وفاته ، وعليه فلا مانع من أن يخلف هذا السيد غيره أيضا ، فافهم والله أعلم . وبهذا يحصل الاعتقاد الكامل فيهما معا وينتفع بملاحظة وساطة الأول غيبا والثانى أو غيره ممن عسى أن يقام ذلك المقام مشهدا ، وفضل الله أوسع والله أعلم اه . وقد قال فيه أيضا سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين : كل ما قاله فأناقلته وأخبر بأن النبى صلى الله عليه وسلم يحبه محبة خاصة تفوق محبة الأولاد . وفى [د] قال لى صلى الله عليه وسلم : كتابى هو وأنا ألفته ، وأمرنى بجمعه بعد ماكنت أمرت بتمزيقه لأمر اقتضاه الحال ، فمزق وجمعته ثانيا . وفى [جه] ولما مضى له شهران بفاس أمرنا رضى الله عنه بجمع هذا التأليف بأمر من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم مؤكدا لاينبغى تركه ، بعد أن كان أمرنا رضى الله عنه بتمزيق ما جمعناه منه لسبب اقتضاه الوقت والحال ، حتى تفضل الحق علينا الكبير المتعال بأمر من سيد الرجال صلى الله عليه وسلم لايسعه تركه ولاينبغى إلا جمعه ، فقد قال له سيد الوجود بعد أمره له : تحفظ عليه لينتفع به من الأولياء من يأتى بعدك بحفظه ، فأمرنا رضى الله عنه بكتابته وجمعه وحفظ ماشرد من مسائله ، ففرحنا بهذه البشارة غاية الفرح والسرور ، انظره .

وفى [م] : عليكم معاشر الأحباب مادمتم الدهر بذا الكتاب
عن إذن طه جمعه وأمره وقدر الإمام حق قدره
ومن يطالعه بإنصاف يرى أن خلال الشيخ ليست فى الورى

(وجامع ابن مشر) والباء من ابن المصراع الأول : أى وطالع أيضا الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحر القطب المكتوم لأبى عبد الله سيدى محمد بن محمد بن المشرى الحسنى ، المتوفى بعين ماضى المدفون بين أبوى سيدنا الشيخ أبى الفيض رضى الله عنهم أجمعين وجعل مأواهم عليين آمين . وفى [جه] وكان له : أى لسيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين ، إمام وهو العالم العلامة الفهامة الدراكة ، الجامع بين الحقيقة والشريعة والإفادة وعلوم الطريقة ، خازن سره وحافظ عهده ومحل وده وخليل أنسه أبو عبد الله سيدى محمد بن محمد بن محمد بن المشرى . الشريف المنيف الكامل العفيف الحسنى السائحى ، السباعى أصلا الموطن التكرتى ، من خط الجريد وهى معروفة من عمل قسطنطينة : ودارهم علم وصلاح ورشاد وفلاح ، ولا زالوا إلى الآن من العلماء العاملين والأئمة المجتهدين وجلهم أخذوا طريقة شيخنا رضى الله عنهم ، ويقصدونه بالزيارة من بلدهم نحو عشرين يوما أو أزيد ، ويأتون بالأموال العظيمة لسيدنا رضى الله عنه من دراهم وكسوة وتمر ، وقد وافيتهم مرارا عند سيدنا ولا رأيت أحسن منهم سمتا ودينا وعلما ، وجلهم عرفناه منذ عرفنا سيدنا رضى الله عنه ، وتأتيه الوفود من جميع النواحى والهدايا ، مارأيت أحسن منهم فى الأدب والتعظيم وحسن النية ، ويعاملهم سيدنا رضى الله عنه بما لايعامل به غيرهم من الإعراض وبعدم المبالاة بهم لا كما يفعله مع غيرهم ، فكلمته رضى الله عنه فى ذلك ، فقال لى : ليسوا كغيرهم إنما يطلبون المقامات العلية والأحوال السنية ، رضى الله عنهم ولاحرمنا وإياهم من بحر هذا السيد الكريم ، انظره . وفى [غ] وكان يعنى ابن المشرى رضى الله عنه وعنابه آمين قوى الحال فى المحبة ، ومما يؤثر عنه فى ذلك أنه مر وهو راكب على فرس أنثى بضريح بعض أهل التصرف بالصحراء وهو من أجداده رحمه الله تعالى ، فساخت بعض قوائم فرسه فالتفت إلى ذلك الضريح فقال له : والله حتى تسرح فرسى أو أشكوك إلى الشيخ يتصرف فيك ، فسرحت الفرس كأن لم يكن بها شىء ، وهذا من غريب أوصاف المحبة ، توفى رضى الله عنه بالصحراء سنة أربع وعشرين ومائتين وألف اه .

[لطيفة] أخبرنى بعض الخاصة رضى الله عنه وعنابه آمين : أنه اجتمع يوما من أيام الجمعة مع أعمامه وعشيرته عند قبر جدهم سيدى صالح المعلوم بوادى درعة ، فلما ختموا السلكة قام واحد منهم فقال بأعلى صوته على عادة أولاد سيدى صالح إذا أخذهم الحال : ياسيدى نريد منك أن تأخذ لنا سيدى فلان فقد أبى أن يجلس عندنا . قال : فقلت له إن استطاع أن يمسنى ولو بأصبع فليفعل ، فلم يفعل جدهم رضى الله عنه أدبا مع سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (ففيهما) أى فإنك تجد فيهما (مزايا) جمع مزية أى فضائل (الوسيلة) الأحمدية المحمدية التجانية على غيرها من الوسائل ، سبحان من يختص برحمته من يشاء بمقتضى حكمته ومشيئته . وفى [جع] وأما فضلها فهى أفضل من جميع الطرق لفضل من انتسبت إليه لأن مقامه أعلى من جميع مقامات الأكابر كما تقدم ، وفضل هذا السيد الجليل رضى الله عنه مسموع له بالنص من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لا بالظن والاعتقاد ،

وفاقت طريقته الطرق كلها انظره، وانظر [جه] بعين الرضى والتصديق والتسليم والاعتقاد والتبجيل والتكريم :

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار

قال رحمه الله :

(طَرِيقَتُهُ طَرِيقَةُ الفَضْلِ وَالرِّضَى مُؤَسَّسَةٌ عَلَى الكِتَابِ وَسُنَّةٍ)

(طريقته) رضى الله عنه وعنابه آمين (طريقة) محض (الفضل) . وفى [جه] فإن لله سبحانه دائرة من فضله جعلها مكنوزة من وراء خطوط الدوائر التى هى دوائر الأمر والنهى والجزاء خيرا وشرا والاعتبارات واللوازم والمقتضيات ، فإن هذه المراتب هى مراتب عموم الخلق وتلك الدائرة الفضلية هى دائرة اختصاصه واصطفائه سبحانه وتعالى لمن شاء من خلقه وهذه الدائرة جعلها سبحانه وتعالى عنده فيضها فائضا من بحر الجود والكرم لايتوقف فيضها على وجود سبب ولاشرط ولازوال مانع ، بل الأمر فيها واقع على اختصاص مشيئته فقط ، ولايبالى بمن كان فيها أو فى بالعهد أم لا انتهج الصراط المستقيم أم سقط على المعاصى فى الطريق الوخيم ، لايبالى فيها لمن أعطى ولا على ماذا أعطى ، ومن وقع فى هذه الدائرة من خلق الله كملت له السعادة فى الآخرة بلا شوب ألم ولا ترويع اه . اللهم يامولاى الكريم بجاه نبيك العظيم وجاه القطب المكتوم أغرقنا فى معظم لججها العلية بمحض الفضل والمنة آمين. وفى [مح] وفيها أى فى هذه الدائرة الفضلية أوقع الله هذا الشيخ الأحدى المحمدى الإبراهيمى ، وجعلها سبحانه دائرة أهل طريقته وأوقعهم فيها فضلا منه سبحانه وتعالى وجودا وكرما لشدة عنايته بهذا الشيخ العظيم الذى جمع له بين مقام المحبة والخلة ، الناشئتين من هذه الدائرة التى بها اتخذ الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم حبيبا وسيدنا ابراهيم عليه السلام خليلا لوراثته إياهما من هذين النبيين ، ولذلك كانت طريقته رضى الله عنه طريقة المحبة والشكر قال تعالى - إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم - وقال صلى الله عليه وسلم لمن قال له « أتفعل هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر؟ أفلا أكون عبدا شكورا؟ » أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، وكانت أسهل الطرق على الإطلاق ، وكان أهلها محبوبين مقبولين على أى حالة كانوا مالم يلبسوا حلة الأمان من مكر الله ؛ ومن بحرها سخر الله تعالى له جده سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحبه محبة لا تعرف ولا تكيف ؛ ومن بحرها جعله الله تعالى القطب المكتوم والبرزخ المختوم والختم المحمدى المعلوم ومركزا يتفجر منه لجميع الأغواث الفيوض والعلوم ، سيبين ذلك فى المحشر تصديقا بالنبى المعصوم إذا نادى مناد يا أهل المحشر هذا إمامكم الذى كان مددكم منه انظره ، ولابد (و) طريقة محض الشكر و (الرضى) وفى [مح] اعلم أن هذه الطريقة الأحمدية المحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية طريقة شكر ومحبة ، الرياضة فيها تعليق القلوب بالحق سبحانه وإلزامها العكوف على بابه ، والتلجؤ إلى الله تعالى فى الحركات والسكنات ، والتباعد عن الغفلات المتخللة بين أوقات الحضور ، وعبادته تعالى على إخلاص العبودية ، والبراءة من جميع الحظوظ مع الاعتراف بالعجز والتقصير وعدم توفية الربوبية حقها ، وسكون ذلك فى القلب على ممر الساعات والأزمان ، بينما الواحد منهم فى مقام التوبة والاستغفار من الذنوب إذ جاءه الفتح المبين فلذلك لايكون الفتح على واحد

منهم إلا هجوميا لاتشوف منه إليه ، انظره . وفى [هب] وهذه حالة القرون الثلاثة الفاضلة الذين هم خير القرون ، فقد كان الناس فى تلك القرون متعلقين بالحق باحثين عليه ، إذا ناموا ناموا عليه وإذا استيقظوا استيقظوا عليه وإذا تحركوا تحركوا فيه ، حتى إن من فتح الله بصيرته ونظر إلى بواطنهم وجد عقولهم إلا النادر متعلقة بالله وبرسوله باحثة عن الوصول إلى مرضاتهما ، فلهذا كثر فيهم الخير وسطع فى ذواتهم نور الحق سبحانه ، وظهر فيهم من العلم وبلوغهم درجة الاجتهاد مالا يكيف ولايطاق ، فكانت التربية فى هذه القرون غير محتاج إليها ، وإنما يلقن الشيخ مريده وصاحب سره ووارث نوره فيكلمه فى أذنه فيقع الفتح للمريد بمجرد ذلك لطهارة الذوات وصفاء العقول وتشوفها إلى نهج الرشاد ويكون قطع الظلام من الذوات بتسبب من الشيخ ، وذلك فيما بعد القرون الفاضلة حيث فسدت النيات وكسدت الهوايات ، وصارت العقول متعلقة بالدنيا باحثة عن الوصول إلى نيل الشهوات واستيفاء اللذات ، فكان الشيخ صاحب البصيرة يلقن أمريده ووارثه فيصرفه وينظر إليه فيجد عقله متعلقا بالباطل ونيل الشهوات ، ويجد ذاته تتبع العقل فى ذلك فتلهو مع اللاهين وتسهو مع الساهين وتميل مع المبطلين ، وتتحرك الجوارح فى ذلك حركة غير محمودة من حيث أن العقل الذى هو مالكها مربوط بالباطل لا بالحق ، فإذا وجده فى هذه الحالة أمره بالخلوة وبالذكر وبتقليل الأكل ، فبالخلوة ينقطع عن المبطلين الذين هم فى عداد الموتى ، وبالذكر يزول كلام الباطل واللهو واللغو الذى كان فى لسانه ، وبتقليل الأكل يقل البخار الذى فى الدماغ فتقل الشهوة فيرجع العقل إلى التعلق بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، فإذا بلغ المريد إلى هذه الطهارة والصفاء أطاقت ذاته حمل السر ، فهذا هو غرض الشيوخ من التربية وإدخال الخلوة . ثم بقى الأمر على هذا مدة إلى أن اختلط الحق بالباطل فصار أهل الباطل يربون من يأتيهم بإدخال الخلوة وتلقين الأسماء على نية فاسدة وغرض مخالف للحق ، وقد يضيفون إلى ذلك عزائم واستخدامات تفضى بهذا إلى مكر من الله تعالى واستدراجات . انظره . وفيه أن طريقة الشكر هى الأصلية وهى التى كان عليها قلوب الأنبياء والأصفياء من الصحابة وغيرهم ، وهى عبادته تعالى على إخلاص العبودية والبراءة من جميع الحظوظ مع الاعتراف بالعجز والتقصير ، وعدم توفية الربوبية حقها وسكون ذلك فى القلب على ممر الساعات والأزمان ، فلما علم تبارك وتعالى الصدق فى ذلك أثابهم بما يقتضيه كرمه من الفتح فى معرفته ونيل أسرار الإيمان به عز وجل ، فلما سمع أهل الرياضة بما حصل لهؤلاء من الفتح جعلوا ذلك هو مطلوبهم ومرغوبهم ، فجعلوا يطلبونه بالصيام والقيام والسهر ودوام الخلوة حتى حصلوا على ما حصلوا . فالهجرة فى طريقة الشكر كانت من أول الأمر إلى الله تعالى وإلى رسوله لا إلى الفتح ونيل المكشوفات ، والهجرة فى طريقة الرياضة كانت للفتح ونيل المراتب ، والسير فى الأولى سير القلوب وفى الثانية سير الأبدان ، والفتح فى الأولى هجومى لم يحصل من العبد تشوف إليه فبينما العبد فى مقام طلب التوبة والاستغفار من الذنوب إذ جاءه الفتح المبين ، والطريقتان على صواب لكن طريقة الشكر أصوب وأخلص والطريقتان متفقتان على الرياضة لكنها فى الأولى رياضة القلوب بتعلقها بالحق سبحانه وإلزامها العكوف على بابه واللجأ إلى الله فى الحركات والسكنات والتباعد عن الغفلة المتخللة بين أوقات الحضور ، وبالجملة فالرياضة فيها تعلق القلب بالله عز وجل والدوام على ذلك وإن كان الظاهر غير متلبس بكبير عبادة ولذا كان صاحبها يصوم ويفطر

ويقوم وينام ويقارب النساء ويأتي بسائر وظائف الشرع التي تضاد رياضة الأبدان ، ثم قال : وبالجملة فالسير في الأولى سير القلوب وفي الثانية سير الأبدان ، والنية في الأولى خالصة وفي الثانية مشوبة ، والفتح في الأولى هجومي ولا تشوف من العبد إليه فكان ربانيا وفي الثانية نيل بحيلة وسبب ، انظره . ثم قال : وأما الجمع بينهما فيمكن للشخص أن يعلق قلبه بالله عز وجل في سائر حركاته وسكناته ويقيم ظاهره في المجاهدات والرياضات والله تعالى أعلم ، انظره . وفي [هب] ومبنى هذه يعني طريقة الشكر شهود المنة ونتيجتها الفناء عن رؤية النفس في العمل للاستغراق في شهود المعمول له ، ومبنى تلك يعني طريقة الرياضة مكابدة العمل ، ونسبته إليها ونتيجتها مراقبة الله عليها في كل حال ، ثم قال : ولا تعتقد أن معنى الشكر عدم المبالاة بخطرات القلوب ، وترك الوقوف بالبصيرة على خفايا العيوب ، والاسترسال في ارتكاب الذنوب ، والانحراف إلى أسباب الغفلات ، والاتصاف بسفساف الأمور في حالة من الحالات ، والانخراط في سلك المنهمكين في الشهوات ، وتضييع الأوقات بالجلوس على الطرقات ، وصرف الهمة إلى الصفات البهيمية التي لا يرضى عاقل صرف الهمة إليها من التنعم بضروب الملابس والترفه بتحف ذوي الهيئات فلا ولا وكلا والله لا يليق ذلك بمن هو أدنى منه بمراحل ولا بمن لم يبلغ من بحر معرفته الساحل ، فحاشا منصبه الأعلى وقدمه الراسخ في الولاية العلى . وقد وقفت في بيان سيرته وأخلاقه على ما يشفي الغليل ويبري العليل ؛ بل الشكر عنده رؤية منة المنعم النافية للتضييق على النفس بأنواع الرياضات والاعتزال في الفلوات وتقويم اعوجاجها بسياط المخالفات ، والاستقصاء في استجلاب مشاق العبادات والتكلف بالتربية بإدخال الخلوات ، أنظره (مؤسسة) من أسس الدار بين حدودها ورفع قواعدها وبناء أصلها (على الكتاب) القرآن العظيم (و) على (سنة) أي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي [عم] اعلم يا أخي أن طريق العمل بالكتاب والسنة قد توعرت في هذا الزمان وعز سالكها لأمور عرضت في الطريق يطول شرحها ، حتى صار الإنسان يرى الأخلاق المحمدية فلا يقدر على الوصول إلى التخلق بشيء منها ، انظره - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين . وفي [جه] فهو رضي الله عنه في موافقة الشريعة ومتابعة السنة آية قد وصل في التحافظ عليهما الغاية القصوى ، وقاف على حدود الله حافظ لحدود الله واقف على أوامره ونواهيه لا أحد في ذلك يقاربه أو يضاهيه ، قد حكم السنة في نفسه وعياله جعلها شعاره في جميع أفعاله وأقواله ، وأتقن رعاية رعيته في داره على ما كان عليه زمن أسلافه من حفظ أمر الله وشعاره ، ثم قال : فكان خلقه القرآن وكل ما يأمر به الرحمن يرضى برضاه ويسخط بسخطه في كل أموره ويأمر بأمره ويحذر بتحذيره أنظره . وعن بعضهم رضي الله عنه أنه كان يقول : طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة ليس فيها دخل ولا غش ولا تلون ، من أحدث فيها ما ليس منها أفقره الله وكشف حاله اه . وعن آخر رضي الله عنه أنه كان يقول : أصولنا سبعة أشياء : التمسك بكتاب الله ، والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب المعاصي ، والتوبة ، وأداء الحقوق . وكان سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه إذا أخذ العهد على فقير يقول له : يافلان اسلك طريق النسك على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام ، واتباع جميع الأوامر المشروعة والأخبار المرضية

والاشتغال بطاعة الله تعالى قولا وفعلا واعتقادا، ولا تنظر ياولدى إلى زخارف الدنيا ومطاياها وقماشها ورياشها وحظوظها ، واتبع نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه ، فإن لم تستطع فاتبع خلق شيخك فإن تركت ذلك هلكت مع الهالكين اه . وعن بعضهم رضى الله عنه : أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ وإقامة المعاذير للخلق، والمداومة على الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات ، وما ضل أحد عن هذا الطريق إلا انحط عن مقام الرجال اه. وفى [عف] وكان يقول الجنيد رحمه الله: علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم : من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعه .

[حكى] أن أبا يزيد البسطامى رحمه الله قال ذات يوم لبعض أصحابه : قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية ، وكان الرجل فى ناحيته مقصودا ومشهورا بالزهد والعبادة فمضيا إليه فلما خرج من بيته يقصد المسجد رمى بزاقة نحو القبلة ، فقال أبو يزيد: انصرفوا، فانصرف ولم يسلم عليه وقال : هذا رجل ليس بمأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على مايدعيه من مقامات الأولياء والصديقين ؟ انظره :

من تحلى بغير ما هو فيه   فضحته شواهد الإمتحان

وعن أبى عبد الله سيدى محمد الكنسوسى رضى الله عنه وعنا به آمين : اعلم أن طريقتنا هذه مبنية على تعظيم ثلاث حضرات. الأولى: حضرة مولانا العلية المقدسة، وتعظيمها بالدؤوب على الطاعة بقدر الاستطاعة ، وعلى ذكر الله باللسان والقلب ، وعلى الطهارة الحسية والمعنوية ، فإن قدر الإنسان أن لايفارق الطهارة فى وقت من أوقات الليل والنهار حتى لا يذكر اسم الله ولايمسه بيده إلا على طهارة فذلك الكمال . والحضرة الثانية : حضرة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعظيمها باتباع السنة وشهود وساطته فى كل رحمة ومنة ، فلا يتسوغ الإنسان الماء البارد إلا ويذكر أنه لولاه صلى الله عليه وسلم ما تسوغه إذ كل شىء مخلوق لأجله صلى الله عليه وسلم ، وبالعكوف على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بقدر الاستطاعة فإن الصلاة عليه هو الباب الموصل لحضرة الله تعالى ، وليس للحضرة اليوم باب غيرها فقد قال الشيخ زروق رضى الله عنه : رأيت أبواب الله قد استدارت للخلق ولم يبق مفتوحا إلا باب الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك فى زمنه رضى الله عنه فأحرى هذا الزمان. وأيضا من تعظيم هذه الحضرة ملازمة الطهارة حتى لايذكر الإنسان اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولايمسه بيده إلا على طهارة . الحضرة الثالثة : حضرة الشيخ رضى الله عنه ، فكل ما يفعله الإنسان فى حضرة ربه وحضرة رسوله من الإجلال والتعظيم والأدب فإنه يفعله فى حضرة شيخه ، إذ لافرق بين هذه الحضرات الثلاث فإنها فى الحقيقة حضرة واحدة، لأن الشيخ واقف بين يدى الرسول عليه الصلاة والسلام والرسول واقف بين يدى المولى جل جلاله دائما أبدا ؛ فالشيخ حينئذ واقف فى حضرة الله تعالى وحضرته حضرته بلا شك، فإذا كان كذلك فينبغى لمن صدق مع الله فى إرادته ومحبته أن لايذكر شيخه إلا على طهارة ولايمس اسمه أو كلامه إلا على طهارة ، فهذا أساس هذه الطريقة اه - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين.

[وروى] «ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه فى كل شىء حتى لا يقول أخزى الله الكلب وفعل به كذا وكذا» وكان بعضهم قلما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعته، وكان يقول للإنسان جزيت خيرا أو قلما يقول جزاك الله خيرا إعظاما لاسمه تعالى أن يمتهن فى غير قربة ، انظر [الشفا] وروى مسلم من حديث ابن عمر كراهة ذكر الله بعد الحدث. وفى [جه] وكون أحوال الشيخ تارة يجمع على نفسه وتارة على النبى صلى الله عليه وسلم وتارة على الله؟ الجواب : إنه لامنافاة بين أحوال الشيخ فى هذه الثلاثة فإنه إن دل على الله كان ذلك غاية المطلوب ، وإن دل على النبى صلى الله عليه وسلم بالجمع عليه كان ذلك جمعا على الله لأنه صلى الله عليه وسلم الخليفة المطلق عن الله ظاهرا وباطنا ، فالمجتمع عليه يجتمع على الله تعالى ، أو دل الشيخ بالجمع على نفسه فهو خليفة النبى صلى الله عليه وسلم فى الدلالة على الله والدعوة إليه ، فجمع الناس على نفسه جمع على الله تعالى لأنه خليفة صحيح اه . قال رحمه الله :

(طَرِيقَتُهُ أَعْلَى الطَّرَائِقِ كُلِّهَا ... وَأَقْرَبُ لِلنَّبِى بِحِسٍّ وَوُصْلَةِ)

(طريقته) رضى الله عنه وعنا به آمين : أى سند طريقته الأحمدية المحمدية (أعلى) أى أرفع أسانيد (الطرائق) جمع طريقة وتجمع على طريق (كلها) جميعها(وأقرب) أى أكثر قربا (للنبى) بتخفيف تحتية أى للحضرة النبوية صلى الله عليه وعلى آله وسلم (بحس) بكسر مهملة أى فى عالم الحس والمشاهدة لفقد الوسائط فيها حسا ومعنى ، بل من النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لسيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (ووصلة) بضم الواو مصدر وصل الشىء وإليه وصولا ووصلة بالضم انتهى إليه. وفى [جـم] إن طرق الأولياء وإن كانت ترجع إلى أصل واحد وهو اتصالها به صلى الله عليه وسلم إلا أنها أتت بالوسائط البعيدة والأسانيد المديدة ، وأما طريق شيخنا فنفية الوسائط جامعة لدرر الفوائد ، وصلت إلينا غضة طرية بتلقين قدوتنا عن خير البرية عليه أفضل الصلاة بكرة وعشية، فهو كالصحابى فى السند مع طول المدة ، وهذا غير منكر على الأكابر كالشيخ عبد القادر وغيره من خواص الأولياء رضى الله عنهم . قال شيخنا فى بعض أجوبته لبعض أصحابه : وأما سؤالكم عن سند طريقنا فإنا أخذنا عن مشايخ عدة رضى الله عنهم ولم يقض الله منهم بتحصيل المقصود، وأما سندنا وأستاذنا فى هذه الطريق فهو سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، قد قضى الله بوصلنا وفتحنا على يديه ليس لغيره فينا تصرف وكفى اه. وجواب سيدنا هذا أدل دليل على ماذكرناه من فضل هذا الطريق ونفى وسائطها اه . قال رحمه الله :

(فَمَا بَيْنَهُ وَالْمُصْطَفَى مِنْ وَسِيطَةٍ ... فَكَانَ كَمِثْلِ الصَّحْبِ مَعَ طُولِ مُدَّةِ

لِذَا الْقُرْبِ شَبَّهَ النَّبِىُّ بِصَحْبِهِ ... أَصَاحِيبَ شَيْخِنَا فَأَعْظِمْ بِرُتْبَةِ)

(فما بينه) أى الختم المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (و) بين (المصطفى) من جميع خلقه صلى الله عليه وعلى آله وسلم (من وسيطة) حسا ومعنى بل اغترف بذاته الأحمدية رضى الله عنه وعنا به آمين من الذات الكريمة الحسية يقظة ومشافهة، كما استمد بها فى الغيب من حقيقته المحمدية صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، كل ذلك بلا واسطة حسية ولا معنوية عدا وساطة الأنبياء فى غير ما اختص به على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، ولأبى مهدى رضى الله عنه وعنا به آمين :

يروى عن المختار فى يقظاته ... كمشافه بحياته بعيان

وفى [جع] وأما سند طريقنا فطريقنا عنه صلى الله عليه وسلم اتصالا منه إلينا، وسندنا أيضا فى الورد المعلوم والسبقى عنه صلى الله عليه وسلم متصلا إلينا، وأما المسبعات العشر فأخذناها مشافهة عن شيخنا الشيخ محمود الكردى العراقى رضى الله عنه، وهو أخذها عن الخضر مشافهة. وأما أحزاب الشاذلى ووظيفة زروق ودلائل الخيرات والدور الأعلى فكلها أخذنا الإجازة فيها عن شيخنا القطب الكامل سيدى محمد بن عبد الكريم السمان قاطن المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام اه (فكان) أى فبسبب ذلك صار سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين فى السند (كمثل الصحب) أى الصحابة رضى الله عنهم وعنا بهم آمين: أى فى اغتراف الجميع من ذاته صلى الله عليه وسلم الحسية ومن طلعته البهية بلا واسطة (مع طول) أى امتداد (مدة) المدة بالضم الغاية من الزمان والمكان، لأنه رضى الله عنه ولد فى نصف القرن الثانى عشر وتوفى فى ثلاثين من القرن الثالث عشر كما مر (لذا القرب) أى لأجل هذا القرب الحسى والمعنوى (شبه النبى) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (بصحبه) أى بأصحابه رضى الله عنهم (أصاحيب) جمع أصحاب جمع صاحب (شيخنا) أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين بقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أصحابك أصحابى، ولذا قال سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين: لايدخل الجنة أحد قبل أصحابنا إلا أصحابه صلى الله عليه وسلم، قاله تحدثا بنعمة الله تعالى، انظر [د] وفى [جع] وأما فضل أتباعه فيكفيك ما ذكره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لوصيلتنا فى شأنهم بقوله الشريف: فقراؤك فقرائى وتلامذتك تلاميذى، فهذه إضافة تشريف لهم وتخصيص اه (فأعظم) فعل ماض تعجبى (برتبة) فاعل مجرور بباء زائدة: أى ما أعظم رتبتهم إذ أضافهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم لنفسه إضافة تخصيص وشبههم بأصحابه الحائزين راية السبق على من سبق ولحق، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون. قال رحمه الله:

(فقالَ لهُ النبيُّ ساعةَ يقْظَةٍ أنا شَيخُكَ المُمِدُّ لَهُ بطريقتى)

(فقال له) أى لسيدنا أبى الفيض رضى الله وعنا به آمين (النبى) سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم (ساعة يقظة) بسكون القاف للوزن لا ساعة منام (أنا شيخك) ومربيك و(الممد) أى وأنا ممدك من حضرتى المحمدية بلا واسطة حسية ولا معنوية. وفى [جه] ولما أذن له صلى الله عليه وسلم فى هذه الطريقة الأحمدية والسيرة المصطفوية النبوية وفتح الله له على يديه صلى الله عليه وسلم، وأخبره أنه هو مربيه وكافله وأنه لا يصله شىء من الله تعالى إلا على يديه وبواسطته صلى الله عليه وسلم، وقال له: لامنة لمخلوق عليك من أشياخ الطريق فأنا واسطتك وممدك على التحقيق فاترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطرق، وقال له: الزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس حتى تصل مقامك الذى وعدت به وأنت على حالك من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة، واترك عنك جميع الأولياء فمن حين قال له صلى الله عليه وسلم هذه القولة ترك جميع الطرق وترك الطلب من جميع الأولياء، فانظر رحمك الله هذا الاعتناء بشيخنا رضى الله عنه وهذه المحبة والخاصة وصية من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وهذا يدل على أن لسيدنا رضى الله عنه مرتبة عظيمة عند الله تعالى كما أخبر بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فى غير مامرة انظره. وفيه: وأذن له صلى الله عليه وسلم فى تلقين الخلق بعد أن كان فارا من ملاقاة الخلق لاعتنائه بنفسه وعدم ادعاء المشيخة: إلى أن وقع له الإذن منه يقظة لا مناما بتربية

الخلق على العموم والإطلاق ، وعين له الورد الذى يلقنه فى سنة ست وتسعين ومائة وألف عين له صلى الله عليه وسلم الاستغفار والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، وهذا كان هو أصل الورد فى تلك المدة إلى رأس المائة كمل له الورد صلى الله عليه وسلم بكلمة الإخلاص ، فعند ذلك تنزل للخلق والإفادة وإظهار الطريقة والاستفادة ، وهذا بعد إخباره له بعلو مقامه وارتفاع قدره ومكانه ، وأخبره عليه الصلاة والسلام بفضل هذا الورد وقدره وما أعدالله لمن أحبه من أتباعه وحزبه اه (لذ) من لاذ بالشىء تحصن به (بطريقتى) وكفاها بذلك نبلا وشرفا وفضلا إذ سماها النبى صلى الله عليه وسلم طريقته وأضافها لنفسه صلى الله عليه وسلم . قال رحمه الله :

(بِلاَ حَرَجٍ ولا اعتزال وكَثْرَةِ اجتهادٍ ولا ضيقٍ ومن غيرِ خَلْوَةِ)

(بلا حرج) وهو فى الأصل المكان الضيق الشديد الشجر والإثم . قال تعالى - وما جعل عليكم فى الدين من حرج - وفى [جص] «بعثت بالحنيفية السمحة ومن خالف سنتى فليس منى» وفيه «سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أنه لن يدخل أحدكم الجنة عمله ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله بمغفرته ورحمته» قال الحفنى : فالعمل إنما هو لا متثال الأمر والنهى ، ولذا لما قال مالك بن دينار العمل أو النار ؟ قال له من هو أكمل منه ، وهو واثق بن واسع رحمة الله أو النار ، فقال مالك ما أحوجنى إلى معلم مثلك ، وما ورد من الآيات والأحاديث الدالة على أن الدخول بالأعمال محمول على الدخول فى الرتب العالية اه . (ولا اعتزال) عن الناس (و) بلا (كثرة اجتهاد) ومشقة فادة فى العبادة (ولا ضيق) على نفسك بالرياضات والتشديدات كما عليه طرق السادات (ومن غير) ملازمة (خلوة) بفتح معجمة بشروطها المعلومة عند أهل الطريقة الصوفية . وفى [جم] أخبرنى أنه ترك جميع الطرق التى أخذها عن الأشياخ ، فسألته عن سبب تركها ؟ فأجابنى بأن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم قال له : لا يصلك شىء إلا على يدى فاترك عنك جميع الأولياء ، فمن حين قال له صلى الله عليه وسلم هذه القولة ترك جميع الطرق وترك جميع الطلب من جميع الأولياء ، ثم قال أعطانى طريقة من الأوراد وأمرنى بلزومها من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس ، وقال لى الزمها حتى تصل إلى مقامك الذى وعدت به وأنت على حالتك من ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة ، انظره . وفى [غ] ومدار التربية والتزكية فى طريقتنا هذه المحمدية الشريفة المرضية على إقامة الورد الأصلى المعلوم الذى لا يصح الدخول فيها بدونه لأحد من الخصوص ولا من العموم ، وكذا توابعه من الأذكار المشمولة باللزوم معه وهى الوظيفة المعلومة وذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة بالمحافظة فى جميع ذلك على الشروط المشروطة والآداب التى هى بغاية الحسن ونهاية الكمال منوطة ، وآكد الشروط وأعظمها المحافظة على الصلوات الخمس بأدائها على الحد المحدود لها شرعا بقدر الإمكان ، واستكمال شروطها وآدابها وإتمام جميع مالها من الأركان ، ثم عمارته من الأوقات والساعات بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، خصوصا بصلاة الفاتح لما أغلق التى هى من أسمى الذخائر وأسنى البضاعات على طريق المحبة والشكر والاعتماد على الفضل المحض ، الذى ليس إلا عليه فى بساط التحقيق المعول من غير التزام خلوة ولا كثرة مجاهدة . ولا غير ذلك مما اصطلح عليه فى التربية من بعد الصدر الأول ، إذ هى هذه طريقة سيدنا رضى الله عنه التى سلكها وأمره بالتسليك بها سيد الوجود ومنبع الإمداد والجود صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ومرادنا بكون التربية فى هذه

الطريق خالية عن التزام الخلوة والاعتزال عن الناس ونحو ذلك مما فيه تشديد على النفس وتضييق التنبيه، على أن التربية فيها جارية على طريقة السلف الصالح من الصدر الأول التى هى الطريقة الأصلية وهى طريقة الشكر والفرح بالمنعم سبحانه والرياضة القلبية لا على الطريقة الأخرى التى استنبطها واصطلح على التسليك بها من بعد القرون الثلاثة نظرا لما اقتضته العوارض الوقتية وهى طريقة المجاهدة والمكابدة والرياضة البدنية، ثم قال: ولسنا نريد بكون التربية فى طريقنا من غير خلوة ولا مجاهدة أنا لا نأخذ النفس بشىء من ذلك، ولا نعرج فى طريق السير والسلوك على شىء مما هنالك كما قد يتبادر لذهن الضعيف الفهم، أو يحمل عليه المتعسف المولع بالاستناد إلى الوهم، كلا ومعاذ الله، وإنما مرادنا ألا نلتزم فى سلوكنا الرياضة بطريق المجاهدة على القانون الذى استنبطه واصطلح عليه من بعد القرون الثلاثة كما هو مقرر فى محاله، وإلا فالأخذ فى الجملة بما ذكر من الخلوة والصمت والاعتزال وغيرها، مما دلت عليه السنة المطهرة من سنن الخلال مؤكد عند شيخنا غاية التأكيد مرغب فيه غاية الترغيب، انظرها. فأحوال سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين وأقواله وأفعاله إنما تطوف حول هذا المطاف وتدور على هذا القطب بلا خلاف. وفى [جه] وإن الشيخ رضى الله عنه ممن بذل المجهود فى طاعة المعبود وممن طلب العلم فى بدايته للقيام بطاعته وعبادته لا ليتوصل به إلى شهوته، بل عمل فى بدايته على تصحيح التوبة بشروطها فى طريقته بحفظ الشريعة وحدودها ونفى إرادته وقطع عن نفسه الحظوظ والعلائق، وانقطع إلى الله بمراعاة حقه فانكشفت له الحقائق عمل على نفى الرخص والتأويلات، وشمر عن ساعد الجد فى عموم الأوقات، وقبض عنان الخوض فيما لا يعنيه من المخالفات، وتمسك بالكتاب والسنة ودرج عليه سالف الأمة، فتوجه بكليته إلى مولاه فكفاه كل ماسواه، أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان لاشتغاله أولا بالعلم والحديث والقرآن، وتبحر فى غرائب العلوم ودقائق الفهوم وجاهد نفسه بالاستقامة والورع ويئس من كل مخلوق، ولم يكن له فى غير مولاه طمع، وغض طرفه عن الأكوان جملة وتفصيلا، وانقطع إلى مولاه وتبتل إليه تبتيلا، وتخلق بأخلاق الزهاد والعباد ولم يشغله عن الله شاغل، وتجرد للخدمة ونبذ من قلبه كل ماهو عاجل، وشأن الصديقين إخلاص الأعمال وصدق التوجه فى كل حال ونسيان أعمالهم بشهود الكبير المتعال انظره. وفيه: وأما مجاهدته رضى الله عنه فاعلم أنه لا خلاف بين أئمة العصر ومن أدركه من حال الشبيبة أنه كان من المصطفين من عباد الله وممن نشأ فى طاعة الله وممن هدى واجتبى إلى صراط الله، فهو رضى الله عنه من المجتهدين فى الدين والخائفين من رب العالمين، محافظا على التقوى والورع باذلا مجهوده فى ذلك قابضا عنان الخوض عما لا يعنيه سالكا أشرف المسالك، انظره. وفيه: مما كتبه لبعض الطلبة، وبعد - فالذى أعظك به وأوصيك به عليك بالله عز وجل فى سرك وعلانيتك بتصفية قلبك من مخالفة أمره، والتعويل على الله بقلبك والرضى بحكمه فى جميع أمورك، والصبر لمجارى مقاديره فى كل أحوالك، واستعن على جميع ذلك بالإكثار من ذكر الله على قدر الاستطاعة بحضور قلبك فهو معين لك على جميع ما أوصيتك به، وأكبر ذكر الله فائدة وأعظمه جدوى وعائدة هى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع حضور القلب فإنها متكفلة بجميع مطالب الدنيا والآخرة دفعا وجلبا فى كل شىء، وأن من أكثر استعمالها كان من أكبر أصفياء الله. والأمر الثانى مما أوصيك به: ترك المحرمات المالية شرعا أكلا ولباسا ومسكنا فإن الحلال هو القطب الذى تدور

عليه أفلاك العبادات ومن ضيعه ضيع عبادة العبادة ، وإياك أن تقول أين تجده ،فإنه كثير الوجود فى كل أرض وفى كل زمان لكن يوجد بالبحث عن توفية أمر الله ظاهرا وباطنا، ومراعاة ضرورة الوقت إن لم يوجد الحلال الصريح وهذا المحل يحتاج إلى فقه دقيق واتساع معرفة بالأحكام الشرعية ومن كان هكذا لم يصعب عليه وجود الحلال . والأمر الذى لابد منه بعد هذا وهو بداية جميع الأمور ونهايتها هو تعلق القلب بالله تعالى بالانحياش إليه والرجوع إليه وترك كل ماسواه عموما وخصوصا ، فإن قدر العبد على ارتحال القلب إلى الله بكل وجه وعلى كل حال بحركة القلب حسا فهو الغاية وإن لم يقدر فليلازم بعد كل صلاة هذا الدعاء ثلاثا أوسبعا ثم يمر به على قلبه فى غير الصلوات ، ويحمل نفسه عليه يصير له ذلك حالا ، والدعاء هو هذا : اللهم عليك معولى وبك ملاذى وإليك التجائى وعليك توكلى وبك ثقتى وعلى حولك وقوتك اعتمادى وبجميع مجارى أحكامك رضائى وبإقرارى بسريان قيوميتك فى كل شىء وعدم احتمال خروج شىء دق أوجل عن علمك وقهرك حتى لحظة سكونى اه. فإذا داوم عليه كلما رأى من أحوال النفس مالا يطابق هذا الدعاء ذكر نفسه بمعانى هذا الدعاء وصبر على حمل نفسه سهل عليه تعلق القلب بالله تعالى برفض كل ماسواه ، وهذا باب كبير من العلم يعلمه من ذاق أدنى شىء من علوم الرجال ويعلم قدره فلاتهمله، وعليك بإصلاح نفسك قدر الاستطاعة فإن العمر قصير والسفر طويل والعقبة كئود والحمل ثقيل والحساب بين يدى الله شديد ، والعمل بأمر الله هو المنجى من جميع هذه الأمور . قال الشيخ الصالح والصدر المبرز العارف بالله محمد بن سماك رضى الله عنه : من أقبل على الله بقلبه أقبل الله عليه برحمته وصرف وجوه الناس إليه ، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه جملة ، ومن كان مرة ومرة فالله يرحمه وقتاً ما .

والحاصل : عليك بالله برفض ماسواه وإذا ابتليت بمعاملة الناس ومخالطتهم فخالطهم وعاملهم لله فإن الله يحب الإحسان إلى خلقه، وأكبر ما أحضك عليه هو كثرة الصلاة بحضور القلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الكنز الأعظم والذخر الأفخم اه وفى [غ] مما كتب به لبعض الخاصة أماماذكرت من العوارض الحائلة بينك وبين ما تقصد من عمل الآخرة فاعلم أن سببه ما تمكن فى نفسك من الميل إلى الراحات واقتحام ماتقدر عليه من الشهوات ، فإنها سمعت أن مقام المعرفة بالله تعالى حاصل لها بلاتعب فمالت إلى مايقتضيه هواها من الراحات ، فلو أنها علمت أن مقصودها من المعرفة بالله لايحصل لها إلا إذا جدت فيما هو من أمر الطريق معروف وفارقت كل مألوف لأجابت إلى ما يراد منها من المجاهدة لأنها تريد الظفر بمطلوبها ، فلما سمعت أنه يحصل لها دون تعب لم تجب إلى ما يراد منها من المجاهدة ومفارقة الحظوظ ، فكل عارض لابد من ظهور حكمه ، فمن ظن أن قيام العارض بالقلب على حاله يمكن معه ظهور نقيض حكمه فقد جهل أمر الله عز وجل ولم يحصل له من ظنه إلا التعب لاغير ، ومثال العارض كالسحاب فى السماء ومثال ماوراءه من المجاهدة كالشمس ، فإذا صحا السماء من السحاب طلعت الشمس وإذا وقع السحاب دونها حال بيننا وبينها فلا يمكن وقوع السحاب فى السماء وطلوع الشمس صاحية من ورائه ، وتعقل هذا وتأمله تستفد منه علما عظيما ، وحيث قامت العوارض بالقلب من الميل إلى الراحات واقتحام ما تقدر عليه من الشهوات امتلأ القلب بصور الأكوان والميل إليها وحيث وقع ذلك تمكن تخليط القلب فى أمر الهوى والبعد عن حضرة القدس وعن جميع مقتضياتها ، فلاتزول معه هذه الأمور إلا بوارد الفتح الأكبر الذى يفيض معه بحر المعرفة بالله وإلا فلا تطمع أن

يخلو قلبك من الظلام والكدر مادامت فى قلبك هذه العوارض وحضرة الحق جارية على النسب لا تخرج عن نسبها .

واعلم أن مراد الله منك فى هذا الوقت ما أنت فيه فوقوفك بعبوديتك فيما أقامك الله فيه فى وقتك هو أولى بك وأمكن من رمى فكرك إلى مطلب قطعتك دونه العوارض ولم تحصل منه على طائل، فسلم الأمر إلى الله واعلم أن ماتطلبه له أجل ومقدار إذا جاء وقته جاء ولايتعجل بطلب تعجيلك، وإن رمت الخروج عما أنت فيه إلى تنوير القلب وصفائه فاذهب وانقطع عما سوى الله تعالى فى مكان لا ترى فيه أحدا، وألزم نفسك إخراج مرادك مما سوى الله تعالى واستغراق أوقاتك فى الذكر المفرد ترى العجب من تمكين الصفاء ، فإن لم تساعفك نفسك على هذا فاعلم أن مراد الله منك ماذكرنا ، واترك عنك مايتغلغل فى قلبك من خواطر السوء المفضية إلى سوء الأدب مع الله تعالى، ولامعنى لطلبك أمورا لانسبة لها فيك بل ليس فيك إلا نسبة نقائضها :

لقد رمت الحصاد بغير حرث ... يغوص البحر من طلب اللآلى

وفى [جه] وله أى ولسيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين من أبيات فى التشمير والحزم خلل بيتين لبعض الفضلاء وهى :

تريد المجد ثم تنام ليلا ... لقد أطمعت نفسك بالمحال
يغوص البحر من طلب اللآلى ... ومن طلب العلا سهر الليالى

قال سيدنا رضى الله عنه :

تريد المجد ثم تنام ليلا ... لقد أطمعت نفسك بالمحال
لقد رمت الحصاد بغير حرث ... يغوص البحر من طلب اللآلى
فدع عنك التعلل بالأمانى ... وجد تنل مقامات الرجال
فليس ينالها سعى الهوينا ... ولا بالهون ترقى للجبال
ألاخل التكاسل والتوانى ... ونفسك جر عن مر النكال
وخذفى الكد واحتزمن وشمر ... بعزم إن سوم الدر غال
فمن ركنت سجيته لعجز ... تقاعس عن محاولة المعالى
فإن قصد المفاخر لم ينلها ... ومن طلب العلا سهر الليالى

ولابن الفارض رضى الله عنه :

وصمت نهارى رغبة فى مثوبة ... وأحييت ليلى رهبة من عقوبة
وعمرت أوقاتى بورد لوارد ... وصمت لسمت واعتكاف لحرمة
وبنت عن الأوطان هجران قاطع ... مواصلة الإخوان واخترت عزلتى
ودققت فكرى فى الحلال تورعا ... وراعيت فى إصلاح قوتى وقوتى
وأنفقت من يسر القناعة راضيا ... من العيش فى الدنيا بأيسر بلغة اهـ

وفى [جد] سمعت شيخنا رضى الله تعالى عنه يقول : باب الراحة مسدود على كمل العارفين

فى هذه الدار حتى إن أحدهم يستحى من الله تعالى أن ينش الذباب عن وجهه لقوة حيائه من الله تعالى أن يراه فى طلب حظ نفسه أو يأخذ ثاره من ذبابة أو بعوضة أو قملة ، إذ الموطن الدنيوى عند العارفين يقتضى بذاته أن لايكون أحد من العبيد هملا كالبهائم إنما يكون تحت أمر إلهى فى جميع حركاته وسكناته ، فمن نش الذباب عن وجهه فى هذه الدار فقد طلب النعيم المعجل له فى الدنيا اهـ . قال تعالى - ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم - ورحم الله من قال :

الأنس بالله لا يحويه بطال　　　وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلهم نجب　　　وكلهم صفوة لله عمال

ومن قال　سبحان من لو سجدنا بالعيون له　　　على شفا الشوك والمحمى من الإبر
لم نبلغ العشر من معشار نعمته　　　ولا العشير ولا عشرا من العشر

قال رحمه الله :

(فَدَعْ عَنكَ كُلَّ الأوليا والمشايخ　　　فَلَمْ تَبقَ مِنَّةٌ عَلَيكَ لِشيخةِ
فمِنْ ثَمَّ لم يبقَ التفاتٌ لصحبِهِ　　　إلى غيرِهِ ولا الرَّجا فى المَشيخة)

(فدع) اترك (عنك كل) أى الطلب من جميع (الأوليا) قصره للوزن (و) الطلب من جميع (المشايخ) [1] جمع مشيخة كمرحلة وهى جمع شيخ .قال الزمخشرى رحمه الله : المشايخ ليست جمعا لشيخ ، ويصلح أن يكون جمع الجمع اهـ (فلم تبق) من بقى كرضى ضد فنى (منة) من من " عليه أنعم عليه واصطنع عنده صنيعة (عليك لشيخة) بكسر معجمة وسكون تحتية جمع شيخ ، ويجمع على شيخة كعنبة وعلى مشيخة كسفينة ، وله اثنا عشر جمعا جمعها بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه بقوله :

جموع شيخ شيوخ وشيوخ وأشـ　　　ياخ أشاييخ شيخان كذا شيخة
شيخة ومشيخة مشائخنا　　　ومشيخاء وشيوخاء مشيخة

وله أيضا رحمه الله ورضى عنه :

رب بمحض الرضى والفضل والكرم　　　قادهنى ما للخلق من منن
فلا تدع منة لواحد أبدا　　　تبقى على بمحض الفضل والمنن
وراثة أحمدية بجاه النبى　　　مالى سوى المصطفى فى السر والعلن
كيف التشرف بالغير وقد حكمت　　　قدرة ربى بأن ذاك لم يكن
لم أتشرف بغير المصطفى وأبى ال　　　فيض التجانى قطب الناس والزمن
مالى غيرهما فى النهل والعلل　　　فشربى منهما بالروح والبدن

(فمن ثم) بفتح مثلثة اسم يشار به للمكان البعيد ، وتستعمل ظرفا ولا تتصرف : أى فمن أجل هذا الكلام الذى أخبر به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين . (لم يبق التفات) من التفت إلى الشىء إذا لوى عنقه لينظر إليه (لصحبه) أى لجميع من تمسك بطريقته الفضلى ووسيلته العظمى (إلى غيره) من أكابر الأقطاب والأولياء فضلا عن غيرهم إذ التفات المريد إلى غير شيخه من أكبر القواطع وأعظم الموانع الذى قيل إنه ذنب لايغفر . اللهم إنى أعوذ بك من

---

(١) بهمزة رعيا للفرع ، وبتحتية رعيا للأصل ، كمعايش جمع معيشة قاله مؤلفه .

الشك والشرك الظاهر والخفي آمين (ولا) يبقى لهم (الرجا) قصره للوزن (فى) جميع (المشيخة) كسفينة جمع شيخ رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين ، ولذلك لا ينبغى للأخ الصادق والحبيب الوامق إذا ذكر ولى من أولياء الله حيا كان أو ميتا أن يقول نفعنا الله به وبمحبته وبعلومه ، بل يقول رحمه الله أو رضى الله عنه لا غير ما عدا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا بأس أن يقول نفعنا الله بهم أو رضى الله عنهم وعنا بهم آمين . وفى غنية الأصحاب :

فرض وارحمهم عند ذكرهم	ولا تقل نفعنا الله بهم
لاتستغث بواحد منهم متى	دارت بك الكروب خلص يافتى
لشيخنا وجهتك التجانى	ممد كل صالح ربانى

قال رحمه الله :

(فأَحمَدُ ربى إذْ هدَانِى بفضلِهِ	وَفضلِ رَسولهِ إلى الأحمدِيةِ
فيارَبِّ ثبتنى عَلَى الأحمَدِيةِ	بجاهِ رَسُول اللهِ خير البريَّةِ)

(فأحمد) من حمد كسمع (ربى) خالقى ومالكى (إذ) ظرفية أو تعليلية (هدانى) أى أرشدنى ووفقنى (بفضله) أى بمحض فضله وجوده وكرمه سبحانه وتعالى (و) محض (فضل رسوله) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (إلى) الانخراط فى سلك الوسيلة (الأحمدية) أى المنسوبة لسيدنا أبى الفيض أحمد ابن محمد التجانى الحسنى رضى الله عنه وعنابه آمين :

مالى فى الكون سوى الرحمن	والمصطفى وأحمد التجانى

إذ ليس عندى إلا فضل الله تعالى قدره وتبارك خيره ، وفضل مولاى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وفضل سيدنا أبى الفيض أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنه وعنابه آمين ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

أجر ذيول الفخر بالأحمدية	على أننى من صبية [1] الأحمدية
ولا أبتغى والله عنها تحولا	ولا بدلا يوما عن الأحمدية
أبوح بذاك بين كل الخلائق	أقول لهم مالى سوى الأحمدية
فطابت بها حياتنا ومماتنا	فقد جفت الأقلام بالأحمدية
وإنى لمبعوث على الأحمدية	وفى الحشرآت فى لوا الأحمدية
وقد أسبغ المولى على مواهبا	له الحمد دائما على الأحمدية

ورحم الله من قال :

ولو ذاق عاذلى صبابتى	صبا معى لكنه ماذاقها

(فيارب) بمحض فضلك وإحسانك وجودك وكرمك وامتنانك (ثبتنى) يامثبت القلوب وياعلام الغيوب (على) الوسيلة (الأحمدية) المحمدية التجانية دنيا وأخرى وبرزخا (بجاه) الجاه القدر والمنزلة : أى بجاه (رسول الله) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (خير) أفضل (البرية) الخليقة على الإطلاق :

---

(١) صبية كفتية اهـ

آمين آمين لا أرضى بواحدة ... حتى أضيف لها ألف آمينا
يارب لا تسلبنى حبها أبدا ... ويرحم الله عبدا قال آمينا

ولابن الفارض رضى الله عنه :

ولى همة تعلو إذا ماذكرتها ... وروح بذكرها إذا رخصت تغلو
جرى حبها مجرى دمى فى مفاصلى ... فأصبح لى عن كل شغل بها شغل
فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى ... فإن قبلتها منك فياحبذا البذل

وله أيضا :

وعندى منها نشوة قبل نشأتى ... معى أبدا تبقى وإن بلى العظم

ـ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ـ .

ثم أشار غفر الله ذنبه وستر عيبه إلى ذكر سنده ونسبه فى الأحمدية إذ الاعتناء بالسند من السداد والرشد لأنه نسب الإنسان فى الدين . قال تعالى ـ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ـ وفى الحديث « من ادعى أبا فى الإسلام غير أبيه يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » ومن أقبح الجهل أن يجهل الإنسان بنسبه ، وقد قيل من لاسندله فى الطريق فهو دعى ولقيط فيها على التحقيق . وعن الشعرانى رضى الله عنه : يجب تعيين الأب لئلا يجهل الابن من النسب فينتسب أو ينسبه سواه لغير أبيه فيشمله حديث « من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » ومن لم يعرف والده فى الطريق فهو دعى على التحقيق قال تعالى ـ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ـ ولوجوب معرفة هذا النسب ولكون حقه أوكد وأوجب تجد الأشياخ فى كتبهم يتعرضون للتعريف بآبائهم لبيان رتبهم ، فيقدمون نسبهم الدينى على نسبهم الطينى إذ ليست الرتبة كالرتبة ولا القربة كالقربة فى الغالب ، ثم معرفة قدر شيخ الإنسان علامة على معرفة قدره وعنوان ودليل على قدر منحه وقوة حاله وفتحه إذ على قدر فتح الشيخ يكون فتح المريد وبحسب قوة حاله وتهذيبه يكون التهذيب والمزيد ، ولهذا قال الشيخ الكامل والقطب الشامل مولانا عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه مشيرا لهذا المعنى : البيضة منا بألف والفرخ لايقوّم انظر [جه] وفيه : ومن أكبر القواطع عن الله أن ينسب ما عنده من الفتح والأسرار لغير شيخه لأن تلك الأنوار الإلهية الواردة على العبد بالأسرار والأحوال والمعارف والعلوم والترقى فى المقامات ، كل نور منها يحن إلى مركزه وهى الحضرة الإلهية التى منها برز وفيها نشأ ، فلكل شيخ من أهل الله حضرة لايشترك فيها مع غيره ، فإذا ورد منها نور بأمر من الأمور التى ذكرناها ونسب إلى غير تلك الحضرة من الحضرات الإلهية اغتاظ ذلك النور وطار ورجع إلى محله ، وصورة ذلك فى نسب الحكمة الإلهية أن الله قضى فى كتابه بنسبة كل واحد إلى أبيه قال تعالى ـ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ـ فمن نسب نورا إلى غير محله من الحضرة الإلهية فقد أساء الأدب فى حضرة الحق وكذب على الله ، والحضرة لا تحتمل الكذب فلذا يطرد ويساب والعياذ بالله تعالى اه . وعن أبى العباس المرسى رضى الله عنه : من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الأتباع ويكشف له عن قلبه القناع فهو فى هذا الشأن لقيط لا أب له دعى لانسب له . ثم قال : ومن نسب تلميذا إلى غير أستاذه كمن نسب ولدا إلى غير أبيه وهذه الأبوة أحق أن يرعى نسبها ويحفظ نسبها ، إذتلك الأبوة تفتقر إلى هذه وهذه لاتفتقر إلى تلك اه .

ولهذا قال رحمه الله :

(فبيْني وَبينَهُ ثلاثٌ وسائِطا   وثِنْتانِ في أعلى أسانِيدِ عُزوَتي)

(فبيني وبينه) أى فبيني وبين سيدنا أبى الفيض أحمد بن محمد التجانى الحسنى رضى الله عنه وعنابه آمين فى بعض الأسانيد العالية (ثلاث وسائطا) بألف الأشباع أو بالصرف جمع وسيطة ، فإن الله تعالى قدره وتبارك خيره تفضل علىّ بمحض الجود والإفضال بالدخول فى الأحمدية العديمة المثال سنة ١٣٠٩ قد أرشد فى شهر الله شوال على يد سيدنا وسندنا وعدتنا وعمدتنا المقدم الصالح أبى محمد صالح أحمد محمود بن محمد رضى الله عنه وعنابه آمين ، وفى ذلك قلت :

فهاك مالنا من الإسناد   فى الأحمدية عن الأفراد
أخذتها عن أحمد [1] محمود   وصفه فى اسمه بلا جحود
ابن محمد بدرعة احتدى   البسكرى [2] المشرفى محتدا [3]
عن أحمد الصغير ذى الأحوال   وسيدى عبيدة المفضال
كلاهما عن قدوة الأبرار   محمد الحافظ الأسرار
عن التجانى عن النبىّ   صلى عليه الله فى العشى
وعن أبى المواهب بن السائح   عن التماسنى الولى الصالح
وعن محمد إمام الغرب   يعزى لكنسوسة دون ريب
عن سنديهما سيأتيان   فى رجز بعد بلا توان
وعن شريف الأصل عبد المالك   يعرف بالبصير للمسالك
وكان ممن فاز بالتقديم   من النبى بالفضل والتكريم
يارب جاز الكل بالرضوان   فى حضرة القدس من الرحمن
يارب ثبتنى على ذا النسب   حيا وميتا بخير العرب
يارب يسر لى كل مطلب   بشيخنا أحمد مولى الرتب
آمين آمين ختام الله   على لسان المذنب الأواه   اه

وفى شهر الله صفر عام قريش ١٣١٠ أجازنى فيها ذو الأحوال السنية والأوصاف المرضية الفقيه الأبر والقدوة الأغر سيدى الحاج الحسين الافرانى رضى الله عنه وعنا به آمين ، وفى ذلك قلت :

ثم أجازنى بها الربانى   حسين نجل أحمد الافرانى
بحر زخير كرما وعلما   لله دره أبا وأما
فما له من الشبيه والنظير   فى قطرنا السوسى من غير نكير
رأيته فى عالم الأموات   وقال لى مالك عندى يأتى
يارب فاحفظه من الشيطان   وحزبه من إنس أو من جان
عن العظيم الشأن والأحوال   العربى ابن السائح المفضال

---

(١) أحمد بتنوين للضرورة.   (٢) قوله البسكرى بكسر موحدة وتفتح: مدينة بالمغرب فى عمالة أم الجريد
(٣) محتد بكسر فوقية كمجلس الأصل اه .

عن التماسى ذى الأحوال قطب الزمان سيد الكمال
وعن محمد كريم الشيم الهاشمى السرغنى الأفخم
عن ابن عبد الواحد المصرى ذى الخلق المرضية السرى
وعن إمام غربنا المرميس محمد بن أحمد الكنسوسى
عن سيدى الغالى المجاور أبى طالب الفاسى عنه النسب
وعن إمام فائض الأنوار ابن أبى النصر من الأبرار
وعن خزانة[1] خواص السر سيدنا الممجد ابن الأحمر
وعن شريف صالح ربانى محمد الطيب السفيانى
وعن أبى سالم إبراهيما يعرف بالبالى عن ابن قاسما
والكل عن قطب الورى التجانى عن النبى المصطفى العدنانى
ياربنا بجاه هذا النسب الشامخ القدر العلى الرتب
حققه لى بالاتصال واهدنا واهد بنا من الرجيم واحمنا
ومن بالرضى وبالوصال ونظرة من سيد الرجال
صلى عليه ربنا والآل والصحب فى الغداة والآصال
آمين آمين ختام الحق جعله على لسان الخلق اه

وفى شهر الله ربيع النبوى عام قربش ١٣١٠ أجازنى فيها العالم العلامة الدراكة الفهامة القدوة المرضية والنسمة الزكية سيدى الحاج محمد كنون الفاسى رضى الله عنه وعنابه آمين ، وفى ذلك قلت :

ثم أجازنى بها ذو الفتح سيدنا محمد بالفتح
كنون بالكاف وبالنونين بوزن تنور بدون مين
نعم الإمام العالم الربانى محمد ذو الفتح والعرفان
عن سيدى ابن السائح المحقق عن التماسى تاج المفرق
وعن شريف هاشمى الأصل محمد السرغنى الأفضل
عن ابن عبد الواحد الممجد ذى خلق مرضية محمد
وعن إمام أحمد البنانى عن سيدى ابن القاسم الربانى
وعن خزانة خواص السر وعيبة[2] الأنوار نجل الأحمر
وكلهم عن أحمد التجانى عن النبى سيد الأكوان
ياربنا صل على محمد والآل والصحب وكل مهتد
يارب بالنبى والتجانى فالطف بنا ومن بالرضوان
ونظرة من خاتم الإرسال يقظة فى الحال والمآل
آمين آمين ختام الله على لسان المؤمن الأواه اه

---

(١) قالوا فلا تفتح خزانة ولا تكسر أخى القصعة خذ لغزا جلا
(٢) وعيبة كتمرة زنبيل محل سر وزنه قنديل

(و) بيني وبين سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين أيضا وسيطتان (ثنتان) وفي [س] الاثنان ضعف الواحد والمؤنث ثنتان اه (في أعلى أسانيد) جمع إسناد جمع سند (عروقي) جمعها عرى كمدية ومدى . وفي [س] العروة من الدلو والكوز المقبض انظره . وممن أخذت عنه الطريقة الأحمدية في شهر الله المعظم شعبان عام قريش ١٣١٠ سندنا الفاضل وسيدنا الواصل سيدى أحمد العبدلاوى رضى الله عنه وعنا به آمين : عن قطب الزمان وغوث الأوان ريحانة شيخنا الأكبر ووارث سره الأنور سيدى محمد الحبيب . وعن القطب الربانى سيدى الحاج على التماسنى رضى الله عنه وعنا به آمين ، كلاهما عن سيدنا أبي الفيض أحمد بن محمد التجانى الحسنى رضى الله عنه وعنا به آمين. عن سيد الوجود والسبب فى كل موجود صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ولقنتها رضى الله عنه وعنابه آمين فى الزاوية السعدية تجاه الحضرة الأحمدية بعد الاستخارة من الجانبين، ورؤيا بدون مين تدل على أن سنده أخصر وأسهل وأقرب وأوصل ، فلله الحمد وله المنة والشكر فى الأولى والآخرة . وفى ذلك قلت :

أخذتها عن ابن عبد الله ... أحمد ذى الزهد بلا تناه
عند ضريح شيخنا التجانى ... عام قريش ذاك فى شعبان ١٣١٠
عمن له بالإرث والضمان ... من النبى معرفة الرحمن
محمد ريحانة التجانى ... هو الحبيب السيد الربانى
أبو الكرام السادة الكمال ... الأصفياء الأتقيا الفضال
وعن على سيدى أبى الحسن ... هو التماسنى قطب ذا الزمن
وكم لهذا السيد الجليل ... من الكرامات بلا تفصيل
كلاهما عن أحمد التجانى ... عن سيد الوجود والأكوان
محمد المصطفى الأواه ... عليه والآل صلاة الله
يارب متعنا بسر الكل ... والاتصال ويجمع الشمل
ورؤية المصطفى محمد ... نوما ويقظة وكل مشهد
آمين آمين ختام الرب ... على لسان كل عبد مذنب اه

وممن أخذتها عنه أيضا فى شهر الله شوال عام أحد عشر وثلاثمائة وألف المقدم الناصح والولى الصالح فريد عصره ووحيد دهره العلامة الأبر والقدوة الأغر أبو مهدى سيدى عبد الله الكنسوسى رضى الله عنه وعنا به آمين . وفى ذلك قلت :

ثم أخذتها عن الهمام ... العالم ابن العالم الإمام
الليث شبل الليث عبد الله ... يعزى إلى كنسوسة الأواه
عن صحب شيخنا عن التجانى ... عن النبى المصطفى العدنان
وقال لى التقيت مع عشرة ... من صحبه كملة بررة
ولم يسم لى منهم أحدا ... وما سألته عن اسم أبدا
إذ لا يضر عدم التسمية ... لواحد منهم بدون مرية
لأنهم من صفوة الأبرار ... ونخبة الكملة الأخيار

يارب حقق لى كل نسب ... فى الدين والدنيا وكل حسب
بالمصطفى نبينا محمد ... صلى عليه الله دون عدد
وبأبى الفيض التجانى أحمدا ... عليه وابل الرضى مجددا
آمين آمين ختام الله ... على لسان المؤمن الأواه ... اهـ

قال رحمه الله :

(ومنهُ رَجَوْتُ الإِذْنَ أَوْ من نبينا ... بعالَمِ أرواحٍ بدُونِ وسِيطة)

(ومنه) أى ومن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (رجوت) الرجاء الأمل وهو تعلق القلب بأمر محبوب من جلب نفع أودفع ضرر يحصل فى المستقبل ، ويفارق التمنى وهو طلب مالاطمع فى وقوعه بأن التمنى يصحبه الكسل ولايسلك صاحبه طريق الجد فى الطاعات والرجاء بعكسه قاله العلقمى. وفى الحكم: الرجاء ماقارنه عمل وإلا فهو أمنية (الإذن) من أذن له فى الشىء كسمع إذنا بالكسر أباحه له استزادة خير وبركة على الإذن السابق لأن من أخذ عمن أخذ عنه ولو بوسائط عديدة مع دهور مديدة كأنما أخذ عنه كما فى [جه] و [جع] وقد قال ابن عباس لما أخبر بحديث عن عائشة رضى الله عنهم وعنا بهم آمين : لو كنت أقربها أوأدخل عليها لأتيتها حتى تشافهنى به اهـ وفى قوله : حتى تشافهنى به ترغيب وتحريض على إعلاء السند ماأمكن - ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا - آمين (أو) الإذن (من نبينا) سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقد رأينا من له الإذن والتقديم من النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الطريقة الأحمدية كرامة وعناية منه صلى الله عليه وسلم بالأحمدية حقق الله رجاءنا واستجاب دعاءنا آمين :

فيارب كمل لى رجائى ومنيتى ... بجاه رسول الله خير البرية
وأسبغ علىّ ياكريم مواهبا ... وحقق لى الرجا بأكمل منيتى
وكم من مراء قد أتتنى بشائرا ... تبشرنى بالإذن فى الأحمدية
ولكن أريد منهما الإذن يقظة ... بمحض الرضى والفضل من غير مرية

(بعالم) بفتح اللام (أرواح وهو) عالم الملكوت لانتقاله من عالم الأشباح الذى هو عالم الملك إليه (بدون وسيطة) بينى وبينه بل منى إليه مشافهة ويقظة - وما ذلك على الله بعزيز - وهو على مايشاء قدير وبالإجابة جدير .

واعلم أن الأخذ عن روحانية مشايخ الطريق معلوم ومشهور عند أهل التحقيق فكل من أخذ عن روحانية شيخ تسمى طريقته أويسية ، فلذا تسمى طريقة سيدنا أويسية لأنه رضى الله عنه أخذ عن روحانية سيد الوجود صلى الله عليه وسلم. وإذا علمت هذا فالأحمدية أويسية لأن سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين أخذها عن روحانية سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وعن ذاته الشريفة يقظة لامناما بلا ريب ، فلذا كثر هذا الحال فى أهلها الصادقين . وفى [غ] وقد وجدت هذه الطريقة يعنى الأويسية فى أهل طريقنا كما بلغنا أنه اتفق لبعض مشاهير الأولياء من أهل تشيت أنه أخذ عن روحانية الشيخ رضى الله عنه بمسجده من بلده وأجازله بالإطلاق أخبرنى بالأخذ عن روحانية الشيخ رضى الله تعالى عنه الناظم رحمه الله ، وأما الولاية فمتفق على إثباتها له ببلده متواتر أمرها عنه ، ولاشك فى وقوع ذلك لغيره أيضا

ممن يكرمه الله تعالى به إذ لاغرابة فيه اه . قوله رضى الله عنه وعنابه آمين : ولاشك الخ ، فيه تلويح إلى أنه منهم والله أعلم . وفى [مح] رأيت شيخنا التجانى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنابه فى واقعة من الوقائع وبيده حلة من نور ، وقال لى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنابه : من رأى هذه الحلة دخل الجنة ، ثم ألبسنى إياها رضى الله تعالى عنه ، ثم لم أزل مع سيدى محمد الغالى رضى الله تعالى عنه فى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام حتى سخر الله تعالى لى بمحض فضله شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد بن محمد التجانى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنابه ، وقال لسيدى محمد الغالى قد أعطيت الشيخ عمر بن سعيد جميع مايحتاج إليه من هذه الطريقة من الأذكار والأسرار فلم يكن لك إلا تبليغه فقط ، فحينئذ امتثل أمر الشيخ رضى الله عنه وأخذ بيدى بعدما صلينا العشاء فى المسجد النبوى حتى أوقفنى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه القبر الشريف ، وأوصل إلىّ ما أمره الشيخ وبلغ إلى ما حمله قدوتنا بإبلاغه إلى بين يدى هذا النبى الكريم ليكون شاهدا له أنه بلغ وكل ماأمره به ولده صلى الله عليه وسلم وهو شيخنا التجانى رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنابه وجازاه عنا أفضل ما جازى به شيخا عن تلاميذه ، ولهذا إن شئت قلت : إنى أخذتها عن الشيخ التجانى بنفسه رضى الله تعالى عنه انظره . قال رحمه الله :

(وَإِنْ قِيلَ هَلْ لِلْأَحْمَدِيَّةِ فَانْصَحَا   نَظِيرٌ فَقُلْ لَا لَا مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةِ
فلا تَجِدَنْ فوقَ التُرابِ نَظِيرَهَا   تَشَبَّثْ بِذَيْلِهَا وَلَا تَتَلَفَّتِ)

(وإن قيل) أى وإن قال لك قائل (هل) يوجد ويتصور فى العقل (للأحمدية) المحمدية (فانصحا) بألف مبدلة من الخفيفة أى فانصحنى لوجه الله فإن النصيحة من الدين (نظير) وشبيه ومثيل (فقل) له من غير تريث ولاتمهل (لا) نظير لها موجود وربى المعبود المتفضل بها بمحض الفضل والجود على أمة سيد الوجود صلى الله عليه وعلى آله وسلم (لا) توكيد للأولى (من أول وهلة) بفتح الواو وسكون الهاء . وفى [س] لقيته أول وهلة ويحرك أول كل شىء اه . وإذا علمت ذلك (فلا تجدن) بكسر الجيم وَيُضم وبنون خفيفة من وجده ألفاه وأدركه (فوق التراب) الأرض بأسرها (نظيرها) فى القرب والوصلة والمثوبة - فمن حاجك فيه من بعدماجاءك من العلم فقل تعالوا - إلى - الكاذبين - .

ليلى وما ليلى فلم أر مثلها   بين السما والأرض ذات عقاص

حلف الزمان ليأتين بمثلها   حنثت يمينك يا زمان فكفر

(تشبث) بمثلثة من تشبث بالشىء إذا تعلق به (بذيلها) الذيل بفتح معجمة ما جر من الثوب ومن الإزار . وفى نسخة بعهدها فكل من تعلق وتمسك بعهدها فاز ونجا وسلم من الردى دنيا وأخرى (ولا تتلفت) إلى غيرها من طرق ساداتنا المشايخ رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين ، فإن الالتفات إلى غيرها من أكبر الموانع وأعظم القواطع وأردى العوائق للأخ الصادق والحبيب الوامق ، قال رحمه الله :

(هِيَ السَّمْحَةُ الْبَيْضَاءُ وَالْحَنِيفِيَّةُ   فَعَضَّ بِأَسْنَانٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةِ)

(هى) أى الأحمدية (السمحة) أى السهلة التى لا ضيق ولا حرج فيها . قال تعالى - وما جعل

عليكم فى الدين من حرج ـ . وفى الحديث « أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة » (البيضاء) أى النيرة بأشعتها النورانية وأسرارها الربانية . وفى [جص] « قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، وعليكم بالطاعة وإن عبدا حبشيا فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد » اه (والحنيفية) أى المائلة عن سائر الطرق فاستقلت بنفسها ، واستغنت عن غيرها ، وغيرها لم يستغن عن نوالها وأنوارها وأسرارها وإمداداتها بل هو محتاج إليها حسا ومعنى ـ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ـ . وفى [مح] ومن هنا يعلم كل موفق سعيد أن طريقتنا هذه الأحمدية الإبراهيمية الحنيفية التجانية أسهل الطرق وأفضل ، وأن وردنا أجل الأوراد وأفضل ، وأن أهلها محبوبون ومرادون ومعتنى بهم لأن الحبيب المعظم والمصطفى المكرم سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، ضمن لولده الأكبر وخليفته الأشهر شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا أحمد ابن محمد التجانى سقانا الله من بحره بأعظم الأوانى ، أن لا يموت أحد ممن تمسك بأوراده بالتزام شروطها المعلومة إلا وليا قطعا ضمانا لا خلاف فيه . وقد فهمت من كلام هذا القطب أن كل واحد من الأولياء لا مراد له ولا يكون مقصوده إلا مطيق حمل سره الذى هو وارثه وأما غيره من تلاميذه فمنهم من صدق يحصل مراده ومنهم من لا ، فويل ثم ويل لمن يرغب عن طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الجميع من أقبل عليها بالصدق الولاية ، واختار لنفسه بنفسه مالا يعرف هل يكون مقبولا به أولا ولو كان ما اختاره صحيحا فى نفسه ، وماذاك والله إلا الشقاوة والحرمان ، نسأل الله السلامة والعافية فى الدارين بمحض فضله وكرمه اه . وإذا علمت هذا أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (فعض) بفتح مهملة وضاد أمر من عضضته كسمعته أمسكته بأسنانى (بأسنان) جمع سن والسن بالكسر كالضرس وزنا ومعنى :

(فائدة) وفى [جص] ضع أصبعك السبابة على ضرسك المتألم ثم اقرأ آخر « يس » اه يعنى أو لم ير الإنسان الخ وإذا فعلت ذلك ولم ينفع فاعلم أن العائق والنقص منك لأن هذا طب نبوى لا يحتاج لعقاقير أى فعض على الأحمدية بأسنانك ونواجذك (وكل ثنية) بمثلثة كعشية وهى الأربع التى فى مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

بالأحمدية لذ تنل كل المنى ... فالصيد كله صاح فى جوف الفرا
إياك عل عسى إلى حتى فذى ... نلت المنى ووقيت أعواق الورى

ورحم الله من قال :

لعمرك قد نبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان

قال رحمه الله :

(فلا شَكَّ أنَّها تُوَصِّلُ كُلَّ مَنْ ... يُلازِمُ عَهْدَهَا بِدُونِ شَرِيطَةِ)

(فلا شك) الشك خلاف اليقين (أنها) أى الأحمدية (توصل) إلى الله تعالى (كل من يلازم عهدها) وهو الورد المعلوم فى وقته المختوم ، ومن وردها الوظيفة المعلومة والهيللة يوم الجمعة (بدون شريطة) كسفينة لغة فى الشرط جمعها شرائط أى من غير زيادة شرط من الشروط المصطلح عليها فى التربية بعد الصدر الأول المعلومة عند السادات الأول ، وقد مر أن مدار التربية فى الأحمدية على إقامة الورد المعلوم

فى وقته المختوم وعلى الوظيفة المعلومة والهيللة يوم الجمعة فى أوقاتها المختومة واستيفاء مالها من الشروط المشروطة واتباع السنة المطهرة - وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا - لقـد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة - الآية : قال رحمه الله :

(مِنَ الْمُسْتَحِيلِ جَمْعُهَا مَعْ طَرِيقَةٍ ... وَمَنْ قَالَ بِالْجَوَازِ قَالَ بِفِرْيَةِ)

(من المستحيل) وهو ما لايتصور فى العقل وجوده (جمعها) أى اجتماع الأحمدية (مع طريقة) أخرى من طرق ساداتنا المشايخ رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين . وفى [مح] وقال رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنابه : كل الطرق تدخل فى طريقة الشاذلى رضى الله تعالى عنه إلا طريقتنا هذه المحمدية الإبراهيمية الحنيفية فإنها مستقلة بنفسها ، فلا ينبغى لنا إلا التفرد بها لأنه أعطاها لنا منه إلينا صلى الله عليه وسلم ، وقال لا يصلك شىء إلا على يدى ، وهو الذى ربانا وأوصلنا حتى بلغنا المنى صلى الله عليه وسلم حمدا وشكرا لله تعالى : وقال رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنابه : كل الطرق تدخل عليها طريقتنا فتبطلها ، وطابعنا يركب على كل طابع ولا يحمل طابعنا غيره اه : وفى [غ] عن الخاتمى رضى الله عنه : واعلم أنه كما لم يكن وجود العالم بين إلهين ولا المكلف بين رسولين مختلفى الشريعة ولا امرأة بين زوجين كذلك لا يكون المريد بين شيخين إذا كان مريد تربية ، فإن كان صحبه بلا تربية فلا يبال بصحبة الشيوخ كلهم لأنه ليس تحت حكمهم ، وهذه تسمى صحبة البركة غير أنه لا يجىء منها رجل فى طريق أهل الله والحرمة أصل فى الفلاح اه بنقل الشعرانى رضى الله عنه . وقال ابن حجر : من يريد التبرك يجوز له الأخذ عن مشايخ متعددين ومن يريد السلوك والتربية يحرم عليه الخروج عن شيخه ، ثم قال رضى الله عنه وعنابه آمين : (قلت) : وليس فى طريقنا إلا صحبة السلوك والتربية لما تقدم لنا فى المقدمة من أن أهل هذه الطريق كلهم مرادون لحمل سر الشيخ رضى الله عنه ، وإذا كان المحب للشيخ رضى الله عنه دون أخذ ذكر عنه لا يموت إلا وليا فما بالك بآخـذ الورد عنه والله ذو الفضل العظيم . وبالجملة فمن المقرر عند أئمة الطريق وأركانها أن من شرط أخذ العهد على المريد انسلاخه عن جميع العلائق . قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه حسبما سبق قريبا : وما لم يتجرد المريد عن كل علاقة فلا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئا من الأذكار اه انظرها (ومن قال) من ساداتنا العلماء وغيرهم (بالجواز) أى بجواز جمعها مع أخرى قياسا لها على غيرها من الطرق فقد (قال) غفر الله لنا وله وجبر حالنا وحاله وأصلح مآلنا ومآله . وفى الحديث «اتقوا زلة العالم وانتظروا فيئته» وقد قيل : زلة العالم بكسر اللام وزلة العالم بفتحها ، وقيل إن زلته كانكسار السفينة تغرق وتغرق غيرها (بفرية) بكسر الفاء الكذب فقد بلغنا أن من أهل العصر من يلقنها وليس من أهلها إما بإذن عام أو بقصد التبرك على حد - من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها - وإما بإذن خاص فهو وملقنه بالفتح بمعزل عن الأحمدية وعن ساحتها ولا ينسحب عليهم حكمها ولا اسمها قال تعالى - وأتوا البيوت من أبوابها - وقال : - معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده - اللهم - إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم - ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

إنى أعيذها برب الفلق ... ممن يضل الناس غير متق
إنى أعيذها برب الناس ... من متلبس ومن خناس

وإنى أعيذها بالخالق من كل مارد وكل مارق
وإنى أعيذها بالله ممن مراده من التلاهى
يارب فاحمها من الشيطان وحزبه بالمصطفى العدنان
آمين آمين ختام الله على لسان المؤمن الأواه

ورحم الله من قال فى الأوصاف التى ينبغى أن تكون فى الشيخ :

إذا لم يكن فى الشيخ خمس فوائد ولا فدجال يقود إلى الجهل
بصير بأحكام الشريعة عارف ويبحث فى علم الحقيقة عن أصل
يبادر للوراد بالبشر والقرى ويخضع للمسكين فى القول والفعل
فهذا هو الشيخ المعظم قدره جدير بتمييز الحرام من الحل اهـ

وعن الجنيد رضى الله عنه : لا يستحق الرجل أن يكون شيخا حتى يأخذ حظا من كل علم شرعى وأن يتورع عن جميع المحارم ، وأن يزهد فى الدنيا ، وأن لا يشرع فى مداواة غيره إلا بعد فراغه من مداواة نفسه ، ثم قال : فإياك ومتابعة من لم يكن على هذه الأوصاف فإنه من جنود الشيطان ، واعتبر أقواله وأفعاله وأحواله وزنها بميزان الشريعة والطريقة ، فإن رأيت شيئا مخالفا لهما فرده ، فإن كان صاحب حال صحيح ورددته فما عليك من رده بحكم الشرع ولا تتخذه شيخا ومرشدا ، وقد كانت ساداتنا الأئمة رضى الله عنهم يحرّضون أصحابهم على حفظ الرائية المعلومة للعارف بالله سيدى أحمد بن محمد بن أحمد الشريشى رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل أعلى عليين مأواه آمين لجمعها شروط الشيخ ومريديه عند منصف ونبيه وهى :

وللشيخ آيات إذا لم تكن له فما هو إلا فى ليالى الهوى يسرى
إذا لم يكن علم لديه بظاهر ولا باطن فاضرب به لجج البحر
وإن كان إلا أنه غير جامع لوصفيهما جمعا على أكمل الأمر
فأقرب أحوال العليل إلى الردى إذا لم يكن منها الطبيب على خبر
وآياته أن لا يميل إلى هوى فدنياه فى طى وأخراه فى نشر
فإن كان ذا جمع لأكل طعامه مريدا فلا تصحبه يوما من الدهر
ولا تسألن عنه سوى ذى بصيرة خلىّ من الأهواء ليس بمغتر
ولا تقدمن قبل اعتقادك أنه مرب ولا أولى بها منه فى العصر
فإن رقيب الإلتفات لغيره يقول لمحبوب السراية لا تسرى
ولا تعترض يوما عليه فإنه كفيل بتشتيت المريد على هجر
ومن يعترض والعلم عنه بمعزل يرى النقص فى عين الكمال ولا يدرى
ومن لم يوافق شيخه فى اعتقاده يظل على الإنكار فى لهب الجمر
فذو العقل لا يرضى سواه وإن نأى عن الحق نأى الليل عن واضح الفجر
ولا تعرفن فى حضرة الشيخ غيره ولا تملأن عينا من النظر الشزر
ولا تنطقن يوما لديه فإن دعا إليه فلا تعدل عن الكلم النزر
ولا ترفعن بالضحك صوتك عنده فلا قبح إلا دون ذلك فاستقر

ولا تقعدن قدامه متربعا ولا باديا رجلا فبادر إلى الستر
ولا باسطا سجادة بحضوره فلا قصد إلا السعى للخادم البر
وسجادة الصوفى بيت سكونه ولا وكر إلا أن يطير عن الوكر
وما دمت لم تفطم فلا فرجية عليك ولا تلقى عليها بمستجر
ولا ترين فى الأرض دونك مؤمنا ولا كافرا حتى تغيب فى القبر
فإن ختام الأمر عنك مغيب ومن ليس ذاخسر يخاف من المكر
ولا تنظرن يوما إلى الخلق إنه يحلى طليق الصفو فى كدر الأسر
وإن نظم الحق الكرامات أسطرا فلا تبدين حرفا لغيرك من سطر
سوى الشيخ لاتكتمه سرا فإنه بساحة كشف السر يجرى على بحر
وفى الكشف إن كوشفت راجعه إنه لتوضيح ما كوشفت مبتسم الثغر
ولا تنفرد عنه بواقعة جرت فعيناك فى غشى وسمعك فى وقر
وفر إليه فى المهمات كلها فإنك تلقى النصر فى ذلك الفر
ولا تك ممن يحسن الفعل عنده فيفسد إلا أن يفر إلى الكسر
ومن حل فى صدق الإنابة منزلا يرى العيب فى أفعاله وهو مستبر

- ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا - آمين - قال رحمه الله :

(واصغ لِقَوْلِي إنّى لَكَ ناصِحٌ وَكُنْ حَذِراً من جَمْعِها معْ طَرِيقَةٍ)

(واصغ) من الإصغاء وهو إمالة الحنك أو أحد الشقين للإسماع (لقولى) أى لما قلته لك من استحالة جمع الأحمدية مع غيرها من طرق ساداتنا الشيوخ رضى الله عنهم كاستحالة الجمع بين الأختين أو وجود زوجة بين زوجين (إنى لك ناصح) آمين قال تعالى - ولكن لا تحبون الناصحين - وللبوصيرى رضى الله عنه :

وإذا ضلت العقول على علـــم فمـاذا تقوله النصحاء

ورحم الله من قال :

والله يعلم إنى ناصح لكم والحق أبلج لاتخفى طرائقه

(وكن) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (حذرا) بكسر معجمة ككتف وضمها كعضد والفعل كعلم والحذر كضرس وسبب الاحتراز (من جمعها) أى الأحمدية (مع طريقة) أخرى من طرق المشايخ رضى الله عنهم : ولا تستمع إلى من يقول بالجواز ممن لم يشم لها رائحة ولا لاحت له منها لائحة ، ولاتلتفت إلى قوله أبدا - قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون - وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله - ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل - وللبوصيرى رضى الله عنه :

والدعاوى مالم يقيموا عليها بينات أبنـاؤها أدعياء

قال رحمه الله :

(فطَابَعُها على الطَّرائقِ داخِلُ ولا عَكْسَ عن كلِّ الوَسائلِ أغنَتِ)

(فطابعها) بفتح موحدة وتكسر ميمم الفرائض ، ويقال هذا طبعان الأمير بالضم طينه الذى يختم به (على) جميع طوابع (الطرائق) جمع طريقة (داخل) وواقع فيبطلها ولا تبقى معه (ولا عكس) موجود . وفى [د] طابعنا ينزل على كل طابع ولا ينزل طابع عليه ، وفيها : طابعنا المحمدى ينزل على كل من أخذ ورد نا وتحصل له الشفاعة فى الحين والولاية ، ولذا كانت كثر الله أهلها وأذاع فضلها آمين (عن كل الوسائل) لساداتنا الأوائل (أغنت) أى أغنت صاحبها عن التشوف لغيرها حسا ومعنى كما هو مشاهد بالعيان عند الصادقين من الإخوان ، فلا تجد من يتمسك بها يبتغى عنها حولا أو يلتمس لها بدلا ، بل يحبها ويحب أهلها محبة راسخة خارقة للعادة ولا يسره بها حمر النعم وقلبه مشغوف بحبها لهج بذكرها - ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء - قال رحمه الله :

(تَدُومُ وتبقَى معْ دُهُورٍ طويلةٍ وفى آخِرِ الزَّمَانِ تأتى بفَيْضَةٍ
فيدْخلُها الوَرَى أفاوجَ رَغْبةً لِما شاهدُوهُ مِنْ لوائحِ وُصْلَةِ)

(تدوم) الطريقة الأحمدية بمحض العناية الصمدية (وتبقى) ولا تفنى حتى لا يبقى فوق الأرض من يقول الله (مع) بسكون العين أى مع مرور (دهور) جمع دهر وهو الزمان الطويل (طويلة) وهى أحق بقول سيدنا ومولانا الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه :

أفلت شموس الأولين وشمسنا أبدا على فلك العلا لا تغرب

وفى [جع] وطلب شيخنا رضى الله عنه هذا الحال يعنى تشعب طريقه فى الخلق وأنها لا تنقطع إلى آخر الدهر وضمنت له فهى مزية لها على جميع الطرق لكون الطرق كثيرها ينقطع مع طول الزمان كما هو معلوم لمن عرف سير أهل العرفان ، وهذه باقية مع فساد الدهور إلى النفخ فى الصور مع سريان مددها وظهور إيجادها ، وهذا كله ضمنه سيد العارفين صفوة ربنا من خلقه خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأكرمين ، انظره . وفى [روض الشمائل] أن طرق أصحاب الشيخ رضى الله تعالى عنه وعنهم فى بنى آدم أزيد من عشرة آلاف طريق كل طريق لتلميذ من تلامذته ، وكل طريق تتفرع بفروع كثيرة إلى قيام الساعة لا تنقضى أبدا حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، وقال : المدفع [1] الكبير يضرب من بعد ، وفى رواية : الكبير مثل المدفع يضرب من بعد ، فلما عمت طريقته الأرض وبلغت القسطنطينية العظمى من جهة الشمال ووصلت البحر الكبير المالح من جهة اليمين إلى أقصى معمور من الأرض من جهة المغرب علم أنه كنى بالمدفع الكبير عن نفسه ، وكنى بضربه من بعد عن عموم طريقته وانتشارها فى جميع أقطار الأرض والله تعالى أعلم انظره (وفى آخر الزمان) الصعب الشديد القليل الخير بإذن المجيد (تأتى بفيضة) أى تفيض على أصحابها الأحمدية محمدية أحدية بمحض فضل الله وإحسانه وجوده وامتنانه (فيدخلها) أى فبسبب ذلك يدخلها (الورى) كالفتى الخلق (أفاوج) بدون تحتية ، ويقال أفاويج بها جمع أفواج جمع فوج وهو الجماعة قال تعالى

---

(١) المدفع كمنبر : آلة يدفع بها اهـ .

- إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا - (رغبة) مصدر رغب فى الشىء كسمع أراده وأحبه (لما) اللام بمعنى «فى» على حد - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة - أى فيها (شاهدوه) وعاينوه على المتمسكين بها الصادقين فى حبها (من لوائح) جمع لائحة كلامعة ولوامع وزنا ومعنى (وصلة) بضم الواو كغرفة . وفى [د] تأتى فيضة على أصحابنا حتى يدخل الناس طريقتنا أفواجا ، تأتى هذه الفيضة والناس فى غاية مايكون من الضيق والشدة وكنى يعنى بهذه الفيضة أنه يفتح على عدد كثير من أصحابه رضى الله عنه ، انظرها ؛ قال رحمه الله :

(تعودُ إليها فيه كلُّ الوَسائلِ كما مِللٌ غدَتْ إلى الحَنيفية)

(تعود) ترجع (إليها) أى إلى الأحمدية (فيه) أى فى آخر الزمان (كل الوسائل) أى جميعها بإذن منشئها وبارئها . وفى [د] طريقتنا تنسخ جميع الطرق وتبطلها ولا تدخل طريق على طريقتنا اه - ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون - (كما ملل) جمع ملة كسدرة وسدر ، والملة بالكسر الشريعة والدين وبالفتح : الرماد الحار ، وبالضم : الخياطة. (غدت إلى الحنيفية) أى صارت إلى الملة المحمدية صلى الله عليه وعلى آله وسلم . قال رحمه الله :

(فيأخُذُها المَهدِىُّ عِندَ ظُهُورِه لذا مَنْ لَهُ الإذْنُ الصَّحيحُ بطِيبَةِ)

(فيأخذها) أى فبسبب ما ذكر من بقائها وحدها آخر الدهر يأخذها الإمام المنتظر سيدى محمد ابن عبدالله (المهدى) رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه آمين : الذى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت حيفا وجورا . وفى [جص] « المهدى منى أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يملك سبع سنين اه : وفى رواية: يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة، وفيه: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، وفيه: لتملأن الأرض جورا وظلما فإذا ملئت جورا وظلما يبعث الله رجلا منى اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى فيملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما فلا تمنع السماء شيئا من قطرها ولا الأرض شيئا من نباتها يمكث فيكم سبعا أو ثمانيا فإن أكثر فتسعا» (عند ظهوره) ويكون ظهوره من بلاد المشرق ويبايع له عند البيت . وفى [جص] « سيكون من بعدى خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك ومن بعد الملوك جبابرة ، ثم يخرج رجل من أهل بيتى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، ثم يؤمر بعده القحطانى، فوالذى بعثنى بالحق ما هو بدونه » قال الحفنى : أى يجعل أميرا ويحكم بالعدل فعدله مثل عدل المهدى ، كما أقسم صلى الله عليه وسلم ، ومدة المهدى وخلفائه أربعون سنة لأن خلفاءه تظهر قبله ومدتهم ثلاثة وثلاثون سنة فيظهر ويمكث سبع سنين فالجملة أربعون سنة عدلا ، لكن يظهر فى خلال مدته السفيانى كثير الجور والظلم اه (لذا) أى عند (من له) من ساداتنا الأحمديين (الإذن) فى تلقين أوراد الأحمدية (الصحيح) الإسناد والاتصال . وفى [مع] أن الإمام المهدى المنتظر أخ لهم فى الطريقة : قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنابه : إن جميع الأولياء يدخلون زمرتنا ويأخذون أورادنا ويتمسكون بطريقتنا من أول الوجود إلى يوم القيامة ، حتى الإمام المهدى إذا قام آخر الزمان يدخل زمرتنا بعد مماتنا وانتقالنا إلى دار البقاء اه .

قلت : قد أخبرنى سيدى محمد الغالى أبو طالب الشريف الحسنى أن واحدا من أصحاب الشيخ قال للشيخ رضى الله تعالى عنه ياسيدى قد بعثت ولدى إلى معلم يعلمه العلم ، فقال له الشيخ رضى الله تعالى عنه ألا تخاف أن يذبحه الإمام المهدى رضى الله عنه ؟ وقال للشيخ لم يذبحه ياسيدى؟ فقال الشيخ رضى الله تعالى عنه إن الإمام المهدى يبدأ بذبح علماء السوء ، فقال للشيخ رضى الله تعالى عنه إن الإمام المهدى يذبحنا إذا ظهر فقال له الشيخ رضى الله تعالى عنه لا يذبحكم لأنه أخ لكم فى الطريقة وإنما يذبح علماء السوء ، وقال إذا جاء المنتظر يطلب من أصحابنا الفاتحة اه . وقد أخبرنى أيضا ونحن بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام بأنه إنما جاور الحرمين الشريفين لأمور . منها : أنه يترصد ظهور الإمام المهدى وهو حاضر لعل الله يمن عليه بأخذ الإمام هذه الطريقة على يديه وقد تركته هناك مجاورا رضى الله تعالى عنه اه (بطيبة) بالصرف للضرورة اسم من أسماء مدينته صلى الله عليه وسلم ويقال لها أيضا طابة . وفى [جص] « إن الله تعالى أمرنى أن أسمى المدينة طيبة ، وفيه : إن الله تعالى سمى المدينة طابة » قال العلقمى : طابة وطيبة مشتقان من الطيب وهى الرائحة الحسنة لطيب ترابها وهوائها ومساكنها وطيب العيش بها . قال بعض العلماء : من أقام بالمدينة يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد فى غيرها اه :

قلت : والله لقد وجدنا ذلك أيام إقامتنا بها فهنيئا لأهلها لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بالبقى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما وما ذلك على الله بعزيز :

لم أنس قط لويلات لنا سلفت بطيبة وزمان السعد أقبل لى
إنى مشوق إلى أرض البقيع عسى أرى ضريحك من قبل انقضا أجلى اه

فيارب فاجعل تربتى ومنيتى بطيبة فى جوار خير البرية
بجاه أبى الفيض التجانى أحمدى وجاه رسول الله فامنن بمنيتى

وأما تسميتها بيثرب فمكروه أو حرام لحديث « من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هى طابة هى طابة » أى لأن التثريب الفساد والخوف قال تعالى - لا تثريب عليكم - فتسميتها بذلك حرام لأن الاستغفار إنما يكون عن خطيئة ، وعن عيسى بن دينار : من سمى المدينة يثرب كتبت عليه خطيئة ، ورحم الله من قال :

ومن دعاها يثربا(١) يستغفر فقوله خطيئة تستغفر

قال رحمه الله :

(فَصارَتْ لأَهْلِيها حَرَاماً وَآمِناً كَمِثْلِ حَرَامِ مَكَّةٍ والمَدِينَةِ)

(فصارت) الأحمدية بمحض العناية الصمدية والهمة المحمدية (لأهلها) ولو بأدنى تعلق من محبة وخدمة لأهلها (حراما) كسحاب ويقال حرم كسبب وصرد (و) مقاما (آمنا) قال تعالى - فى مقام إبراهيم - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - ومن دخله كان آمنا - وفى [جع] - إن من فضائلها أن من دخلها كان آمنا من عذاب الله فهى كما ذكر الله فى الحرم الشريف قال تعالى - ومن دخله كان آمنا - اه (كمثل حرام مكة) بالصرف للضرورة وحرم مكة هو حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وفى [جص] « مكة أم القرى » أى أصلها لأنه تعالى أول ما خلق من الأرض أرض

---

(١) بتنوين الضرورة .

البيت ثم استمد منه جميع الأراضى من القرى وغيرها ، انظر الحفنى ورحم الله من قال فيها على لسانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

أحن إلى أرض بها اخضر شاربى   وأول أرض مس جلدى ترابها

وفى [حى] ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال « إنك لخير أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى إلىّ ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » اه وفى [جع] وعن الحسن البصرى رضى الله عنه : صوم يوم بمكة بمائة ألف ، وصدقة درهم بمائة ألف ، وكذا كل حسنة بمائة ألف اه . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نكثر الصلاة فى مسجد مكة والمدينة لما ورد فى ذلك من الفضل ، انظره . وفى [جص] « الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة فى مسجدى بألف صلاة ، والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة » انظره (و) كذلك حرام (المدينة) المنورة الطيبة بأنفاسه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعن على رضى الله عنه وعنا به آمين : المدينة حرام ما بين عير[1] إلى كذا فمن أحدث فيها حدثا أو آوى فيها محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ومن تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر ذمة مسلم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل انظر البخارى . وفى [جص] « المدينة حرام آمن المدينة خير من مكة المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومتبوء الحلال والحرام » اه وروى أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال فى قوم يخرجون من المدينة رغبة عنها « والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم « لا يخرج من المدينة أحد رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه » وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم « من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم « على أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم « إن الإيمان ليأرز[2] إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم « أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد » وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم « أفتتحت القرى بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن » وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم « من أخاف أهل المدينة أخافه الله يوم القيامة وعليه لعنة الله وغضبه » وفى رواية « من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبى » يعنى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قلبه وروحه ، فينبغى للعاقل احترام أهل المدينة والبر بهم والإحسان إليهم ولو بكلمة طيبة لأنهم جيرانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وجار الكريم لا يهان ولا يضام ، اللهم اجعلنا من صفوة جيرته صلى الله عليه وعلى آله وسلم دنيا وأخرى وبرزخا آمين ، وفى أخرى « من آذى أهل المدينة آذاه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نشتكى أحدا من أهل المدينة ولا نخيفه ولو بحق لنا إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكون جميع أهل المدينة جيرانه ، وهذا العهد يخل به كثير من التجار وجماعة أمير الحاج ، فمثل هؤلاء سافروا ليربحوا فخسروا لإخلالهم بالتعظيم

(١) بفتح عين اسم جبل بالمدينة .   (٢) بفتح تحتية وتثليث الراء يفر ويهرب اه .

لمن الوجود فى بركته ، ثم قال : وسمعت سيدى عليا الخواص يقول ، من حقق النظر وجد جميع أهل المدينة من حر وعبد وصغير وكبير كلهم جالسين فى داره صلى الله عليه وسلم ، وكيف يخيف الإنسان من هو جالس فى دار رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يشتكيه من الحكام ، انظره . وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فيها فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة » وفى رواية « ماعلى الأرض بقعة أحب إلى أن يكون قبرى بها منها ثلاثا » وفى [خل] إن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه قال لابن عباس رضى الله عنهما : أنت القائل : مكة خير من المدينة ؟ فقال له ابن عباس هى حرم الله وأمنه وفيها بيته ، فقال أمير المؤمنين رضى الله عنه : لا أقول فى حرم الله ولا فى بيته شيئا ، أنت القائل الخ ثلاث مرات ، ومن المنتقى ؟ قال محمد بن عيسى لو أقر له بذلك لضربه يريد لأدبه على تفضيل مكة على المدينة لاعتقاده تفضيل المدينة على مكة ، انظره . وفيه : مذهب علماء المدينة رحمهم الله تعالى أنها أفضل من مكة وإن الصلاة فى مسجده صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فى مسجد مكة بدون الألف وأنها تفضل غيرها من المساجد بالألف إلا المسجد الأقصى فإن الصلاة فيه بخمسمائة صلاة للحديث الوارد فيه ، انظره فقد أجاد وأطنب فى المسألة على عادته رضى الله عنه ، وروى أبو يعلى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يقبض نبى إلا فى أحب الأمكنة إليه » اه ولاشك أن أحبها إليه أحبها إلى ربه لأن حبه تابع لحب ربه ، وما كان أحب إلى الله ورسوله كيف لا يكون أفضل ، وورد أن المؤمن يقبر فى الموضع الذى أخذت منه تربته وخلق منها فكانت بهذا تربة المدينة أفضل من سائر تراب غيرها ، كما أنه صلى الله عليه وسلم أفضل البشر ، ولا يلزم على هذا أن تراب المدينة أفضل من الكعبة لأن التراب الذى خلق منه صلى الله عليه وسلم من الكعبة وأفضلها أفضل التراب ، لكن لما كان الطوفان قلع ذلك التراب المدفون فيه صلى الله عليه وسلم من الكعبة إلى موضعه الآن بالمدينة ولبعض العارفين رضى الله عنه :

جزم الجميع بأن خير الأرض ما ... قد حاز ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت ... كالنفس حين زكت زكى مأواها
لا كالمدينة منزل وكفى بها ... شرفا حلول محمد بفنائها
وابشر ففى الخبر الصحيح مقررا ... إن الإله بطيبة سماها
واختصها للطيبين بطيبها ... واختارها ودعا إلى سكناها

قال رحمه الله :

(فَمَنْ قد تَرَادَفَتْ عليهِ النوائِبُ ... فإما لِمَحْوِ ذَنبٍ أو رَفْعِ رُتْبَةٍ)

(فمن قد ترادفت) أى توالت وتتابعت (عليه) من إخواننا الأحمديين (النوائب) أى نوائب الدهر وحوادثه وصروفه وتضاف للخير والشر ، ومنه قوله :

نوائب من خير وشر كلاهما ... فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

(فإما) أى فما حل عليه من نوائب الدهر ونواكبه إما (لمحو ذنب) اكتسبه واجترحه قال تعالى ـ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون ـ :

فقلت لها ما الذنب قالت مجيبة ... وجودك ذنب لايقاس به ذنب

لحديث « إذا أحب الله عبدا عجل له العقوبة » أى تطهيرا له وتنبيها له للتوبة قال تعالى - إن الله يحب التوابين - أى كلما أذنبوا تابوا وذلك من سعادة من وفقه الله (أو رفع) أى وإما لرفع (رتبة) أى مرتبته ودرجته لحديث « إذا أحب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه » أى تذلله واستكانته وخضوعه ومبالغته فى السؤال ويثيبه على ذلك . وفى [جص] . « لو كان المؤمن فى جحر ضب لقيض الله له من يؤذيه ، وفيه : لو كان المؤمن على قصبة فى البحر لقيض الله له من يؤذيه » : أى بضرب أو سب أو نحو ذلك ، لأن المؤمن محبوب لله تعالى فيجعل ذلك تكفيرا لسيئاته أو رفعا لدرجاته ووبالا على من آذاه ، فينبغى للمؤمن أن يقابل إذاية الناس له بالرضى والتسليم للعليم الحكيم ، وفيه : المصيبة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه ، وعن بعض السلف : لولا مصائب الدنيا وردنا يوم القيامة مفاليس : أى كالليل إذ الغلس ظلمة آخر الليل ، وفيه : المصائب والأمراض والأحزان فى الدنيا جزاء : أى مكفرات للذنوب فى حق المسلم وانتقام فى حق الكافر ، انظر الحفنى وفيه : ساعات الأمراض يذهبن ساعات الخطايا : وفيه : إذا سبقت للعبد من الله تعالى منزلة لم ينلها بعمله ابتلاه الله فى جسده وفى أهله وماله ، ثم صبره على ذلك حتى ينال المنزلة التى سبقت له من الله عز وجل ، وفيه أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة ، وفيه : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون لقد كان أحدهم يبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يجوبها فيلبسها ويبتلى بالقمل حتى يقتله ، ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء ، وفيه : إن الله تعالى ليبتلى المؤمن وما يبتليه إلا لكرامته عليه ، وفيه : إن الله تعالى ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير وإن الله ليحمى عبده المؤمن من الدنيا كما يحمى المريض أهله من الطعام ، عجبت للمؤمن وجزعه من السقم ولو يعلم ماله من السقم أحب أن يكون سقيما حتى يلقى الله عز وجل ، ما من مؤمن يشاك بشوكة فما فوقها إلا كتب الله له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة » .

وحكى أن امرأة عثرت فقلمت أصبعها : أى قطعت ، فضحكت ، فقال لها زوجها ألم تؤلمك العثرة ؟ فقالت شغلنى ما أعد لى بسبب ذلك عن التألم ، وهكذا شأن المقربين يشاهدون النعم فى طى البلايا ، من أصيب بمصيبة فى ماله أو جسده ولم يشكها إلى الناس كان حقا على الله أن يغفر له ، وعن بعضهم : ومن فوائد الابتلاء النظر إلى قهر الربوبية والرجوع إلى ذل العبودية ، والتجافى عن الدنيا وصدق الإنابة إلى الله والالتجاء وشدة التضرع إليه سبحانه وتعالى ، وتمحيص الذنوب ورفع الدرجات ومعرفة قدر العافية لأن الشىء لا يعرف إلا بضده ، وترك التجبر والتكبر والبطر ، وأعلى ذلك كله وأسناه رضا الله تعالى لمن رضى بحكمه وقضائه ، ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا آمين. وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عن علامة كون البلاء عقوبة ؟ فقال : علامته عدم الصبر وكثرة الجزع والشكوى إلى الخلق ، فقلت له فما علامة كون البلاء تمحيصا للذنوب ؟ فقال علامته وجود الصبر الجميل من غير شكوى ولاجزع ولا ضجر بأداء الطاعات ، فقلت فما علامة كونه رفع درجات ؟ فقال علامة ذلك وجود الرضى والموافقة وطمأنينة النفس والسكون تحت الأقدار حتى تنكشف انتهى .

قلت : ورأيت نحو هذا التقسيم فى كتاب [فتوح الغيب] لسيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه والله أعلم اهـ . وفى [عم] لا يبحث العبد فى حكمة نزول المرض هل هو رفع درجات أو عقوبات

أو كفارات ، فإنه لا يكاد يخرج عن هذه الثلاث ، ولكل منها علامة ، فعلامة كونه رفع الدرجات أن يقع مع انشراح وانفساح الصبر والرضى ، وعلامة العقوبة مع الألم والسخط والاستقذار ، وعلامة المكفرات أن يقع مع الصبر وعدم السخط ، وأصل ذلك أن الله تعالى يحبس العبد فى المقام المفضول حتى يتحقق به ، ثم بعد ذلك ينقله إلى المقام الأفضل فلذلك يحبس فى مقام الصبر مع عدم الانشراح للصدر ليحصل له الأجر الذى وعده الصابرين ، ثم ينقله إلى مقام الرضى ليحصل له الأجر الذى وعد به الراضين ، ولا بد لكل كامل من حصول الأمرين ولو علت مرتبته أنظره . وفى [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه عن ابتلاء الحق تعالى لأنبيائه وأصفيائه ما حكمته وهم مطهرون من الذنوب والفواحش ؟ فقال رضى الله عنه : ابتلاء الحق تعالى للأنبياء أنما هو ليثيبهم ويرفع درجاتهم لشدة اعتنائه تعالى بهم لا غير إذ لم يكن لهم ذنوب حتى تكفر عنهم للعصمة أو الحفظ فستر تعالى مقامهم فى هذه الدار بتصريحه بالمغفرة لهم تأنيسا للمؤمنين ورحمة بهم ؛ وإلا فالمغفرة من أصلها لا ترد إلا على مسمى الذنب وحاشا الأنبياء من حقيقة الذنب ، فافهم تعلم قوله تعالى - قل إنما أنا بشر مثلكم - فإن ذلك إنما هو تواضع منه صلى الله عليه وسلم وإلا فأين المقام النبوى من مقام آحاد الناس ، انظر .

قال رحمه الله :

(هَنِيئاً لَكُمْ بِهَا فَقُومُوا بِحَقِّهَا ... وَلُوذُوا بِعَهْدِهَا المَتِينِ بِقُوَّةِ

فَمَا أَحَدٌ وَاللهِ فَازَ بِمِثْلِ مَا ... ظَفِرْتُمْ بِهِ مِنَ المَعَالِى السَّنِيَّةِ

فَلَمْ يُعْطَ لِلأَقْطَابِ رُتْبَتُكُمْ مَعاً ... من أجلِ أبى الفيضِ التجانى عُدَّتى)

(هنيئا لكم) أيتها العصابة الأحمدية التجانية المحمدية (بها) أى بالأحمدية أى بالتمسك بها فإنها حبل الله المتين من تمسك به نجا . وفى [جع] الرابع : يعنى من الأمور التى فاقت بها الأحمدية جميع الطرق : أنه أخبرنى بعض أهل الفتح من خواص سيدنا رضى الله عنه أنه رأى فى بعض مشاهده براحا فيه جمع عظيم من الأنبياء والرسل والملائكة والإنس والجن ، وتقدم سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يصلى بهم صلاة الصبح ، فرأيت فى الصف الأول الذى يليه سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل وسيدنا آدم عليهم الصلاة والسلام والصف الثانى فيه الخلفاء وقدوتنا أبو العباس التجانى رضى الله عن جميعهم ومعهم صاحب المشهد ، وسمعته قرأ فى الأولى الفاتحة وسورة كذا وسمعته يذكر الفاتح الخ فى السجود ، ثم لما سلم سمعت كالرعد القاصف نزل من قبل السماء فإذا بسيدنا جبريل عليه السلام نزل بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو ينادى بأعلى صوته فى الجمع يقول هنيئا ثم هنيئا لمن أخذ طريق التجانى ، أو كلاما غير هذا فعند ذلك رأيت الخلق من الجن والإنس والملائكة يزدحمون على الشيخ م درعهم لازد، وكتمت هذا لأنى سمعت بعضه من شيخنا رضى الله عنه وأمرنى بكتمه ، وكلامه دليل لتصديق صاحب الكشف المذكور رحمه الله ورضى عنه ، وهذا دليل على علو شأن هذه الطريق وكثرة تشعبها فى الخلق ، وطالب شيخنا رضى الله عنه هذا الحال وأنها لا تنقطع إلى آخر الدهر اه (فقوموا) وفوا (بحقها) الواجب عليكم ولا تضيعوه فتضيعوا فإن الجزاء من جنس العمل (ولوذوا) أى تحصنوا (بعهدها) اللازم لكل من دخلها (المتين) من متن ككرم صلب وقوى (بقوة) فهى حبل الله المتين فمن تمسك به نجا ووصل

(فما أحد) من الخلائق ممن تقدم أو تأخر عدى الصحابة رضى الله عنهم وعنا بهم آمين (والله) قسم بر (فاز) ظفر (بمثل) أى بشبه (ما ظفرتم) وفزتم (به من المعالى) جمع معلاة وهى كسب الشرف والمجد (السنية) النيرة الساطعة الرفيعة ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

ماعاين الناس فضلاً مثل فضلكم ... ولا رأوا مثلكم فى سالف الزمن
حاشا الصحابة أهل الفضل والكرم ... فازوا بكل المنى وأفضل المنن
بصحبة المصطفى خير الورى شرفا ... وانبذ قويلة ذى ضغن وذى إحن (١)

وفى [د] لو اطلع أكابر الأقطاب على ما أعد الله لأصحابنا فى الجنة لبكوا عليه طول أعمارهم وقالوا ما أعطيتنا شيئاً ياربنا ، قاله تحدثا بنعمة الله ونصيحة وترغيبا لأخذ طريقته المحمدية على منشئها أفضل الصلاة والسلام اه ، وانظر أيضا مامر عن [جمع] وفى [م] :

ولو رأت أكابر الأقطاب ما ... أعد خالق الورى تكرما
لهؤلاء لبكوا عليه ... واستنقصوا ماركنوا إليه

وأخبرنى من أثق به أنه لقن الورد الأحمدى لبعض الإخوان فسمع قائلا يقول :

وبت ترقى إلى أن نلت منزلة ... من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون - رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه - واصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين - آمين (فلم يعط للأقطاب) أى لجميع أقطاب هذه الأمة المحمدية فضلا عن غيرهم رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين (رتبتكم) الرتبة بالضم المنزلة والدرجة (معا) أى جميعا أى سواء من كان منكم مفتوحا عليه أم لا بل بين رتبتكم ورتبهم مهامه تحارفيها القطى وتبيد فيها نجب (٢) المطى ؛ وفى [د] طائفة من أصحابنا رضى الله عنهم لو اجتمعت أقطاب هذه الأمة ماوزنوا شعرة من بحر أحدهم ليس نقطة اه . وفى [جمع] ومن مناقبه : أن أصحابه الداخلين فى طريقته لهم مراتب يوم يوم القيامة أكبر من مراتب الأولياء (من أجل) فضل (سيدنا أبى الفيض) أحمد بن محمد (التجانى) الحسنى رضى الله عنه وعنابه آمين لا بسبب آخر من ثواب عمل أو غيره (عدتى) بضم العين ما يستعد لنوائب الدهر . وفى [جمع] وكذلك كون مراتبهم فى الجنة أعلى من مراتب الأولياء بنصه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : سمعت سيدنا رضى الله عنه يقول : يعطى الله لأصحابنا ثواب الأنبياء ، قلت له : ثواب الأعمال أو ثواب المرتبة ؟ قال ثواب الأعمال والمرتبة . قال رضى الله عنه : ويحشرون يوم القيامة مع الأنبياء والمرسلين لا فى محشر الأهوال ، قلت له : وهذا الخير العظيم حصل لهم بسبب الفاتح لما أغلق أو بغيره ، فسكت هنيهة ثم قال : من أجلنا لله الحمد وله المنة ، ثم قال رضى الله عنه : ويعطى ثواب المرتبة لأصحابنا وإن كانوا أصحاب حجاب ، وهذه خصوصية عظيمة جعلنا الله من أهلها دنيا وأخرى آمين ، وذكر كلاما فى شأن أصحابه مما ينبغى كتمه مما أعد الله لهم فى الجنة ثم قال : وسألته عن الفرق بين ثواب الأعمال والمرتبة ؟ فأجاب بقول إمام الطريقة الجنيد رضى الله عنه : من أقبل على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة واحدة كان مافاته فى تلك اللحظة أكثر مما ناله فى ألف

---

(١) قوله إحن بكسر همزه جمع إحنة كدرة وسدر : الحقد والبغض اه .

(٢) بضمتين جمع نجيبة الناقة القوية الشديدة السير اه :

سنة ، قلت له : مامعنى كلامه ؟ قال أهل التجلى يعطى الله للواحد فى كل نفس تدا من التجليات فى كل تجل من الخيرات قدر ما يعطيه لجميع الخلق ، وفى النفس الثانى كذلك وفى النفس الثالث كذلك ، وهكذا مادام عمر الدنيا والآخرة ، ونسبة كل تجل إلى ما بعده كنقطة فى بحر ، وبقوم بوظائفها وآدابها كلها فهذا هو ثواب المرتبة ، أنظره . وفى [م] :

وصحبه لا تدرك الأقطاب رتبهم من طيبه قد طابوا

وفى [غ] وكان الناظم رمز به إلى ماثبت عن بعض الخاصــة من الأصحاب المشار إليهم بالفتح بين الإخوان والأحباب من أنه تلقى عن بعض أهل الاختصاص ممن كان يرى النبى صلى الله عليه وسلم وكان إذ ذاك بالمدينة المنورة على مشرفها أفضل الصلاة والســلام : أن ممـا أكرم الله به سيدنا رضى الله عنه وتفضل به عليه من الخصوصية التى يعز (١) مثلها ووجودها لغيره إلحاق أصحابه بدرجته ورتبته فى جميع مقاماته التى لا يزال مرتقيا فيها إلى أبد الآباد ، فلا يرتقى مقاما من المقامات حتى يحصل المقام الذى قبله بمزية الإلحاق لأتباعــه رضى الله عنه ، ولا يزال كذلك من فضل الله تعالى كلما ترقى من مقام إلى مافوقه خلفه فيه أصحابه وأتباعه دائما أبدا ، ومزية الإلحاق التى أشرنا إليها هى المستأنس لها عندهم بقوله تعالى - والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنابهم ذريتهم - الآية ، قالوا فكما أن الله تعالى يلحق بالمؤمنين ذريتهم المؤمنين فى الفضل وإن لم يساووهم فى الأعمال الصالحة فكذلك يلحق من شاء من الأتباع لمتبوعهم فى الفضل وإن لم يدركوا درجته فى العمل ، ويشير إلى هذا الإلحاق ما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه من رواية ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله متى الساعة ؟ قال : وما أعددت ؟ قال حب الله ورسوله ، قال : فإنك مع من أحببت » قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبى صلى الله عليه وسلم «فإنك مع من أحببت » قال أنس : فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فارجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم فتأمل قوله وإن لم أعمل بأعمالهم تتضح لك هذه الإشارة ، ثم إنه لا يلزم من هذا الإلحاق أن تكون منزلة الملحق وجزاؤه مثل منزلة الملحق به من كل وجه والله تعالى أعلم أنظرها .

قلت : وأنا أحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة وجميع أصحابه صلى الله عليه وسلم ، وسيدنا أبا الفيض وجميع أصحابه رضى الله عنه وعنابه آمين ، وإن لم أعمل بأعمالهم ولم أشم رائحة أحوالهم - ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين - آمين . قال رحمه الله :

(عليكم بشكر الله فى كل لحظة على نعم فاضت وعمت وخصت)

(عليكم) أيتها العصابة الأحمدية التجانية المحمدية (بشكر الله) أى الزموا شكر ربكم بالأركان والجنان قال تعالى - اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور - وقال - لئن شكرتم لأزيدنكم - ورحم الله من قال :

لئن شكرتم (٢) لأزيدنكم مقالة الله التى قالها
فالكفر بالنعمة يدعو إلى زوالها والشكر أبقى لها

---

(١) أى يقل اه .
(٢) قوله لئن شكرتم الخ سريع مطوى مكسوف .

فالنعمة إذا شكرت قرت وإذا كفرت فرت وإذا فرت قل أن ترجع . وفى [جه] ولا يزال رضى الله عنه فى محافله يعد نعم الله على عبده المتصلة والمنفصلة وما ناوله منها فى أرضه وسمائه ثم يتلو - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - والناس كلهم غرق فى بحار النعم إلا أنهم لا يشكرون - وقليل من عبادى الشكور - وإذا أراد الله بعبد خيرا وأن يجعله من خواص عباده عرفه ما عليه من النعم وألهمه شكرها ولم يزد شيئا على ذلك يكون به مخصوصا فكل الناس منعم عليه والمخصوص من شاهدها، ويقول الشكر باب الله الأعظم وصراطه الأقوم ولهذا قعد الشيطان بسبيله يصد عنه المؤمنين ، ثم يذكر شاهدا على ذلك قوله تعالى حكاية قول اللعين - لاقعدن لهم صراطك المستقيم - الآية ، ويقول أقرب الأبواب إلى الله باب الشكر ومن لم يدخل فى هذا الزمان منه لم يدخل لأن النفوس قد غلظت فلا تتأثر برياضة ولا بطاعة ولا تنزجر بمحاسبة ولا بمناقشة ، فإذا استغرقها الفرح بالمنعم غابت عن ذلك كله وطوت مسافتها . وكل وعد فى كتاب الله تعالى تجده مقرونا بالمشيئة إلا الشكر ، فقال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - وأكده بلام القسم ونون التوكيد ، ويقول لنا عند ما يتلو هذه الآية هذه اللام هنا للقسم كأنه يستفهمنا فنقول له نعم ، ويقول انظر كيف قدم الشكر على الإيمان اعتناء بشأنه فقال : ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ، وربما عبر به عن الإيمان وفسره به كما تشير إليه المقارنة فى هذه الآية فيقول الإيمان هو الفرح بالمنعم فيحصل الفرح الذى هو شكر القلب إيمانا ، ولا إشكال أن الإيمان لا يكون حقيقيا إلا معه إذ هو نتيجته ولازمه ، وقد يكون العطف فى الآية للتفسير فيؤخذ منها ما قاله رضى الله عنه من أن الإيمان هو الشكر ، ولو عرف الإنسان حقيقة الشكر لملاء قلبه وطار عقله محبة فى الله وسرورا وفرحا وحبورا ، جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وما أحسن إليك فى الحقيقة إلا ربك وهو الذى سخر لك قلوب عباده فلو شاء لعكس فلم ينفعوك بشىء ، ويدل بذلك على شهود النعمة من الله ويرق عن شهود النعمة إلى المنعم سبحانه ، وأنه لا منعم إلا هو ولا محسن ولا نافع سواه ، وأن غيره لا يملك لنفسه فضلا عن غيره ضرا ولا نفعا ولا جلبا ولا دفعا وكل من يعاملك ويأخذ بيدك فإنما ذلك لعلة وغرض ، حتى العارف إذا أخذ بيدك ورحمك إنما فعل معك ذلك لأجل مولاك فإنما راعاك لوجهه فذلك لعلة إلا الله سبحانه وتعالى إنما يعاملك ويرحمك فضلا وإحسانا وكرما وامتنانا ، لا لأمر سابق ولا لشىء لاحق إنما هو محض جود من واجب الوجود فلا ينبغى للعبد أن يعرف إلا مولاه وأن لا يرى إلا إحسانه ورحماه فهو الذى أحسن إليه وأجرى منته عليه ، ثم قال : وينبغى للعبد أن لا يطلب إلا مولاه مخلصا لاحظ عاجل أو آجل فإذا طلبه كذلك حصل له فى ضمنه الدنيا والآخرة ، وفرق بين من يطلبلك ومن يطلب لك ، فليس من أتاك زائرا ثم قال أردت منك كذا وكذا كمن أتاك محبة ورغبة فى رؤيتك لا لشىء آخر شتان ما بينهما انظره (فى كل لحظة) ولمحة (على نعم) جمع نعمة دينية ودنيوية إيجادية أو إمدادية حسية أو معنوية ماضية أو حالية أو آتية ، وروى ما أنعم الله عز وجل على عبد من نعمة من أهل ومال وولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فلا يرى فيه آفة دون الموت ، وروى أبو داود والنسائى من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر ذلك اليوم ، ومن قالها حين يمسى فقد أدى شكر ليلته اه (فالهمت) من فيض بحر سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (وعمت) جميع من فى الكون علويه وسفليه

ناطقه وصامته جامده ومتحركه (وخصت) بإذن بارئها ومفيضها على بديه سبحانه وتعالى يختص برحمته من يشاء. وفى [جع] وعليكم بشكر النعم الواردة من الله تعالى بسبب أو بلا سبب ، والشكر يكون فى مقابلتها بطاعة الله إن قدر على أن تكون كلية وإلا فالأبقع خير من الأسود ، وأقل ذلك شكر اللسان فلا أعجز ممن عجز عن شكر اللسان، وليكن ذلك بالوجوه الجامعة للشكر فأعلى ذلك فى شكر اللسان تلاوة الفاتحة فى مقابلة النعم ، ولينو عند تلاوتها أنه يستغرق جميع ما أحاط به علم الله من نعمه الظاهرة الحسية والمعنوية والمعلومة عند العبد ، والمجهولة والعاجلة والآجلة والمتقدمة والمتأخرة والدائمة والمنقطعة وليتل بهذه النية ما قدر عليه من الفاتحة من مرة إلى مائة ، فمن فعل ذلك كتبه الله شاكرا وكان ثوابه المزيد على قدر رتبته بحسب وعده الصادق ، وأما وجوه المحامد الجامعة فهى كثيرة لانطيل بذكرها مثل قوله صلى الله عليه وسلم «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» انظره ، وفيه : الفرح بالنعم على ثلاثة أقسام : فرح بها لكونها قضاء الوطر والشهوات وصاحب هذا الفرح مثل البهيمة سواء. وفرح بها لكونها فيها قضاء الوطر والشهوات ولكونها منة منه لاختياره جل وعلا ، فهذا متوسط بين الدناءة والشرف. وفرح بها من أجله جل وعلا وأنها من اختياره منه لا لكونها فيها قضاء الوطر والشهوات ، فهذا غاية الشرف والرفعة لصاحب هذا الفرح ، وكذلك فى ضد النعم فى الكراهة لها هكذا سواء ، انظره.

وفى [جص] «أحسنوا جوار نعم الله لاتنفروها فقلما زالت عن قوم فعادت إليهم وإحسان جوارها استعمالها فيما خلقت له» وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن نحسن مجاورة نعم الله عز وجل بمعرفة مقدارها وإنفاقها فى وجوه الخير دون شهوات نفوسنا من مأكل وملبس ومنكح وبناء دار وزخرفتها وغير ذلك ، وننسى جارنا اليتيم والمسكين إلى جانبنا لا نتفقده بكسرة ولامرقة ولا حسنة من حسنات الدنيا فمن صرف الدنيا فيما ذكر من الشهوات عرّض تلك النعم للزوال فى أسرع من لمح البصر ، ثم إذا تحولت عنا تلك النعم والعياذ بالله وسألنا الحق تعالى بعد ذلك عودها فقد لايجيبنا لأنه اختبرنا فما وجد عندنا خيرا لأحد من عبيده فحولها إلى من فيه الخير لهم ، ثم قال : واعلم يا أخى أن من عدم إحسان مجاورة النعم رمى ما فضل على المزابل على وجه الاستهانة به لا للكلاب وكذلك دوس الخبز بالرجل «وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة كسرة فى الأرض قد علاها الغبار ، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظفها من الغبار ثم أكلها ثم قال : "يا عائشة أحسنى مجاورة نعم الله عز وجل فإن النعمة قلما نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع إليهم» ثم قال : فإن أردت يا أخى دوام النعم عليك فقم بشكرها وانشرح لإعطائها للمحتاجين وكن عبدا مستخلفا فى مال سيد كريم ينفق منه على عباده لأنه تعالى ما أعطاك الزائد عن حاجتك إلا لتنفقه على عباده بأنه حكيم وكان سيدى داود العزب ينشد :

إذا رزق الله الفتى ما يصونه[1]   وسلمه من فتنة وضلال
وعافاه مع أمن وأصبح شاكيا   لرقة حال أو لقلة مال
فقل نعم إن أنت أحكمت قيدها   بشكر وإلا آذنت بزوال

انظره ، وفى [حى] وقيل : أوحى الله تعالى إلى عيسى صلى الله عليه وسلم : إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتمها عليك ، وقال كعب : ما أنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها فى الدنيا ورفع له بها درجة فى الآخرة، وما أنعم الله على عبد من

(١) أى الذى لازم له .

نعمة فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها فى الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه إن شاء أو يتجاوز عنه اه . وكان الفضيل بن عياض رضى الله عنه يقول : عليكم بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم ، وقال بعض السلف : النعم وحشة فقيدوها بالشكر . وفى الخبر ما عظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه فمن تهاون بهم عرّض تلك النعمة للزوال . وروى أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سأل الله تعالى عن بلعم بن باعوراء لم سلبت نعمته يارب؟ فقال : إنه لم يشكر نعمتى قط ولو شكرها مرة واحدة ما سلبت نعمته اه. وفى [هب] وكيفية العمل على الشكر دوام لجأ العبد إلى الله تعالى أن يهديه إلى ما يحبه ويرضاه وأن يتولاه فيما ولاه ويديم شكر نعمة مولاه فيما أولاه ، وأن لا يحتقر منه نعمة وإن قلت ولا يركن إلى منته دون الوصل وإن جلت ، وأن يعمل بقدر الاستطاعة وينتظر ما تجرى به الأقدار فى كل ساعة فلا ينقص رجاؤه عند ورود المخالفات ولا يزيد عند تتابع الطاعات ، ويشاهد من نفسه التقصير فى كل وقت من الأوقات ، ولا يوقف الفتح على عمل أو سبب ، وتتساوى عنده فى ذلك جميع النسب ، إذ العبد محجور فإن أذعن فأجور وإن تسخط فأزور وأمر الله قدر مقدور اه . وعن سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه أنه كان يقول : ينبغى أن لا يكتفى أمثالنا بالشكر باللسان فى هذا الزمان لكثرة معاصينا وعدم إخلاصنا، وإنما ينبغى أن يكون شكرنا بالفعل كقيام الليل ، وحفر البئر ، وصوم الهواجر ، وكف النفس عن جميع الشهوات ونحو ذلك ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، والله تعالى أعلم وأحكم - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين -

[فصل فيما يكفر الذنوب ويمحو القسوة من القلوب
ويزيد فى الإيمان وفى محبة الرحمن سبحانه وتعالى]

قال رحمه الله :

(ودُوموا علَى مُكفرَاتِ الجرائِمِ ... وأعْظَمُها نَفْعاً صلاةُ الفَرِيدَةِ)

(ودوموا) أى ثابروا وواظبوا أيتها العصابة الأحمدية التجانية المحمدية ، أصلح الله حالنا وحالكم وأنجح مآلنا ومآلكم آمين ، فإن أحب الأعمال إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم أدومها وإن قل ، ولذا كان عمله صلى الله عليه وسلم ديمة ، وفى الحديث « اكلفوا(١) من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل(٢) حتى تملوا » قال تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - (على مكفرات) يقال كفره تكفيرا غطاه وستره (الجرائم) الذنوب والأوزار : وفى [غ] واعلم أن هذه المكفرات متفاوتة فى الفضل وعظم الفائدة . فمنها ما ورد النص فيه بأنه يكفر الكبائر والصغائر . ومنها ما ورد أنه يكفر ماتقدم وما تأخر . ومنها ما ورد أنه يكفر ما تقدم فقط ، ومنها ما ورد أنه يكفر ذنوب العبد على الإطلاق ولم يذكر كبيرة ولا صغيرة ولا ما تقدم ولا ما تأخر . وعلى هذا فيتأكد العمل بما صرح فيه بغفران الكبائر والصغائر ، ثم بما صرح فيه بما تقدم وما تأخر وكذا بما جيء فيه بالإطلاق، ثم بما صرح فيه بما تقدم فقط انظرها (وأعظمها) أى المكفرات للذنوب والأوزار (نفعا) أى من

---

(١) بفتح لام من كلف كفرح التزم ما فيه الكلفة والمشقة اه .
(٢) قوله يمل بفتح تحتية وميم من ملل كفجر وسئم وزنا ومعنى اه .

جهة النفع والتأثير فى محو كل ذنب وجبر كل تقصير (صلاة) معلومة ومسماة بالياقوتة (الفريدة) وهى اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق الخ . وفى [جه] واعلموا أن بحر الذنوب فى هذا الزمان لا قدرة لأحد على الانفصال عنها فإنها تنصب على الناس كالمطر الغزير ، لكن أكثروا من مكفرات الذنوب وآكد ذلك صلاة الفاتح لما أغلق فإنها لا تترك من الذنوب شاذة ولا فاذة ، وقال فى محل آخر ، وأقلها مائة فى الصباح والمساء فلا يلحقها فى هذا الميدان[1] عمل من أى عامل ولا ينتهى إلى غايتها أمل من أى آمل ، انظره . وفى [جع] وأوصيكم أن بحر الذنوب قد طمى[2] وعظمت أمواجه وتراكمت ظلماته حتى عجز الخلق عن الخروج عنه إلا صدّيق أو شيخ واصل أو من قارب مقامه ، ومن عدا هؤلاء فقد تمكن العجز فيهم عن الخروج من الذنوب، فحيث كان الأمر هكذا فليشتغل العاقل بعد تصحيح صلاة فرضه بمكفرات الذنوب وهى كثيرة فإن من اشتغل بها مع كثرة ذنوبه خفت عنه مؤنة الذنوب، وهو خير من الذى يقتحم الذنوب ولا يأتى بمكفراتها قال سبحانه وتعالى ـ إن الحسنات يذهبن السيئات ـ وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أتيت سيئة فأتبعها بحسنة تمحها » أو كما قال صلى الله عليه وسلم مما معناه هذا ، وذلك بمنزلة من يسرع له تجديد الجراح فى جسده فيسرع له بالدواء ، فكلما وقع عليه جرح أسرع بدوائه فهو خير من الذى تنصب عليه الجراح فلا يتداوى ، وكل مصيبة لا بد لها من عقوبتين : عقوبة دنيوية، وعقوبة أخروية . أما العقوبة الدنيوية فلا ترفع عنه إلا بأحد أمرين : الأول بإخراج صدقة لله تعالى بعدها من مال حلال أو كالحلال فبها يدفع عنه بلاء المعصية، والثانى من الأمرين الرجوع إلى باب الله تعالى بالضراعة والابتهال والذل والانكسار والتضرع بالدعاء بطلب العفو منه سبحانه وتعالى ويطلب رفع بلية تلك الذنوب فإنه بسبب ذلك يرتفع عنه وأما عقوبة الآخرة فلا ترفع عنه ولا بد منها إلا أن يعفو عنه سبحانه وتعالى إما بسبب أو بغير سبب ، وأسباب العفو كثيرة من أرادها فليطالعها فى كتب الحديث اه . وفى [مح] نبذة كافية فانظره ، قال رحمه الله :

(ومنها المُسبَّعَاتُ صُبحا وفى المَسا ومنها حِكايَةُ الأذانِ المُوَقتِ)

(ومنها) أى ومن المكفرات للجرائم والذنوب والأوزار بمحض فضل الملك الغفار (المسبعات) العشر بفتح الموحدة : أى العشرة الأشياء المسبعة أى كل واحد منها يتلى سبع مرات (صبحا) أى فى الصباح قبل طلوع الشمس (وفى المسا) قصره للوزن ، أى قبل غروب الشمس، ومن فاتته قراءتها فى هذين الوقتين فليقرأها فى كل وقت أمكن وتيسر له قال تعالى ـ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما وعنا بهما آمين : من فاته من الليل عمل أدركه بالنهار أو فاته بالنهار أدركه بالليل » وقال رجل لعمر رضى الله عنه وعنا به آمين : فاتتنى الصلاة الليلة ؟ فقال : أدرك مافاتك من ليلتك فى نهارك فإن الله تعالى جعل الليل والنهار خلفة اه . وهى معلومة عند الخاص والعام ، ومن الأحزاب المعدة لدفع أهوال الدنيا والآخرة : وفى [جه] قال الشيخ أبو عبد الله الخروبى الطرابلسى[3] هى من الأوراد العظيمة التى جرت عادة الصالحين والعباد بها يقرءونها

---

(١) بفتح ميم وتكسر اه .

(٢) يقال طمى الماء : علا كرمى .

(٣) بضم موحدة ولام وتسكن اللام اه .

ويضيفونها إلى وظائفهم وأورادهم قديما وحديثا غدوة وعشية ، ولم تزل الشيوخ رضى الله عنهم يأمرون إخوانهم وأصحابهم بقراءتها ويحضونهم عليها ، وقد أسند حديثها أبو طالب المكى فى القوت عن كرز بن وبرة قال : وكان من الأبدال عن أخ له من أهل الشام عن إبراهيم التيمى عن الخضر عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وسلم اه كلام الخروبى رحمه الله (ولنا فيها) سند عال غير هذا وهو عن شيخنا وسندنا عن شيخه سيدى محمود الكردى عن الخضر عليه السلام مشافهة بالرواية المتقدمة هكذا أخذنا عن سيدنا وأجازنا فيها رضى الله عنه ، وهذا السند لم يوجد إلا من هذا الطريق اه . وفى [مى] فذكر إبراهيم التيمى أنه رأى ذات يوم فى منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته ، حتى أدخلوه الجنة فرأى مافيها ووصف أمورا عظيمة مما رآه فى الجنة . قال : فسألت الملائكة فقلت لمن هذا ؟ فقالت للذى يعمل مثل عملك ، وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها . قال : فأتانى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل مابين المشرق والمغرب ، فسلم علىّ وأخذ بيدى فقلت يارسول الله الخضر أخبرنى أنه سمع منك هذا الحديث فقال : صدق الخضر صدق الخضر ، وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض ، وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى فى الأرض ، فقلت يارسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير الذى رأيت فى منامى هل يعطى شيئا مما أعطيته ؟ فقال : والذى بعثنى بالحق نبيا ما يعمل بهـذا إلا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيا . وكان إبراهيم التيمى يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله بعد هذه الرؤية اه . وفى [مح] قال العلماء من أهل الحقائق : إن فى قراءتها بالغداة والعشى أسرارا نورانية للسالكين من أهل البدايات وأنوارا ربانية للسالكين من أهل النهايات ، ومن استدام قراءتها فتح الله عليه أبواب الخيرات والزيادات وأطفأ عنه حرارة الشهوات الترابية ورزقه البركة فى دينه ودنياه وآخرته ، ونور باطنه بأنوار السعادة وجمل ظاهره بآثار السيادة وأغنى فقره ويسر عسره وسهل أسبابه وكشف ضره وكفاه شر كل طاغ وباغ وحاسد وحرسه من شر الشيطان الرجيم ، وفيها اسم الله الأعظم وذاكرها لا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه ولا يسأل بها شيئا إلا أعطاه ما سأله ، وفوائدها كثيرة وأسرارها جليلة يعرفها أهل التفريد من الأصفياء ويشهدها أهل التجريد من الأولياء .

(ومنها) أى ومن المكفرات أيضا (حكاية) من حكيته فعلت فعله أو قوله (الأذان) أى الواجب أو السنى أو المندوب لا المكروه أو الحرام أو البدعى كالأذان وسط المقابر يوم الجمعة أو ليلتها لتذكير الشهادة لأهل المقابر بزعم فاعليه أو عند مودعة المسافر بقصد حفظه (المؤقت) أى فى وقته المختار لأنه مكروه فى الضرورى وحرام بعد خروجها . وفى [مح] وروى أبو عوانة الاسفراينى فى مستخرجه الصحيح عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سمع المؤذن فقال» وفى رواية « من قال حين يسمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله قال : أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا» وفى رواية محمد بن عامر « رسولا غفر له من ذنبه ماتقدم وما تأخر » هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم اه . وفى [جص] « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا علىّ فإنه من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لاتنبغى إلا لعبد من

عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة» وفيه «من سمع المؤذن فقال مثل مايقول فله مثل أجره » وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجيب المؤذن عما ورد فى السنة ولا نتلاهى عنه قط بكلام آخر ولا غيره أدبا مع الشارع صلى الله عليه وسلم ، فإن لكل سنة وقتا يخصها فللإجابة المؤذن وقت وللعلم وقت وللتسبيح وقت ولتلاوة القرآن وقت ، ثم قال : وهذا العهد يخل به كثير من طلبة العلم فضلا عن غيرهم فيتركون إجابة المؤذن ، بل ربما تركوا صلاة الجماعة حتى يخرج الناس منها وهم يطالعون فى علم نحو أو أصول أوفقه ويقولون العلم مقدم مطلقا وليس كذلك . ثم قال : وكان سيدى على الخواص رحمه الله إذا سمع المؤذن يقول : حى على الصلاة يرتعد ويكاد يذوب من هيبة الله عز وجل ، ويجيب المؤذن بحضور قلب وخشوع تام رضى الله عنه ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك ، انظره . روى الطبرانى : «من قال حين ينادى المنادى اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة النافعة صل على محمد وارض عنا رضى لاسخط بعده استجاب الله دعوته اه . قال رحمه الله :

(وَأَنْوَاعُ أَذْكَارٍ وَأَدْعِيَةٍ أَتَتْ صَلاةٌ عَلَى المُخْتَارِ فِى يَوْمِ جُمْعَةٍ)

(و) من المكفرات أيضا (أنواع أذكار) مروية عن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين . وفى [جه] ومما هو فى هذا المعنى يعنى من المكفرات للذنوب يلازمه الإنسان كل يوم ثلاث مرات : اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى ورحمتك أرجى عندى من عملى ، وفيه : وأما اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى الخ ، فهى من مكفرات الذنوب اه . وكذلك وظيفة اليوم والليلة : لا إله إلا الله والله أكبر ، لا إله إلا الله وحده ، لا إله إلا الله ولا شريك له ، لا إله الا الله له الملك وله الحمد ، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ومن فضلها أن من ذكرها فى الصباح ثلاثا لايكتب عليه ذنب فى ذلك اليوم ، ومن ذكرها فى المساء ثلاثا لايكتب عليه ذنب فى تلك الليلة حتى يصبح ، وكذلك هذا الاستغفار : اللهم إنى أستغفرك لما تبت إليك منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك لما وعدتك من نفسى ثم أخلفتك فيه ، وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطنى فيه ماليس لك ، وأستغفرك للنعم التى أنعمت علىّ فتقويت بها على معاصيك ، وأستغفرك الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم لكل ذنب أذنبته ولكل معصية ارتكبتها ولكل ذنب أتيت به أحاط علم الله به ، وفيه أن من ذكره غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر اه . [وفى مح] روى أبو داود فى السنن عن سهل ابن معاذ رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » اه وفى [جص] « من أكل فشبع وشرب فروى فقال الحمد لله الذى أطعمنى وأشبعنى وسقانى وأروانى خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » أى فى كونه لاذنب عليه . وفى [خل] أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولاقوة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ، ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا الثوب ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر » اه .

(و) من المكفرات أيضا (أدعية) جمع دعاء (أتت) أى جاءت ووردت عن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين . وفى [جه] وكذلك أى من المكفرات للذنوب دعاء السيفى لمن يقدر على

حفظه وفى [جمع] ومن مكفرات الذنوب أيضا مداومة حزب السيفى مرة فى الصباح ومرة فى المساء فإن من داوم عليه لم يكتب عليه ذنب اه . وفى [مح] قال شيخنا رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به آمين : قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم : للسيفى اثنا عشر ألف خاصية : ستة آلاف فى الدنيا وستة آلاف فى الآخرة ، فمن داوم على قراءته حصلت له الخواص بأجمعها الدنيوية والأخروية ، ثم قال : وأما السيفى فهو للنبى صلى الله عليه وسلم وله ستون ألف كرامة اه . وعن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين : أن حزب السيفى وصلاة الفاتح لما أغلق يغنيان عن جميع الأذكار حيث كانت ، وما توجه متوجه ولا تقرب متقرب إلى الله تعالى بأفضل منهما اه يعنى بعد أسماء الله العظيمة المرتبة العزيزة المنقبة : وفى [جه] وكذلك يعنى من المكفرات دعاء « يامن أظهر الجميل وستر القبيح الخ » وفيه : قال الراوى وجاء به جبريل عليه السلام إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له أتيتك بهدية قال : وما تلك الهدية؟ قال فذكر هذا الدعاء ، فقال صلى الله عليه وسلم ماثواب هذا الدعاء ؟ قال له جبريل لو اجتمعت ملائكة السموات السبع على أن يصفوه ما وصفوه إلى يوم القيامة ، وكل واحد يصف مالا يصفه الآخر فلا يقدرون ، ومن جملة ذلك أن الله تعالى يقول : أعطيه من الثواب بعدد ما خلقت فى السموات السبع وفى الجنة والنار والعرش والكرسى ، وعدد القطر والمطر والبحار ، وعدد الحصى والرمل : ومن جملتها أيضا أن الله تعالى يعطيه ثواب جميع الخلائق ، ومن جملتها أيضا أن الله تعالى يعطيه ثواب سبعين نبيا كلهم بلغوا الرسالة إلى غير ذلك ، انظره . وفى [جع] ومن مكفرات الذنوب دعاء : « يامن أظهر الجميل وستر القبيح الخ » فإن الخبر ثبت أنه يمحو جميع الذنوب ويعطى صاحبه ثواب جميع الخلائق فى كل مرة منه اه

ومن المكفرات للذنوب أيضا (صلاة على) النبى (المختار) سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم (فى يوم جمعة) أى وليلتها . وفى [جع] وكذا من مكفرات الذنوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ثمانين مرة ليلة الجمعة ويومها بعد العصر ، فإن الثمانين التى فى الليل تكفر ذنوب أربعمائة سنة وأن التى فى النهار بعد العصر تكفر ذنوب ثمانين سنة ، وفيه « من صلى على ثمانين مرة فى يوم أو ليلة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ، ومن صلى على من بعد العصر يوم الجمعة فقال قبل أن يقوم من مجلسه ثمانين مرة : اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم غفرت له ذنوب ثمانين سنة » اه . ولهذه الغنيمة الباردة كان بعض الإخوان يبكر بصلاة العصر ، وينبغى تنبيه الإخوان عليها لئلا تفوتهم هذه الغنيمة ، وعلى أن لا يقوم أحد من مصلاه حتى يصلى ثمانين مرة على النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغة الواردة ، ورحم الله من قال :

ويعد صلاة العصر من يوم جمعة   يصلى ثمانون على علم الهدى
ليغفر من أوزار ذاكر أحمدا   ثمانون عاما جاء هكذا مسندا

وفى [جع] وأما مكفرات الذنوب فأعظمها وأبلغها وطرا فى محو الذنوب والسيئات هى كثرة الصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا وسيلة أعظم منها إلا المحبة الحالية فإن صاحبها لا يكتب عليه ذنب ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب الاستطاعة فإنها الذخيرة العظمى والحصن المنيع الإلهى الأحمى لمن ثابر عليها ، فإنها كفيلة بمحو الذنوب والآثام مقبولة الشفاعة عند خالق الأنام ، واستعمالها لها شروط . منها : الطهارة الكاملة كالصلاة وإلا فالطهارة من الخبث دون الحدث ،

والطهارة البدنية والمكانية والثوب ، وأن يقصد بها صاحبها وجه الله والتعظيم له ولرسوله دون غيرها من سائر النيات ، فإن لها أحوالا فى النيات وإخلاص العمل فيها من شوائب الرياء والسمعة فإنها إذا صحت على منهجها كانت فائدتها فى العظم أكثر من جميع وجوه البر إلا النزر القليل منها ، فإنها ثبت الخبر بها أن المرة الواحدة منها تعدل أربعمائة غزوة فى سبيل الله كل غزوة منها تعدل أربعمائة حجة مقبولة ، انظره . وفى [جه] مما يكفر الذنوب : وعليكم بالمحافظة على ذكر الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا على حسب الاستطاعة وعلى قدر ما يعطيه الوقت والطاقة من غير إفراط ولا تفريط ، واقصدوا بذلك التعظيم والإجلال لله سبحانه وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، والتحلى فى ذلك بالوقوف فى باب الله طالبا لمرضاته لا لطلب حظ ، فإن للعامل بذلك عناية من الله عظيمة يجد بركتها فى العاجل والآجل ويجد حلاوة لذتها فيما هو له آمل ، وهى فى الخواص والأسرار كالمحافظة على الصلوات فى الجماعات سواء بسواء اهـ.قال تعالى - إن الحسنات يذهبن السيئات - وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه سلم أن نواظب على قراءة سورة الكهف ليلة الجمعة ويومها ، وكذلك نواظب على قراءة آل عمران وحم الدخان اهتماما بأمر النبى صلى الله عليه وسلم لنا بذلك سواء عقلنا سر تخصيص هذه السور بليلة الجمعة أو لم نعقل ذلك ، ولو أن العقول تحمل سر ذلك لأوضحنا للناس ولكن من الآداب كتم ماكتمه الشارع وإظهار ما أظهره من إضاءة النور والمغفرة ونحو ذلك والله عليم حكيم ، انظره . وفى [جص] « من قرأ السورة التى يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس » : أى تغرب وتسقط . قال تعالى - فإذا وجبت جنوبها - أى سقطت جنوبها إلى الأرض بعد النحر من وجب الحائط سقط ، وفيه « من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين . ومن قرأ حم الدخان فى ليلة الجمعة غفر له » انظره . وروى ابن السنى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر » اهـ قال رحمه الله :

(وَأَنْوَاعُ تَسْبِيحٍ كَذَاكَ صَلَاتُهُ   تِلَاوَةُ آيِ رَكْعَتَانِ بِخُفْيَةِ)

(و) من المكفرات للذنوب أيضا (أنواع تسبيح) وفى [جع] ومن مكفرات الذنوب سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ملء ماعلم وعدد ماعلم وزنة ماعلم ، فإن المرة منها تكفر جميع الذنوب وتؤمن العبد من عذاب الله اهـ . وفى [جه] وأما فضل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر الخ من ذكره مرة واحدة يكتب عند الله من الذاكرين الله كثيرا ، ويكون أفضل من ذكره بالليل والنهار ، وينظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يعذبه وتحاتت عنه ذنوبه ويكون له غرسا فى الجنة ، وفيه أيضا مما كتبه لبعض أحبابه : واجعل فى اليوم والليلة مائة مرة من قولك : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ملء ما علم وعدد ماعلم وزنة ما علم ، فمرة من هذا التسبيح أفضل من استغراقك الليل والنهار فى ذكر الله تعالى ، انظره . وفى [مح] وأخرج ابن منصور الديلمى [1] عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) بفتح دال مهملة وسكون تحتية : جيل من الناس اهـ .

« إن الله عز وجل بحرا من نور حوله ملائكة من نور على خيـل من نور بأيديهم حراب من نور يسبحون حول ذلك البحر ، سبحان ذى الملك والملكوت سبحان ذى العزة والجبروت سبحان الحى الذى لايموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، فمن قالها فى يوم مرة أو فى شهر مرة أو فى سنة مرة أو فى عمره مرة غفر الله تعالى له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر ومثل رمل عالج أو فر من الزحف » وفيه : وروى أبو عبد الله بن حبان «عن أم هانىء رضى الله تعالى عنها وكانت تكثر الصيام والصلاة والصدقة ، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت له ضعفها فقال : سأخبرك بما هو عوض عن ذلك : تسبحين الله مائة مرة فتلك بمائة رقبة تعتقينها لوجه الله تعالى متقبلة ، وتحمدين الله تعالى مائة مرة فتلك بمائة بدنة متجللة تهدينها متقبلة ، وتكبرين الله تعالى مائة مرة هناك يغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر » أنظره . وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » (كـذلك) أى من المكفرات للذنوب أيضا (صلاته) أى صلاة التسبيح . وفى [جع] ومن مكفرات الذنوب صلاة التسبيح فإنها كفيلة بتكفير جميع الذنوب من بداية تكليف العبد إلى مماته اه وفى [غ] وكنت حين تلقيتها بالإذن عن بعض خاصة أصحابه وخزانة أسراره رضى الله عنه قال لى بعد أن بالغ فى الحض عليها : لو وجدت لألزمت كل واحد من الأصحاب أن يصليها فى كل يوم ، فعلمت أنها من مهمات الأمور المعمول بها فى طريقنا ، ثم نقل عمن نقل عن السبكى : فمن سمع ماورد فيها ثم تغافل عنها فهو متهاون فى الدين غير مكترث بأعمال الصالحين ، لا ينبغى أن يعد من أهل الخير فى شىء اه : وفى [حى] ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة فقد روى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب « ألا أمنحك ألا أحبوك بشىء إذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده سره وعلانيته تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ، ثم ترفع من الركوع فتقولها قائما عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ، ثم ترفع من السجود فتقولها جالسا عشرا ، ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرا ، ثم ترفع من السجود فتقولها عشرا ، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات ، إن استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل ، فإن لم تفعل ففى كل جمعة ، فإن لم تفعل ففى كل شهر ، فإن لم تفعل ففى السنة مرة » وفى رواية أخرى أنه يقول « فى أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة ، وعشرا بعد القراءة ، والباقى كما سبق عشرا عشرا ، ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعدا ، وهذا هو الأحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع من الروايتين ثلاثمائة تسبيحة ، فإن صلاها نهارا فبتسليمة واحدة ، وإن صلاها ليلا فبتسليمتين إذ ورد أن صـلاة الليل مثنى ، وإن زاد بعد التسبيح : لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فهو حسن ، وورد ذلك فى بعض الروايات اه . وفى [عم] أخذ علينا العهد العـام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على صلاة تسبيح لما ورد فيها من الفضل ، ويتعين العمل بهذا العهد على

كل من غرق فى الذنوب وناء فى عددها كأمثالنا ، ثم قال : قال الحافظ المنذرى : وقد جاء فى رواية الترمذى « أنه يسبح قبل القراءة والتعوذ خمس عشرة مرة ثم يتعوذ ويقرأ الفاتحة والسورة ثم يسبح عشرا بعد القراءة والتعوذ وقبل الركوع ولا يسبح فى جلسة الاستراحة شيئا » اهـ. وفى رواية للطبرانى ويقول بعد التشهد وقبل السلام : اللهم إنى أسألك توفيق أهل الهدى ، وأعمال أهل اليقين ، ومناصحة أهل التوبة ، وعزم أهل الصبر ، وجد أهل الخشية ، وطلب أهل الرغبة ، وتعبد أهل الورع ، وعرفان أهل العلم حتى أخافك . اللهم إنى أسألك مخافة تحجزنى عن معصيتك حتى أعمل لطاعتك عملا أستحق به رضاك ، وحتى أناصحك بالتوبة وحتى أتوكل عليك فى الأمور حسن ظن بك سبحان خالق النور » ثم يسلم ثم قال : قال البيهقى : وفعلها عبد الله بن المبارك وتناولها الصالحون بعضهم من بعض. قال ابن المبارك: وإذا صلاها ليلا فالأحب له أن يصلى ويسلم من كل ركعتين ، وإن صلاها نهارا فإن شاء سلم وإن شاء لم يسلم . قال : ويبدأ فى الركوع بسبحان ربى العظيم ثلاثا ، وفى السجود بسبحان ربى الأعلى ثلاثا ، ثم يسبح التسبيحات المذكورة ، فقيل لعبد الله بن المبارك وإن سهى فيها هل يسبح فى سجدتى السهو عشرا عشرا ؟ قال لا إنما هى ثلاثمائة تسبيحة ، انظره .

[تتمة]: روى فى بعض الأثر أن من صلى ليلة السابع والعشرين من رجب ثنتى عشر ركعة بما تيسر له من القرآن وقال «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم واستغفر الله مائة مرة ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم مائة مرة وأصبح صائما كتب الله له ثواب ستين شهرا وغفر له ذنوبه كلها» . وفى [حى] وقد روى بإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلى فيما بين العشاء والعتمة اثنتى عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة ، و - إنا أنزلناه فى ليلة القدر - ثلاث مرات و - قل هو الله أحد - اثنتى عشرة مرة ، فإذا فرغ من صلاته صلى على سبعين مرة يقول : اللهم صل على محمد النبى الأمى وعلى آله ، ثم يسجد ويقول فى سجوده سبعين مرة : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، ثم يرفع رأسه ويقول رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ، ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال فى السجدة الأولى ثم يسأل حاجته فى سجوده فإنها تقضى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصلى أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار ، ويشفع يوم القيامة فى سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار» فهذه صلاة مستحبة ، ثم قال : وأما صلاة شعبان فليلة الخامس عشر منه يصلى مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة ، يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة - قل هو الله أحد - فهذا أيضا مروى فى جملة الصلوات ، كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير . روى عن الحسن البصرى أنه قال : حدثنى ثلاثون من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة ، وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة اهـ. وينبغى للعاقل فضلا عن فاضل أن لا يهمل شيئا من ذلك فى خاصة نفسه ، وقد أطنب صاحب [مخل] رضى الله عنه فى الإنكار على من يفعلها جماعة لما يقترن بها من المفاسد والبدع والمنكرات فجزاه الله عنه أحسن الجزاء .

ومن المكفرات أيضا (تلاوة آى) جمع آية قرآنية . وفى [جع] ومن مكفرات الذنوب الدوام على قراءة آخر الحشر فإن صاحبها يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر اهـ. وفى [حى] قال الفضيل :

من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ، ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء ، وفيه قال علقمة بن الأسود : قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم : فى كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم - الآية ، وقوله عز وجل - ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما - اه . وفى [جص] «من قرأ يس فى ليلة أصبح مغفورا له » قال المناوى : وقياسه أن من قرأها فى يومه أمسى مغفورا له اه . وفيه « من قرأ يس ابتغاء وجه الله غفر له ما تقدم من ذنبه فاقرءوها عند موتاكم » وفيه « من قرأ حم الدخان أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » وفيه « من قرأ سورة الدخان فى ليلة غفر له ما تقدم من ذنبه» وفيه «من قرأ خواتيم الحشر فى ليل أو نهار ثم قبض فى ذلك اليوم أو الليلة فقد أوجب الجنة » وفيه « من قرأ إذا سلم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثنى رجليه فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبعا سبعا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » اه . وفى العزيزى : وقد تلخص من هذه الأحاديث ستة عشر ونظمتها فى أبيات على وزن ياسلسلة :

قد جاء عن هادى وهو خير نبى	أخبار مسانيد قد روين بإيصال
فى فضل خصال وغافرات ذنوب	ما قدم أو أخر للممات بإفضال
حج ووضوء قيام ليلة قدر	والشهر وصوم له ووقفة إقبال
آمين وقارئ آخر حشر ومن	قاد الأعمى وشهيد إذا المؤذن قال
سعى لأخ والضحى وعند لباس	حمد ومجىء من إيليا بإهلال
فى جمعة يقرأ قل أو يصافح عبدا	مع ذكر صلاة على النبى مع الآل

انظره .

وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على قراءة ماورد من الآيات والسور كل يوم وليلة كالفاتحة وآية الكرسى وخواتيم سورة البقرة وخواتيم آل عمران وقراءة سورة يس والواقعة والدخان وتبارك ونحو ذلك والأحاديث فى ذلك كثيرة مشهورة ، ومن واظب على ذلك كان فى حرز وأمان من الآفات الظاهرة والباطنة ، وأكثر من يخل بهذا العهد بعض طلبة العلم الذين حدثوا فى هذا الزمان فلا نكاد نجد لأحدهم وردا من القرآن ولا من الأذكار ، وإن كلمهم أحد فى ذلك جادلوه وقالوا نحن مشغولون بالعلم ، وربما جلس أحدهم يلغو ويمزح ويستغيب الناس أضعاف زمن تلك الأوراد ولا يقول لنفسه قط إن الاشتغال بالعلم أفضل ، بل ربما نسى بعضهم القرآن فى مدة اشتغاله بالعلم وهو ذنب عظيم كل ذلك لعدم من يربيهم ، وقد كان السلف الصالح إذا رأوا طالب العلم لا يعتنى بالعمل بما علم لا يعلمونه العلم ، انظره ، بل يطردونه طرد الذباب الرعاء لأن الحرث فى السباخ لا يجىء منها شىء ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ومن المكفرات للذنوب أيضا (ركعتان) أى صلاة ركعتين ليلا أو نهارا (بخفية) أى فى اختفاء عن الناس لأن ذلك أسلم من الرياء والسمعة وأقرب للإخلاص لرب البرية . وفى [جص] « من صلى ركعتين فى خلاء لا يراه إلا الله والملائكة كتبت له براءة من النار » وفيه : « ركعتان فى جوف الليل تكفران الخطايا » . وفيه «ركعتان يركعهما ابن آدم فى جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها ، ولولا أن

أشق على أمتى لفرضتهما عليهم » وفى [مح] وروى ابن إياس فى كتاب [الصواب] عن على كرم الله تعالى وجهه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من صلى ركعتين إيمانا واحتسابا كتب الله تعالى له مائة حسنة ، ومحى عنه مائة سيئة ، ورفع له مائة درجة ، وغفرت له ذنوبه كلها ما تقدم منها وما تأخر » اهـ . قال رحمه الله :

(ونَقلُ الخُطَا إلى المساجدِ فى الدجى وإسباغكَ الوُضوء عندَ الكريهةِ)

ومن المكفرات للذنوب أيضا (نقل الخطا) بضم معجمة جمع خطوة كمدية ومدى وقد تفتح ما بين القدمين، والخطوة بالفتح المرة (إلى المساجد) للصلاة فيها وللذكر والتعليم والتعلم للعلم . وفى [جص] «خير البقاع المساجد وشر البقاع الأسواق» . وفيه : «أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها» أى لأنها محل الغش والغفلة والحرص والطمع والفتنة والخيانة والأيمان الكاذبة والأغراض الفانية ، وفيه «إذ أراد الله بقوم عاهة نظر إلى أهل المسجد فصرف عنهم » وفيه : إن الله تعالى يقول : إنى لأهم بأهل الأرض عذابا فإذا نظرت إلى عمار بيوتى والمتحابين فىّ والمستغفرين بالأسحار صرفت عنهم عذابى » وفيه «ثلاثة فى ضمان الله عز وجل رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله ، ورجل خرج غازيا فى سبيل الله ورجل خرج حاجا» وفيه «خمس من العبادة . قلة الطعام والقعود فى المساجد والنظر إلى الكعبة والنظر فى المصحف والنظر إلى وجه العالم» أى العامل بعلمه . وفيه «ماتوطن رجل مسلم المساجد للصلاة وللذكر إلا تبشبش الله له كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم» وفيه : «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان» اهـ . قال تعالى - إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر - الآية ، وفيه «من غدا إلى المسجد وراح أعد الله له نزلا من الجنة كلما غدا وراح» وفيه «كنس المساجد مهور الحور العين» وفيه «تعاهدوا النعال عند أبواب المساجد» أى فإن وجدتم بها قذرا فامسحوه بالأرض ، وفيه « إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا له لا أربح الله تجارتك ، وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا ردها الله عليك» اهـ وفى [مب] قال الشعرانى : ومن الأدب عدم الكلام فى شأن الدنيا أصلا فى المسجد ، وفى الحديث «يأتى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد ويقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا فلا تجالسوهم وهم من الله مبعدون » إلى أن قال «فتقف عليهم ملائكة فتقول اسكتوا يا أعداء الله اسكتوا يا بغضاء الله فإن صلوا ضربت وجوههم بصلاتهم وانقلبوا إلى دورهم وقد سخط الله عليهم » وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « سألت النبى صلى الله عليه وسلم سنين عن كلام المسجد فما زادنى فيه إلا تشديدا ولا أرانى فيه رخصة ، ثم قال : يا ابن عباس اقرأ : - فى بيوت أذن الله - ، الآية ، ويروى « الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » اهـ . وروى «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيوفكم . واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمروها فى الجمع » اهـ . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نكرم المساجد ولا نقضى الحاجة قريبا من أبوابها فى غير الأمكنة المعدة لذلك تعظيما وإجلالا لله تعالى ، ثم قال : وكان سيدى على الخواص رحمه الله إذا أراد أن يدخل المسجد يتطهر خارجه أو فى بيته ، ولا يدخل قط محدثا يتوضأ فى الميضأة التى هى داخل المسجد خوفا أن يدخل محدثا ، وكان إذا دخل المسجد يصير يرتعد من الهيبة حتى يقضى الصلاة فيخرج مسرعا ويقول : الحمد لله الذى أطلعنا من المسجد على سلامة ، فقلت له : أنتم بحمد الله فى حضور مع الله داخل المسجد وخارجه،

فقال : ياولدى قد طلب الحق تعالى منا فى المسجد آدابا لم يطلبها منا خارجه ، ثم قال : وقام له شخص مرة فى المسجد فزجره زجرا شديدا وقال : إن العبد إذا عظم فى حضرة الله تعالى ذاب كما يذوب الرصاص(١) حياء من الله تعالى أن يشاركه فى صورة التعظيم والكبرياء ، وكان إذا دخل إلى المسجد لايتجرأ أن يدخل وحده بل يصبر على الباب حتى يأتى أحد فيدخل وراءه تبعا له ويقول : المسجد حضرة الله تعالى ، ولا يبدأ بالجلوس بين يدى الله تعالى قبل الناس إلا المقربون والذين لاخطيئة عليهم ولا تدنست جوارحهم قط بمعصية ، أو وقعوا وتابوا منها توبة نصوحا كالأولياء الذين سبقت لهم العناية الربانية بالولاية الكبرى فى عدم العدم ، وعلموا بالكشف الصحيح أن الله تعالى قبل توبتهم وبدل سيئاتهم حسنات بحيث لم يبق عندهم سيئة يستحضرونها ، ومتى استحضروها فليعلموا أن توبتهم معلولة لكونها لم تبدل سيئاتهم حسنات إذ لو بدلت لم يبق لها صورة فى الوجود ولا فى ذهنهم ولا فى الخارج . قال ولست أنا من أحد هذين الرجلين فمالى وللدخول قبل الناس اهـ . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نطيل الجلوس فى المسجد ونخفف الجلوس فى السوق ، ولكل منهما شروط فانظرها فيه إن شئت .

وفى المجالس السنية على الأربعين النووية [بشارة] « إذا كان يوم القيامة يأتى قوم فيقفون على الصراط يبكون فيقال لهم جوزوا على الصراط ، فيقولون نخاف من النار ، فيقول جبريل عليه السلام : كيف كنتم تمرون على البحر ؟ فيقولون بالسفن ، فيؤتى بالمساجد التى كانوا يصلون فيها كالسفن فيركبونها ويمرون على الصراط » وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تحشر مساجد الدنيا كأنها نجب بيض قوائمها من العنبر وأعناقها من الزعفران ورءوسها من المسك وأزمتها من الزبرجد ، والمؤذنون يقودونها والأئمة يسوقونها ، والمحافظون يتبعونها ، فيعبرون فى عرصات القيامة فيقول أهلها : هؤلاء ملائكة مقربون أم أنبياء مرسلون ؟ فيقال هؤلاء الذين حافظوا على صلاة الجماعة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم » ثم قال [نكتة] إذا كان يوم القيامة أمر بطبقات المصلين إلى الجنة فتأتى أول زمرة كالشمس فيقول لهم الملائكة من أنتم ؟ قالوا نحن المحافظون على الصلاة ، قالوا كيف كانت محافظتكم ؟ قالوا كنا نسمع الأذان ونحن فى المسجد ، ثم تأتى زمرة أخرى كالقمر ليلة البدر فتقول الملائكة من أنتم ؟ قالوا نحن المحافظون على الصلاة ، قالوا كيف كانت محافظتكم ؟ قالوا كنا نتوضأ قبل الوقت ، ثم تأتى زمرة أخرى كالكواكب فتقول لهم الملائكة من أنتم ؟ قالوا نحن المحافظون على الصلاة ، قالوا كيف كانت محافظتكم ؟ قالوا كنا نتوضأ قبل الأذان ، انظره (فى الدجى) بضم مهملة جمع دجية كمدية ومدى الظلمة . وفى [جص] « المشاءون إلى المساجد فى الظلم أولئك الخواضون فى رحمة الله » وفيه : « بشر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » وفيه « ثلاث من كن فيه أظله الله تحت ظل عرشه يوم لاظل إلا ظله : الوضوء على المكاره ، والمشى إلى المساجد فى الظلم ، وإطعام الجائع » وروى الطبرانى « بشر المدلجين إلى المساجد فى الظلم بمنابر من نور يوم القيامة يفزع الناس ولا يفزعون » وفى [حى] قال النخعى : كانوا يرون أن المشى فى الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن ننبه إخواننا المواطنين على صلاة العشاء

---

(١) بفتح الراء كسحاب اهـ .

والصبح فى جماعة أن لا يأتوا محل الجماعة فى نور لقوله صلى الله عليه وسلم « بشر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» فقيد حصول النور يوم القيامة بالمشى هنا للمساجد من غير سراج، ومفهومه أنه إذا مشى هنا فى نور قل نور هناك، اللهم إلا أن تكون الطريق مخوفة مثلا فلا حرج والله تعالى أعلم اه .

(و) ومن المكفرات للذنوب أيضا (إسباغك الوضوء) يقال أسبغ الوضوء أبلغه مواضعه ووفى كل عضو حقه من الماء والدلك، وفى البخارى قال ابن عمر: الإسباغ الإنقاء، وفيه: إن أبا هريرة يقول: أسبغوا الوضوء فإن أبا القاسم صلى الله عليه وسلم قال « ويل للأعقاب من النار » وروى الحاكم « ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار » أى ويل لأصحابها المقصرين فى غسلها (عند الكريهة) أى الشدة أى اشتداد البرد. وفى [جص] «ألا أدلكم على مايمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» وفيه «كفارة الخطايا إسباغ الوضوء على المكاره، وإعمال الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة» وفيه «ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات. فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات: فالعدل فى الغضب والقصد فى الفقر والغنى، وخشية الله تعالى فى السر والعلانية وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء فى السبرات [(١)]، ونقل الأقدام إلى الجماعات. وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام» وفيه « من أسبغ الوضوء فى البرد الشديد كان له كفلان من الأجر » وفى [مج] روى ابن أبى شيبة فى مصنفه ومسنده مما روى عن حمران مولى عثمان رضى الله تعالى عنهما قال: دعا عثمان رضى الله عنه بوضوء فى ليلة باردة وهو يريد الخروج إلى الصلاة فأكثر ترداد الماء على وجهه، فقلت حسبك قد أسبغت والليلة شديدة البرد. قال: صب فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يسبغ أحد الوضوء إلا غفر له من ذنبه ماتقدم وماتأخر » اه. وفى مسلم «إن عثمان بن عفان دعا بوضوء فتوضأ فغسل كفيه ثلاث مرات ثم تمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مرات، ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك ثم مسح رأسه، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاث مرات ثم غسل اليسرى مثل ذلك ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئى هذا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من توضأ نحو وضوئى ثم قام فركع ركعتين لايحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » قال ابن شهاب: وكان علماؤنا يقولون هذا الوضوء أسبغ مايتوضأ به أحد للصلاة اه. وفيه عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب مالم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله » اه. وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسبغ الوضوء صيفا وشتاء امتثالا لأمر الله واغتناما للأجر الوارد فى ذلك فى الشتاء، ولأنه ربما استلذت الأعضاء بالماء البارد فى الصيف فيبالغ المتوضئ فى الإسباغ لحظ نفسه فينبغى أن يتنبه المتوضئ لمثل ذلك ويسبغ امتثالا للأمر لا لاستلذاذ الأعضاء بالماء.

---

(١) جمع سبرة بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة: وهو شدة البرد مثل سجدة وسجدات اه مصححه.

وهذا سر أمر الشارع لنا بالوضوء ليقول العبد لنفسه إذا استلذ بالماء فى الصيف وادعت أنها مخلصة فى ذلك إنما هذا لحظ نفسك بدليل نفرتك من إسباغ الوضوء فى الشتاء ، فلو كان إسباغك الوضوء فى الصيف امتثالا لأمر الله لكنت تسبغين ذلك فى الشتاء من باب أولى لأنه وعدك بالأجر عليه أكثر ، انظره . وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن نأمر إخواننا بأن يكرهوا نفوسهم على مرضاة الله عز وجل كإسباغ الوضوء فى المكاره ونحو ذلك عملا بترغيب الشارع صلى الله عليه وسلم وهو رحمة بنافى صورة مشقة . واعلم يا أخى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رغبنا فى إسباغ الوضوء فى شدة البرد إلا لتلازم ذلك ويصير عادة لنا إلى زمن الصيف فنستحضر تلك الحالة ونخرج عنها إذا وجدنا من استعمال الماء لذة فى أعضائنا أيام الصيف ، وإنما خرجنا عنها لنميز حق الله من حظ نفوسنا إذ النفس ربما يخفى عليها مثل ذلك فتبالغ فى إسباغ الوضوء فى الصيف بقصد التلذذ ببرودة الماء لابقصد اتباع السنة وما تخاف من تخلف إلاباتباعه حظ نفسه ، انظره . ثم قال : قال بعضهم : ويمكن للعارف أن يعطى النفس حظها مع التلذذ مع مراعاة حق الله تعالى ، كما أنه إذا غلبته نفسه فى هذه المسألة على محبة استعمال الماء للتلذذ فى الصيف ينوى بذلك زوال ألم النفس مما أصابها من شدة الحر فيكون مأجورا بذلك لأنه تصدق على نفسه بدفع المضار عنها ، والله غفور رحيم اهـ .

[تتمة] مما ينبغى للإنسان أن يحافظ عليه الوضوء لما روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء . قال حتى يخرج نقيا من الذنوب » اهـ . ولما ورد فى الخبر أن الله تعالى يقول «من أحدث ولم يتوضأ فقد جفانى ، ومن أحدث وتوضأ ولم يصل فقد جفانى ، ومن صلى ولم يدعنى فقد جفانى ، ومن أحدث وتوضأ وصلى ودعانى ولم أستجب له فقد جفوته ولست برب جاف» وفى طبقات السبكى قال الله تعالى « ياموسى توضأ فإن أصابك شىء وأنت على غير وضوء فلا تلومن إلا نفسك » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « ياأنس إن استطعت أن تكون أبدا على وضوء فافعل فإن ملك الموت إذا قبض روح عبد وهو على وضوء كتبت له شهادة » وقيل : أوحى الله إلى موسى «إذا خفت سلطانا فتوضأ وأمر أهلك به فإن من توضأ كان فى أمان مما يخاف » اهـ .

[فائدة] يستحب للمتوضئ أن يقول عقب وضوئه : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى عبدا شكورا واجعلنى من عبادك الصالحين ، سبحانك اللهم أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك أستغفرك وأتوب إليك ، فمن قال ذلك فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ، والله ذوالفضل العظيم . ويستحب له أيضا أن يصلى عقب وضوئه ولو ركعتين لما روى أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر « يابلال حدثنى بأرجى عمل عملته فى الإسلام فإنى سمعت دف نعليك بين يدى فى الجنة ، قال : ما عملت عملا أرجى عندى أنى لم أتطهر طهورا فى ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ماكتب لى أن أصلى » قال رحمه الله :

(قِيَادَةُ أَعْمَى وَالقَضَاءُ لِحَاجَةٍ وَعَدُّكَ مَوْجَ البَحْرِ مِنْ أَجْلِ فِكْرَةٍ)

ومن المكفرات للذنوب أيضا (قيادة) وفى [س] القود نقيض السوق فهو من أمام وذلك من خلف كالقيادة اه (أعمى) من ذهب بصره روى الطبرانى «من قاد أعمى حتى يبلغه مأمنه غفرت له أربعون كبيرة، وأربع كبائر توجب النار» وفى [جص] «من قاد أعمى أربعين خطوة غفر له ماتقدم من ذنبه». وفيه: «من قاد أعمى أربعين خطوة وجبت له الجنة» وروى أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «من قاد مكفوفا أربعين خطوة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ووجبت له الجنة» اه. قلت: وأحرى بهذا الفضل العظيم والثواب الجسيم من قاد أعمى البصيرة حتى يوصله مرغوبه ويبلغه مطلوبه فالله يجازى عنا سادتنا وموالينا أحسن الجزاء آمين.

[فائدة] روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقبيصة رضى الله عنه «إذا صليت الصبح فقل ثلاثا سبحان الله العظيم وبحمده تعافى من العمى والجذام والفالج» وروى «أن أعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله تعالى أن يكشف لى عن بصرى. قال: أو أدعك؟ قال يا رسول الله إنه قدشق علىّ ذهاب بصرى. قال: فانطلق ثم توضأ ثم صل ركعتين ثم قل: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد إنى أتوجه إلى ربى بك أن يكشف عن بصرى اللهم شفعه فىّ وشفعنى فى نفسى، قال عثمان بن حنيف: فرجع وقد كشف الله عن بصره اه.

(و) من المكفرات للذنوب أيضا (القضاء لحاجة) لمسلم دينية أو دنيوية، وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سعى لأخيه المسلم فى حاجة قضيت أو لم تقض غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر، وكتبت له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق» وروى «من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة» وروى «أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن كسوت عورته أو أشبعت جوعته أو قضيت له حاجة» اه. وفى [جص] «من ذهب فى حاجة أخيه المسلم فقضيت له حاجته كتبت له حجة وعمرة وإن لم تقض كتبت له عمرة» وفيه: «إن لله عبادا اختصهم لحوائج الناس، يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله» قال الحفنى: فيجلسون على منابر من النور ويتحدثون مع المولى سبحانه وتعالى والناس مشغولون بالحساب اه.

[فائدة] روى عن ابن عباس: من طلب حاجة على نعل أصفر قضيت حاجته، لأن حاجة بنى إسرائيل قضيت بجلد أصفر، انظر إرشاد السارى. وروى الترمذى «من كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد من بنى إسرائيل فليتوضأ وليحسن الوضوء وليصل ركعتين ثم ليثن على الله وليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين، اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم لاتدع لى ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا حاجة هى لك رضى إلا قضيتها يا أرحم الراحمين». وروى الحاكم «اثنتا عشرة ركعة تصلين من ليل أو نهار وتتشهدين كل ركعتين فإذا تشهدت فى آخر صلاتك فأثن على الله عز وجل وصل على النبى صلى الله عليه وسلم، واقرأ وأنت ساجد فاتحة الكتاب سبع مرات وقل يا أيها الكافرون سبع مرات، وقل: لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات، ثم قل: اللهم إنى أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك واسمك الأعظم

وقدرك الأعلى وكلماتك التامة، ثم اسأل حاجتك ثم ارفع رأسك ثم سلم يمينا وشمالا ، ولا تعلموها السفهاء فإنهم يدعون بها فيجابون «وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلى صلاة الحاجة إظهارا للفاقة والحاجة كالهدية التى يرسلها الإنسان لمن له عنده حاجة قبل أن يجتمع به ، وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : ينبغى فعل صلاة التسبيح قبل صلاة الحاجة لماورد أنها تكفر الذنوب كلها وذلك من أكبر أسباب قضاء الحاجة ، فإن تأخير قضاء الحوائج إنما يكون بسبب الذنوب فى الغالب اهـ. وسمعته يقول أيضا : ينبغى شدة الحضور فى أذكار السجدة الأخيرة من صلاة الحاجة التى يسلم بعدها، انظره . وفيه أيضا : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقضى حوائج المسلمين وندخل عليهم السرور ولا نقبل على ذلك هدية منهم على قاعدة أن فعل الطاعات بالأصالة إنما هو للثواب الأخروى ، وما فاز بذلك إلا العارفون الذين يفعلون الأوامر الشرعية امتثالا لأمر الله دون الأجر الأخروى ، وأما غيرهم فهو بارك فى وحلة الثواب لا ينفك ، وقد جربنا أن كل من قبل عوضا على شفاعة شفعها عند حاكم فهو خارج عن الطريق ، ثم تنقطع الوصلة بينه وبين الحق فيرد الحكام شفاعته ولا يصير له عندهم حرمة كما لا حرمة لأحد من أهل الدنيا عندهم بخلاف من هو قائم لله تعالى . وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : إذا جاء المشفوع له بهدية للشافع فليردها عليه فإن لم يقبلها وقال خرجت عنها للفقراء فليأخذها الشافع ويفرقها على الفقراء والمساكين لاسيما إن كان ظالما أو من أعوان الظلمة ثم قال : وسمعت سيدى محمد بن عنان يقول : عندى أن النقيب الواقف فى حوائج فقراء الزاوية أكثر أجرا من المقيمين العاكفين على القراءة والذكر والعبادة لأنه لولا سعيه عليهم لم يقدر أحد منهم على الجلوس لتلك العبادة بل كان يخرج يسعى على الرغيف قهرا عليه ، انظره. وفى الحديث « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » أى الكامل وإلا فالصائمون لهم أجر الجهاد لكن المفطرون أكثر لتوليهم الخدمة وسيد القوم خادمهم .

(و) من المكفرات للذنوب أيضا (عدك) أى إحصاؤك (موج) أى اضطراب مياه (البحر) الماء الكثير أو الملح فقط (من أجل فكرة) أى تفكر فى عظمة الله تعالى وقدرته القاهرة لكل شىء ، ورحم الله من قال :

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

وفى [مح] وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «من عد فى البحر أربعين موجة وهو يكبر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإن الأمواج لتحط الذنوب حطا» اهـ. وفى [جص] «فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة» اهـ . ولذا عبد شخص ربه سبعين سنة ثم سأل الله تعالى حاجة فلم تقض فرجع وتفكر وقال لنفسه ، عيبى منك لأنك لم تخلصى فى العبادة فتلك العبادة لم تنفعنى لتلويث نفسى وعدم تطهيرها ، فأرسل الله تعالى له ملكا أخبره بأن تفكره هذه الساعة خير من عبادته فى السبعين سنة وقضى حاجته اهـ. قال رحمه الله :

(مُصَافَحَةُ الإِخْوَانِ عِندَ لِقَائِهِم وَتَعْمِيرُ شَخْصٍ فِيهِ خَيْرٌ فَضِيلَةٌ)

(و) ومن المكفرات للذنوب أيضا (مصافحة) من صافحه أخذ بيده (الإخوان) المؤمنين إنما المؤمنون إخوة (عند لقائهم) أى عند ملاقاة بعضهم بعضا وتطلب أيضا عند المفارقة وعليه يحمل ما يصنعه إخواننا

الأحمديون من المصافحة بعد الوظيفة ولا بأس بها إن شاء الله كما سيأتى : وفى العزيزى : ما من عبدين يلتقيان ويتصافحان ويصليان على النبى صلى الله عليه وسلم لم يتفرقا حتى يغفر الله لهما ذنوبهما ماتقدم منها وماتأخر اه. وفى [مح] وأخرج أبو الحسن بن سفيان وأبو يعلى الموصلى فى مسنديهما جميعا عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم «مامن عبدين متحابين فى الله تعالى» وفى رواية «مامن مسلمين يلتقيان ويتصافحان ويصليان على النبى لايفترقان حتى يغفر لهما ماتقدم من ذنوبهما وماتأخر» اه.

(و) من المكفرات للذنوب أيضا (تعمير شخص) أى طول عمره (فيه تخير فضيلة) ومنقبة وهو تكفير الذنوب والآثام لكن إذا صرف عمره فى طاعة الله تعالى وإلا فهو حسرة وندامة. وفى [مح] روى الترمذى من رواية عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إذا بلغ العبد أربعين سنة عافيته من البلايا الثلاث الجنون والجذام والبرص ، فإذا بلغ خمسين سنة حاسبته حسابا يسيرا : فإذا بلغ ستين سنة حببت إليه الإنابة ، فإذا بلغ سبعين سنة أحبته الملائكة ، فإذا بلغ ثمانين سنه كتبت حسناته وألغيت سيئاته ، فإذا بلغ تسعين سنة قالت الملائكة ، هذا أسير الله تعالى فى أرضه ، وغفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وشفع فى أهل بيته» انظره. وفى [جص] «سألت الله فى أبناء الأربعين من أمتى فقال : يامحمد قد غفرت لهم قلت فأبناء الخمسين؟ قال فإنى قد غفرت لهم قلت فأبناء الستين؟ قال قد غفرت لهم. قلت فأبناء السبعين؟ قال : يامحمد إنى لأستحى من عبدى أرى عمره سبعين سنة يعبدنى لايشرك بى شيئا أن أعذبه بالنار فأما أبناء الأحقاب أبناء الثمانين والتسعين فإنى واقف يوم القيامة فقائل لهم أدخلوا معكم من أحببتم الجنة ، وفيه إذا أراد الله بقوم خيرا أمدلهم فى العمر وألهمهم الشكر ، وفيه : السعادة كل السعادة طول العمر فى طاعة الله ، وفيه : خيركم من طال عمره وحسن عمله وشركم من طال عمره وساء عمله ، وفيه : ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن معمر فى الإسلام لتكبيره وتحميده وتسبيحه وتهليله» وفى [هب] وإنما طول الله أعمارنا حتى صرنا نعيش الستين والسبعين عاما لهذه الفائدة وهى أنه لعلنا ندرك فى العمر الطويل ساعة من ساعات القبول ، وذلك لاستيلاء النفس والشهوة علينا حتى لايكاد يصفولنا فعل ولا يخلص لنا عمل ، انظره. وروى «إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها لعله أن تصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا» وفى [جص] اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات رحمة الله فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده ، وسلوا الله تعالى أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم» اه. وحكى أن لقمان قال لابنه : يابنى عود لسانك أن يقول اللهم اغفرلى فإن لله ساعة لا يرد فيها سائلا اه. وفى [خل] : ومن عادة السلف رضى الله عنهم أنهم كانوا إذا بلغ أحدهم الأربعين طوى الفراش واعتزل عن الناس وتبتل للعبادة، وترك الاشتغال بالعلوم الرسمية لأنها من القواطع والعوائق ، انظره. ورحم الله من قال :

أما آن ارعواؤك عن شنار (١) ... كفى بالشيب زجرا عن عوار (٢)
أبعد الأربعين تروم هزلا ... وهل بعد العشية من عرار
فخل حظوظ نفسك واله عنها ... وعن ذكر المنازل والديار
وعد عن الرباب وعن سعاد ... وزينب والمعازف والعقار

(١) الشنار بالفتح: أقبح العيب والعار. (٢) العوار مثلثة: العيب والخرق.

فما الدنيا بزخرفها بشيء   وما أيامهـا إلا عـوار[1]
وليس بعاقل من يصطفيها   أتشرى الفوز ويحك بالتبار[2]
فتب واخلع عذارك فى هوى من   له دار النعيم ودار نار   اهـ

ومن قال :

فما أقبح التفريط فى زمن الصبا   فكيف به والشيب فى الرأس شامل
تزود من الدنيا بزاد من التقى   فعمرك أيام تعد قلائل

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود إذا بلغنا من العمر أربعين سنة أن نطوى فراش النوم ونقبل على عبادة ربنا وأن لا نغفل عن كوننا مسافرين إلى الآخرة فى كل نفس حتى لانرى لنا قراراً قط ، وأن نرى الذرة الواحدة من عمرنا بعد بلوغ الأربعين مقومة علينا بمائة عام قبل ذلك وكذلك لا يكون لنا بعد الأربعين راحة ولا مزاحمة على وظيفة ولا زينة ولا فرح بشىء من الدنيا ، كل ذلك لضيق العمر بعد الأربعين وعدم مناسبة الغفلة والسهو واللعب لمن قد أشرف على معترك المنايا . وقد بلغنا عن الإمام الشافعى رضى الله عنه أنه لما بلغ الأربعين مشى على العصا فقالوا له نراك تدمن إمساك العصا وأنت شاب؟ فقال لأذكر أنى مسافر عن هذه الدار ، رضى الله عنه . فاعلم ذلك واعمل عليه تجد بركته والله يتولى هداك اهـ . وقيل : إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح إبليس على وجهه وقال : بأبى وجه لا يفلح أبدا . وفى ذلك قيل :

وإذا مضى للمرء من أعوامه   خمسون وهو إلى التقى لم يجنح
ركدت عليه المخزيات وقلن قد   أرضيتنا فأقم لذا لا تبرح
وإذا رأى إبليس غرة وجهه   حيى وقال فديت من لم يفلح

رب إنى مغلوب فانتصر ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا آمين : قال رحمه الله :

(كَذا رَمَضَانُ صَوْمُهُ وَقِيَامُهُ   قِيَامُ لَيَالِى القَدْرِ حَجٌّ كَعُمْرَةِ)

(كذا) أى من المكفرات للذنوب أيضا (رمضان صومه) بدل منه بدل اشتمال : وفى [جص] «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» اهـ هذا فيمن صامه حق صيامه لحديث «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر . وفيه : ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد أوجهل عليك فقل إنى صائم إنى صائم. وفيه : الصائم فى عبادة مالم يغتب مسلما أو يؤذه » ولابن عرفة رضى الله عنه :

إذا لم يكن فى السمع منى تصاون   وفى بصرى غض وفى منطقى صمت
فحظى إذا من صومى الجوع والظما   وإن قلت إنى صمت يوما فما صمت

ولابن عطية رضى الله عنه :

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة   تلهيك فيه من الحديث فنونه
واعلم بأنك لاتنال صيامه   حتى تكون تصومه وتصونه

---

(١) عوار : أى عارية .   (٢) التبار كسحاب: الهلاك .

وفى [عف] وفى الخبر «كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش» قيل هو الذى يجوع بالنهار ويفطر على الحرام ، وقيل هو الذى يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة . قال سفيان : من اغتاب فسد صومه ، وعن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب ، ثم قال : وورد فى الخبر «أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تهلكا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنانه فى الإفطار ، فأرسل إليهما قدحا وقال : قولوا لهما قيئا فيه ما أكلتما فقاءت أحداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا(١) وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ماحرم الله عليهما» وقال عليه الصلاة والسلام «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شاتمه فليقل إنى صائم» وفى الخبر «إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته» أنظره. وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن لانشبع الشبع الكامل قط لا سيما فى ليالى رمضان فإن الأولى النقص فيها عن مقدار ماكنا نأكله فى غيرها لأنه شهر الجوع ، ومن شبع فى عشائه وسحوره فكأنه لم يصم رمضان وحكمه حكم المفطر من حيث الأمر المشروع له الصوم وهو إضعاف الشهوة المضيقة لمجارى الشيطان فى البدن ، وهذا الأمر بعيد على من يشبع من اللحم والمرق اللهم إلا أن يكون امرأة مرضعة أو شخصا يتعاطى فى النهار الأعمال الشاقة فإن ذلك لايضره إن شاء الله تعالى. وقد قالوا : من أحكم الجوع فى رمضان حفظه من الشيطان إلى رمضان الآتى لأن الصوم جنة على بدن الصائم مالم يخرقه بشىء فإذا خرقه دخل له الشيطان من ذلك الخرق اه :

وفى [عم] سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول. ينبغى للمتسحر أن لا يزيد على ثلاث لقم أو ثلاث تمرات فإن السر فى التقوية على الصوم بالسحور حاصل بالأكل القليل فليس فى الكثير فائدة، كما أن نوم القيلولة ينفع من يقوم الليل ولو كان قدر ثلاث درج كما جرب ، انظره .

(و) كذا من مكفرات الذنوب أيضا (قيامه) أى قيام ليالى رمضان بالتراويح وغيرها من الطاعات . وعن النووى أن المراد بقيام رمضان صلاة التراويح يعنى أنها يحصل بها المطلوب لمن داومها فيه . وعن عائشة رضى الله عنها : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لايزيد على إحدى عشرة ركعة لا فى رمضان ولا فى غيره . وعن غيرها ثلاث عشرة ركعة . وفى [خل] ينبغى للمكلف أنه إذا صلى المغرب يعجل فطره ثم يقوم فيصلى بحزبين ونصف أو أكثر قبل العشاء ، ثم يخرج فيصلى مع الناس القيام ويوتر معهم ثم إذا رجع إلى بيته صلى لنفسه بحزبين ونصف أو أكثر فيجتمع له من ذلك ثمن الختمة أو أكثر منه فى الغالب ، ثم ينام ما قدر له ثم يقوم لتهجده فيصلى ما تيسر له مما بقى عليه من الليل ، انظره . وفى [مح] وروى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بقيام رمضان من غير أن يأمرنا بعزيمة ويقول من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر» وفى [جص] «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه» وفى رواية «وما تأخر» وفيه «إن الله افترض صوم رمضان وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا ويقينا كان كفارة لما مضى» وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) العبيط والغريض : الطرى .

أن يكون معظم قصدنا من قيام رمضان وغيره امتثال أمر الله عز وجل والتلذذ بمناجاة الحق لا طلب أجر أخروى ونحو ذلك هروبا من دناءة الهمة، فإن من قام رمضان لأجل حصول الثواب فهو عبد الثواب لا عبد الله تعالى كما أشار إليه حديث « تعس عبد الدينار والدرهم والخميصة » انظر .

وكذا من مكفرات الذنوب (قيام ليالى) جمع ليلة وجمعت للتعظيم (القدر) أى قيامها وإحياؤها بالعبادة ، وسميت بذلك لما تكتب الملائكة فيها من الأقدار أو لأنها ذات قدر عظيم لما يقع فيها من تنزل الملائكة والروح والبركة والمغفرة ، وهى من غروب الشمس إلى طلوعها ، ومن أماراتها أن الشمس فى صبيحتها تطلع مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قام شهر رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » . وفى [جص] « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه. وفيه: تحروا ليلة القدر ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين إن الملائكة تلك الليلة فى الأرض أكثر من عدد الحصى » أى يحضرون مجالس الذكر ويستغفرون للمؤمنين ويؤمنون على دعائهم فإذا طلع الفجر صعدوا. وفيه « تحروا ليلة القدر فمن كان متحريها فليتحر ليلة سبع وعشرين » قال العزيزى : وبه أخذ أكثر الصوفية وقطع به بعضهم إن وافقت ليلة جمعة اه. وعليه جرى عمل الناس شرقا وغربا ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما يستنبط ذلك من عدد كلمات سورة القدر إلى قوله - هى - ومن عدد حروف ليلة القدر وقد ذكرت ثلاث مرات فى السورة وفى كل كلمة منها تسعة أحرف فهى سبعة وعشرون حرفا من ضرب ثلاثة فى تسعة ، ويؤيده حديث أبى بن كعب فى صحيح مسلم ، وقد قيل له : إن عبد الله بن مسعود يقول : من قام السنة أصاب ليلة القدر ، فقال أبى : والله الذى لا إله إلا هو إنها لفى رمضان ، والله إنى لأعلم أى ليلة هى ، هى الليلة التى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها ، هى ليلة صبيحة سبع وعشرين ، وأمارتها أن تطلع الشمس صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها اه. وروى : ليلة القدر ليلة بلجة لا حارة ولا باردة ولا سحاب فيها ولا مطر ولا ريح ولا يرمى فيها بنجم ، ومن علامة يومها تطلع الشمس لا شعاع لها . وعن ابن العربى رحمه الله أنها لا تكون إلا فى النصف الآخر من رمضان ولا تكون إلا ليلة جمعة بالإفراد ، وذكر لذلك قاعدة ونظمها من قال :

قاعدة تنسب لابن العربى	فى ليلة القدر وأين تختبى
فإنها محصورة فى رمضان	فى نصفه الثانى على مر الزمان
وإنها تكون فى الأفراد	ليلة جمعة على التمادى
فإنها تأتى إذا هل الهلال	بأحد لسابع العشرين قال
وإن يكن هل بالاثنين ففى	ليلة تسع عشرة بها تفى
وإن بليلة الثلاثا يبدو	فخامس العشرين ليست تعدو
وإن يكن بالأربعاء قد ظهر	فإنها تأتى بسابع عشر
وإن يكن رأى الهلال بالخميس	ففى الثلاثة وعشرين التمس
وإن يكن إهلاله بالجمعة	فى تاسع العشرين وهى جمعة
وإن يكن فى السبت فاعلم أنها	فى الحادى والعشرين فارقبنها

اه

وكذا من مكفرات الذنوب أيضا (حج) مبرور (كعمرة) أى فى كونها من المكفرات أيضا، وروى أبو داود والبيهقى عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة» وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من جاء حاجا يريد وجه الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» وأخرج أحمد بن منيع وأبو يعلى فى مسنديهما عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» اه. وفى [جص] أديموا الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد. وفيه: من حج لله، وفى رواية واعتمر، فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» اه. وروى «تابعوا بين الحج والعمرة فإن متابعة مابينهما تزيد فى العمر والرزق وتنفى الذنوب من بنى آدم كما ينفى الكير خبث الحديد» وفى [هم] واعلم يا أخى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجعل تكفير الخطايا إلا فى الحج المبرور الذى لا إثم عليه، ومن يترك الصلاة فى الطريق أو يخرجها عن وقتها فهو عاص لم يبر حجه فلا يكفر عنه حجه ولو خطيئة واحدة، فواظب يا أخى على الصلاة فى الطريق، انظره - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - بلا من ولا سبب ولا وجود شرط ولا زوال مانع، اللهم أنت الكريم المجيد ونحن أسوأ العبيد اغفر لنا وارحمنا بمحض الفضل والجود بجاه سيد الوجود والسبب فى كل موجود صلى الله عليه وعلى آله وسلم آمين.

فائدة: وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عن حج بعض الفقراء فى كل سنة من غير زاد ولا راحلة هل هو محمود؟ قال: هو مذموم شرعا لأن الله تعالى فرض الاستطاعة فى فرض الحج ونقله خوفا من تحمل منن الناس فى الطريق ووقوعه فى الحقد والكراهة لكل من لم يطعمه ولم يركبه، هذا أمر لازم وما نقل عن السلف من نحو ذلك إنما كان ذلك لكثرة رياضة نفسه، فراضوا نفوسهم بالجوع حتى صارت تصبر على الطعام أربعين يوما وأكثر. وبعضهم حج من مصر بأربعة أرغفة حملها معه أكل فى كل ربع من الطريق رغيفا. وبعضهم حج برغيفين رغيف أكله بمكة ورغيف أكله فى العقبة، وبعضهم أكل فى مصر من يوم خروج الحجاج فلم يأكل شيئا حتى رجع إلى مصر فمثل هؤلاء يسلم لهم حالهم. وأما من يسلق الناس بألسنة حداد فسفره حرام والله تعالى أعلم اه. وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نتزوج ولا نحج إلا مع القدرة الشرعية فمن وقع فى التزويج أو الحج اعتمادا على ما يعطيه الناس له فلا تسأل عما يجرى له، والشارع إنما طلب فعل ذلك ممن هو فى غنى عن سؤال الناس ولم يطلب ذلك ممن هو محتاج إلى مافى أيديهم، ومن يخرج عن أمره صلى الله عليه وسلم كان موكولا إلى هواه فأهوى به إلى محل الهوان، ثم أقل مافيه إذا كان متجردا من الدنيا صالحا يأكل بدينه وصلاحه نسأل الله العافية، انظره. وفى [خل] والجاهل المسكين يتداين ويحتال ويطلب من الناس بسبب الحج حتى إن بعضهم ليطلب من الظلمة المتسلطين على المسلمين الذين يتعين هجرانهم فيكون ذلك سببا لزيادة طغيانهم، لكونهم

يرون بعض من يعتقدونه ويظنون به خيرا على أبوابهم ويعاملهم بهذه المعاملة ويطلب من فضلات أو ساخهم من دنياهم القذرة المحرمة ، وقد يغلب على بعضهم الجهل فتسول له نفسه أو يغره غيره بأنه على طاعة وخير وهو بالعكس نعوذ بالله من الخذلان ، وبعض من يطلب من هؤلاء بسبب الحج يزيد على ذلك بأن يعدهم بالدعاء لهم فى تلك المواطن الشريفة ، وبعضهم يترك أهله ضياعا ويمضى إلى الحج وقد قال عليه الصلاة والسلام « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول » وبعض من انغمس منهم فى الجهل يفعل ما ذكر فى حج التطوع وبعضهم قد اتخذ ذلك دكانا يجبى به أموال الناس ، انظره : هذا فى زمنه رضى الله عنه ولو أدرك ما يرتكبونه اليوم من يدعى العلم والصلاح فضلا عن الجهلة والصعاليك(١) لبكى دما أو مات غما ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ـ ولقد صدق الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فى قوله « يأتى على الناس زمان يحج أغنياؤهم للنزهة وأوسطهم للتجارة وقراؤهم للرياء وفقراؤهم للمسألة » إنا لله وإنا إليه راجعون ـ قال رحمه الله :

(كذا صَدَقاتُ السِّرِّ مِنْ حِلِّ مالِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وَمِنْها صَلاةُ الصَّفِّ تَعْلِيمُ صِبْيَةِ)

(كذا) أى من مكفرات الذنوب أيضا (صدقات) جمع صدقة كقصبة وقصبات ما أعطيت فى ذات الله تعالى لا لغرض دينى أو دنيوى بل لوجه الله تعالى (السر) قال الله تعالى ـ إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ـ الآية . وفى [حى] قال صلى الله عليه وسلم « صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل » اه . وفى [جص] « من كنوز البر كتمان المصائب والأمراض والصدقة . وفيه : أربعة من كنز الجنة إخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وصلة الرحم وقول لا حول ولا قوة إلا بالله وفيه : إن صدقة السر تطفىء غضب الرب ، وإن صلة الرحم تزيد فى العمر ، وإن صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وإن قول لا إله إلا الله يدفع عن قائلها تسعة وتسعين بابا من البلاء أدناها الهم . وفيه : ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك ، ودعوة السر أفضل من سبعين دعوة فى العلانية ، وصدقة السر أفضل من سبعين صدقة فى العلانية » اه .

ونقل أن زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما يحمل الخبز على ظهره بالليل ويتبع به المساكين ويقول : إن الصدقة فى سواد الليل تطفىء غضب الرب ، ولما مات وجد فى ظهره أثر سواد فقال الغاسل ماهذا ؟ فقيل إنه كان يحمل جراب الدقيق على ظهره ويعطيه لفقراء أهل المدينة ، وكان إذا أتاه سائل رحب به وقال : مرحبا بمن يحمل زادنا إلى الآخرة بغير أجرة مناحتى يضعه بين يدى الله عز وجل اه . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسر بصدقاتنا المندوبة دون المفروضة على وزان الصلاة ثم قال : واعلم أن الشارع ما أمر العبد بصدقة السر إلا لما يعلم من نفس العبد من محبة المال وإنفاقه ليقال فلا يكاد يسكت على ما أعطاه لأحد أبداً لعظمته عنده ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نسر بجميع صدقاتنا المندوبة وهدايانا المحبوبة إلا إن كان هناك أحد يقتدى بنا فإن المعاملة مع الله عز وجل ، ولولا أن فى إظهار الفرائض من الصدقات قيام شعائر الدين لكان إخفاؤها أولى أيضا : قالوا : وحد السر أن لا تنازعه نفسه فى حب إظهار ما أعطاه لأحد اكتفاء بعلم الله ، فمن أعطى فقيرا شيئا سرا ثم ظهر للناس واثنوا عليه به فاستحلاه فليس هو من أهل هذا المقام ،

---

(١) جمع صعلوك كعصفور : الفقير المضطر اه .

فاعلم ذلك اه وفى [جه] ومن عادته رضى الله عنه وخصوصا ما كان من قبيل الصدقات المبالغة فى الإخفاء جدا حتى لايشعر إنسان بما هويصدر منه من الإحسان فى عموم الأوقات وغالب الأحيان، فإذا أعطى أحدا شيئا لايعطيه بيده إنما يأمر بذلك ويرسل به ويوصى المرسل معه بالكتمان طلبا للوجه الأكمل الذى فضل الله فى كتابه سبحانه بقوله - فهوخير لكم - وإبقاء على المعطى بفتح الطاء وحرصا على إعلاء همته لشكر نعمة سيده ولايتشوف للذى جرت المنحة على يده، ويقول إنى إذا تشوف أحد إلى انقبض قلبى عنه فلا أريد أن أعطيه شيئا ، فإذا انقطع نظره عن الخلق كنت أحرص الناس على إعانته وإيصال العطاء إليه ، وأجدنى استحلى مناولة ذلك حين أعطى مال سيدى لعبد سيدى وهو لايلتفت إلى ولايشعر بما لدى ، وربما يتولى الإعطاء بيده لكون المعطى له لايشعر بمن أعطى ، وقد يعطى بيده أيضا إذا كان المعطى له من الموالين له من الأصحاب وغيرهم ممن يعرف أنه لاينوه به ولايفشى سره ، ومامن أحد من الأصحاب إلا لحقه نائله ووسعته عوارفه وفضائله فلا يلتى بعضهم بعضا إلاحدث بعطاياه دائما من كل شيء، ثم لايقدر أحد أن يواجهه بثناء عليه لأجل ذلك أويذكره له أويشيع خبره اه (من حل) بالكسر الحلال ضد الحرام (ماله) إذ لايقبل الله صدقة من حرام لأن الله طيب ولايقبل إلا الطيب قال تعالى - ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم - أى من حلاله وقال - إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - وفى الحديث «لايقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب» لقوله تعالى - ويربى الصدقات - وفى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه[1] حتى تكون مثل الجبل» اه . وفى مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيها الناس إن الله طيب لايقبل إلاطيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال - ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم - وقال: - ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم - وفى [حى] مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلاطيبا، إلا كان الله آخذها بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فصيله حتى التمرة مثل أحد . وفيه قال صلى الله عليه وسلم «من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه فى النار» اه . وفى [جص] الدنيا حلوة خضرة من اكتسب فيها مالا من حل وأنفقه فى وجهه أثابه الله وأورده جنته، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه فى غير حقه أحله الله دار الهوان، ورب متخوض فى مال الله ورسوله له النار يوم القيامة اه .

ومنها : أى ومن مكفرات الذنوب أيضا (صلاة الصف) قال تعالى - واركعوا مع الراكعين - وقال : - يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين - وفى [حى] وقال صلى الله عليه وسلم «من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لاتفوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار» ثم قال : وروى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ، ويعزون سبعا إذا فاتتهم الجماعة اه . وفى [جه]وأديموا الصلوات المفروضة فى الجماعات بالمحافظة فإنها متكفلة بالعصمة من جميع المهلكات إلا فى نبذ قليلة توجب العقوبات ، ولن الله سبحانه

---

(١) بفتح فاء وضمها كعدو وعلو ، وبكسرها مع سكون اللام كقمرس اه .

وتعالى للمداوم عليها عناية عظيمة فكم يجبر له من كسرة ، وكم يستر له من عورة ، وكم يعفو له عن زلة ، وكم يأخذ بيده فى كل كبوة اهـ .

ومن مكفرات الذنوب أيضا (تعليم صبية) جمع صبى القرآن والعلم الشرعى . وروى «أن تعليم الصبيان يطفىء غضب الرحمن » وفى [مح] وروى أبو بكر بن لال فى كتابه [مكارم الأخلاق] عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من علم ابنه القرآن نظراً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » اهـ . وفى [جض] « خيركم من تعلم القرآن وعلمه . وفيه: من علم آية من كتاب الله تعالى أو بابا من علم أنمى الله أجره إلى يوم القيامة » وفى التفسير للقرطبى رحمه الله روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « خير الناس وخير من يمشى على جديد الأرض المعلمون كلما خلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم ، فإن المعلم إذا قال للصبى قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبى بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله تعالى براءة للمعلم وبراءة للصبى وبراءة لأبويه من النار » وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نكرم معلم ولدنا القرآن أعظم إكرام فإنه لا يبخل على المؤدب بعرض من الدنيا إلا من هو فى حجاب عن شهود عظمة القرآن . وقد بلغنا عن الشيخ ابن أبى زيد القيروانى صاحب الرسالة سلم ولده للمؤدب فحفظه سورة الفاتحة فأعطاه الشيخ مائة دينار ، فقال المؤدب ما عملت شيئا يستحق ذلك ، فنزع الشيخ ولده منه وأبى أن يجعله عنده بعد ذلك وقال : هذا مستهين بكلام الله عز وجل . وقد بلغنا عن الفقيه زحلق رحمه الله تعالى أنه أقرأ ولدا القرآن فأعطاه والده عشرة آلاف دينار ، ففرقها الفقيه على صغار المكتب فى مجلس واحد . وكذلك بلغنا أنه عمل صرافة فحصل له ألف دينار ففرقها على الصغار فى هذا اليوم ، فهؤلاء يا أخى اقتده ولا تتشبه بمن لا يعرف عظمة القرآن فينفق ماله إسرافا وبدارا فى شهوات نفسه من مأكل وملبس وخدمة دواب ، ثم يشح على الفقيه بخميس ولده والله يتولى هُداكَ اهـ . وفى [خل] وينبغى لآباء الصبيان أن يتخيروا لأولادهم أفضل ما يمكنهم فى وقتهم ذلك من المؤدبين ، وإن كان موضعا بعيدا فيختارون لهم أولا أهل الدين والتقوى ، فإن كان مع ذلك عنده علم من العربية فهو أحسن فإن زاد على ذلك بالفقه فهو أولى ، فإن زاد عليه بكبر السن فهو أجل ، فإن زاد عليه بورع وزهد فهو أوجب إلى غير ذلك إذ أنه كيفما زادت الخصال المحمودة فى المؤدب زاد الصبى به تجملا ورفعة و انظره . وفيه : وينبغى أن يعلمهم آداب السنة كما يعلمهم القرآن فمن ذلك أنه إذا سمع الأذان أمرهم أن يتركوا كل ما هم فيه من قراءة وكتابة وغيرهما إذ ذاك فيعلمهم السنة فى حكاية المؤذن والدعاء بعد الأذان لأنفسهم وللمسلمين ، لأن دعاءهم مرجو الإجابة سيما فى هذا الوقت الشريف ، ثم يعلمهم حكم الاستبراء شيئا فشيئا ، وكذلك الوضوء والركوع بعده والصلاة وتوابعها ويأخذ لهم فى ذلك قليلا قليلا ولو مسألة واحدة فى كل يوم أو يومين ، وليحذر أن يتركهم يشتغلون بعد الأذان بغير أسباب الصلاة بل يتركون كل ماهم فيه ويشتغلون بذلك حتى يصلوا فى جماعة ، ثم قال : ويصلون جميعا فى المسجد الذى يصلى فيه مؤدبهم ، فإن خاف عليهم من اللعب أو العبث فيصلون فى المكتب جميعا ويقدمون أكبرهم فيه فيصلى بهم جماعة ، وينبغى له أن يعودهم الصلاة فى المسجد مع الجماعة ولا يسامحهم فى ترك الصلاة فيه ولا يعودهم الصلاة أفذاذا انظره . فقد أطنب فى المسألة وأفاد وأجاد كما هو عادته رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه آمين

فينبغي لكل مؤدب ومعلم مطالعته وملازمته فإنه يجد لذلك بركة عظيمة إن شاء الله فيما هو بصدده ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - .

[تتمة] ومن المكفرات للذنوب ما فى البخارى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » وفى رواية « وما تأخر » وفيه عنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » وفى مسلم عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » اه .

واعلم أنى لما عزمت على استقصاء ما بقى من المكفرات ونظمها تتميما للفائدة منّ الله على بهذه الأرجوزة للعلامة سيدى محمد يحيى ابن سيدى محمد المختار رضى الله عنه ، وهى :

حمدا لمن يغفر كل ذنب ... خلا وحاش الشرك دون ريب
ثم صلاته على المختار ... محمد وآله الأبرار
فهاك ما قد جاء فى القرآن ... وفى حديث المصطفى العدنان
من المكفرات للأوزار ... بمحض فضل الملك الغفار
قفو[1] محمد رسول الله ... يكفر الذنوب بالتناهى
وموجب محبة الإله ... فلا تكن عن قفوه بلاه[2]
فيما أتى به من الأنباء ... لأنه خاتم أنبياء
ومن مكفراتها التوب[3] النصوح ... ثمت إصلاح[4] بذا الذكر يبوح
والتوب والإصلاح بعد السيئات ... يوجب غفرانا لها قبل الممات
والتوب[5] والإصلاح بعد أن ظلم ... وعمل السوء مكفرا ألم
ومن مكفراتها فيما نقل ... الايمان بالله وصالح العمل
ووجل القلب لدى ذكر العلى ... وزيد الايمان مع التوكل
إقامة الصلاة والإنفاق ... جاء القران أنها ترياق[6]
ومن مكفراتها فى المحكم ... الايمان واتقا الإله الحكم
وهجرة لما نهى مع الجهاد ... والعمل الصالح منها يستفاد
إتباع ما سيئة بالحسنه ... يذهبها بنص آى متقنه

(١) كفلس: اتباع أثره وسنته اه . (٢) أى غافل اه . (٣) أى التوبة اه .
(٤) أى بين المسلمين اه . (٥) قال تعالى - فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه - .
(٦) بفتح فوقية وكسرها : دواء مركب من عقاقير اه .

والعلم والخشية يمحوان ... كل الذنوب دون ما يهتان
الاسلام والخشوع والصدق القنوت ... والصوم حفظ الفرج ذكر لا يفوت
صدقة صبر وتقوى الرب ... والقولة السداد عند الخطب
والغض للصوت لدى القرآن ... أو الحديث سبب الغفران
طيب الجوارح عن الفعل الذميم ... من سبب الغفران والأجر العظيم
تقوى وإنفاق على السراء ... وضدها والعفو للعوراء
والكظم للغيظ وذكر بعدما ... فاحشة وظلم نفس فاعلما
عدم إصرار سؤال المغفره ... رتب ربنا عليها المغفره
ذكر معين بإيقاظ منام ... من سبب الغفران عن خير الأنام
إيقاظ زوجة لذكر والصلاة ... نوم على طهارة عند البيات
والحمد عند لبس ثوبك الجديد ... كذا وضوء حسن منها استفيد
والغسل والغدو للعيد متى ... أعقب ذا صدقة منها أتى
وغسل جمعة أو الوضو متى ... بشرطها وفى مكفرا أتى
كذا جماعة وتأذين بعد ... ذكر لدى سماعه أيضا ورد
ومطلق الصلاة من بعد الوضو ... وسد فرجة بصف تعرض
والصلوات الخمس ثم الجمعه ... بغسلها وطيبها وما معه
والغسل وحده أتى مكفرا ... كذلك الجمعة فيما أثرا
ومسبغ الوضو وركعتان ... بحضرة الأركان والجنان
تثليثه شهادة قبل الكلام ... من المكفرات عن خير الأنام
إسباغه على المكاره أتى ... وكثرة الخطى لمسجد حتى
يضاف الانتظار ذى الصلاة ... من بعد الايقاع لذى الصلاة
إتقان فرض بعد مسبغ الوضو ... يغفر[1] بها فيما رووه ورضوا
رواتب الخمس من الفرائض ... ورد محوها لذنب عارض
طلب مغفرتها لمن سجد ... من بعد ذكر بتشهد ورد
ومن مكفراتها فيما جبى ... صلاة تسبيح أتت عن النبى
كذا الصلاة فى المساجد التى ... أسسها الرسل كما فى السنة
كر[2] الشجاع بعد أن فر الملا ... كذا القيام آخر الليل اجتلا
تكفيره الذنوب عن ثقات ... ومثلها الصلاة فى الفلاة
كذا الصلاة خلف ذى العلم أتى ... تكفيرها الذنوب عن خير فتى
وشفعة[3] الضحى لنبيهم تذكر ... من المكفرات فيما حرروا

---

(١) بسكون الراء للوزن اهـ .   (٢) بفتح كاف : الرجوع اهـ.

(٣) بضم معجمة كغرفة : صلاة الضحى .

منها الصلاة عند شظية الجبل[١] من ذى رعاية لشاء اعتزل
الأذكار بعد الصلوات تنقل منها كما رواه قوم كمل
فى عدها أتت روايات صحاح لمن تعلق بأدناها النجاح
وسورة الإخلاص بعد الصبح بمائة سبب هذا النجح
والمكث فى مكان صبح يذكر حتى يصلى الضحى يكفر
بدء بليل أو نهار بعمل بر وختمه به منها نقل
من صام شهر رمضان مؤمنا محتسبا أو قامه نال المنى
ومن مكفراتها فيما وفى جعل الصلاة كلها للمصطفى
ومن مكفراتها أذكار مطابقة حبا[٢] بها الغفار
كذاك أذكار بها نيط[٣] الفلاح مشروعة لدى المساء والصباح
فاتحة وقرء[٤] قل سبعا ترام من بعد جمعة بهيئة السلام
إدراك يوم جمعة أو الخميس أو يوم الاثنين من العلم النفيس
كذاك من أدرك شهر رمضان أو ليلة انتصاف شهر شعبان
والشرط فى الغفران بالإدراك أن تعدم الشحنا مع الإشراك
منها قيام ليلة القدر انقسب لمؤمن به ولله احتسب
مجلس ذكر ودعاء نقلا تكفيره الذنوب بعض الفضلا
وختم مجلس بذكر وردا معينا يغفر ما فيه بدا
كذاك الاستغفار صبح الجمعه قبل صلاته ثلاثا فاسمعه
حب لقاء الله والرجاء لعفوه جاءت به الأنباء
منها دعا أتى بالاستغفار معينا فى مسند الآثار
بسورة الملك كذا الدخان كذاك ياسين أتى الغفران
وصوم نصف رجب يكفر لذاكر برمضان يغفر
ستة شوال تصام بعد ما صيام رمضان تكفر العمى
رواية الحديث جاءت متقنه فى محو صوم عاشوراء لسنه
ومحو ثنتين بصوم عرفه نقله بصحة ذو معرفه
كذاك صوم الأربعا وما يليه جمعة صدقة فيه تقيه
عيادة الصيام مع شهود ما جنازة يغفرها فيما انتمى
حج بغير رفث ولا فسوق وعمرة لعمرة منها تروق
منها الضحية وحمد عينا من بعد الإطعام رواه الفطنا
كذا الجهاد وإماطة الأذى عن طرق الاسلام صبح مأخذا

---

(١) شظية كسدرة: قطعة من كل شيء كشظية بوزن مطية اه . (٢) كدعا: أعطى وأسدى اه .
(٣) بالبناء للمفعول: تعلق بها الفلاح والنجاح اه . (٤) بفتح قاف مصدر قرا: بمعنى القراءة اه .

كذا عن اللقمة[١] أنّ ما أكلا ... بعد السقوط صح نقلا واجتلا
سقى لعطشان من الماء روى ... تكفيره الذنوب فى أصل قوى
من باع وابتاع سماحا نقلا ... تكفير ذا عنه الذنوب من علا
كذاك الاقتضا سماحا والنظر ... لموسر والعفو عن ذى العسر قر
إطعام مسلم وسقى والمسر ... وغوث ملهوف وتفريج الضرر
مشى المدين لقضا الدين إلى ... غريمه مكفرا ما عملا
والسعى فى مصالح العيال ... منها والإمساء على كلال
من عمل اليدين فى الحلال ... تكفيره رواه ذو كمال
والقود للأعمى كذا المصافحه ... بها أحاديث الصحيح لائحه
إكرام ضيف وبناء المسجد ... منها بنقل عالم معتمد
شيب فى الإسلام بلوغ العمر ... تسعين محسوب من المكفر
ومرض[٢] مصيبة[٣] كتمان[٤] ... لها جزاء ذى هو الغفران
دعا المريض أربعين يدعا ... يونس منها مات ذا أو نجعا
وصية[٥] وموت ما ثلاثة ... من ولد منها كما فى السنة
وهذه المكفرات المطلقه ... ظاهرها محو الخطايا مطلقه
قال بذا أئمة صدور ... به حبانا ربنا الغفور
وبالصغير خصها الجمهور ... ورأيهم فى ذا هو المنصور
وأصلهم فى ذاك حمل المطلق ... على المقيد وذا الأصل انتقى
وليس يغفر الكبائر[٦] خلا ... توب نصوح[٧] شرطها قد كملا
وكل من مات بلا متاب ... منها ففى مشيئة التواب
أضرع لله الغفور الراحم ... فى عفو ما جنيت من مآثم
صلى وسلم إلهنا السلام ... على محمد وآله الكرام

قال رحمه الله :

(وأمّا التى يَزِيدُ إيمانَنا بها ... وتُورِثُ للانسانِ صَفْوَ محبةِ
وتَمحُو مِنَ القلوبِ مادةَ قسوةٍ ... فَتُبْ توبةً صَحيحةً دُون مُهْلَةٍ)

---

(١) من تتبع ما سقط من السفرة غفر له ، من أخذ لقمة من مجرى الغائط أو البول فأزال عنها الأذى وغسلها غسلا نعما ثم أكلها فإنها تستغفر له فى بطنه حتى يغفر له . (٢) « لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يلقى الله و ليس عليه خطيئة » رواه ابن أبى شيبة . (٣) «ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها » . (٤) « من أصيب بمصيبة فى ماله أو جسده و كتمها ولم يشكها إلى الناس كان حقا على الله أن يغفر له » رواه الطبرانى . (٥) « من مات على وصيته مات مغفورا له » رواه ابن ماجه .

(٦) ـ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ـ .

(٧) ـ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ـ الآية .

(وأما) الخصال (التى) كان (يزيد إيماننا) بالله تعالى وبملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به عليهم الصلاة والسلام (بها) أى بسبب ارتكابها والتعلق بها إذ الإيمان يزيد بالأعمال الصالحة وينقص بالذنوب والسيئات قال تعالى ـ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ، وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ـ وفى [هب] ثم إن نور الإيمان يزيد بزيادة نور الأجور، وذلك لأن للأعمال أجورا وللأجور أنوارا، وأنوار تلك الأجور تنعكس إلى الذوات فيحصل للذوات بها نفع فى الدنيا بالحسنى بأن تعظم بها أنوار إيمانهم ، ونفع فى الآخرة ظاهرى بأن تصير تلك الأجور نعما فى الجنة يتنعم بها العاملون . قال رضى الله عنه : فلو فرضنا رجلين استويا فى نور الإيمان وعمل أحدهما حسنات فى نهاره دون الآخر ثم قاما معا بالليل فإن نور إيمان الذى عمل يبيت ساطعا منيرا لامعا فى زيادة، بخلاف الذى لم يعمل . قال رضى الله عنه : وليس فى سائر الأعمال أعظم أجرا من الرسالة فلهذا كان المرسلون عليهم الصلاة والسلام لا يلحقون فى الإيمان أبدا ، انظره . وفيه: وسمعته رضى الله عنه يعد الأمور التى يزيد بها الإيمان فقال رضى الله عنه: منها : زيارة القبور . ومنها : الصدقة لله تعالى خالصة. ومنها : التحرز عن الأيمان الحانثة . ومنها : غض البصر عن العورات والنظر إليها . ومنها : التغافل عن معاصى الناس لأن من ينظر فى معاصى الناس ويتتبعها قد يبتليه الله بالوسواس بأن ينعم الله على العاصى ويديم عليه النعمة ويجزل له العطيه ، فيقول الناظر إلى معصيته كأن هذا إنما أدركه هذه النعمة بمعصيته فيوسوس له الشيطان فى المعصية حتى يقع فيها ، أو يوسوسه على وجه آخر يقول : كيف أنعم عليه ربه وهو يعصيه وحرمك أنت وأنت تطيعه ما هذا مقتضى الحكمة ، إلى غير ذلك من الوساوس الباطلة أعاذنا الله منها . ومنها : تعظيم العلماء الذين هم حملة الشريعة رضى الله عنهم فتعظيمهم يزيد فى الإيمان ،جعلنا الله من الذين يعرفون قدرهم اه. وعن عمار بن ياسر رضى الله عنه: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار» . وفى [جع] فائدة جليلة : ذكر سيدى عبد الوهاب الشعرانى قال: من واظب على قراءة آية الكرسى و ـ آمن الرسول ـ الخ و ـ شهد الله أنه لا إله إلا هو ـ إلى ـ الإسلام ـ و ـ قل اللهم مالك الملك ـ إلى ـ بغير حساب ـ وسورة الإخلاص والمعوذتين والفاتحة عقب كل صلاة أمن من سلب الإيمان اه: أى ويبدأ بالفاتحة ثم آية الكرسى الخ (وتورث) من أورث الرباعى (للإنسان) المؤمن المتشبث بها (صفو محبة) قال أبو عبدالله القرشى رضى الله عنه: حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببته حتى لا يبقى لك منك شىء اه. ولابن الفارض رضى الله عنه :

ولو خطرت لى فى سواك إرادة   على خاطرى سهوا حكمت بردتى

ورحم الله من قال :

لئن بقيت فى العين منى قطرة   فإنى إذا فى العاشقين ذليل

ومن قال :

ومنفرد بالله هام بحبه   فليس له أنس بشىء سوى الرب
تفرد فى الدنيا لطاعة ربه   فأورثه علم الكتاب بلا ريب
وآثر حب الله فانكشفت له   عجائب أسرار ثوابا على الحب

فمن كان فى دعوى المحبة صادقا ... تجلت له الأنوار من غير ما حجب
فيرتاح فى روض المعارف دائما ... ولذتها أشهى من الأكل والشرب
تخاطبه الأحوال من كل جانب ... فيفهم عنه بالضمير وبالقلب
يكاشف بالأسرار من ملكوتها ... فيأتى عليه الفيض من عالم الغيب

وللعدوية رضى الله عنها :

أحبك حبين حب الهوى ... وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى ... فشغل بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له ... فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ... ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

وفى [جه] قال رضى الله عنه: محبة الخلق لله سبحانه وتعالى على أربعة أقسام. القسم الأول: محبتهم للثواب. والقسم الثانى: لآلائه ونعمائه. والقسم الثالث: محبتهم لما هو عليه من الكمال والجمال. والقسم الرابع: محبتهم للذات العلية أما محبتهم للثواب فمعلولة وكذلك محبتهم لآلائه ونعمائه، وهاتان المحبتان لعامة المؤمنين منهما حظ ونصيب، ولكن قد تزولان هاتان المحبتان بزوال سببهما وأما القسم الثالث: فسببها ثابت وهو ما عليه ربنا من أوصاف الكمال والعظمة والجمال، وهذه لصغار الأولياء ولكن لا تلحق المرتبة الرابعة لأن المرتبة الرابعة مجردة عن الأسباب والعلل والأوصاف، هذه لا تكون إلا لمن فتح عليه ورفع عنه الحجاب وشاهد أسرار الأسماء والصفات والمواهب والحقائق والكمالات قال رضى الله عنه: وفى الحديث دليل المرتبة الأولى والثانية قال صلى الله عليه وسلم «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى» وقالت رابعة العدوية رضى الله عنها :

أحبك حبين حب الهوى ... وحبا لأنك أهل لذاكا

إشارة للمرتبة الثالثة والرابعة، ثم قال رضى الله عنه: والمحبة الصادقة هى التى تورث الغيرة لصاحبها. قيل للشبلى رضى الله عنه متى تستريح؟ قال إذا لم نر له ذاكرا غيرى. وقال أبو يزيد رضى الله عنه لصاحبه حين قال له وهلا سألته المعرفة به؟ قال له اسكت غرت عليه من أن يعرفه غيرى، أنظره. وفيه: وأما محبة الخلق لله سبحانه وتعالى فهم فيها أيضا على مراتب: الأكابر الأعلون منحهم محبة ذاته سبحانه وتعالى، فهم بها غرقى فى بحار التوحيد لا يعرفون غير الله تعالى ولا يلتفتون إلى سواه ولا عبرة عندهم بغيره محبة واعتمادا والتجاء وافتقارا وتهمما، ليس لهم فى هذه الأمور إلا الله سبحانه وتعالى، لا يخطر فى أسرارهم غير الله تعالى ودونهم فى المحبة عامة الأولياء يحبون الله تعالى لفضله ولما منحهم من جوده وكرمه ومحبتهم مقتضاها الشكر، وعلى هذه المحبة دلت الأنبياء جميع الخلق. قال سيدنا هود عليه الصلاة والسلام لقومه - واذكروا إذ جعلكم خلفاء - إلى قوله - لعلكم تفلحون - وقال سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام لقومه - واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد - إلى قوله - ولا تعثوا فى الأرض مفسدين - وهكذا جميع الرسل ذكرت الخلق بما منحهم الحق سبحانه وتعالى من نعمه، وهذه المحبة مقتضاها الشكر وهى التى فيها تعمّل العبد، ليست كالمحبة الأولى التى هى محبة الذات، فإن تلك لا تعمّل للعبد فيها إنما هى فيض من فيوض الحق تعالى، وفى هذه الرتبة جميع الأولياء. والمحبة الثالثة: هى محبة الإيمان بالله تعالى وهى محبة جميع المؤمنين التى انتفى بها بغض الحق سبحانه وتعالى فما يتصور مع الإيمان بالله بغض له سبحانه وتعالى. والمحبة الرابعة: العامة وهى للكفار خاصة فإنهم يحبون الله تعالى محبة الألوهية لما هو عليه من كمال الألوهية وعمومها انظره، وفيه قال رضى الله عنه:

وبيان التدريج فى هذه المراتب المذكورة فصاحب محبة الإيمان إذا أدام التوجه بها إلى الله تعالى ولازم قلبه ذلك انتقل منها إلى محبة الآلاء والنعماء لأنها أعلى منها، وصاحب محبة الآلاء والنعماء إذا أدام التعلق بها والتوجه إلى الله بالقلب على طريقها انتهت به إلى محبة الصفات فانتقل إليها حينئذ وهى أعلى منها ، وصاحب محبة الصفات إذا أدام التوجه بها إلى الله تعالى واستقام سيره وسلوكه انتقل منها إلى محبة الذات وهى الغاية القصوى ومتى وصل إلى محبة الذات أعنى أنه يشم رائحة منها فقط انتقل إلى الفناء مرتبة بعد مرتبة، فيكون أمره أولا ذهولا عن الأكوان ثم سكرا ثم غيبة وفناء مع شعوره بالفناء ، ثم إلى فناء الفناء وهو أنه لم يحس بشىء شعورا وتهمما وحسا واعتبارا وغاب عقله ووهمه وانسحق حدده وكمه فلم يبق إلا الحق بالحق للحق فى الحق ، وهو مقام الفتح والبداية يعنى بداية المعرفة ، انظره . وفى [شب] وإن أردت أن ترقى فى مقام المحبة أعلى الدرجات فتحقق بقول بعض أهل الإشارات :

حروف المحبة مرموزها ... يبشرنا ببلوغ المـنى
فميم الممات وحاء الحياة ... وبـاء البلاء وهاء الهنا
فلا تطمعن بطيب اللقا ... وطول البقاء بدون الفنا
جنينا الوصال بحد النصال ... فإن تلق سمر[1] القنا تلقنا
فلا تجزعن[2] لمر[3] النكال ... وحر الوبال ففيه الهنا
ومت مثل ما مات أهل الهوى ... وذابوا اشتياقا فنالوا المنى

وما ألطف قول سلطان العاشقين :

ونفس ترى فى الحب أن لا ترى عنا[4] ... متى ما تصدت للصبابة صدت
وما ظفرت بالحب روح مراحة ... ولا بالولا نفس صفا العيش ودت[5]
وأين الصفا هيهات من عيش عاشق ... وجنة عدن بالمكاره حفت

وما أحسن قوله رضى الله عنه من قصيدة :

فإن شئت أن تحيى سعيدا فمت به ... شهيدا وإلا فالغرام له أهل

قال أبو بكر الكتانى : جرت مسألة فى المحبة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها وكان الجنيد أصغرهم سنا فقالوا هات ما عندك يا عراقى ، فأطرق ساعة ودمعت عيناه ثم قال : المحب عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه أحرق قلبه أنوار هويته وصفى شربه من كأس وده، وكشف له الجبار عن أستار غيبه ، فإذا تكلم فبالله وإن نطق فمن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكت فمع الله ، فهو بالله ومن الله ولله ومع الله ، فبكى الشيوخ وقالوا : ما على هذا مزيد، ثم قال عن بعض العارفين : إذا أرادك لخصوصية الاصطفائية سقاك بكأس محبته شربة روية ، فتزداد بتلك الشربة ظمأ وبالذوق شوقا وبالقرب طلبا وبالسكون قلقا على حد ما قيل :

يزيد ظما مهما تزايد شربه ... من الحب فأعجب من ظما زاد بالشرب
وأعجب من ذا قربه لحبيبـه ... ويزداد بالقرب اشتياقا إلى القرب

---

(١) جمع أسمر ، والقنا المتخذ من السمرة اه . (٢) بفتح فوقية من جزع كفرح قل صبره اه .
(٣) بفتح ميم من المرارة اه . (٤) بفتحتين التعب والمشقة اه . (٥) أى تمنت .

فلا الشرب يرويه ولا القرب يشتفى ... به القلب بل يزداد كربا على كرب
وليس شفاء القلب إلا لقاءه ... بأحبابه فاسلك به مسلك الحب اه

وليحيى بن معاذ رضى الله عنه فى علامات الحب :

ومن الدلائل أن تراه مشمرا ... فى خرقتين[١] على شطوط[٢] الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه ... جوف الظلام فماله من عاذل[٣]
ومن الدلائل أن تراه مسافرا ... نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى ... من دار ذل والنعيم الزائل[٤]
ومن الدلائل أن تراه باكيا ... أن قد رآه على قبيح فعائل
ومن الدلائل أن تراه مسلما ... كل الأمور إلى المليك العادل
ومن الدلائل أن تراه راضيا ... بمليكه فى كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى ... والقلب محزون كقلب الثاكل[٥] اه

(وتمحو) من محاه يمحوه ويمحاه أذهب أثره (من القلوب) القاسية (مادة) وهى الزيادة المتصلة (قسوة) الغلظة والصلابة ، وعن الفضيل بن عياض رحمه الله : خمس من علامة الشقاء : قسوة القلب، وجمود العين ، وقلة الحياء ، والرغبة فى الدنيا ، وطول الأمل . وللنووى رحمه الله :

دواء قلبك خمس عند قسوته ... فدم عليها تفز بالخير والظفر
إخلاء بطن وقرآن تدبره ... كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه[٦] ... وأن تجالس أهل الخير والخبر[٧]

وذيلها من قال رحمه الله :

أكل الحلال وصمت عزلة وكذا ... ترك الخوض بما للناس من سير[٨]

وروى أن رجلا شكى إلى النبى صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال له «أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك : ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلين قلبك وتدرك حاجتك »وروى عنه صلى الله عليه وسلم « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم » وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عن سبب القساوة التى يجدها العبد فى قلبه فى بعض الأوقات حتى لا يقدر على قلبه يحضره مع ربه فى حال دعاء أو صلاة أو مراقبة ؟ فقال رضى الله عنه : سبب قيام ذلك وصف العزة والغنى بك فإن حضرة الله عز وجل لا يدخلها من تلبس بأحد هذين الوصفين ، فإذا رأيت توقف الدعاء عن قضاء الحاجة أو طلبت الحضور مع الله فى عبادة فلم تقدر ففتش نفسك وتب من هذين الوصفين وأنت يجاب دعاؤك وتدخل حضرة ربك ، فقلت فإذا كان غناه وعزه بالله تعالى فقال يمنعانه ولو كانا بالله تعالى ، وذلك لأن الغنى والعز صفتان لله تعالى أصالة فلا يقبل عزيزا ولا غنيا مطلقا، فافهم والله تعالى أعلم اه .

---

(١) بكسر معجمة تثنية خرقة كسدرة اه . (٢) جمع شط: جانب النهر وغيره اه .
(٣) أى لائم اه . (٤) أى الذاهب اه . (٥) الثاكل: التى مات ولدها اه .
(٦) كفلس وضرس: ظلمة الليل اه . (٧) بكسر خاء وضمها جمع خبرة كسدرة وغرفة: العلم اه .
(٨) جمع سيرة بكسر سين فردا وجمعا: الطريقة اه .

وفى [جع] اعلم أرشدنا الله وإياك أن قساوة القلب أعظم البلايا ولم يبتل الله عبدا بأشد منها بعد الكفر وأسباب القسوة محصورة فيما أذكره فمن اجتنبها كلها لان قلبه بعون الله ونهض إلى الفلاح، وهى هذه: الإصرار على أى ذنب كان ، وطول الأمل ، والغضب لغير الله عز وجل ، والحقد على المسلمين ، وحب الدنيا ، وحب الرياسة ، وفعل ما لا يعنى من قول وعمل واو قل ، وكثرة الضحك وكثرة المزاح ، والفرح بالحظوظ العاجلة والغم من أجل فقدها ، والغفلة عن ذكر الله عز وجل ، وعن التفكر فى أمور الآخرة كأمر القبر وأمر القيامة وضروب أهوالها ومواطنها ، وأمر النار وسائر أنكالها وأغلالها ، وأمر الجنة وضروب نعيمها وسرورها من حورها وقصورها إلى غير ذلك ، فالغفلة عن هذا كله سبب فى القسوة ، والخوض مع أهل اللهو واللعب فيما هم فيه من قول وعمل وسماع حديثهم ومجالستهم لغير ضرورة شرعية ، وصحبة السفهاء كالأحداث سنا وعقلا ودينا ، وأكل الحرام والمتشابه، وكثرة الشبع وكثرة الشرب للماء وكثرة تداول الشهوات وكثرة النوم ، وكثرة تفكر القلب فى غير ذكر الله عز وجل وفى غير أحوال الآخرة من القبر وماوراءه، وقلة ذكر الله عز وجل ، والرضى عن النفس باستحسان حالها . فهذه أربع وعشرون خصلة كل منها سبب فى قسوة القلب ، ومن أراد أن يلين قلبه فعليه بأضدادها مع ترك هذه الخصال : وهى كثرة ذكر الموت مع التوبة الكاملة ، وتقصير الأمل باستحضار الموت عند كل نفس ، ومراقبة الله عز وجل عند كل حركة وسكون بالقلب واللسان والأركان ونفى الغضب مطلقا إلا أن يتحقق لله عز وجل ، ونفى الحقد عن المسلمين مطلقا من عدو وصديق والنصيحة لهم والزهد فى الدنيا ، والفرار من جميع وجوه الرياسة وجميع أسبابها ، وترك ما لا يعنى من قول وعمل ، ودوام الصمت إلا من ذكر الله عز وجل ، وكثرة الحزن من أمر الآخرة ، والبعد عن المزاح وأهله ، والبعد عن الغيبة وأهلها ، والتحفظ من مجالسة من لا تسلم مجالسته من دقائق الغيبة ، وترك الفرح بالحظوظ العاجلة وترك الحزن من فقدها والانتباه واليقظة من سنة الغفلة بذكر الله عز وجل وطول التفكر فى الموت والقبر وسائر أحواله إلى يوم القيامة ، وطول التفكر فى يوم القيامة وضروب أهوالها ومواطنها ، والتفكر فى دركات جهنم وسائر أنواع عذابها ، والتفكر فى الجنة وسائر أنواع نعيمها ، والعزلة عن مخالطة الناس جملة وتفصيلا إلا من يستعان به على أمر الدين كتلقى الأحكام والتذكر والوعظ والسلوك ، وعدم الإصغاء لحديث الناس وترك مجالستهم ، ومحبة الصالحين الذين يعينون على طريق الآخرة ويحضون عليها ، وإلا فالعزلة أولى إن لم يوجدوا ، وأكل الحلال بقدر الإمكان الأعلى فالأعلى ، وملازمة الجوع والعطش وترك مناولة الشهوات جملة وتفصيلا إلا أن يجب لضرورة لابد منها ، ودوام السهر والمراد منه ومن الجوع والعطش التوسط من غير إفراط ولا تفريط ، وترك حديث القلب فى كل شىء إلا فى ذكر الله وأمر الآخرة ، وكثرة ذكر الله عز وجل ، وعداوة النفس بعدم التعويل عليها ، وترك السعى فى حظوظها وعدم الانتصار لها والانتصاف منها . فهذه الأمور هى السبب فى لين القلب اه . (فتب) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (توبة صحيحة) قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا - الآية - وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون - الآية - إن الله يحب التوابين - أى كلما أذنبوا تابوا . وعن سيدنا عمر رضى الله عنه وعنابه آمين : التوبة النصوح أن يتوب ثم لايعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع . وقال القرطبى : يجمعها أربعة أشياء :

الاستغفار باللسان ، والإقلاع بالأبدان ، وإضمار ترك العود بالجنان ، ومهاجرة سيء الخلان ، وفى [حف] التوبة أصل كل مقام وقوام كل مقام ومفتاح كل حال ، وهى أول المقامات وهى بمثابة الأرض للبناء فمن لا أرض له لابناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام له اهـ (دون مهلة) بضم الميم التراخى والتوانى فتأخيرها معصية أخرى . وعن سيدنا على رضى الله عنه وعنا به آمين أنه قال : خرجت يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يا على كل هم ينقطع إلا هم أهل النار فإنه لاينقطع ، وكل سرور ونعمة تزول إلا سرور أهل الجنة ونعيمهم فإنه لايزول ، ياعلى إذا أذنبت ذنبا فلا تؤخر التوبة إلى الغد ، فإن إلى الغد مسافة بعيدة وهى مضى يوم وليلة وعسى أن لا تدرك الغد فتتوب » اهـ . ورحم الله من قال :

بادر إلى التوبة الخلصاء مجتهدا والموت ويحك لم يمدد إليك يدا
وارقب من الله وعدا ليس يخلفه لابد لله من إنجاز ما وعدا

ومن قال :

ولازم قرع باب التوب دأبا فإن لزومه سبب الدخول

وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرغب جميع أهل المعاصى فى التوبة ونخبرهم بسعة رحمة الله لهم إذا تابوا ، وأنه لا يتعاظم عليه تعالى ذنب أن يغفره ما عدا الشرك ونلين لهم الكلام ونحسن إليهم كل الإحسان حتى يحكوا ذلك لرفقتهم فى المعاصى فلعل قلوبهم تلين للتوبة ، وكذلك لانؤيس أيضا أن نخاطب التائبين بالألفاظ الحسنة المميلة لخاطرهم كلفظ السيادة ، ونراهم أطهر منا قلبا لأنهم قريبو عهد بتوبة وهى تجب ما قبلها من الذنوب بنص الحديث ، انظره . وفى [مب] وللتوبة أربعة شروط : الإقلاع ، والندم ، والعزم على أن لايعود ، ومعاملة الحى القيوم بتعظيمه وخوف كفران نعمه بمخالفة أمره ، وهذا هو قلب سائر الشروط وعليه مدارها ، ولها أربعة آداب : أولها ترك الأصحاب الذين ألفهم على العصيان والتقصير ، وترك من يتوسم فيه الشراذ الطبع يسرق الطبع والمرء على دين خليله ، ولا يتم له ذلك إلا بمواظبته على الذكر الذى يزيده رغبة فى التوبة ، وتوفر دواعيه إلى إتمام ما عزم عليه بما يقوى خوفه ورجاءه ، فعند ذلك تنحل من قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الأفعال ويفارقه فى الحال ، ويبرم العزيمة على عدم العودة فى الاستقبال ، ثم لا يكون إسراع إلى المعصية منه إلى المتاب وما تخلله فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له . وثانيها : مواصلة أهل الخير ومؤالفتهم ، فالوحدة خير من جليس السوء . وثالثها : اجتناب مواضع اللهو والهوى فإن النفس تنبعث بذلك إلى الشهوات . ورابعها : عدم ذكره شيئا من لذاته التى خلت إلا على وجه التوبيخ واستقباحه ليسكن شره[1] النفس ، انظره . وفى [جه] ومن كلام سيدنا رضى الله عنه فى قبول التوبة وإنها مقبولة قطعا قال رضى الله عنه : الدليل على قبول التوبة أنه قطعى قوله تعالى - إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء - الآية ، وقوله تعالى - إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا - إلى - رحيما - وقوله تعالى - وهو الذى يقبل التوبة - إلى غير هذا من الآيات الدالة على القبول أنه قطعى لأنه وعد التائب بالقبول ووعده لا يتخلف عند أهل الحق . فإن قيل على مذهب الجمهور : إن القبول القطعى المأخوذ من الوعد

---

(١) بفتحتين شدة الحرص اهـ .

يمكن أن يكون فى بعض الأفراد ولا يلزم منه العموم . قلت : إن هذه الآية المذكورة عامة فى جنس التائب ولا دليل على خصوصها بفرد دون فرد ، وأيضا إن الكريم إذا وعد بأمر لابد من وفائه عند أهل الحق ، بخلاف ما إذا أوعد فإنه من الكرم أن يتركه كله ولا يلزم عليه نقص بل من الكمال تخلف الوعيد دون الوعد[1] ، والدليل من السنة قوله صلى الله عليه وسلم « إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب منه تاب الله عليه» وفى التعبير بصيغة الماضى إشارة إلى تحقيق الوقوع لأن تلك حقيقة الماضى ، فإن قيل على مذهب الجمهور ولو كان القبول قطعيا لزم أن لا يعصى من تاب . قلت : لا يلزم بل كل ذنب يجب عليه أن يتوب منه ولايكون نقضا لتوبته الأولى لقوله عليه الصلاة والسلام وما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة » وقوله عليه الصلاة والسلام « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » دليل على قبول توبته قطعا ، وإذا قدّر الله عليه ذنبا رجع إلى التوبة وهكذا ، وفى قوله عليه الصلاة والسلام « لو لم تذنبوا » الحديث ، إشارة إلى اعتنائه بعبده التائب ، ولذلك قال تعالى - إن الله يحب التوابين - ولو لم يقبل الله توبتهم ما أحبهم ، ولا يلزم من قبول التوبة أن نقطع للتائب بالسعادة لأن ذلك أمر مغيب العاقبة ، وإنما نحن نتكلم على ما يظهر من نصوص الكتاب والسنة ، وأيضا أن السعادة ليست متوقفة على فعل الطاعات وترك المعاصى ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم « ولن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا: ولا أنت يارسول الله؟قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته » هذا دليل على أن دخول الجنة بمحض الفضل والنار بمحض العدل ، وإنما الأعمال علامات فى الظاهر على ما سبق ، وقد توافق فى نفس الأمر وقد تخالف لأن اللاحق لايكون سببا فى السابق ، انظره وفى [غ] فائدة: من عسرت عليه التوبة فليكثر من قراءة - إذا جاء نصر الله والفتح - ، ومن عسر عليه قياد نفسه فليكثر من قوله - حسبنا الله ونعم الوكيل- ذكره الشيخ زروق رحمه الله ورضى عنه اه .

[فائدة] مما ينبغى للعاقل أن لا يغفل عنه صلاة التوبة لحديث « ما من مؤمن يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ، ثم قرأ هذه الآية - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - الآية » وفى رواية « ثم يصلى ركعتين » وفى آخر « ما أذنب عبد ذنبا ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى براز من الأرض فصلى فيه ركعتين واستغفر الله إلا غفر له » اه . والبراز : كسحاب الفضاء من الأرض ، ومثله كل موضع خال من الناس لاسيما المكان المعظم ، وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على صلاة التوبة كلما نذنب ذنبا وإن تكرر ذلك الذنب كل يوم سبعين مرة أو أكثر ، وذلك لأن التنصل من الذنوب مقدم على كل طاعة ، ثم قال : واعلم أن من فضائل الصلاة أن العبد إذا وقف بين يدى الله عز وجل نادما مستغفرا لايرده الله إلا مقبول التوبة ، التى هى الرجوع إلى كشف الحجاب بعد أن كان محجوبا حتى وقع فى الذنب ، انظره قال رحمه الله :

(وَجانِبْ ضَغِينةً على كل مسلمٍ ولا تغضبَنْ إلاَّ لِمَتْكِ شَرِيعَةٍ)

(وجانب) من جانبه باعده (ضغينة) حقدا (على كل مسلم) ذكر أو أنثى محسن أو مسىء قريب

---

(١) وإنى وإن أوعدته أو وعدته   لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

أو بعيد فإن المؤمن ليس بحقود ولا حسود (ولا تغضبن) من غضب كفرح : أى لا تفعل بمقتضى الغضب بل جاهد النفس على ترك تنفيذه لأن الغضب شعلة من نار ولا بد من خمودها ، ولذا قيل : أول الغضب جنون وآخره ندم ، ورحم الله من قال :

وإذا غضبت فكن وقورا كاظما   للغيظ تبصر ما تقول وتسمع
فكفى بـه شرفا تصبر ساعة   يرضى بها عنك الإله ويرفع

وفى [جص] « لا تغضب فإن الغضب مفسدة » أى للظاهر بتغير اللون ورعدة الأطراف وقبح الصورة ، وللباطن بإضمار الحقد وإطلاق اللسان بنحو شتم واليد بنحو ضرب قاله العزيزى . وفيه : لا تغضب ولك الجنة . وفيه : إذا غضب أحدكم فليسكت . وفيه : إذا غضب أحدكم وهـو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع . وفيه : إذا غضب الرجل فقال أعوذ بالله سكن غضبه »اه والأولى زيادة من الشيطان الرجيم كما فى رواية « الأولى زيادة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فإنها تدفع سبعين داء أدناها الهم » (إلا لهتك) من هتك الستر جذبه فقطعه من موضعه أو شق منه جزءا فظهر ماوراءه (شريعة) مطهرة فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يغضب لنفسه ولا ينتقم لها وإنما يغضب وينتقم لله ، وعن عائشة رضى الله عنها وعنا بهـا آمين أنها قالت : « ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وماانتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فى شىء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بهالله» اه . وفى [عم] وقد بلغنا أن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان مشهورا بحسن الخلق فعمل الحسدة على إغضابه فلم يقدروا فطلبوا من الخياط مرة أن يعمل له الكم اليمين ضيقا جداً لا يخرج يده منه إلا بعسر ويعمل اليسار كالخرج[1] ، فلما رآه الإمام قال له : جزاك الله خيرا الذى ضيقت كمى اليمين لأجل الكتابة ولم تحوجنى إلى تشميره ، ووسعت اليسار لأحمل فيه الكتب ، مع أنه كان يقول رضى الله عنه : من استغضب ولم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى ولم يرض فهو شيطان : فيحمل قوله هـذا على غضبه لله تعالى ويحمل عدم غضبه على غضبه لحظ نفسه ، فالكمل على الأخلاق الإلهية والمولى يغضب لغيره ولا يغضب لنفسه فلو انتقم تعالى لنفسه لأهلك الخلق كلهم فى لمحة فافهم . وبلغنا أنهم صبوا مرة على الجنيد غسالة سمك وهو خارج لصلاة الجمعة فعمته من جمته[2] إلى ذيله فضحك وقال : من استحق النار فصولح بالماء فلا ينبغى له الغضب ، ثم عاد إلى البيت واستعار ثوب زوجته فصلى فيه ، انظره - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده - قال رحمه الله :

(ولازم قيام الليل فى كل ليلة   عست نفحة تأتى بأحسن فيضة)

(ولازم قيام الليل) وهو يحصل بمداومة التراويح فإنه دأب الصالحين وسنة الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل صلاة المصلين وأزكى سلام المسلمين :

ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى   أن اشتكت قدماه الضر من ورم

(فى كل ليلة) لأن أحب العمل إلى الله ماداوم عليه صاحبه وإن قل (عست نفحة) من نفحات

---

(١) بضم خاء كقفل اه .
(٢) بضم جيم : مجتمع شعر الرأس .

الله تعالى (تأتى بأحسن فيضة) من حضرة المولى الكريم بمحض فضله العميم سبحانه وتعالى ، وسيأتى ما فى قيام الليل إن شاء الله تعالى . قال رحمه الله :

(وَتَجويعَ مِعْدَة بدُونِ مَشقةٍ وَأَكْلَ الحَلاَلِ الصِّرْفِ دون ضَرُورَةِ)

(و) لازم (تجويع) من جوّعه اضطره إلى الجوع (معدة) بكسر الميم كسدرة وككتف (بدون مشقة) فادحة فالممدوح الجوع القليل ، ورحم الله من قال :

ينوّر القلب قليل الجوع أما الكثير فمن الممنوع

وللبوصيرى رضى الله عنه :

واخش الدسائس من جوع ومن شبع فرب مخمصة شر من التخم

وسيأتى ما فى قلة الأكل إن شاء الله تعالى (و) لازم (أكل الحلال) بحسب الحال والوقت والإمكان (الصرف) كضرس الخالص من كل شبهة لكن مع الإمكان (دون ضرورة) قال تعالى - فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه - وسيأتى ما فى ذلك إن شاء الله تعالى : قال رحمه الله :

(وَبَذْلَ نَصِيحة لِسائرِ إخْوةٍ وَصَمتاً وَصُحبةً لأهلِ المُرُوءةِ)

(و) لازم (بذل) بمعجمة : أى إعطاء وإفشاء (نصيحة لسائر إخوة) قال تعالى — إنما المؤمنون إخوة — والنصيحة لكل مسلم من الدين ، وسيأتى ما فى ذلك إن شاء الله تعالى (و) لازم (صمتا) إلا عن الخير وما يقرب إليه قال تعالى - لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - وفى الحديث « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ذكر الله وماوالاه » « والصمت حكمة وقليل فاعله» وسيأتى ما فيه إن شاء الله تعالى (و) لازم (صحبة لأهل) العلم والدين و (المروءة) وهى الأفعال الشريفة التى يجب أن يقال للرجل بها مرء مثل الرجولية للأفعال التى يستحق الرجل أن يقال له بها رجل ، وفى الحديث « لا دين إلا بمروءة » وقال سيدنا عمر رضى الله عنه وعنا به آمين : المروءة مروءتان ظاهرة وباطنة ، فالظاهرة الرياش[1] والباطنة العفاف[2] . وروى « تجاوزوا لذوى المروءات عثراتهم فوالله إن أحدهم ليعثر وإن يده بيد الله » وعن ابن عمر رضى الله عنهما : إنا معشر قريش نعد الحلم والجود سؤددا ، ونعد العفاف وإصلاح المال مروءة ، وقال بعضهم : المروءة اسم جامع المحاسن كلها . وقيل : المروءة العفة والحرفة . ورحم الله من قال :

مررت على المروءة وهى تبكى فقلت لها لما تبكى الفتاة

فقالت كيف لا أبكى وأهلى جميعا دون أهل الناس ماتوا

ومن قال : اصحب ذوى الفضل وأهل الدين فالمرء منسوب إلى القـرين

ومن قال منسرح : اصحب ذوى القدر واستعد بهم وعـدّ عن كل ساقط سفله

---

(١) الرياش ككتاب : الثياب الفاخرة والحالة الحسنة اهـ .

(٢) العفاف كسحاب : حفظ النفس مما حرم الله اهـ .

فصاحب المرء شاهد ثقة ... يقضى به غائبا عليه وله
ورقعة الثوب حين تلبسه ... بشهرة أو تكون مشتكله

قال رحمه الله :

(وَكَثرةَ ذِكرِ اللهِ مِنْ غَيرِ غفلةٍ ... وَحُزناً لما اقترفتَ مِنْ كلِّ حَوْبةِ)

(و) لازم (كثرة ذكر الله) تعالى بأى نوع من أنواع الأذكار ولاسيما الصلاة على النبى المختار صلى الله عليه وعلى آله وسلم (من غير) وجود (غفلة) عن حضور القلب لأنه روح الذكر وسيأتى مافيه إن شاء الله تعالى (و) لازم (حزنا) وندامة (لما اقترفت) واكتسبت (من كل حوبة) أى ذنب ومعصية . وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه قال : قلب المؤمن نقى كالمرآة فلا يأتيه الشيطان بشىء إلا أبصره فإذا أذنب ذنبا واحدا ألقى الله فى قلبه نكتة سوداء فإذا تاب الله عليه محيت ، فإن عاد إلى المعصية ولم يتب تتابعت النكت حتى يسوّد القلب ، فما أقل ماتنفع فيه الموعظة . وعنه أيضا : إن للذنوب ضعفا فى القوة وظلمة فى القلب ، وإن للحسنات قوة فى البدن ونورا فى القلب ، ولقد صدق رضى الله عنه . وقال الحسن البصرى رحمه الله : الذنب على الذنب يظلم القلب حتى يسوده . وقال الترمذى رحمه الله : حياة القلوب الإيمان ، وموتها الكفر ، وصحتها الطاعة ، ومرضها الإصرار على المعصية ، ويقظتها الذكر ، ونومها الغفلة . ورحم الله من قال :

خلقت من التراب فصرت حيا ... وعلمت الفصيح من الخطاب
وعدت إلى التراب فظلت فيه ... كأنى مابرحت من التراب
خلقت من التراب بغير ذنب ... وأرجع بالذنوب إلى التراب

ومن قال :

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد ... تراه بقنة [1] أو ببطن واد
ينوح على معاص فاضحات ... يكدر ثقلها صفو الرماد
فإن هاجت مخاوفه وزادت ... فدعوته أغثنى يا عماد
فأنت بما ألاقيه عليم ... كثير الصفح عن زلل العباد

ومن قال :

إن من يركب الفواحش سرا ... حين يخلو بسره غير خال
كيف يخلو وعنده كاتباه ... شاهداه وربه ذو الجلال

ولسيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

إن كنت تعلم أن الله يا عمر ... يرى ويسمع ماتأتى وما تذر
وأنت فى غفلة من ذاك تركب ما ... نهاك عنه فأين الخوف والحذر
تجاهر الله إقداما عليه ومن ... حثالة الناس تستحى وتعتذر

---

(١) القنة بالضم : أعلى الجبل .

ولأبى القاسم الحريرى رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه آمين :

خلّ ادكار الأربع ... والمعهد المرتبع ... والظاعن المودع ... وعدّ عنه بودع
واندب زمانا سلفا ... سودت فيه الصحفا ... ولم تزل معتكفا ... على القبيح الشنع
كم ليلة أودعتها ... مآثما أبدعتها ... لشهوة أطلعتها ... فى مرقد ومضجع
وكم خطى حثثتها ... فى خزية أحدثتها ... وتوبة نكثتها (١) ... لملعب ومرتع
وكم تجرأت على ... رب السموات العلا ... ولم تراقبه ولا ... صدقت فيما تدعى
وكم غمصت (٢) بره ... وكم أمنت مكره ... وكم نبذت أمره ... نبذ الحذا (٣) المرقع
وكم ركضت فى اللعب ... وفهت عمدا بالكذب ... ولم تراع ما يجب ... من عهده المتبع
فالبس شعار (٤) الندم ... واسكب شآبيب (٥) الدم ... قبل زوال القدم ... وقبل سوء المصرع (٦)
واخضع خضوع المعترف (٧) ... ولذ ملاذ المقترف (٨) ... واعص هواك وانحرف ... عنه انحراف المقلع
إلى م تسهو وتنى ... ومعظم العمر فنى ... فيما يضر المقتنى ... ولست بالمرتدع
أما ترى الشيب وخط (٩) ... وخط فى الرأس خطط ... ومن يلح وخط الشمط ... بفوده (١٠) فقد نعى
ويحك يا نفس احرصى ... على ارتياد المخلص ... وطاوعى وأخلصى ... واستمعى النصح وعى
واعتبرى بمن مضى ... من القرون وانقضى ... واخشى مفاجاة القضا ... وحاذرى أن تخدعى
وانتهجى سبل الهدى ... وادكرى وشك الردى ... وإن مثواك غدا ... فى قعر لحد بلقع (١١)
آها له بيت البلى ... والمنزل القفر الخلا ... ومورد السفر (١٢) الأولى ... واللاحق المتبع
بيت يرى من أودعه ... قد ضمه واستودعه ... بعد الفضاء والسعه ... قدر ثلاث أذرع
لا فرق أن يحله ... داهية أو أبله ... أو معسر أو من له ... ملك كملك تبع
وبعده العرض الذى ... يحوى الحيى والبذى ... والمبتدى والمحتذى ... ومن رعى ومن رُعى
فيا مفاز المتقى ... وربح عبد قد وقى ... سوء الحساب الموبق ... وهول يوم الفزع
ويا خسار من بغى ... ومن تعدى وطغى ... وشب نيران الوغى ... لمطعم أو مطمع
يا من عليه المتكل ... قد زاد ما بى من وجل ... لما اجترحت من زلل ... فى عمرى المضيع
فاغفر لعبد مجترم ... وارحم بكاه المنسجم ... فأنت أولى من رحم ... وخير مدعو دعى اهـ

وقد أثبته لكل أخ مجتهد وحبيب متهجد ليوبخ به نفسه وهواه ويذكر به مأواه ويناجى به مولاه ، لعل أن يسبغ عليه نعماه وعسى أن يبلغه مناه ، إنه جواد كريم رءوف رحيم . قال رحمه الله :

(وَكَثْرَةَ تِذْكَارِ المَنِيَّةِ وَالبِلَى ... وَأَهْوَالَ قَبْرٍ وَالسُّؤَالَ وَسَكْرَةِ)

(و) لازم (كثرة تذكار المنية) بفتح الميم الموت (والبلى) بالكسر والقصر . وفى [جص] «أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فإنه لم يذكره أحد فى ضيق من العيش إلا وسعه عليه ولا ذكره فى سعة إلا

---

(١) أى نقضتها اهـ . (٢) غمص من باب ضرب وعلم اهـ . (٣) الحذا بقصر ككساء : النعل اهـ .
(٤) شعار ككتاب : مايلى الجلد من الثياب اهـ . (٥) شآبيب جمع شؤبوب كعصفور : دفعة المطر اهـ .
(٦) أى القبر اهـ . (٧) أى بالذنب . (٨) الذى اكتسب السيئات اهـ .
(٩) وخط كوعد : خالط سواد الشعر اهـ . (١٠) الفود بفاء كفلس : جانبا الرأس اهـ .
(١١) كجعفر أى خال اهـ . (١٢) السفر بفتح سين جمع سافر كصحب جمع صاحب اهـ .

ضيقها عليه. وفيه: أكثروا ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا، فإن ذكرتموه عند الغنى هدمه وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشتكم. وفيه: أما إنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى الموت فأكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا أما إن كنت لأحب من يمشى على ظهر الأرض إلىّ فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك، فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة، وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا أما إن كنت لأبغض من يمشى على ظهر الأرض إلىّ فإذا وليتك اليوم وصرت إلىّ فسترى صنيعى بك، فيلتئم حتى يلتقى عليه وتختلف أضلاعه ويقيض الله له سبعين تنينا (١) لو أنّ واحدا منها نفخ فى الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يفضى به إلى الحساب، إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار اه. وسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أكيس الناس فقال: أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم له استعدادا أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة» وقال الحسن رحمه الله: فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا. وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله لا يذكر فى مجلسه إلا الموت والآخرة والنار، وذلك ديدن السلف الصالح والخلف الرابح فبهداهم اقتده، ورحم الله من قال:

تأهب للذى لابد منه ... فإن الموت ميقات العباد
أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

ومن قال: إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد (٢) كما كان أرصدا

ومن قال: تزود جميلا من فعالك إنما ... قرين الفتى فى القبر ما كان يفعل
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله ... يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

ومن قال: الموت فى كل حين ينشر الكفنا ... ونحن فى غفلة عما يراد بنا
لا تركنن إلى الدنيا وزينتها ... ولو توشحت فى أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا ... أين الذين هم كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كأسا غير صافية ... فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا (٣) اه

ومن وصايا بعض الحكماء: ينبغى للإنسان أن لا يرى إلا ساعيا فى تحصيل درهم لمعاشه أو حسنة لمعاده لأن العمر قصير وفى العمل تقصير ولكن الناقد بصير، ومن جعل الموت نصب عينيه قاده إلى طاعة مولاه وهان عليه جميع ما كان يتمناه اه (و) لازم تذكار (أهوال قبر) اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر وفتنة القبر ومن فتنة المحيا والممات بجاهه صلى الله عليه وعلى آله وسلم. وفى [حى] وقال عبيد بن عمير الليثى: ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التى يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد، فإن كنت فى حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة وإن كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة، أنا الذى

---

(١) التنين كسكيت: حية عظيمة، قاله فى [س]. (٢) بفتح فوقية وضم صاد من رصد كنصر اه.
(٣) جمع رهين: بمعنى مرهون اه.

من دخلنى مطيعا خرج مسرورا ومن دخلنى عاصيا خرج مثبورا . وقال محمد بن صبيح : بلغنا أن الرجل إذا وضع فى قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى : أيها المتخلف فى الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر أما كان لك فى متقدمنا إياك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت فى المهلة فهلا استدركت مافات إخوانك ! وتناديه بقاع الأرض : أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك فى بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته إلى المنزل الذى لا بد له منه . وقال يزيد الرقاشى : بلغنى أن الميت إذا وضع فى قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت : أيها العبد المنفرد فى حفرته انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا . وقال كعب : إذا وضع العبد الصالح فى القبر احتوشته أعماله الصالحة : الصلاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، والصدقة . قال : فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه ، فتقول الصلاة : إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال فى القيام لله عليهما ، فيأتونه من قبل رأسه ، فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله فى دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه ، فيأتونه من قبل جسده ، فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه فقد أتعب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه . قال : فيأتونه من قبل يديه ، فتقول الصدقة : كفوا عن صاحبى فكم من صدقة خرجت من هذين اليدين حتى وقعت فى يد الله ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه . قال : فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا . قال : وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له فى قبره مد بصره ، ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضىء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره ، انظره . وفيه : وقال مالك بن دينار : مررت بالمقبرة فأنشأت أقول :

أتيت القبور فناديتها ... فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه ... وأين المزكى إذا ما افتخر

قال : فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول :

تفانوا جميعا فما مخبر ... وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدوا بنات الثرى ... فتمحو محاسن تلك الصور
فياسائلى عن أناس مضوا ... أما لك فيما ترى معتبر

ورحم الله من قال :

أيا من له فى باطن الأرض عفرة ... أتأنس بالدنيا وأنت غريب
وما الدهر إلا كر [1] يوم وليلة ... وما الموت إلا نازل وقريب

واستنشد المتوكل بعض أهل البيت رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين ، فأنشده :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب [2] الرجال فلم تنفعهم القلل [3]
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم ... وأودعوا حفرا يابئس ما نزلوا

---

(١) الكر : الرجوع . (٢) جمع أغلب اه . (٣) القلل : بضم قاف جمع قلة كغرفة أعلى الجبل ويجمع على قلال ، بكسرها على غير قياس اه .

ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا أين الأسرة(١) والتيجان(٢) والحلل(٣)
أين الوجوه التى كانت منعمة من دونها تضرب الأستار والكلل(٤)
فأصبح القبر حين كان سيل بهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

ويروى أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له كان يألفه فوقف عند رأسه وأنشد يقول :

مالى مررت على القبور مسلما قبر الحبيب فلم يرد جوابى
أحبيب مالك لاتجيب مناديا أمللت بعدى خلة الأصحاب

قال : فهتف هاتف بى من جانب القبر يقول :

قال الحبيب وكيف لى بجوابكم وأنا رهين جنادل(٥) وتراب
أكل التراب محاسنى فنسيتكم وحجبت عن أهلى وعن أصحابى
وتمزقت تلك الجلود صفائحا ياطالما لبست رفيع ثيابى
وتساقطت تلك الأنامل من يدى ما كان أحسنها لخط كتابى
وتساقطت تلك الثنايا لؤلؤا ما كان أحسنها لرد جواب
وتساقطت تلك العيون على الثرى يا طالما نظرت بهم أحبابى

وعن الأصمعى : كنت كثير التفكر فى القبور وأتسلى بقراءة ما كتب عليها، فرأيت قبرا مكتوبا عليه هذان البيتان :

ألا قل لماش على قبرنا غفول بأشياء حلت بنا
سيندم يوما لتفريطه كما قد ندمنا لتفريطنا

(والسؤال) : أى وسؤال الملكين الكريمين العبد فى قبره : وفى [حى] قال أبو هريرة : قال النبى صلى الله عليه وسلم «إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له : ما كنت تقول فى النبى ؟ فإن كان مؤمنا قال : هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك، ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ذراعا، وينور له فى قبره ثم يقال له نم، ثم يقول : دعونى أرجع إلى أهلى فأخبرهم فيقال له نم، فينام كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . وإن كان منافقا قال : لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله ، فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ، ثم يقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه ، فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك » انظره (وسكرة) أى شدة الموت . وفى [جص] أدنى جبذات الموت بمنزلة مائة ضربة بالسيف ، وفيه إشارة إلى أنه أمر فظيع لا يمر بالآدمى ولا غيره فى حياته مثله فى الشدة والصعوبة . وقال الألبيرى رحمه الله :

---

(١) أسرة : جمع سرير : مايجلس عليه الأمير اه . (٢) التيجان : جمع تاج إكليل تتزين به الملوك اه.
(٣) بضم حاء : جمع حلة اه . (٤) بالكسر جمع كلة كسدرة وسدر : الستر الرقيق .
(٥) جمع جندل : الصخر اه .

كأنى بنفسى وهى فى السكرات تعالج أن ترقى إلى اللهوات
وقد زم رحلى واستقلت ركائبى وقد آذنتنى بالرحيل حداتى[١]
إلى منزل فيه عذاب ورحمة وكم فيه من زجر لنا وعظات
ومن أعين سالت على وجناتها ومن أوجه فى الترب منعفرات[٢]
وكم وارد فيه على ما يسره وكم وارد فيه على الحسرات

قال رحمه الله :

(وَنَصْبِ مَوَازِينٍ وَنَشْرِ الصَّحَائِفِ وَمَا فى الْجَحِيمِ مِنْ طِبَاقٍ وَحَيَّةٍ)

(و) لازم كثرة تذكار (نصب موازين) بالصرف قال تعالى - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة - والصحيح أن الميزان واحد يوزن به للجميع وإنما جمع لكثرة مايوزن فيه من الأعمال ، وصفته فى العظم[٣] مثل طباق السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرة الله سبحانه وتعالى ، والصنج[٤] يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل ، وتطرح صحائف الحسنات فى صورة حسنة فى كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله سبحانه وتعالى بفضل الله تعالى ، وتطرح صحائف السيئات فى صورة قبيحة فى كفة الظلمة فيخف بها الميزان كما يريد الله تعالى بعدله. وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه أنه قال : يوضع الميزان يوم القيامة فلو وضعت فيه السموات والأرض لوسعها ، فتقول الملائكة عند رؤيته : يا ربنا ما هذا ؟ فيقول الله سبحانه وتعالى : هذا أزن به لمن شئت من خلقى ، فتقول الملائكة عند ذلك : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك . وقيل : سأل داود عليه السلام ربه أن يريه الميزان ، فأراه كل كفة تملأ ما بين السموات والأرض أو ما بين المشرق والمغرب ، فلما رآه غشى عليه من هوله ثم أفاق فقال : إلهى من ذا الذى يقدر أن يملأ كفته حسنات ، فقال الله عز وجل : يا داود إنى إذا رضيت عن عبدى ملأته له بتمرة واحدة ، يا داود أملأها له بشهادة أن لا إله إلا الله ، وجبريل عليه السلام هو الذى يزن الأعمال يوم القيامة ، وهو آخذ بعموده ينظر إلى لسانه ، ورجحان الميزان كرجحان ميزان الدنيا ، وقيل بالعكس ، وللميزان مرجحات كثيرة . منها : قول العبد لا إله إلا الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يصاح برجل من أمتى على رؤوس الخلائق فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ، فيقول الله تبارك وتعالى أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتى الحافظون؟ فيقول لا يارب ، فيقول أفلك عذر أو حسنة ؟ فيهاب الرجل فيقول لا يارب ، فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تظلم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شئ » ومنها : الخلق الحسن . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من شىء يوضع فى الميزان يوم القيامة أثقل من الخلق الحسن » ومنها : قضاء حاجة المسلم قال صلى الله عليه وسلم « من قضى لأخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت له » ومنها : قراءة القرآن وتعليم الناس الخير ، ومداد العلماء ، واتباع الجنازة والولد الذى يموت للإنسان فيحتسبه والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكثرة الاستغفار ،

---

(١) جمع حاد اه . (٢) أى متمرغات اه . (٣) كعنب ه . (٤) كفلس .

والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصدقة ، وتخفيف العمل عن الخادم والأضحية ، وكف التراب إذا ألقاه الإنسان فى قبر المسلم عند دفنه ، وإهالة التراب عليه ، ورجحان الموازين فى الدنيا . وفى ذلك قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

هاك أمورا قد أتت بأنها ... تثقل ميزانا غدا فانتبها
كلمة الإخلاص حسن الخلق ... تعليم خير يافتى للخلق
قضاء حاجة لمسلم كذا ... قراءة القرآن فاعرف مأخذا
وولد يموت للإنسان ... محتسبا أجره للرحمن
صدقة لله تخفيف العمل ... عن خادم ضحية نلت الأمل
وحثو حثية من التراب ... فى القبر عند الدفن باحتساب
كذا إهالتك للتراب ... عليه فاحفظه بلا ارتياب
كذا اتباع للجنائز أتى ... منها مداد العلماء يافتى
وكثرة الأذكار كاستغفار ... وكصلاتنا على المختار
محمد المصطفى الأواه ... عليه والآل صلاة الله

وعن أنس رضى الله عنه وعنابه آمين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تنصب الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ، ويؤتى بأهل الصيام فيوفون أجورهم بالموازين ، ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا بغير حساب ، حتى يتمنى أهل العافية أنهم لو كانوا فى الدنيا تقرض أجسامهم بالمقاريض لما يرون لأهل البلاء من الفضل ، وذلك قوله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وفى [حى] وروى الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه فى حجر عائشة رضى الله عنها فنعس ، فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه فقال : مايبكيك ياعائشة ؟ قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ قال : والذى نفسى بيده فى ثلاث مواطن فإن أحدا لايذكر إلا نفسه : إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال ، حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل ، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله ، وعند الصراط » وعن أنس قال : « يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتى الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل به ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لايشقى بعدها أبدا ، وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لايسعد بعدها أبدا ، وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار » انظره ورحم الله من قال :

تفكر يوم تأتى الله فردا ... وقد نصبت موازين القضاء
وهتكت الستور عن المعاصى ... وجاء الذنب مكشوف الغطاء

(ونشر الصحائف) المكتوب فيها أعمال العباد . اعلم أن الله تعالى مع علمه بأعمال العباد يظهر العدل ويقيم الحجة فينصب الموازين لوزن الأعمال كما قال تعالى - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة - الآية ، ويؤتى بالصحف التى كتبتها الملائكة على العباد فيخلق الله تعالى فيها ثقلا وخفة على قدر الأعمال ، ويؤتى بكل إنسان فتوضع صحيفة حسناته فى كفة وصحيفة سيئاته فى كفة حتى يتبين له ولغيره رجحانها ونقصانها وتتطاير

الصحف فيعطى كل عبد كتابا فيه جميع أعماله يقرؤه من كان يكتب ومن كان لايكتب . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات . فأما عرضتان : فجدال ، ومعاذير . وأما العرضة الثالثة : فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله » أخرجه الترمذى (ومافى الجحيم من طباق) جمع طبقة وهى سبع طبقات، وتسمى دركات لأنها متداركة ومتتابعة قال تعالى ـ لها سبعة أبواب ـ وفى الخازن : يعنى سبع طبقات .قال على ابن أبى طالب : تدرون كيف أبواب جهنم هكذا ، ووضع إحدى يديه على الأخرى :أى سبعة أبواب بعضها فوق بعض . قال ابن جريج : النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية، ثم قال: قال الضحاك: فى الدركة الأولى أهل التوحيد، وفى الثانية النصارى وفى الثالثة اليهود ، وفى الرابعة الصابئون، وفى الخامسة المجوس ، وفى السادسة أهل الشرك ، وفى السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه ـ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ـ انظره. وقال عبد الله بن دينار :قال لقمان لابنه: يابنى كيف يأمن النار من هو واردها؟ وكيف يطمئن إلى الدنيا من هو مفارقها؟ وكيف يغفل من لا يغفل عنه ، يابنى لاشك فى الموت فإنك كما تنام كذلك تموت، ولا شك فى البعث فإنك كما تستيقظ كذلك تبعث، يابنى إن الإنسان لثلاثة فمنه لله ومنه لنفسه ومنه للدود والتراب ، فأما ما كان لله فروحه وأما ما كان لنفسه فعمله خيرا كان أو شرا ، وأما ما كان للدود والتراب فجسده اه (وحية) وفى [حى] قال النبى صلى الله عليه وسلم «إن فى جهنم سبعين ألف واد فى كل واد سبعون ألف شعب [1] فى كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب ، لاينتهى الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله » انظره . ثم قال : انظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاعة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم ، فهى لاتفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة . قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهازمه ـ يعنى أشداقه ـ فيقول : أنا مالك أنا كنزك ، ثم تلا قوله تعالى ـ ولاتحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله ـ » الآية ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم «إن فى النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها [2] أربعين خريفا ، وإن فيها لعقارب كالبغال الموكفة تلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا » وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه فى الدنيا البخل وســوء الخلق وإيذاء الناس ، ومن وقى ذلك وقى هذه الحيات فلم تمثل له » انظره : وفى المجالس السنية على الأربعين النووية قال عطاء بن واسع : قسا قلبى على مرة فأردت تهذيبه فتفكرت فى ملكوت السموات والأرض وفى الموت وما فيه ومابعده من أهوال وبعث ونشر وصراط وميزان وحساب وأهوال يوم القيامة ، فكبر على الأمر وعظم واشتد جزعى وخوفى وبكائى ونحيبى فعرضت عملى على نفسى فلم أجد لى عملا يصلح للخلاص من شىء من ذلك ، فبكيت وازددت خوفا ونحيبا وجزعا . قال: فاصطنع له قبرا فى بيته وحفره وصار كلما غفل عن العبادة ومجاهدة نفسه لحظة نزل فى القبر وعفر وجهه فى التراب واضطجع وجعل يبكى على نفسه ويذكر وحدة القبر وغربته وضيقه، ويذكر مع ذلك قلة عمله وعجزه وتقصيره ، ويذكر مع ذلك أنه سيعرض ويحاسب وتوزن أعماله فيتلو ـ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ـ الآية، ثم يقول ـ رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ـ

(١) كضرس اه . (٢) أى حرها اه .

فيرددها على نفسه مرات ثم يبكى ، ثم يرددها على نفسه فيقول قد رجعتك فاعمل فاشتد به الجزع ، هذا الأمر دأبه دائما ، ثم خرج يوما إلى المقابر فرأى مكتوبا على قبر هذه الأبيات [١] :

يا أيها الناس كان لى أمل   قصر بى عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل   أمكنه فى حياته العمل
ها أنا وحدى نقلت حيث ترى   كل إلى مثله سينتقل

فبكى وتواجد وعاهد الله أن لا يعود إلى بيته وخرج هائما حتى مات رحمه الله تعالى . وقال بعضهم : بينما أنا مار فى سياحتى وإذا أنا بصوت أسمعه وما أرى شخصه يقول : ياعباد الله إن الجنة رخيصة فاشتروا وإن الرب كريم فأقبلوا عليه فالتفت يمينا وشمالا فلم أر أحدا ، وإذا به يقول :

عجبت من عاقل [٢] لبيب   يذهب بالفانيات عمره
ويبذل المال فى متاع   يفنى ويبقى عليه حسره
بين يديه الغداة نار   ما يتقيها بشق تمره   اهـ

قال رحمه الله :

(وَما فى الجِنانِ مِنْ نَعيمٍ مُؤَبَّدٍ   وَحُورٍ حِسانٍ والجَوارى وَغِلْمَةٍ)

(وما فى الجنان) بكسر الجيم جمع جنة بفتحها (من نعيم مؤبد) أبد الآبدين . وفى [حى] قال جابر : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أحدثكم عن الجنة ؟ قال ، قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك وسلم بأبينا أنت وأمنا . قال : إن فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . قال : قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف ؟ قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام ، قال : قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك ؟ قال : أمتى تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك ، من لقى أخاه فسلم عليه أو ردّ عليه فقد أفشى السلام ، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ، ومن صلى العشاء الأخيرة وصلى الغداة فى جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام » يعنى اليهود والنصارى والمجوس . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ـ ومساكن طيبة فى جنات عدن ـ قال « قصور من لؤلؤ فى كل قصر سبعون دارا من ياقوت أحمر ، فى كل دار سبعون بيتا من زمرد أخضر ، فى كل بيت سرير ، على كل سرير سبعون فراشا من كل لون ، على كل فراش زوجة من الحور العين ، فى كل بيت سبعون مائدة ، على كل مائدة سبعون لونا من الطعام ، فى كل بيت سبعون وصيفة ، ويعطى المؤمن فى كل غداة ـ يعنى من القوة ـ ما يأتى على ذلك أجمع » انظره (وحور) جمع حوراء (حسان) جمع حسناء . وفى [حى] روى أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « غدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت وللأت ما بينهما رائحة ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها يعنى الخمار » . وقال

---

(١) من المنسرح اهـ . (٢) (قوله عجبت الخ) بسيط مجزو المقطوع اهـ .

أبو سعيد الخدرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ـ كأنهن الياقوت والمرجان ـ قال « ينظر إلى وجهها فى خدرها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب، وإنه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك » انظره. وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها » وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة ، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون ، آنيتهم الذهب والفضة : وأمشاطهم الذهب ، ومجامرهم الألوة ، ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيا » انظر البخارى (والجوارى) جمع جارية (وغلمة) جمع غلام . وفى [حى] قال عبد الله ابن عمر : إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه اهـ. قال تعالى ـ ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ـ وعن قتادة قال : « ذكر لنا أن رجلا قال : يانبى الله هذا الخادم فكيف بالمخدوم ؟ قال : فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » وفى [جص] « أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء » اهـ . قال المناوى : المسافة بينهما أكثر من شهر اهـ قال رحمه الله :

(ولا تَسُمَ أسبابَ الرِّياسةِ إنها … تَجُرُّ إلى دارِ البَوارِ ونِقْمةِ)

(ولا تسم) من السوم فى المبايعة (أسباب الرياسة) لأنها أصل كل آفة وبلية وهى أم الخبائث والفواحش كالخمر نعوذ بالله منها ومما يقرب إليها آمين (إنها تجر) كل من حل بساحتها (إلى دار البوار) والثبور (و) إلى (نقمة) عاجلة وآجلة كما هو مشاهد بالعيان عند أولى النهى والأبصار ، وسيأتى مافيها وفى أهلها مستوفى إن شاء الله قال رحمه الله :

(وجانِبْ مِزاحاً غِيبةً وَبَغيهاً … وسُوءَ جَليسٍ مِنْ ذُكورٍ ونِسوةِ
وفُحْشاً نَميمةً وما ليسَ يُعْتَنَى … وأمَّارةً بالسُّوءِ مَعَ كلِّ شهوةِ
وَسَعْياً لِحَظِّها بإتعابِ جُثَّةٍ … وَجانِبْ هَوَاها تَنْجُ مِنْ كلِّ فِتْنةِ)

(وجانب) من جانبه باعده (مزاحا) بالضم اسم وبالكسر مصدر مازحه : أى كثيره فإنه يلد العداوة ، ولمسعر[1] ابن كدام[2] يخاطب ابنه :

إنى منحتك يا كدام نصيحتى … فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدعهما … خلقان لا أرضاهما لصديق
إنى بلوتهما فلم أحمدهما … لمجاور جارا ولا لرفيق اهـ

---

(٢) كمنبر اهـ . (٢) ككتاب اهـ .

وجانب أيضا (غيبة) بكسر معجمة وهى ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه حقا (و) جانب (بنيهما) أى أصحاب المزاح والغيبة إذ لاخير فى الفريقين - ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين - وسيأتى ما فى ذلك إن شاء الله تعالى (و) جانب (سوء) بضم مهملة وفتحها ككره وكره وهما فى الأصل مصدران : إلا أنهم خصوا المضموم بالشر والمفتوح يضاف إليه ما يراد ذمه كرجل سوء (جليس) وهو الذى لا يستر العورات ولا يقيل العثرات . والوحدة خير من الجليس السوء (من ذكور ونسوة) قال تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين - وسيأتى ما فى ذلك مبينا إن شاء الله تعالى (و) جانب (فحشا) وفى [س] الفحش عدوان الجواب ، ومنه « لا تكونى فاحشة » خطابا لعائشة رضى الله عنها ، ورجل فاحش وفحاش وأفحش : قال الفحش اه . وجانب أيضا (نميمة) وهى نقل الكلام وإشاعته بين العباد على وجه الإفساد (و) جانب أيضا (ماليس يعتنى) بالبناء للمفعول فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه وما لاخير له فيه . وسيأتى ما فى ذلك إن شاء الله تعالى (و) جانب أيضا (أمارة) أى نفسك الأمارة (بالسوء) قال تعالى - وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم - ورحم الله من قال :

يا رب قد أسرفت نفسى وقد علمت   علما يقينا لقد أحصيت آثارى
يامخرج الروح من نفسى إذا احتضرت   وفارج الكرب زحزحنى عن النار

وللبوصيرى رحمه الله :

وخالف النفس والشيطان واعصهما   وإن هما محضاك النصح فاتهم

ونقل أن راهبا اشتهر ببلاد مصر بالمكاشفة ، فقال عالم من علماء المسلمين لابد لى من قتله خوفا على المسلمين أن يفتنهم ، فقصده بسكين مسمومة ، فلما طرق بابه قال له اطرح السكين يا عالم المسلمين ، فطرحها فدخل فقال له من أين لك نور المكاشفة ؟ قال بمخالفة النفس ، فقال هل لك فى الإسلام ؟ قال نعم ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . قال ماحملك على ذلك؟ قال عرضت الإسلام على نفسى فأبت ، فخالفتها - والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - (مع) مجانبة (كل شهوة) ظاهرة وخفية . وفى [جص] احذروا الشهوة الخفية العالم يحب أن يجلس إليه : أى أن يجلس الناس إليه للأخذ عنه والتعلم منه ، فإن ذلك يبطل عمله لتفويته للإخلاص ، فالعالم الصادق لا يتعرض لاستجلاب الناس إليه بلطف الرفق وحسن القول محبة فى الاستتباع فإن ذلك من غوائل النفس الأمارة ، فليحذر ذلك فإنه ابتلاء من الله واختبار ، والنفوس جبلت على محبة قبول الخلق والشهرة ، وفى الخمول سلامة ، فإذا بلغ الكتاب أجله وخلعت عليه خلعة(١) الإرشاد أقبل الناس إليه قهرا عنهم ، انظر العزيزى ، ورحم الله من قال :

رب مستور سبته صورة   فتعرى ستره فانهتكا
صاحب الشهوة عبد فإذا   غلب الشهوة صار ملكا

وروى أن سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أتى يوما بطعامه وكان صائما فقال : لقد خشيت أن تكون طيباتنا عجلت لنا فى حياتنا ، فجعل يبكى حتى ترك الطعام . قال تعالى - أذهبتم طيباتكم

---

(١) بكسر معجمة كسدرة اه .

فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - (و) جانب أيضا (سعيا لحظها) أى لنيل حظ النفس الأمارة بالسوء (باتعاب جثة) أى الجسم إذ ليس فى ذلك إلا الخسارة والندامة نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا :

وحكى أن رجلا جمع مالا عظيما ثم صنع يوما طعاما لأهله وقعد على سرير وهم بين يديه يأكلون وقد وضع رجلا على رجل [١] وهو يقول لنفسه : تنعمى فقد جمعت لك ما يكفيك ، فبينما هو كذلك إذ أقبل ملك الموت فى زى المسكين فقرع الباب ، فخرج إليه بعض الغلمان فقالوا ماحاجتك ؟ فقال ادعوا لى سيدكم ، فانتهروه وقالوا مثلك يخرج إليه سيدنا ؟ قال نعم ، فجاءوا فأخبروا سيدهم بذلك فقال هلاضربتموه ، فعاد فقرع الباب قرعا شديدا فخرجوا إليه فقال أخبروا سيدكم أنى ملك الموت ، فلما سمعوه وقع على الجميع الذل . ودخل ملك الموت عليه السلام عليه فأحضر ماله ونظر إليه تحسرا وتأسفا وقال : لعنك الله من مال شغلتنى عن عبادة ربى ، فأنطق الله المال وقال : لم تسبنى وقد كنت تدخل على الملوك بى وترد المتقين ، وقد كنت تنفقنى فى سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتنى فى سبيل الخير لنفعتك ، ثم قبض روحه ملك الموت وانصرف اه . نسأل الله السلامة والعفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة آمين (وجانب هواها) أى النفس (تنج) وتسلم (من كل فتنة) وبلية دينية ودنيوية وأخروية قال تعالى - وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى - وعن أبى حازم : قاتل هواك أشد ما تقاتل عدوك ، وقيل له إنك مشدد ، فقال مالى لاأشدد وقد صدنى أربعة عشر عدوّا : شيطان يفتننى ومؤمن يحسدنى وكافر يقاتلنى ومنافق يبغضنى ، وأما العشرة فالجوع والعطش والعرى والحر والبرد والهرم والمرض والفقر والموت والنار ، ولا أطيقهن إلا بسلاح ، ولا أجد لهن سلاحا أقوى من التقوى ، وقيل له ما مالك ؟ قال ثقتى بالله وإياسى مما فى أيدى الناس اه .

وفى المجالس السنية على الأربعين النووية : تنبيه . عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بعض خطبه ومواعظه « أيها الناس لا تشغلنكم دنياكم عن آخرتكم ، ولا تؤثروا أهواءكم على طاعة ربكم ، ولا تجعلوا أيمانكم ذريعة إلى معاصيكم ، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ومهدوا لها قبل أن تعذبوا ، وتزودوا للرحيل قبل أن تزعجوا ، فإنما هو موقف عدل واقتضاء حق ، وسؤال عن واجب ، ولقد أبلغ فى الإعذار من تقدم فى الإنذار » فانظروا بإخوانى إلى هذا الحديث ما أعظمه واعملوا بما فيه وخالفوا أهواءكم فقد قيل :

إن الهوى لهو الهوان بعينه ... فإذا هويت فقد لقيت هوانا

ثم قال : وحكى أن عابداً من عباد بنى إسرائيل راودته امرأة عن نفسه ، فطلب منها ماء ليتطهر به . فصعد إلى موضع عال فى القصر ورمى نفسه إلى الأرض ، فقيل لإبليس هلا أغويته ؟ فقال ليس لى سلطان على من يخالف هواه . وقال المرعشى رحمه الله : كنت فى مركب فانكسر بنا فوقعت أنا وامرأة على لوح . فعطشت المرأة فسألت الله أن يسقيها ، فنزلت علينا سلسلة فيها كوز ماء ، فنظرت إلى رجل

(١) وهى جلسة المتكبرين والفجار وأبناء الدنيا والتجار حتى صارت جلسة بعض أهل العلم وهى قبيحة لاسيما فيهم .

فى الهواء فقلت له كيف جلست فى الهواء؟ قال تركت هواى لهواه فأجلسنى فى الهواء. وقال الشبلى رحمه الله: لما قالت له الشجرة يا شبلى كن مثلى يرمونى بالأحجار وأرميهم بالثمار ، فقال لها : كيف مصيرك إلى النار ؟ قالت يميلى مع الهوا هكذا وهكذا . وقد جاء فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «من قدر على امرأة أو جارية حراما فتركها مخافة الله أمنه الله تعالى يوم الفزع الأكبر وحرم عليه النار وأدخله الجنة » .

[نكتة] قال أبو زرعة : رأيت امرأة فى الطريق فقالت هل لك فى الأجر والثواب فتعود مريضا قلت نعم ، قالت ادخل دارى ، فدخلتها فغلقت الأبواب ، فعلمت مقصودها فقلت : اللهم سود وجهها فاسود فى الحال فتحيرت وفتحت الأبواب ، فلما خرجت من عندها قلت : اللهم ردها كما كانت فعادت بإذن الله تعالى ، أنظره . ونقل أن عبد الله بن الحسن لقى امرأة جميلة فى الطواف ، فلما نظرت إليه وإلى جماله مالت نحوه وطمعت فيه فأقبل عليها وأنشد :

أهوى هوى الدين واللذات تعجبنى ... فكيف لى بهوى اللذات والدين

فقالت له اترك أحدهما تنل الآخر ، فلما يئست منه تركته وانصرفت . وقال الجنيد : إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها. وقال بعض الحكماء : يا بُنَىَّ اعص هواك والنساء وأطع من شئت ورحم الله من قال :

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ... إلى كل ما فيه عليك مقال

وللبوصيرى رحمه الله :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فاصرف هواها وحاذر أن توليه ... إن الهوى ما تولى يُصمِ أو يَصِمِ

وراعها وهى فى الأعمال سائمة ... وإن هى استحلت المرعى فلا تسم

كم حسنت لذة للمرء قاتلة ... من حيث لم يدر أن السم فى الدسم

قال رحمه الله :

(وإن أقبلتْ دُنيا فلاَ تفرَحَن بها ... وإن ذَهبتْ فاقنعْ بأيسر بلغة

وكنْ زَاهِدًا فيها بقلبٍ وقالَبٍ ... وَما قَدَّرَ الرَّحمنُ يأتى بُسرْعةٍ)

(وإن أقبلت) وصبت عليك (دنيا) وجاءتك منقادة مطواعة (فلا تفرحن بها) فرح بطر وتكبر وتفاخر قال تعالى ـ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ـ وفى الحديث « الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بورك له فيها ومن أخذها بغير حقها كان كالآكل الذى لا يشبع » ، وقيل لسيدنا على رضى الله عنه صف لنا الدنيا ؟ فقال : ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عذاب ، من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن . وفى [جص] « إذا أردت أن يحبك الله فابغض الدنيا ، وإذا أردت أن يحبك الناس فما كان عندك من فضولها فانبذه إليهم » قال الحفنى : هذا الحديث من أمهات الأحاديث التى بنى عليها الصوفية طريقتهم ، إذ هو يوصل لمحبة الله ومحبة الناس والسعى فى نفعهم اه .

وفى [حى] قال على كرم الله وجهه : إذا أقبلت عليك الدنيا فانفق منها فإنها لا تفنى ، وإذا أدبرت عنك فانفق منها فإنها لا تبقى . وأنشد :

لا تبخلن بدنيا وهى مقبلة … فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها … فالحمد منها إذا ماأدبرت خلف اهـ

ورحم الله من قال :

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره … فسوف لعمرى عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة … وإن أقبلت كانت كثيرا همومها

ومن قال : إذا جادت الدنيا عليك فجد بها … على الناس طرا قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها إذا هى أقبلت … ولا الشح يبقيها إذا هى ولت

وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر : من رزقه الله رزقا حسنا فلينفق منه سرا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به ، فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين إما لمصلح فلا يقل عنده شىء وإما لمفسد فلا يبقى له شىء ، ونظم ذلك من قال رحمه الله :

اسعد بمالك فى الحياة فإنما … يبقى خلافك مصلح أو مفسد
فإذا جمعت لمفسد لم تغنه … وأخو الصلاح قليله يتزايد

ولابن أدهم رحمه الله :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا … فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه … وجاد بدنياه لما يتوقع

وقد قيل لأعرابى كيف أنت فى دينك ؟ قال أخرقه بالمعاصى ولا أرقعه بالاستغفار ، ورحم الله من قال :

ولا يغرورك منها حسن برد … له علمان من علم الذهاب
فأوله رجاء من سراب … وآخره رداء من تراب

ومن قال : تنافس الناس فى الدنيا وقد علموا … أن سوف تقتلهم لذاتها بددا
قل للمحدث عن لقمان أولبد (١) … لم يترك الدهر لقمانا ولا لبدا
وللذى همه البنيان يرفعه … إن الردى لم يغادر فى الثرى أحدا
ما لابن آدم لا تفنى مطالبه … يرجو غداً وعسى أن لا يعيش غدا

ومن قال : لعمرك ما الدنيا بدار إقامة … إذا زال عن عين اللبيب غطاؤها
فكيف بقاء الناس فيها وإنما … ينال بأسباب الفناء بقاؤها

ومن قال : وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها … فقيرا ويثرى (٢) بعد بؤس فقيرها
وكم قد رأينا من تغير عيشه … وأجرى صفاء بعد كدر غديرها
فلا تقرب الأمر الحرام فإنما … حلاوته تفنى ويبقى مريرها

ومن قال : فذى الدار أخون (١) من مومس … وأخدع من كفة الحابل
تفانى الرجال على حبها … وما يحصلون على طائل

---

(١) لبد كصرد آخر نسور لقمان اهـ . (٢) يثرى بضم تحتية من أثرى الرجل كثر ماله اهـ
(٣) أخون : أى أكثر خيانة .

ومن قال : هى الدنيا إذا كملت وتم سرورها خذلت
وتفعل فى الذين بقوا كما فيمن مضى فعلت

ومن قال : هى الدنيا تقول لطالبيها حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركم منى ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكى

ومن قال : أراك تحب دنيا ذات غدر أبتّ طلاقها الأكياس بتا
تنام الدهر ويحك فى غطيط بها حتى إذا مت انتبهتا
وسوف تعض من ندم عليها وما تغنى الندامة إن ندمتا
وغايتها إذا فكرت فيها كفيئك أو كحلمك إن حلمتا(١)
سجنت بها وأنت لها محب فكيف تحب ما فيه سجنتا
ولم تخلق لتعمرها ولكن لتعبرها فجد لما خلقتا

اللهم إنا نسألك خيرها وخير ما خلقت لها ونعوذ بك من شرها وشر ما خلقت لها ـ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ـ آمين (وإن ذهبت) وولت وأدبرت عنك بزخارفها (فاقنع) منها (بأيسر بلغة) بضم موحدة ما يتبلغ به من العيش . وفى [جص] « من رضى من الله باليسير من الرزق رضى الله منه بالقليل من العمل » وفيه : أغبط الناس عندى مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة ، وكان رزقه كفافا فصبر عليه حتى يلقى الله وأحسن عبادة ربه وكان غامضا(٢) فى الناس ، عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه » اه ورحم الله من قال :

تبلغ من الدنيا بأيسر زاد فإنك عنها راحل لمعاد
وغض عن الدنيا وزخرف أهلها جفونك واكحلها بطيب سهاد(٣)
وجاهد عن اللذات نفسك جاهدا فإن جهاد النفس خير جهاد
وما هى إلا دار لهو وفتنة وإن قصارى أهلها لنفاد(٤)

ومن قال : وإن هدمت فزدها أنت هدما وحصن أمر دينك ما استطعتا
فلا تحزن على ما فات منها إذا ما أنت فى أخراك فزتا
فليس بنافع ما نلت منها من الفانى إذا الباقى حرمتا

(وكن زاهدا فيها) أى فى الدنيا الشاغلة عن طاعة الله تعالى المرتب عليها ضياع حقوق الحق والخلق وهى المعنية بقوله صلى الله عليه وسلم « تعس عبد الدينار والدرهم والخميصة » الخ وأما المعينة على طاعة الله فممدوحة وهى المعنية بقوله صلى الله عليه وسلم « نعمت الدنيا مطية المؤمن بها يصل إلى الخير وينجو من الشر » ولذا كان أهل الله تعالى إذا أصابوا شيئا من الدنيا لم يصيبوه على جهة ما يصيبه أهل الدنيا من التلذذ والطرب إليه والاشتغال به والتفكه إنما يصيبونه لينقووا به على عبادة ربهم ودّوا لو أنهم أكلوا من الدنيا أكلة واحدة تكون آخر زادهم منها لاكتفوا بما قل ، فلما علم الله ذلك منهم ضيق أمعاءهم وأسقط عنهم شهواتهم واكتفوا باليسير من المطعم فعند ذلك خفت عليهم مؤونة الدنيا ،

---

(١) حلم من باب نصر . (٢) أى خفيا لا يعرفه الناس اه .
(٣) سهاد كغراب السهر اه . (٤) كتمام وزنا ومعنى اه .

فلم ينافسوا فيها أحدا ، فتلك حالاتهم فى المطعم والملبس ما تهيأ أكلوه ولبسوه ليس لهم تخيير ولا تلذذ فى أخذ ولا ترك خوف الشهوات والاشتغال عما هم فيه ، فأسكن الله فى قلوبهم من معرفته وحبه ما أذاب كل مودة لأهل أو ولد أو مال فإن عرض من ذلك فى قلوبهم عارض فخاطر من غير ثبوت فيها ، أنظر [خل] ؛ وفى [جص] « ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » ورحم الله من قال :

كن زاهداً فيما حوته يد الورى ... تضحى إلى كل الأنام حبيبا
أوما ترى الخطاف حرم زادهم ... فغدا ربيبا فى الحجور قريبا

ومن قال :

تورع عن سؤال الخلق طرا ... وسل ربا كريما ذا هبات
ودع زهرات دنياك اللواتى ... تراها لامحالة ذاهبات

وفيه « أزهد الناس من لم ينس القبر والبلى وترك أفضل زينة الدنيا وآثر مايبقى على مايفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه فى الموتى » قال الحفنى : ولذا قالت السادة الصوفية : الصوفى ابن وقته : أى لم يخل وقته من العمل الصالح انتظارا لوقت آخر يعمل فيه لكونه عد نفسه من الموتى اه . ورحم الله من قال :

إنما هذه الحياة متاع ... فالغرور الغرور من يصطفيها
مامضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التى أنت فيها

وفى العزيزى : ليس من الزهد ترك الجماع فقد قال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا فقد كان على كرم الله وجهه أزهد الصحابة وكان له أربع زوجات وتسع عشرة سرية . وقال ابن عباس : خير هذه الأمة أكثرها نساء . وكان الجنيد شيخ القوم يحب الجماع ويقول : إنى أحتاج إلى المرأة كما أحتاج إلى الطعام اه . وقد قيل : من سمى بالزاهد فقد سمى بألف اسم ممدوح ، هذا مع مالل‍زاهدين من راحة القلب والبدن فى الدنيا والآخرة . والزهاد هم الملوك فى الحقيقة ، ورحم الله من قال :

أرى الزهاد فى روح[1] وراحه ... قلوبهم عن الدنيا مزاحه
إذا أبصرتهم أبصرت قوما ... ملوك الأرض شيمتهم سماحه

ومن قال :

إلى الزهاد فى الدنيا ... جنان الخلد تشتاق
عبيد من خطاياهم ... إلى الرحمن أباق[2]
حدتهم نحوه الرغبه ... مع الرهبات فاشتاقوا
عليهم حين تلقاهم ... سكينات وإطراق
يضجون[3] إلى الله ... ودمع العين مهراق
مليك الملك هل مما ... تطوقناه إطلاق
فنى أعناقنا طرا ... من الآثام أطواق

وفى [حف] قال سهل : أعمال البر كلها فى موازين الزهاد ، وثواب زهدهم زيادة لهم . وقد قيل :

---

(١) كفلس اه . (٢) أباق بضم همزة وتشديد موحدة جمع آبق اه . (٣) بفتح تحتية وكسر ضاد من ضج رفع صوته اه .

من سمي بالزهد فقد سمي بألف اسم محمود، ومن سمي باسم الرغبة فى الدنيا فقد سمي بألف اسم مذموم. وقال السرى: الزهد ترك حظوظ النفس من جميع مافى الدنيا، ويجمع هذا الحظوظ المالية والجاهية وحب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء . وسئل الشبلى عن الزهد فقال : الزهد غفلة لأن الدنيا لاشىء والزهد فى لاشىء غفلة. وقال بعضهم: لما رأوا حقارة الدنيا زهدوا فى زهدهم فى الدنيا لهوانها عندهم، وعندى أن الزهد فى الزهد غير هذا وإنما الزهد فى الزهد بالخروج من الاختيار فى الزهد ، لأن الزاهد اختار الزهد وأراده وإرادته تستند إلى علمه وعلمه قاصر ، فإذا أقيم فى مقام ترك الإرادة وانسلخ من اختياره كاشفه الله تعالى بمراده فيترك الدنيا بمراد الحق لابمراد نفسه فيكون زهده بالله تعالى ، حينئذ أن يعلم أن مراد الله منه التلبس بشىء من الدنيا، فما يدخل بالله فى شىء من الدنيا إلا ينقص عليه زهده فيكون دخوله فى الشىء من الدنيا بالله وبإذن منه زهدا فى الدنيا ، والزهد أستوى عنده وجود الدنيا وعدمها إن تركها تركها بالله وإن أخذها أخذها بالله وهذا هو الزهد فى الزهد ، وقد رأينا من العارفين من أقيم فى هذا المقام ، انظره . وفيه : وسئل أمير المؤمنين على بن أبى طالب عن الزهد فقال : هو أن لاتبالى بمن أكل الدنيا مؤمن أو كافر ، وسئل الشبلى عن الزهد فقال : ويلكم أى مقدار لجناح بعوضة فإذا صح زهد العبد صح توكله أيضا لأن صدق توكله مكنه من زهده فى الموجود، فمن استقام فى التوبة وزهد فى الدنيا وحقق هذين المقامين استوفى سائر المقامات ، انظره (بقلب وقالب) بكسر اللام وفتحها جسم الإنسان وجسده .

وفى [جص] إذا أراد الله بعبد خيرا فتح له قفل قلبه وجعل فيه اليقين والصدق ، وجعل قلبه واعيا لما سلك فيه ، وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا وخليقته مستقيمة ، وجعل أذنه سميعة وعينه بصيرة اهـ .

وفى [عف] قال يحيى بن معاذ الرازى : القلب قلبان قلب قد احتشى بأشغال الدنيا حتى إذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه مايصنع من شغل قلبه بالدنيا ، وقلب قد احتشى بأحوال الآخرة حتى إذا حضر أمر من أمور الدنيا لم يدر صاحبه مايصنع لذهاب قلبه فى الآخرة . وفيه : بقلوب الصوفية واعية لأنهم زهدوا فى الدنيا بعد أن أحكموا أساس التقوى، فبالتقوى زكت نفوسهم وبالزهد صفت قلوبهم ، فلما عدموا شواغل الدنيا بتحقيق الزهد انفتحت مسام بواطنهم وسمعت آذان قلوبهم وأعانهم على ذلك زهدهم فى الدنيا ، انظره (وماقدر الرحمن) سبحانه لك فى الأزل (يأتى بسرعة) ومالا فلا .

وروى « خير ما أعطى الرجل الرضى بما قسم الله له » وفى [جص] اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجرى بالمقادير ، وفيه : إن الله تعالى يعطى الدنيا على نية الآخرة وأبى أن يعطى الآخرة على نية الدنيا ، وفيه : إن الله تعالى يقول ياابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وإلا تفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك .وفى الحفنى : وفى الحديث القدسى «ابن آدم خلقتك لنفسى -أى لعبادتى- وخلقت كل شىء لك فبحقى لاتشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له » وفى رواية « خلقتك فلاتلعب وتكفلت لك برزقك فلا تتعب » اهـ . قال تعالى - أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا - الآية ، وقال - وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى - ورحم الله من قال .

الرزق يأتى وإن لم يسع صاحبه   حتما ولكن شقاء المرء مكتوب
وفى القناعة كنز لانفاد له   وكل مايملك الإنسان مسلوب

قال رحمه الله :

(وكُنْ حلسَ بيتٍ واعتزلْ سائرَ الورَى   ولا تَستطبْ حديثَ أبناءِ غَفْلةِ)

(وكن حلس بيت) الحلس بالكسر كساء على ظهر البعير تحت البرذعة ويبسط فى البيت تحت حر الثياب ، انظر [س] . وفى [خل] والرجل الصالح فى هذا الزمان فى الغالب إنما شعاره لزوم بيته لقوله عليه الصلاة والسلام «كن حلسا من أحلاس بيتك » اه : وفيه : لما ذكر عليه الصلاة والسلام الفتن قال بعضهم ماتأمرنى به يارسول الله إذا أدركنى ذلك الزمان؟ فقال عليه الصلاة والسلام «كن حلسا من أحلاس بيتك » يعنى أن يتخذ بيته كأنه ثوبه الذى يستر به عورته فيلازمه ولا يفارقه إذا عمت الفتن وكثرت ، وهذا موجود مشاهد لأن مواضع العبادات رجعت للعادات ، بل بعض العبادات قد صارت اليوم وسائل للدخول فى الدنيا وأكلها ، وبعضهم يفعلها للرياء والسمعة فى الغالب فإذا كان الأمر كذلك فالهرب من مواضع العبادات المشتملة اليوم على هذه المفاسد العديدة إلى قعود الإنسان فى بيته أسلم له بل أوجب عليه إن قدر ، انظره . وروى « السلامة من الفتنة لزوم البيت » وفى أمره صلى الله عليه وسلم بالإقامة فى البيوت رفق عظيم ورحمة شاملة لأمته ببركته صلى الله عليه وسلم ، وقال عليه الصلاة والسلام «نعم الصوامع بيوت أمتى » وكان بعضهم يقول : إذا رأيت الفساد قد كثر فى موضوع وعلا أمره فلا تخرج فرارا منه واعتزل ماقدرت عليه ، إذ قد تخرج منه فوجدت غيره أكثر منه فسادا ومناكر وبدعا واستعن بالله ، وفيه : واقلل من معرفة الناس فإنه ليس يأتيك ماتكره إلا ممن تعرف فإن كان لايأتيك ما تكره إلا من قبلهم فكلما قلوا كان خيرا ، وفيه: خمس يؤلمك غمها فى الدنيا وهى فى الآخرة أشد إيلاما إلا أن ينالك عفو الله عز وجل فاستقلل منها أو استكثر المزاح وكثرة الكلام والتعرف بالناس وإفشاء سرك إليهم والشكوى بحالك إلى الخلق ، ثم قال : واحسم التعارف البتة وافتقر إلى الله فى حوائجك فإنه لايضيعك إن شاء الله فإنه ليس زمان صحبة ولا مصادقة وإنما هو زمان الوحشة والغربة والفرار من الناس بقدر ماأمكن ، وقال : إذا رأيت إنسانا ولم تلزمك الضرورة إليه ففر منه فرارك من الأسد أو أشد ، وإن قدر اجتماعك معه مفاجأة فاقتصر فى الكلام معه واعتذر له بشغل واتركه بسلام اه (واعتزل سائر الورى) لسلامتهم من شرك وإذايتك إلا من لابد منه لأخذ العلم أو إصلاح الحال ، ورحم الله من قال :

لقاء الناس ليس يفيد شيئا ... سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا ... لأخذ العلم أو إصلاح حال

وعن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه قال لبعض إخوانه : أقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم ، وإن كان لك مائة صديق فاطرح منهم تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر ، ورحم الله من قال :

إياك أن تصطفى ممن ترى أحدا ... ولاتثق بامرىء فى حالة أبدا

ومن قال :

عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ماتراه ... يكون من الطعام أوالشراب

ومن قال :

فمن يثق الإنسان فيما يقوله ... ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ... ذئابا على أجسادهن ثياب

وفى [عف] وكل مبتدء لايحكم أساس بدايته بمهاجرة الألاف والأصدقاء والمعارف ويتمسك بالوحدة لاتستقر بدايته ، وقد قيل : من قلة الصدق كثرة الخلطاء وأبلغ ماله لزوم الصمت ، وأن لايطرق سمعه

كلام الناس فإن باطنه يتغير ويتأثر بالأقوال المختلفة ، ثم قال : وبواطن أهل الابتداء كالشمع [1] تقبل كل نقش ، وربما استضر المبتدى بمجرد النظر إلى الناس ، ويستضر بفضول النظر أيضا وفضول المشى فيغمس الأشياء كلها على الضرورة فينظر ضرورة ، حتى لو مشى فى بعض الطريق يجتهد أن يكون نظره إلى الطريق الذى يسلكه لايلتفت يمينه ويساره ، ثم يتقى موضع نظر الناس إليه وإحساسهم منه بالرعاية والاحتراز فإن علم الناس منه بذلك أضر عليه من فعله ولا يستحقر فضول المشىء فإن كل شىء من قول وفعل ونظر وسماع خرج عن حد الضرورة جر إلى الفضول ثم يجر إلى تضييع الأصول . قال سفيان : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول ، فكل من لايتمسك بالضرورة فى القول والفعل لايقدر أن يقف على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم ، ومتى تعدى الضرورة تداعت عزائم قلبه وانحلت شيئا بعد شىء . قال سهل بن عبد الله : من لم يعبد الله اختيارا يعبد الخلق اضطرارا ، وينفتح على العبد أبواب الرخص والاتساع ويهلك مع الهالكين ، ولاينبغى للمبتدى أن يعرف أحدا من أرباب الدنيا فإن معرفته له سم قاتل . وقد ورد : الدنيا مبغوضة الله فمن تمسك بحبل منها قادته إلى النار ، وماحبل من حبالها إلا كأبنائها والطالبين لها والمحبين فمن عرفهم انجذب إليها شاء أو أبى ، أنظره . وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه عن الفتن » قال الله تعالى إخبارا عن خليله - وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربى - استظهر بالعزلة على قومه . قيل العزلة نوعان : فريضة ، وفضيلة . فالفريضة : العزلة عن الشر وأهله ، والفضيلة : عزلة الفضول وأهله ، ويجوز أن يقال الخلوة غير العزلة فالخلوة من الأغيار والعزلة من النفس وماتدعو إليه وما يشغل عن الله ، فالخلوة كثيرة الوجود والعزلة قليلة الوجود . قال أبو بكر الوراق : ماظهرت الفتنة إلا بالخلطة من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا ، وما سلم إلا من جانب الخلطة . وقيل : السلامة عشرة أجزاء تسعة فى الصمت وواحد فى العزلة ، ثم قال : عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ليأتين على الناس زمان لايسلم لذى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذى يروغ » وفى رواية « كطائر بأفراخه أوكثعلب بأشباله ، قالوا ومتى ذلك يارسول الله قال : إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصى الله ، فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة . قالوا وكيف يارسول الله وقد أمرتنا بالتزوج؟ قال إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه ، فإن لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وولده ، فإن لم يكن له زوجة ولاولد فعلى يد قرابته . قالوا وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال يعيرونه بضيق المعيشة فيتكلف مالا يطيق حتى يورده موارد الهلكة» انظره . ورحم الله من قال :

وما ضرنى إلا الذين عرفتهم . جزى الله بالإحسان من لست أعرف

وفيه : قال محمد بن الحنفية رحمه الله : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لايجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا . وكان بشر بن الحارث يقول : إذا قصر العبد فى طاعة الله سلبه الله تعالى من يؤنسه فالأنس يهيئه الله للصادقين رفقا من الله تعالى وثوابا للعهد معجلا ، والأنس قد يكون مفيدا

---

(١) بفتحتين ما يستضاء به اهـ .

كالمشايخ وقد يكون مستفيدا كالمريد ، فصحيح الخلوة والعزلة لايترك من غير أنيس ، فإن كان قاصرا يؤنسه الله بمن يتمم حاله به ، وإن كان غير قاصر يقيض الله تعالى له من يؤنسه من المريدين ، وهذا الأنس ليس فيه ميل بالوصف الأعم بل هو بالله ومن الله وفى الله ، أنظره . وفيه : عن على بن سهل : الأنس بالله أن تستوحش من الخلق إلا من أهل ولاية الله فإن الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله .

وقد نبه القائل نظما على حقيقة جامعة لمعانى الصحبة والخلوة وفائدتهما ومايحذر فيهما بقوله :

وحدة الإنسان خير من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير من قعود المرء وحده

(ولاتستطب حديث أبناء غفلة) فتكون منهم قال تعالى - ولاتكن من الغافلين - ولاسيما فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - الآية ، فقلما تجد جماعة يجتمعون فيتذاكرون فى العلوم النافعة والحكم والمواعظ وأحوال الآخرة وأحوال السلف الصالح ، بل أكثر حديثهم الغيبة والنميمة والتملق والنفاق ومدح أنفسهم وجلسائهم بما ليس فيهم ، وذكر أحوال الدنيا والبحث عن أخبار أهلها والتفحص عمالا يلزمهم ولا يعنيهم فى دينهم بل شغلهم فيما يضرهم ويرديهم عاجلا وآجلا وهذا ديدن وشنشنة أبناء الزمان إلا من عصمه الله وقليل ماهم ، ولهذا قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه فى قصيدة كتبها لبعض أحبابه :

واعمر مجالس بالأذكار والأثر وبمواعظ أهل الله والحكم

اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة آمين . قال رحمه الله :

(وغُضَّ عن العَوْراتِ مِنهُم أعْيُناً وعنها تغافَلْ والعيوبِ وزَلَّةِ)

(وغض) بضم معجمة أمر من غض طرفه كرد خفضه واحتمل المكروه (عن العورات) الحسية والمعنوية (منهم) أى من الإخوان قال تعالى - إنما المؤمنون إخوة - (أعينا) قال تعالى - قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم - الآية . وفى [جص] « من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة من قبرها » وفيه : « من ستر عن مسلم عورة فكأنما أحياميتا » وفيه : « من ستر أخاه المسلم فى الدنيا فلم يفضحه ستره الله يوم القيامة » ورحم الله من قال :

ومن لم يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

وفى [جه] وتجنبوا البحث عن عورات المسلمين فإن تتبع ذلك فضح الله عورته وهتك عورة بنيه من بعده اه .

[وحكى] أن بعض الأولياء نام ذات يوم فرأى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يافلان قم من منامك فسافر إلى بلدة كذا فاسأل بها عن فلان المعداوى فأقرئه منى السلام وقل له أنت رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة ، فلما استيقظ سافر إليه فوجده لم يعمل خيرا فى نهاره فأعلمه بذلك وسأله عن عمله فقال له تزوجت بامرأة فلما دخلت بها ولدت عندى ولدا من أول ليلة فسترت عليها ولم أفضحها ، وأخذت الولد فجئت به للجامع وجلست أنتظر الناس فلما حضروا لصلاة الصبح تسارعوا إلى أخذ الولد فحلفت بالطلاق ما يأخذه إلا أنا فأخذته ورددته إلى أمه فربته وسترت عليها . وفى الحديث

(١) مفتحتين ، ابتضاء به اه .

« إن الله تعالى ستير يحب الستر » وفى آخر « إن الله تعالى يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه فيقول : أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول نعم أى رب ، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أنه قد هلك قال : فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا ، أنا أغفرها لك اليوم ، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه ، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد - هؤلاء الذين كذبوا على ربهم - ألا لعنة الله على الظالمين - » الآية (وعنها تغافل والعيوب) أى وتغافل عن عوراتهم وعن عيوبهم الحسية والمعنوية. وفى [جص] إذا أردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك . وفى [عف] قيل كان لبعضهم زوجة وكان يعلم منها ما يكره فكان يقال له استخبارا عن حالها فيقول لاينبغى للرجل أن يقول فى أهله إلا خيرا ، ففارقها وطلقها فاستخبر عن ذلك فقال امرأة بعدت عنى ولبست منى فى شىء كيف أذكرها ، وهذا من التخلق بأخلاق الله تعالى إنه سبحانه يظهر الجميل ويستر القبيح اه (و) تغافل عن (زلة) أى عن زلاتهم وعثراتهم ومساويهم . ورحم الله من قال :

تغافل من الإخوان عن كل زلة ... وإياك والتبصير فى زلة الأخ

وروى الترمذى « يامعشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لاتؤذوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عز وجل عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله » وروى الطبرانى « لايرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله الله بها الجنة » فاستر يا أخى إخوانك إن أردت أن تخرج من الدنيا مستورا فالجزاء من جنس العمل . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانطلق أبصارنا فى عيوب الناس ولا نسأل قط عن تحقيق ما سمعناه فى حقهم من التهم ونحفظ أسماعنا وأبصارنا عن مثل ذلك ، فمن شق جيب الناس شقوا جيوبه ، ومن كان عليه دين قديم قضاه لامحالة . وكان الحسن البصرى يقول : والله لقد أدركنا أقواما كانت عيوبهم مستورة فبحثوا عن عيوب الناس فأحدث الله لهم عيوبا . قال : ولقد عايرت مرة رجلا بذنب فلحقنى ذلك الذنب بعد خمس عشرة سنة ، انظره . [وروى] من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله اه . قال رحمه الله :

(تَصَدَّقْ لِوَجْهِ اللهِ زُرْ قَبْرَ مُسْلِمٍ ... وَلَا تَحْلِفَنْ إِلاَّ بِقَيْدِ الْمَشِيئَةِ)

(تصدق لوجه الله) تعالى لا لغرض فاسد من جلب نفع أو دفع ضر قال تعالى - وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى - وقال - إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم - الآية . وفى [جص] « إن الله تعالى يعجب من سائل يسأل غير الجنة ، ومن معط يعطى لغير الله ، ومن متعوذ يتعوذ من غير النار » (زر) لله (قبر) أخ (مسلم) فإن زيارة القبور من أعظم الدواء للقلب القاسى فإنها تذكر الموت والآخرة ، وذلك يحمل على قصر الأمل والزهد فى الدنيا وترك الرغبة فيها ، ولاشىء أنفع للقلوب القاسية من زيارة القبور . وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب [القبور] عن سيدنا عمر رضى الله عنه أنه مر بالبقيع فقال : السلام عليكم يا أهل القبور أخبار ما عندنا أن نساءكم قد تزوجن ودياركم قد سكنت وأموالكم قد فرقت ، فأجابه هاتف : ياعمر بن الخطاب أخبار ما عندنا أن ما قدمناه فقد وجدناه ، وما أنفقناه فقد ربحناه ، وما أخلفناه فقد خسرناه . وأخرج البيهقى أيضا عن بعضهم قال : دخلنا مقابر المدينة مع على رضى الله عنه فنادى : يا أهل القبور السلام عليكم ورحمة الله

تخبرونا بأخباركم أم تريدون أن نخبركم ؟ قال : فسمعنا صوتا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ياأمير المؤمنين ، خبرنا بما كان بعدنا ، فقال على رضى الله عنه : أما أزواجكم فقد تزوجت ، وأما أموالكم فقد قسمت ، وأما الأولاد فقد حشروا فى زمرة اليتامى ، والبناء الذى شيد تموه فقد سكنه أعداؤكم ، فهذه أخبار ماعندنا فما أخبار ماعندكم ؟ فأجابه ميت : قد تخرقت الأكفان وانتثرت الشعور وتقطعت الجلود وسالت الأحداق على الخدود وسالت المناخر بالقيح والصديد ، ماقدمناه وجدناه وما خلفناه خسرناه ونحن مرتهنون بالأعمال اهـ . فعلى أصحاب القلوب القاسية أن يعالجوها بأربعة أشياء . الأول : الإقلاع عماهم عليه بحضور مجالس الذكر والوعظ والعلم والتذكير والتخويف والترغيب والترهيب وأخبار الصالحين . والثانى : ذكر الموت فإنه هاذم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين . والثالث : مشاهدة المحتضرين . والرابع : زيارة القبور ، فإذا تأمل الزائر حال من مضى من إخوانه وكيف انقطع عنهم الأهل والأحباب ، وكيف انقطعت آمالهم ولم تنفعهم أموالهم ومحا التراب محاسن وجوههم وترمل من بعدهم نساؤهم وتيتمت أبناؤهم ، وإن حاله سيؤول إلى حالهم ومآله كمآلهم أقبل على الله ورق قلبه وخشع ، انظر العزيزى (ولاتحلفن) يمينا (إلا بقيد المشيئة) أى إلا إذا قلت إن شاء الله بقصد حلها خوفا من الحنث ، وسيأتى مافى ذلك إن شاء الله تعالى . قال رحمه الله :

(وَعظِّم ذَوِى عِلْمٍ وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمُ وَبِالْمُصْطَفَى فَاخْتِمْ بِأَحْسَنِ أُسْوَةٍ)

(وعظم ذوى علم) وعمل لأنهم رضى الله عنهم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وسيأتى عن [هب] أن تعظيم العلماء يزيد فى الإيمان ، جعلنا الله ممن يعظمهم ويبجلهم ويحسن إليهم حسا ومعنى آمين (وأحسن إليهم) بقدر الطاقة والإمكان . وفى [عف] عن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ليس منامن لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمناحقه » فاحترام العلماء توفيق وهداية ، وإهمال ذلك خذلان وعقوق اهـ . فالعلماء رضى الله عنهم رحمة لنا ومغفرة لذنوبنا . وروى أن سيدنا عمر رضى الله عنه قال : إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة ، فإذا سمع العالم خاف واسترجع من ذنوبه فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب . ويروى أن الله تعالى يطلع إلى مجلس عالم فيقول « ملائكتى وسكان سماواتى انظروا إلى عبادى قد اجتمعوا إلى عبد من عبادى يتلو عليهم آياتى ويذكرهم آلائى ، أشهدكم أنى قد غفرت لهم » - ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم - (وبالمصطفى) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (فاختم) الخصال التى يزيد بها الإيمان وفى محبة الرحمن (بأحسن إسوة) بكسر الهمزة وضمها أى اقتداء قال تعالى - لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة - وقال - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - والله تعالى أعلم وأحكم .

[فصل فى أسباب إحباط الأعمال وسوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى]

اعلم أن المحبطات منها مايتعدى إلى غيره ومنها مالا يتعدى . قال سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين فى جواب بعض - ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله - الآية مانصه : كما فى [جه وجع] فمن وقع فى ذنب وجاء إليه صلى الله عليه وسلم مستغفرا وتائبا وجد الله غفورا رحيما ، والإتيان له

صلى الله عليه وسلم بعد موته كحياته، وقبول التوبة والعمل من كل مؤمن مقطوع بهما إن صدر كل منهما على القانون الشرعى ظاهرا وباطنا، وسلمت من عوارض الإبطال منها مايكون فى ذات الفعل نفسه، ومنها مايكون خارجا عن الفعل، فالتى هى من ذات الفعل، هى الرياء والتصنع لجلب غرض من الخلق جلبا أو دفعا، والعجب هو عدم شهود المنة، وهذا الأخير لخاصة الخاصة فقط. وعوارض الإبطال الخارجة عن الفعل: كترك صلاة العصر حتى غربت الشمس من غير عذر كالنسيان والنوم، وكقذفه للمؤمن المحصن ورميه له بالزنى، وكأكله أجرة الأجير بعد وفاء عمله: وكتعمده أكل الحرام ولم يتب منه، وكالردة والعياذ بالله؛ وكذلك سب الصحابة رضوان الله عليهم كما ذكر فى الحديث «أنه لايقبل منه صرفا ولا عدلا» فكل ماكان من المحبطات فى ذات العمل تحبط العمل الذى وقعت فيه لاتتعدى لغيره، والمحبطات الخارجة عن الفعل هى التى تحبط كل عمل تقدمها اهـ. وزاد فى [جع] وكذلك سب أهل بيته لأنه يؤذيه صلى الله عليه وسلم ومن آذاه ملعون فى كتاب الله فمن باب أحرى إذهاب حسناته؛ انظره. قال تعالى - إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعدلهم عذابا مهينا - وفى [جص] ستة أشياء تحبط الأعمال: الاشتغال بعيوب الخلق وقسوة القلب، وحب الدنيا وقلة الحياء، وطول الأمل، وظالم لاينتهى اهـ. [فائدة] سئل سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين عمن أهدى له ثواب عمل ثم ارتكب شيئا من محبطات الأعمال أتحبط له تلك الهبة أم لا؟ فقال لاتحبط الهبة للموهوب إذا ارتكب شيئا من محبطات الأعمال غير الشرك بالله، لأن الهبة ليست من أعماله إنما تحبط إذ احبط عمل الواهب له، انظر [د] قال رحمه الله:

(وَلا تُحْبِطُوا الأَعْمَالَ بِالْعُجْبِ وَالرِّيَا وَنَحْوِ التَّصَنُّعِ ابْتِغَاءِ لِسُمْعَةِ)

(ولاتحبطوا) من الإحباط وهو الإبطال (الأعمال) جمع عمل قال تعالى - ولاتبطلوا أعمالكم - وقال - ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى - الآية (بالعجب) بالضم كقفل الزهو والكبر وأما بالفتح كفلس، فأصل الذنب وآخر كل شىء. وفى [جص] إن العجب ليحبط عمل سبعين سنة. قال العزيزى: وهو نظر الإنسان إلى نفسه بعين الاستحسان وإلى غيره بعين الاحتقار اهـ. وفى [جه] واحذر من العجب جهدك فإنه يفسد العمل، وفيه: وسألته رضى الله عنه عن حقيقة العجب فأجاب رضى الله عنه بقوله، هو استعظام العمل ونسيان منة الله عليه، وحقيقة الرياء هو العمل لأجل الناس لرجاء نفع منهم حسى أو معنوى أو لدفع ضر أو خوف منهم، وحقيقة العمل هو مطابقة أمر الله ظاهرا وباطنا من حيث ماهو هو. ونية التوجه إلى الله بامتثال أمره، والذى يعمل لله متوجها إليه راجيا منه الثواب على عمله فهذا محل تدافع فيه الرجال، فمن قائل بإبطاله ولا ثواب له ومن قائل بصحته وصحة ثوابه، ومن قائل بإبطال العمل حتى يرجو الثواب عليه، والتحقيق فى هذا أن العمل لله تعالى خالصا لا للثواب ولا للطمع هو الأفضل وإلا على دليله قوله سبحانه وتعالى ماحكى عنه فى الزبور. ويقول: إن أود الأوداء[1] من عبدنى لغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها. وحكى عنه فى بعض الكتب المنزلة يقول فيها: ومن أظلم ممن عبدنى لجنة أو لنار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لأن أعبد، وإن كان لطمع ورجاء الثواب فالعمل صحيح مقبول مثاب عليه اهـ. والعجب منهى عنه كتابا وسنة قال تعالى - ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم

---

(١) جمع ودود اهـ.

فلم تغن عنكم شيئا ـ وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » وقال ابن مسعود : الهلاك فى اثنتين : القنوط ، والعجب . وقال مطرف : لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب إلىّ من أن أبيت قائما وأصبح معجبا . وقال صلى الله عليه وسلم « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أكبر من ذلك العجب للمعجب » فجعل صلى الله عليه وسلم العجب أكبر الذنوب ، انظر [حى] . وفى [خل] فأول مايتقى المريد الرياء والعجب والشهرة والكبر لأنه سم قاتل ، أدنى الأشياء منه يحبط الأعمال كلها ، وقد يخفى فى بعض الأحوال لأنه أخفى من دبيب النمل كما ورد ، انظره (والريا) قصره للوزن من راءاه مراءاة ورئاء أراه على خلاف ما هو فيه ، وأصله طلب المنزلة فى قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير والبر وهو حرام كتابا وسنة وصاحبه ممقوت عند الله ، وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار والآثار منها قوله تعالى ـ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ـ ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به » وقوله صلى الله عليه وسلم « لايقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال ذرة من رياء » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن المرائى ينادى عليه يوم القيامة يافاجر ياغادر يامرائى ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يارسول الله؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا انظروا هل تجدون عندهم الجزاء » وقوله صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل « فيم النجاة يارسول الله؟ أن لايعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس » وقال سيدنا على رضى عنه : للمرائى ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان فى الناس ، ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم ، انظر [حى] . وفيه : قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى وأبدل علانيتى صالحة » وقال يزيد بن الحارث : إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف ، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل ، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور . وأنشدوا :

إذا السر والإعلان فى المؤمن استوى　　فقد عز فى الدارين واستوجب الثنا
فإن خالف الإعلان سرا فما له　　على سعيه فضل سوى الكد والعنا
فما خالص الدينار فى السوق نافعا　　ومغشوشه المردود لا يقتضى المنا

وقال عبد الله بن الغافر : إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول : هذا عبدى حقا ، انظره . وروى : « إن من راءى بعمله ساعة حبط عمله والذى كان قبله » . وفى [جص] « إن الله حرم الجنة على كل مراء » ، وفيه : من أحسن الصلاة حيث يراه الناس ثم أساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه » اه . وذلك من علامة الرياء والعياذ بالله ، وفيه : « إن العبد إذا صلى فى العلانية فأحسن وصلى فى السر فأحسن قال الله تعالى هذا عبدى حقا » . وفى الحكم : استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك فى عبوديتك ، غيب نظر الخلق إليك بنظر الحق إليك وغب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك ، انظره . قال بعض العارفين : من أحب أن يطلع الناس على عمله فهو مراء ، ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو كذاب ، فعلى العبد إخفاء حاله جهده وأن يبلغ فى كتمانه أقصى ما عنده اه . اللهم ملكنا أنفسنا ولا تسلطها علينا ولا تكلنا إليها طرفة عين . اللهم

اغمسنا فى دائرة فضلك ورضاك وفى فضل ورضى رسولك الشفيع المشفع سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

إن لم يكن فى معادى آخذا بيدى ... فضلا وإلا فقل يازلة القدم
حاشاه أن يحرم الراجى مكارمه ... أو يرجع الجار عنه غير محترم
يا أكرم الرسل مالى من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بى ... إذا الكريم تجلى باسم منتقم

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نجاهد نفوسنا حتى يكون سرنا وعلانيتنا سواء ولا نسامحها قط فى عدم استواء ذلك ، كل ذلك خروج من صفة النفاق ، ومن أن نستخفى من الناس ولا نستخفى من الله. ومن وصية الخضر عليه السلام للسيد عمر بن عبد العزيز : إياك أن تكون وليا لله فى العلانية وعدواً له فى السر ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك اه . وفى [هب] أخبرنا كيف يكون عملنا من صدقة وغيرها خالصا لوجه الله تعالى ؟ فقال رضى الله عنه : كل ما عملته بقصد الأجور والحسنات فهو عمل لغير الله تعالى ، ولا بد أن يعرض فيه الوسواس فتقول فى نفسك إذا تصدقت بالقصد السابق لعل المتصدق عليه ليس أهلا للصدقة وإن كان أهلا فلعل هناك من هو أولى وأحق بها منه وأقرب إلى الله تعالى فى قبولها ، وقد فاتنى إلى أن تختم وساوسك بقولك وهل قبلها الله منى أم لا ؟ وكل عمل دخله الوسواس فلا نصيب فيه لله تعالى ، إذ الوسواس من الشيطان والشيطان لايقدر على القرب من العمل الذى هو لله سبحانه وتعالى ، فقال السائل ياسيدى وإذا تصدقت لا بقصد الأجور والحسنات ولكن بقصد القرب من الله تعالى فهل يضر ذلك أم لا ؟ فقال رضى الله عنه : نعم يضر ، وقصد القرب علة من العلل والعمل لأجله إنما صدر لغرض من الأغراض . قال : وإنما معنى العمل لله خالصا عند أهله هو أن يعلموا ماربهم عليه من أوصاف الجلال والكمال والكبرياء والعظمة وما له عليهم من النعم التى لا تعد ولا تحصى فيرونه أهلا لأن يخضع له ومستحقا لأن يخشع منه ، ولا يخطر ببالهم حظ من حظوظ نفوسهم قط فضلا عن أن يكون عملهم لأجله . بل يرون أنهم لو عبدوا ربهم أبدا وأطاعوه سرمدا بأشق عبادة تصورا وأثقل تكليف يفرض مع تطاول الأعمال واستمراره عليه مادامت الأعصار ماقاموا بشىء من الحق الواجب للرب سبحانه على المربدين ، وإنما يتصور من العبد أن يعمل لحظوظ نفسه أن لو فرغ من القيام بحقوق ربه وإذا لم يستطع أبداً أن يوفى بواحد منها فكيف يطمع أن يوفى بها كلها أم كيف يطمع أن يتفرغ للعمل لحظوظ نفسه . ثم قال رضى الله عنه : إذا تأملت ما قلناه علمت أن العمل للأجور قاطع عن الله تعالى وعن القيام بحقوقه ولهذا كان لا يزيد صاحبه إلا بعدا من الله عز وجل. قال : وإذا عبدت الله تعالى لكونه أهلا لذلك لم يمكن أن يدخل عبادتك وسواس أبدا ، فقلت ياسيدى فإذا كان المتصدق يرى حين إخراج الصدقة أن المال لله لا له وذاته هى لله لا له وذات المسكين المتصدق عليه لله فهو يرى أن الكل لله فيخرج صدقته على هذه النية ولا يرى لنفسه شيئا أصلا فكيف تكون صدقة من هذه صفته ؟ فقال رضى الله عنه : من أحسن ما يكون ، انظرة . وفيه : وعبادة العارفين بالله تعالى إنما هى لأجل وجوده الكريم وذاته الرفيعة فيفعلونها إجلالا وتعظيما ومهابة وتوقيرا ويعلمون أنهم لو عبدوا طول عمرهم ونطحوا الصخور بجباههم دائما سرمدا وفرا بشىء

من حقوق الربوبية فكيف يطلبون لأنفسهم أجورا لأنه لايطلب الأجر إلا من رأى أنه قام بالحق وأدى الواجب ، وهم رضي الله عنهم يرون أنفسهم مقصرين ما قاموا لله بشيء مع أنهم يشاهدون الفعل الصادر منهم إنما هو منه تعالى لا منهم فكيف يطلبون الأجر على ما فعله غيرهم ، انظره . قال تعالى - والله خلقكم وما تعملون - وفي [جه] ومن كلامه رضي الله عنه قال: شرك الأغراض هو أحد الأقسام الستة ، والمراد به عند أهل الشريعة هو عمل أعمال البر لغير الله بل لأجل نيل محمدة من الخلق أو تحصيل غرض من قبلهم أو دفع مضرة منهم أو اتقاء مذمة أو العمل لأجل نيل القصور والحور في الجنة مجردا وخلوه عن امتثال أمره ، وأما إذا نوى بعبادته وعمله وجه الله تعالى وامتثال أمره وأداء حق ربوبيته والتقرب إليه وعبادته لأجله لالشيء غيرها ، ورجا مع ذلك من فضل الله عز وجل مايهيء له من الحور والقصور وغيرها ، لا لأجل عبادته بل بمحض الفضل والكرم والتصديق بوعد الله عز وجل فذلك لاحرج فيه ولا قادح في إخلاصه ، وإنما يذهب إخلاصه إذا عمل لأجل نيلها خاليا عن إرادة وجه الله عز وجل وعن عبادته لأجله فهذا هو الذي يقال له عابد هواه وعمله محبط بغير خلاف بل وعليه الإثم زائدا على الإحباط ، وإن من عبد الله لأجله أو لإرادة وجهه أو ابتغاء مرضاته أو امتثال أمره أو توفية أمره بعبادته أو أداء لحق العبودية أو قياما بحقوق الربوبية أو تعظيما له أو إجلالا له أو محبة له أو حياء منه أن يراه تخلف عن أمره أو شوقا إليه أو شكرا لنعمه فهو مخلص حقا ولا يخالطه رياء حيث تجرد عن الأغراض التي تقدمت ، وإن من عبد الله عز وجل بجميع أنواع الإخلاص فهو المخلص الكامل ، ثم إن قارنه الرجاء لفضل الله عز وجل ورجا الحور والقصور ونعيم الجنة بمحض الفضل واعتقد أن الله عز وجل يهبه عندها لابها فلا قادح في إخلاصه عند أهل الشريعة ، وأما عند العارفين فذلك من شرك الأغراض . والإخلاص عندهم تجديد العبادة لوجه الله عز وجل وعبادته لأجله وإسقاط الرجاء من غيره أنفة منهم أن يلتفتوا إلى الأكوان بقلوبهم لحظة أو يعوّلوا عليها لمحة [1] ويحبون منها شيئا مع المحبوب الأكبر وهو الله عز وجل ، انظره ، وفي [صم] وروى ابن حبان في غير صحيحه والحاكم وغيرهما عن معاذ بن جبل مرفوعا « إن الله خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض . ثم خلق السموات فجعل في كل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها ، فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين يصبح إلى حين يمسى له نور كنور الشمس حتى إذا صعدت به إلى السماء الدنيا ذكرته فكثرته ، فيقول ذلك الملك للحفظة : اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة ، أمرني ربي أن لا أدع عمل من يغتاب الناس يجاوزني إلى غيري . قال : ثم تصعد الحفظة بالعمل الصالح من أعمال العبد حتى يبلغ به إلى السماء الثانية ، فيقول الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا وكان يفتخر على الناس في مجالسهم . قال : ثم تصعد الحفظة بعمل العبد من صدقة وصيام وقيام ليل يبتهج نورا إلى السماء الثالثة ، فيقول الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمل من يتكبر على الناس بعمله يجاوزني إلى غيري . قال : ثم تصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وغير ذلك إلى السماء الرابعة ، فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان يشمت [2] بالناس إذا أصابتهم مصيبة . قال : وتصعد

---

(١) لمحة كثمرة اه . (٢) بفتح تحتية وميم من شمت كفرح ، وزنا ومعنى اه .

الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وجهاد وغير ذلك من فعل الخيرات إلى السماء الخامسة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الحسد أمرنى ربى أن لا أدع عمل من يحسد الناس يجاوزنى إلى غيرى . قال : ثم تصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السادسة كأنه العروسة المزفوفة إلى بعلها، فيقول لهم الملك الموكل بها :قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك العجب أمرنى ربى أن لا أدع عمل من يعمل ويعجب بعمله يجاوزنى إلى غيرى . قال ثم تصعد الحفظة بعمل العبد له دوى كدوى النحل وضوء كضوء الشمس إلى السماء السابعة . فيقول لهم الملك الموكل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أمرنى ربى أن لا أدع عمل من أراد غير وجهه أن يجاوزنى إلى غيرى ، فتقول الملائكة الذين يشيعونه وهم ثلاثة آلاف ملك : يارب ماعلمنا عليه إلا خيرا ، فيقول الله عز وجل: أنتم الحفظة على عمل عبدى وأنا الرقيب على قلبه إنه أراد بعمله هذا رفعة عند الأمراء وذكرا عند العلماء وصيتا فى المدائن قال : ثم تصعد الحفظة بعمل العبد إلى مافوق السموات وتشيعه ملائكة الحجب حتى يقفوا به بين يدى الله عز وجل، فيقول الله عز وجل :إنه أراد بعمله هذا غير وجهى فعليه لعنتى ، فتلعنه الملائكة كلهم » انظره - إنا لله وإنا إليه راجعون - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين .

(و) لاتحبطوا الأعمال أيضا (بنحو التصنع) أى بتصنع ونحوه وهو تكلف حسن السمت والتزين للغير بدون نية صالحة بل بنية فاسدة ، وهو نوع من الرياء بل هو النفاق بعينه ، إذ معنى النفاق أن يظهر بلسانه وجوارحه ماليس فى قلبه نسأل الله السلامة والعافية (ابتغاء) أى طلبا (لسمعة) بضم السين وفتحها وكقصبة وهى مانوه بذكره ليرى ويسمع وهى مشتقة من السماع . وفى [جص] « من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به » أى أن من راءى بعمله وسمعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه انظر العزيزى ؛ وفيه « أشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى الناس أن فيه خيرا ولا خير فيه » وفى [عف] ويجتنب يعنى المريد الصادق التصنع فى أكل الطعام ويكون أكله بين الجمع كأكله منفردا فإن الرياء يدخل على العبد فى كل شىء . وصف لبعض العلماء بعض العباد فلم يثن عليه قيل له تعلم به بأسا ؟ قال نعم رأيته يتصنع فى الأكل ومن تصنع فى الأكل لايؤمن عليه التصنع فى العمل اه . وفى [جه] ويحذر من المعاصى القلبية كالكبر والعجب والرياء والسمعة ونحو ذلك أكثر مما يحذر من الظاهرة ويقول إنها خفية والأخرى لاتخفى ، ويبالغ فى تقبيح العجب والكبر ويقول إن صاحبهما ممقوت وهما من أعظم المعاصى القاطعة عن الله عز وجل ، انظره . وفى [هب] وسمعته رضى الله عنه يقول : إن المحجوب لايخلو من الرياء والسمعة إلا إذا كان يرى فى كل لحظة أن أفعاله مخلوقة لله تعالى لايغيب عنه ذلك فى حالة الفعل، فمهما غاب عنه ولو طرفة عين وقع فى الرياء والسمعة والعجب ، انظره . وفى [خل] واعلم أن ابليس قد نصب لك حبائله وأقعد لك الرصدة على كل منهل وقد سلط أن يجرى منك مجرى الدم فى العروق ويراك هو وأعوانه من حيث لاتراهم . واعلم أن يأتيك من قبل الرياء والعجب والكبر والشك والإياس والأمن من المكر والاستدراج وترك الإشفاق، فإن تابعته فى شىء من ذلك فأنت على سبيل هلكة فحينئذ يخلى بينك وبين ماشئت من العمل فإن خالفته أتاك من قبل النصيحة ، وهذه الخصال التى وصفت لك كلها أشد من المعاصى وصاحبها لايكاد يتوب

من شيء منها وربما انتبه العبد فتاب منها ، انظره . (وفيه) : قال بعض الحكماء : إن الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي ، فإن امتنع منه أتاه من وجه النصيحة ليستدرجه فلا يزال به حتى يلقيه في بدعة، فإن امتنع عليه أتاه من جهة الحرج والشدة ليحرم حلالا أو يحل حراما ، فإن امتنع عليه أتاه من قبل الوضوء فيشككه في وضوئه وصلاته وصيامه حتى يعتقد بهواه أمرا يضل به عن السبيل ويدع العلم ، فإذا قدر منه على شيء من ذلك خلى بينه وبين العبادة والزهد وقيام الليل والصدقة وكل أعمال البر ويخفف ذلك عليه ، ثم قال : ويمدله إبليس الصوت فيعجب بعمله فيكون فتنة لكل مفتون . ومن علامته الإعجاب برأيه والإزراء على من لا يعمل مثل عمله ، ويكون نظره للناس بالاحتقار لهم ويتغضب عليهم في التقصير به ، انظره . قال رحمه الله :

(وقذفِ لمُحصَنٍ ورَميه بالزنى وَتركِ صلاةِ العصرِ مِنْ غيرِ عِلةِ)

(وقذف) أي ولا تحبطوا الأعمال أيضا بقذف يقال قذفه بذال معجمة رماه بالزنى (لمحصن) ولمحصنة بفتح الصاد وكسرها (ورميه) بالزنى عطف تفسير قال تعالى - إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم - وروى مسلم « من قذف محصنة مؤمنة أحبط الله له عمل مائة سنة » وفي [جص] إن قذف المحصنة ليهدم عمل مائة سنة . وفيه : « من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جلد يوم القيامة حدا إلا أن يكون كما قال » . وفيه « من قذف ذميا حد له يوم القيامة بسياط من نار » اه (وترك) أي ولا تحبطوا الأعمال أيضا بترك (صلاة العصر) إلى الغروب لأنها الصلاة الوسطى عند الأكثر ، وفي الحديث « من فاته العصر فكأنما وتر أهله وماله » وفي [جص] « من ترك صلاة العصر حبط عمله » وفي رواية « متعمدا » وفيه « بكروا بالصلاة في يوم الغيم فإنه من ترك صلاة العصر حبط عمله » وفيه « ألا أخبركم بصلاة المنافق أن يؤخر الصلاة حتى إذا كانت الشمس كثرب البقر صلاها » والثرب بفتح مثلثة كفلس : شحمها الرقيق الأصفر . وفي البخاري عن بريدة رضي الله عنه بكروا بصلاة العصر فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » اه .

[لطيفة] أخبرني من أثق به أنه كان أياما عند بعض ولاة الوقت فصار يؤخر العصر إلى اصفرار الشمس فنهاه عن ذلك فأبى إلا دأبه وعادته ، فساعده أياما حيث اتخذه إماما ، فاستغاث بمولاه فأنقذه من وحلته ورجع لمحلته فأخبره أهله وقد توفي لهما صبي رضيع بأنها رأته في حجر مرضعته وقال لها قولي لأبي : صل صل لا تؤخر الصلاة يكرر لها ذلك ، فعلم من أين دهي وأصيب فتاب إلى الله ولم يعد، فلله الحمد وله المنة إذا أحب الله عبدا عاتبه في منام أو عجل له العقوبة . اللهم إنا نسألك العفو والعافية والسلامة في الدين والدنيا والآخرة آمين . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهاون بترك الاستعداد للعصر خوف الفوات ، ولو كان من عادتنا الاستعداد لجميع الصلوات فنجعل للعصر مزيد اختصاص لأجل ما ورد من تحذير الشارع صلى الله عليه وسلم من تركها زيادة على غيرها ، وهي الصلاة الوسطى بإجماع أهل الكشف ، حتى كان سيدي مدين وسيدي محمد ابن أخته، وتلامذته الأجلاء الصالحون كسيدي على المرصفي وسيدي محمد السروي لا يخرجون من بيوتهم إلا لصلاة العصر فكانوا يصلون جماعة في البيت فيما عدا العصر ، أما هو فيخرجون له إلا أن يكون أحدهم

فى جمعية غالبة عليه ، ثم قال : وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : ما أهاب شيئا من الصلوات الخمس مثل ما أهاب صلاة العصر ، فقيل له لمـــاذا ؟ فقال السر لا يفشى ، ثم قال : وروى مالك والشيخان وغيرهم مرفوعا « الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله » قال مالك : ومعناه ذهاب الوقت : أى فكأنما ذهب أهله وماله من حيث الأسف والحزن .

قلت : وقد نمت مرة بعد العصر قبل أن أصليها فرأيت فى المنام أخوىّ قد أشرفا على الموت فاستيقظت مرعوبا وتذكرت هذا الحديث فأدركتها قبل المغرب بنحو عشر درج (١) والله أعلم انظره. وفى الحديث « من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر » (من غير علة معتبرة شرعا . وأما تاركها لعذر شرعى فلا إثم ولا حرج فيه قال تعالى - وما جعل عليكم فى الدين من حرج - وفى الحديث « ليس فى النوم تفريط إنما التفريط فى اليقظة أن تؤخر صلاة حتى يدخل وقت صلاة أخرى » وفى مختصر خليل رحمه الله وأثم إلا لعذر بكفر وإن بردة وصبا وإغماء وجنون ونوم وغفلة إلى آخره ، انظره وانظر شراحه . قال رحمه الله :

(وَمَنعِ الأجيرِ أجرَةً بعدَ كَدِّهِ ... وأكلِ الحرامِ الصِّرْفِ عَمداً وَرِدَّةٍ

بِنِسبَةِ نِدٍّ أو حُدُوثٍ لِرَبِّنا ... ونِسبةِ فِعْلٍ لِلعَبْدِ بخِلْقَةٍ)

(ومنع الأجير) أى ولا تحبطوا الأعمال أيضا بمنع الأجير : أى المستأجر على عمل شىء (أجرة) أى أجرة عمله (بعد كده) أى تعبه واستيفاء عمله . وفى [جص] « من ظلم أجيرا أجرته أحبط الله عمله وحرم عليه ريح الجنة ، وريحها يوجد من خمسمائة عام » . (وفيه : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : حر باع حرا ، وحر باع نفسه ، ورجل أبطل كراء رجل حين شف رشحه (٢) . وفيه : « قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره » اهـ . قال المناوى : لأن الأجير عبد الله وغلة العبد لمولاه » ، انظر العزيزى . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نفرّ من مواضع غضب الله عز وجل التى جعل نفسه خصما لنا فيها كعدم إعطاء الأجير أجرته أو عدم إعطاء الذى ظلم ظلامته ونحو ذلك مما ورد ، فمن استهان بذلك استحق إدخاله النار . وقد كان سيدى أحمد الزاهد يعطى العملة من البنائين أجرتهم من صلاة العصر خوفا من تأخير إعطائهم عن الفراغ من العمل ، انظره . ورووى « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » اهـ . وعن أنس رضى الله عنه : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم ولم يكن يظلم أحدا أجره » أى لم يكن ينقص من أجره شيئا ولا يرده بغير أجر - لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة - (وأكل الحرام الصرف) أى ولا تحبطوا الأعمال أيضا بأكل الحرام الصرف بكسر الصاد كضرس : الخالص المحض (عمدا) أى من غير استناد إلى تأويل معتبر شرعا ولبسه مثل أكله وسكناه وركوبه كذلك ، قال تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - وفى [حى] وفى حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا على بيت المقدس ينادى كل يوم من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل » فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة . وقال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم حرام لم يقبل الله منه صلاته مادام

(١) جمع درجة كقصبة اهـ . (٢) أى عرقه . اهـ.

عليه منه شيء » وقال صلى الله عليه وسلم « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » انظره ، ورحم الله من قال :

وكل لحم من حرام قد نبت فالنار قل أولى به كما ثبت

ثم قال ابن عباس رضى الله عنهما : لايقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام . وعن سهل يقال من أكل الشبهة أربعين يوما أظلم قلبه ، وهو تأويل قوله تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يبال من أين اكتسب المال ، لم يبال الله من أين أدخله النار » وقال صلى الله عليه وسلم « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه فى النار » اه . وفيه : وفى الحديث « من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار » و فيه : وعن الثورى : من أنفق من الحرام فى طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول ، والثوب النجس لايطهره إلا الماء ، والذنب لايكفره إلا الحلال . وقال بعض السلف : إن أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له ماسلف من ذنوبه ، ومن أقام نفسه مقام ذل فى طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر ، انظره . وفى [جع] وأوصيكم بالبعد عن أكل الطعام أو المال حراما شرعا فإن المداوم على ذلك يحبط عمله لامحالة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم «ليجيئن أقوام يوم القيامة معهم من الحسنات أمثال جبال تهامة حتى إذا جيء بهم صارت هباء منثورا ، فقالوا يارسول الله من هؤلاء فوالله لنخشى أن نكون منهم ؟ فقال : إنهم كانوا يصومون ويصلون ويأخذون وهنا من الليل ولكنهم إذا لاح لهم لائح من الحرام وثبوا عليه فأدحض الله أعمالهم وقذفهم فى النار » ثم الحرام وإن عم الأرض كلها فله أحوال فى التحليل على حسب الضرورات والأعذار ، انظره . وقد مر عن [٨] : الأمر الثانى مما أوصيك به ترك المحرمات المالية شرعا أكلا ولباسا ومسكنا فإن الحلال هو القطب الذى تدور عليه أفلاك سائر العبادات ومن ضيعه ضيع عبادة العبادة . وإياك أن تقول أين تجده ؟ فإنه كثير الوجود فى كل أرض وفى كل زمان لكن يوجد بالبحث عن توفية أمر الله ظاهرا وباطنا ومراعاة ضرورة الوقت إن لم يوجد الحلال الصريح ، وهذا المحل يحتاج إلى فقه دقيق واتساع معرفة بالأحكام الشرعية ومن كان هكذا لم يصعب عليه وجود الحلال ، انظره . قال تعالى - فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون - لكن كما قال :

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الذئاب لها رعاء

- إنا لله وإنا إليه راجعون - اللهم أجرنا فى مصيبتنا وأعقبنا خيرا منها آمين (وردة) أى ولا تحبطوا الأعمال أيضا بردة بكسر الراء اسم من الارتداد وهو الرجوع عن دين الإسلام إلى دين الكفر والعياذ بالله تعالى - ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - والردة تكون (بنسبة ند) بكسر النون المثل جمعه أنداد (أو) بنسبة (حدوث لربنا) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . (ونسبة فعله) أى الله تعالى من نحو خلق ورزق وإحياء وإماتة وإتيان بمطر وغير ذلك (لعبد) من عباده كولى ونحلق من مخلوقاته كنجم (بخلقة) بكسر معجمة الفطرة كالخلق بالفتح أى بإيجاد وإعدام . وفى مسلم عن زيد بن خالد الجهنى قال : « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فى أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر

فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب » ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب » وفى [جه] أما الردة والعياذ بالله تعالى ، فلها أسباب كثيرة قولية وفعلية وهى قليلة. أما القولية فنها ماهو معلوم عند عامة الناس كنسبة الحدوث للمولى تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، إما تصريحا أو التزاما كنسبة الشريك ، والشريك إما تصريحا أو بنسبة أفعال الله لغيره كالقدرية ومن فى معناهم من الجهال وبقدم شىء من العالم ، انظره . وفى مختصر خليل رحمه الله : الردة كفر المسلم بصريح أو لفظ يقتضيه أو فعل يتضمنه كإلقاء مصحف بقذر . قال الشيخ البنانى : القذر مايستقذر ولو طاهرا كالبصاق ، وهذا ظاهر إذا لم يفعل ذلك للضرورة ، أما إن بل أصابعه لقصد قلب أوراقه فهو وإن كان محرما لا ينبغى أن يتجاسر على القول بكفره وردته لأنه لم يقصد التحقير الذى هو موجب الكفر فى هذه الأمور ، ومثل هذا من رأى ورقة مرمية فى الطريق ولم يعلم ماكتب فيها فإنه يحرم عليه تركها فى الطريق لتوطأ بالأقدام . وأما إن علم أن فيها آية واحدة أوحديثا وتركها فإن ذلك ردة قاله الشيخ المسناوى . قال الزرقانى : وأراد بالمصحف ما فيه قرآن ولو آية بل ولو حرفا منه ، وكإلقائه عدم نزعه منه لأن الدوام كالابتداء ، ويجب ولو على جنب نزعه منه ، ثم قال : وكإلقائه إلقاء أسماء الله تعالى وأسماء الأنبياء لحرمتها ، انظره قال رحمه الله :

(وَمِنْهَا تَهَاوُنٌ بِرُتْبَةِ خَالِقِي   وَشَتْمٍ لِأَمْلَاكٍ وَأَهْلِ النُّبُوَّةِ)

(ومنها) أى ومن الردة عائذا بالله من ذلك (تهاون) من تهاون بالشىء استخف به ولم يبال به (برتبة خالقى) سبحانه وتعالى عما يصفون . وفى الشفا : لاخلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم . واختلف فى استتابته قيل يقتل بلا استتابة وهو رواية ابن القاسم عن مالك ، وقيل يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، وهو رواية مطرف ، انظره .

وفى [جه] ومنها : أى ومن أسباب الردة صدور التهاون بجلال الله وعظمته جهلا أو عنادا كالشتم والسب وتهور اللسان فى جانب الحق نعوذ بالله منه ، أو يريد شتم العبد فيغير اسم الله أو صفة من صفاته كما شاهدناه كثيرا فى ألسنة العامة فى أسماء العبيد المضافة لأسماء الله كعبد الحق وعبد الكريم وعبد الرحمن وعبد الحاكم وعبد القادر وعبد البر وعبد الرزاق وعبد الحميد وعبد الرحيم وعبد الغفور وعبد الغفار وعبد الستار وعبد الحليم وعبد الجليل ، وهكذا حتى تعد أسماء الله المضافة للخلق فإن تغييرها ردة ولم يعذر صاحبها بعدم قصده اسم الله ولا بجهله ، وهذا مذهب سيدنا رضى الله عنه فى هذا الباب ، انظره .

(و) منها (شتم) أى سب (لأملاك) جمع ملك على نبينا وعليهم الصلاة والسلام فإنهم - عباد مكرمون لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون - وفى الشفا قال القاضى بقرطبة سعيد بن سليمان فى بعض أجوبته : من سب الله تعالى وملائكته قتل . وقال سحنون : من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل ، ثم قال : وقال أبو الحسن القابسى فى الذى قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان : لو عرف أنه قصد ذم الملك لقتل ، انظره (و) منها شتم (أهل النبوة) على نبينا وعليهم الصلاة والسلام . وفى [جص] «من سب الأنبياء قتل» . وفى الشفا : ومن رواية أبى المصعب وابن أبى أويس : سمعنا مالكا يقول : من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب . وفى كتاب محمد أخبرنا أصحاب مالك أنه من سب النبى صلى الله عليه وسلم

أوغيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب . وقال أصبغ : يقتل على كل حال أسرّ ذلك أو أظهره ، ولايستتاب لأن توبته لاتعرف ، وفيه : اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق به نقصافي نفسه أو دينه أو نسبه أو خصلة من خصاله أو عرّض به أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل ، ثم قال : وكذا من لعنه أودعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب إليه مالا يليق بمنصبه على طريق الذم أوعبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور ، أو عيره بشيء مما جرى من المحنة والبلاء عليه ، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه ، وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا، انظره. ومثل نبينا في ذلك كله جميع الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام. وفيه: وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته أواستخف بهم أوكذبهم بما أتوا به أوأنكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه الصلاة والسلام على مساق ماقدمناه. قال الله تعالى ـ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ـ الآية ، انظره .

وفي [جه] ومنها : أي ومن الردة التهاون برتبة النبوة والملائكة كصدور شتم وتهور لسان ونسب إليهم ما يحط قدرهم عن مراتبهم العلية كارتكاب المنهيات أوعيب في ذواتهم وما في معناه اه .

قلت : ومن هنا يعلم علم يقين كل مؤمن سعيد أن ما ينسبونه لسيدنا أيوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام مما تشمئز منه القلوب السليمة من العيوب ومما لايرضى به علام الغيوب لايحل أن يروى ويذكر فضلا عن أن يسطر فضلا عن أن يعتقد ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ـ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ـ آمين . وقد أشفى سيدنا أبو الفيض رضي الله عنه وعنا به آمين في ذلك الغليل وأبرأ فيه العليل كما في [جع] ونصه : سئل سيدنا رضي الله عنه عن قوله تعالى ـ وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر ـ ما المراد بهذا الضر الذي مسه حتى طلب من الله كشفه هو ضر البدن كما يقوله أهل التفسير أوغيره كما في الإبريز ، ولا تظن صاحبه يقوله لأنه قطب ، وأن العارف لايلتفت لغير الله ، فكيف يقال هذا في حق الرسول . قال بعض العارفين : فلو كلفت أن أرى غيره ما استطعت وكلام العارفين في هذا المعنى كثير ، وإذا كان هكذا فكيف يتصور الالتفات في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؟ فأجاب رضي الله عنه : اعلم أن الضر الذي ذكره أيوب عليه السلام لاطريق إلى الجزم بتعيينه بشيء إلا من قبله صلى الله عليه وسلم ، ولم يحفظ عنه في هذا الباب شيء فوجب التوقف عن تعيينه لعدم النص فيه اه .وأما ماقاله في الإبريز من الالتفات لغير الله الذي صورته الغفلة عن الله والميل عنه بمتابعة الهوى ، فهذا لايتأتى في حق العارفين فكيف بالنبيين عليهم الصلاة والسلام ، وإنما التلفت لغير الله عند العارفين هو الجولان في أسرار المراتب نزولا عن صداقة التوحيد ، فإن الصديق الكامل لابد له من الأمرين وهما الوقوف في صداقة التوحيد والجولان في أسرار المراتب ، فإن الصديق لووقع في صداقة التوحيد دائما مستغرقا فيها عن مشاهدة المراتب لم يكن صديقا كاملا حينئذ ولا يصلح للخلافة ولا للنيابة عن الله تعالى لا خلاله بكمال المرتبة ، فإن الكامل له الوقوف في المرتبتين المرتبة الأولى : صداقة التوحيد فإنها لاتقبل الغير والغيرية إلا واحدا من كل وجه ، وأما الثانية : فهي مرتبة المراتب وهي مراتب الوجود الصورية فإنه يلزمه في كل مرتبة أحكام ولوازم ومقتضيات وتجليات ، وله في كل شيء أعمال ووظائف إذا وفى بها كملت له المرتبة وإذا لم يكملها كان

ناقصا ، فلو أن العارف وقف فى صدافة التوحيد باختياره متغافلا عن المراتب كان غير قائم بحقوق الله متلاعبا بأمره ولا يطلق عليه اسم الكمال إنما صورته صورة المجذوب الأحمق ، والنبيون والصديقون لهم كمال الوقوف فى صدافة التوحيد ولهم كمال الوقوف فى التوفية بحقوق المراتب ، فوقوفهم فى صدافة التوحيد لايحجبهم عن وفاء حقوق المراتب ، وتوفيتهم بحقوق المراتب لايحجبهم عن الوقوف فى صدافة التوحيد، انظره . وعض بنواجذك على هذا الجواب فإنه لباب الألباب . وما فى [جه] إنما حكاه عن عن غيره ، ولذا قال فيما حكى عنه إلى آخره : قال رحمه الله :

(وَتَغْيِيرُ أَسْمَاءِ الْإِلَهِ الْمُضَافَةِ لَهَا أَعْبُدٌ سُبْحَانَهُ مِنْ نَقِيصَةِ

وَلَوْ كَانَ جَاهِلاً وَلَوْ غَيْرَ قَاصِدٍ فَذَا مَذْهَبُ الْمَكْتُومِ بَذْرِ الْحَقِيقَةِ)

(و) من أسباب الردة أيضا عائذا بالله من ذلك (تغيير) أى تبديل وتحريف (أسماء) جمع اسم (الإله) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (المضافة لها) أى لأسمائه تعالى (أعبد) جمع عبد إضافة تشريف وتكريم بقصد التنقيص والتحقير للعبد كقولهم فى عبد الله عبد اللهو ، وفى عبد الرحمن عبد الشيطان ، وفى عبد النور عبد النار ، وهكذا والعياذ بالله . وأما قولهم عب فى عبد الله ورح فى عبد الرحمن وحم فى عبد الرحيم وقدّور فى عبد القادر وبس فى عبد السلام وكروم فى عبد الكريم وملوك فى عبد الملك ، وقس على ذلك فليس بردة ولكنه دسيسة شيطانية وشهوة نفسانية وبدعة حدثانية ، وكم من واحد من أهل العلم والفضل يسمى ولده بعب وبقدور فيناديه هو وغيره بذلك لغلبة الجهل والفتنة وقلة العلم والسنة ، وذلك دسيسة من دسائس الشيطان ، نسأل الله السلامة والعفو والعافية آمين . وفى نسخة وتغيير أسماء العبيد المضافة لأسمائه (سبحانه) أى تنزيها لله تعالى (من) كل (نقيصة) ورذيلة (ولو كان) المغير لأسماء الله الحسنى عند الشتم للعبد والتنقيص له (جاهلا) بالحكم لأنه لايعذر أحد بالجهل ، قال تعالى - فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون - وفى المرشد :

ويوقف الأمور حتى يعلما ما الله فيهن به قد حكما

(ولو) كان (غير قاصد) بالتغيير والتنقيص اسم الله تعالى كأن يقصد تنقيص وإهانة العبد المسمى به لاغير ، لأن الردة تقع بأدنى شىء نعوذ بالله منها ومما يجر إليها آمين (فذا) أى فهذا الذى ذكرته هو (مذهب) الختم المحمدى المعلوم والقطب (المكتوم) سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنابه آمين (بذر) بدال مهملة الهلال إذا تم وكمل وبذال معجمة مايبذر للزراعة (الحقيقة) والشريعة حسا ومعنى وقد شدد رضى الله عنه وعنابه آمين فى ذلك رغبة فى السلامة ورهبة من الملامة وتأديبا لمن لا يبالى ولايكترث بالسنة المندرسة فى هذه الأزمنة إذ من لم تصلحه السنة لايصلحه غيرها ومن ضيعها ضيعه الله - ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا - وهى المنهج القويم فمن حاد عنها زل فى الجحيم - ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين . وفى [خل] انظر رحمك الله إلى مكيدة الشيطان فى هذه الأسماء وما وقع فيها من سمة السموم ؛ ألا ترى أن الغالب على الأسماء الشرعية أن يكون فيها اسم من أسماء الله تعالى ، أو اسم من أسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو اسم من أسماء الصحابة رضى الله عنهم . وقد ورد فى الحديث عن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «مامن أهل بيت فيه اسم نبى إلابعث الله تبارك وتعالى إليهم ملكا يقدسهم بالغداة والعشى» اه ؛

وقد ورد عن الحسن البصرى أنه قال : إن الله ليوقف العبد بين يديه يوم القيامة اسمه أحمد أو محمد ، فيقول الله تعالى له : عبدى أما استحييتنى وأنت تعصينى واسمك اسم حبيبى محمد ؟ فينكس العبد رأسه حياء ويقول : اللهم إنى قد فعلت ، فيقول الله عز وجل : ياجبريل خذ بيد عبدى وأدخله الجنة فإنى استحييت أن أعذب بالنار من اسمه اسم حبيبى اه :

فإذا كانت هذه العناية العظمى فى اسم من أسماء الأنبياء فكيف بها فى اسم من أسماء الله تعالى ، كفى بها بركة أنهم ينطقون باسم من أسماء الله تعالى أو باسم من أسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو اسم من أسماء الصحابة رضى الله عنهم فتعود عليهم بركته ، فلما رأى الشيطان هذه البركة وعمومها أراد أن يزيلها عنهم بعادته الذميمة وشيطنته الكمينة ، فلم يمكنه أن يزيلها إلا بضدها وهو أن يكون الاسم يعود عليهم بالضد ، ثم إنه لا يأتى لأحد إلا من الوجه الذى يعرف أنه يقبل منه ، فلما أن كان أهل المشرق الغالب على بعضهم حب الفخر والرياسة أبدل لهم تلك الأسماء المباركة بما فيه ذلك نحو : عز الدين وشمس الدين إلى غير ذلك مما قد علم ، فنزل التزكية موضع تلك الأسماء المباركة . ولما أن كان أهل المغرب الغالب عليهم التواضع وترك الفخر والخيلاء أتى لبعضهم من الوجه الذى يعلم أنهم يقبلون منه ، فأوقعهم فى الألقاب المنهى عنها بنص كتاب الله تعالى فقالوا لمحمد حمو ولأحمد حدوس وليوسف يسو ولعبد الرحمن رحو إلى غير ذلك مما هو معروف عندهم ، فأعطى لكل إقليم الشىء الذى يعلم أنهم يقبلونه منه نعوذ بالله من ذلك ، هذا إذا كان سالما من التزكية والكذب فكيف مع وجودهما ، والعالم أولى بل أوجب أن ينصح جلساءه وإخوانه المسلمين بإظهار السنة والإرشاد إليها وإخماد بدعة والنهى عنها والتهاون بها ، ولو لم يكن فى ذلك من الفائدة إلا معرفة الذنوب لكان كافيا ، انظره .

وأخبرنى من أثق به أنه استضافه بعض الشرفاء فسمعه نادى ولده بقدور ، فقال له قل عبد القادر ، ثم نادى آخر بعبب ، فقال له قل عبد الله ، فرجع إليه مرة أخرى فألفاه على عادته الأولى - إنا لله وإنا إليه راجعون - إنا وجدنا آباءنا على أمة - الآية . وفيه : ألا ترى أن هذه الأسماء فيها من التزكية ما فيها فيقع بسببها فى المخالفة بدليل كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال العلماء ، أما الكتاب فقوله تعالى - فلا تزكوا أنفسكم - وقوله تعالى - ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلا . انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا - وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم « فلا تزكوا على الله أحدا ولكن قولوا إخاله كذا وأظنه كذا » وأما قول العلماء : فقد قال القرطبى رحمه الله فى شرح أسماء الله الحسنى : فقد دل الكتاب والسنة على المنع من تزكية الإنسان نفسه ، ثم قال : قال علماؤنا : يجرى هذا المجرى ما قد كثر فى الديار المصرية وغيرها من بلاد العراق والعجم من نعتهم أنفسهم بالنعوت التى تقتضى التزكية والثناء : كزكى الدين ومحيى الدين وعلم الدين وشبه ذلك ، انظره . وفيه أن الإمام النووى رحمه الله لم يرض قط بهذا الاسم أعنى محيى الدين وكان يكرهه كراهة شديدة على ما نقل عنه وصح ، وقد وقع فى بعض الكتب المنسوبة إليه رحمه الله أنه قال : لا أجعل أحدا فى حل ممن يسمينى بمحيى الدين ، وكذلك غيره من العلماء العاملين بعلمهم - ورأيت بعض الفضلاء إذا حكى عن النووى شيئا يقول قال يحيى النووى فسألته عن ذلك فقال : إنا نكره أن نسميه باسم كان يكرهه فى حياته ، انظره : قال رحمه الله :

(وَتَبْدِيلُ مَاقَدْ كَانَ فِي الدِّينِ وَاضِحاً   كَمَنْعِ زَكَاةٍ أَوْ كَتَحْلِيلِ بَتَّةٍ
لِأَوَّلِ زَوْجٍ قَبْلَ إِيلَاجِ نَاكِحٍ   وَمِنْهَا تَسَخُّطٌ لِأَجْلِ الْمُصِيبَةِ)

(و) من أسباب الردة أيضا عائذا بالله من ذلك (تبديل) وتحريف (ماقد كان) من القواعد الشرعية (فى الدين) المحمدى (واضحا) وضوح نار على علم، وذلك (كمنع) أداء (زكاة) واجبة شرعية لمستحقها فإن مانعها على هذا الوجه فى النار ولاحظ له فى الإسلام. وفى [جص]: «مانع الزكاة يوم القيامة فى النار» وروى «الزكاة قنطرة الإسلام» قال تعالى - والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم - الآية.

[وحكى] أن رجلا أودع رجلا مائتى دينار ثم مات فجاء ولده وطلب الوديعة فدفعها إليه، فادعى الولد الزيادة على ذلك فترافعا إلى حاكم فقال احفروا قبر الميت فحفروه فوجدوا فى الميت مائتى كية بالنار، فقال الحاكم إن الكيات على قدر الوديعة ولو كانت أكثر الكيات على قدرها. وفى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم «تأتى الإبل على صاحبها على خير ماكانت إذا هولم يعط فيها حقها تطؤه بأخفافها، وتأتى الغنم على صاحبها على خير ماكانت إذا لم يعط فيها حقها تطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها. قال: ومن حقها أن تحلب على الماء. قال: ولايأتى أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يعار فيقول يامحمد فأقول لاأملك لك شيئا قد بلغت، ولا يأتى ببعير يحمله على رقبته له رغاء فيقول يامحمد فأقول لا أملك لك شيئا قد بلغت» وفيه عنه أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من آتاه الله مالافلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه» يعنى شدقيه «ثم يقول أنامالك أنا كنزك ثم تلا - ولا يحسبن الذين يبخلون - الآية.

[وحكى] أن رجلا كثير المال كان فى زمن ابن عباس فلما مات حفروا له قبره فوجد واثعبانا عظيما، فأخبروا ابن عباس بذلك فقال: احفروا غيره فحفروا غيره فوجدوا الثعبان فيه حتى حفروا سبع قبور، فسأل ابن عباس أهله عن حاله فقالوا كان لايزكى فأمر بدفنه معه - إنا لله وإنا إليه راجعون - وفى حلية الأبرار للنووى: «إن الله تعالى ينزل فى كل سنة ثنتين وسبعين لعنة: لعنة على اليهود ولعنة على النصارى، وسبعين لعنة على مانع الزكاة» وعن أبى بكر رضى الله عنه: والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه: وفى الصحيحين «ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لايؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ماكانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما نفذت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس» اه. وروى «من أدى زكاة ماله فقد أدى الحق الذى عليه ومن زاد فهو أفضل» وروى «حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع» وفى [خل] وقد حكى عن بعضهم أنه دخل عليه بعض أصحابه فوجدوا الذهب والفضة منثورين فى بيته وأولاده ذاهبون وراجعون عليها، فقالوا ياسيدنا أما هذا إضاعة مال؟ قال بل هو فى حرز، قالوا له: وأين الحرز؟ قال لهم: هى مزكاة وذلك حرزها اه. وفى الحديث «ماتلف مال فى بر ولا فى بحر إلا بحبس الزكاة» انظره، ولذا أخبرنى البعض أنه زرع عشر خراريب فى محل فأصابها البرد فصيرها كعصف مأكول. فقلت له إن

ذلك من عدم إخراج الزكاة فزعم أنه يزكي فلما بلوته وجدت زكاته يصرفها في مودات الأحباب وصلاة الإخوان ، ومن فعل مثل ذلك فإنه لم يزك ولا تجزئه زكاته ، قال تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين - الآية ، واليوم إنما تصرف في الترفهات والتنزهات وفي ذوي الرياسات والوجاهات - إنا لله وإنا إليه راجعون - وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرغب إخواننا أصحاب الأموال بأن يعطفوا على فقراء بلدهم ويخرجوا زكاتهم ونبين لهم مرتبة الزكاة من الدين والإيمان ، ثم قال : فإذا بينالهم مرتبة وجوه الزكاة ولم يخرجوا هجرناهم وجوبا لقوله تعالى - فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين - ولا يخفى حكمه فوالله لقد صارت أفعال غالب الخلق كأفعال من لايؤمن بيوم الحساب ولا بما توعد الله عليه عباده فإن لم يكن عنده ماتوعده الله عليه أووعده من الأمور المغيبة عنه كالحاضر فإيمانه مدخول ، انظره . وفي [جع] وأوصيكم بالزكاة وحفظ نظامها وتكميل شروطها بتمامها على الحد المحدود لها في كتب العلماء اه وفيه قال : رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فسألته عن الزكاة التي يأخذها الأمراء والظلام من المسلمين كرها هل تكفيهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم أوأنا أمرتهم بطاعتهم ؟ قال الشيخ رضي الله عنه الذي يمكنه إعطاؤها لغيرهم ولم يلحقه ضرر منهم قال صلى الله عليه وسلم : إن أعطوها فعليهم لعنة الله هذا معنى كلامه صلى الله عليه وسلم . قلت للشيخ رضي الله عنه : والذي من الأمرا يأخذ العشر من المسلمين سواء بلغ المال النصاب أم لا ؟ قال لي : ذلك غصب وليس بعشر . قلت له : ولعله أراد بطاعتهم اتقاء شرهم ؟ قال : نعم اه ، يعني اتقاء شرهم بها ، بل ينبغي اتقاء شرهم بغيرها وإعطاء الزكاة لمستحقها كما يفعله بعض الأتقياء ، يدفع للظلمة ماوظفوه عليه من ماله ، ويخرج الزكاة الشرعية ويدفعها لمن يستحقها - لمثل هذا فليعمل العاملون - فبهداهم اقتده - ولاتغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور - قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى - (وأما) إعطاء الزكاة للشرفاء رضي الله عنهم ففي [د] لاتحل لهم ولاتجزي معطيها لهم لأن العلة في تحريمها عليهم كونها أوساخ الناس وهي باقية فيها والعلة تدور مع المعلول كما هي القاعدة الأصولية ، وماذكر من أن محلها بيت المال وحيث لم يتوصلوا لحقهم منه رخصوا لهم فيها لايصح لأجل ماذكرنا ، ثم قال : قال رضي الله عنه : وقفت على حديث عنه صلى الله عليه وسلم وأن أهل البيت يجوز لهم أعطاء الزكاة بعضهم بعضا غير أن الكتاب الذي فيه الحديث مبتور من أوله ولم أعرف مؤلفه. وأخبرنا رضي الله عنه أن بعض أسلافه رضي الله عنهم كان يأخذ الزكاة من أغنياء أقاربه ويصرفها على فقرائهم لعله عمل بهذا الحديث اه (أو كتحليل) زوجة (بتة) أي مبتوتة أي مطلقة ثلاثا إذ لا رجعة فيها ولا تحل إلا بعد زوج (لأول زوج) أي للزوج الأول المطلق لها ثلاثا قال تعالى - فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وفي العاصمية :

هب أنها في كلمة قد جمعت أو طلقة من بعد أخرى وقعت

ولا عبرة بخلاف ذلك ولايعتد به ولايعول عليه وقد رأينا والعياذ بالله من قضات الوقت وطلاب المقت من يقول بتحليلها لمن طلقها ثلاثا بدون زوج ويحكم بذلك قال تعالى - إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل - ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل - (قبل إيلاج ناكح) ثان لها نكاحا صحيحا لازما . وفي مختصر خليل رحمه الله : والمبتوتة حتى يولج مسلم بالغ قدر الحشفة بلامنع ولا نكرة فيه بانتشار في نكاح لازم وعلم خلوة وزوجة فقط ولو

خصميا النظره . وفى [جه] وكذلك حكمه فيمن بدل حكم الله لغرض من أغراضه مما كان النص فى عينه ، كتحليل المطلقة ثلاثا لزوجها الأول من غير أن تنكح زوجا غيره ، وقال : إن الحكم هو وصف من أوصاف الله ، ومن بدل وصفا من أوصاف الله فهو مرتد والعياذ بالله تعالى ، وصدق رضى الله عنه ، لأن علماء الشريعة عندهم من استحل محرما مجمعا عليه كفر ، وكذلك من جحد ماهو معلوم من الدين ضرورة كالصلاة اه . وفى مختصر خليل رحمه الله : والجاحد كافر اه وفى [جص] من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا وفيه بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة . وفى [حم] وكان أيوب يقول : ترك الصلاة كفر لايختلف فيه . وقال إسحاق : صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة عمدا حتى يخرجها عن وقتها كافر ، أنظره . ورحم الله من قال :

من ترك الصلاة عمدا كسلا   تكفيره لابن حبيب حصلا

(ومنها) أى ومن أسباب الردة عائذا بالله (تسخط) على الله سبحانه وتعالى (لأجل المصيبة) تصيبه فيحصل له الضجر والقلق وصار يتسخط على المولى جل جلاله ، والصبر على المصائب من أجل المناقب وأسنى المراتب ويكون أحلى فى العواقب :

الصبر كالصبر مر فى مذاقته   لكن عواقبه أحلى من العسل

ولترض ولتصبرن مهما ابتليت تنل   رضى الإله وإلا خبت لم تنل

وفى [الشفا] واختلف فقهاء قرطبة فى مسألة هرون بن حبيب أخى عبد الملك الفقيه ، وكان ضيق الصدر كثير التبرم ، وكان قد شهد عليه بشهادات منها أنه قال عند استقلاله من مرض : لقيت فى مرضى هذا مالو قتلت أبا بكر وعمر لم أستوجب هذا كله ، فأفتى إبراهيم بن حسين بن خالد بقتله وأن مضمن قوله تجوير لله تعالى أو تظلم منه والتعريض فيه كالتصريح ، وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب وإبراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضى بطرح القتل عنه ، إلا أن القاضى رأى عليه التثقيل فى الحبس والشدة فى الأدب لاحتمال كلامه وصرفه إلى التشكى ، أنظره . وفى [جه] ومما هو فى هذا المعنى يعنى الردة عدم الرضى بالقدر والتسخط عند نزول المصائب بالعبد حتى يقول بعض جهال عامة المسلمين : أى شىء فعلته تحتك يارب حتى فعلت هذا بى من دون الناس . قال سيدنا وأستاذنا رضى الله عنه : فهذه ردة تلزم التوبة منها لأنه تضمن كلامه نسبة الظلم لخالقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا عن الظلم ، وكذلك مايصدر من بعض الجهال عند الغضب يقول لاأفعل هذا لو قالها المنادى يتضمن من هذا القول الردة أيضا كأنه يقول لو قالها الله أو الرسول ، فليحذر المؤمن من هذه الأمور الشنيعة قولا وفعلا ، ويحذر جهال المسلمين منها اه . وفى [عف] وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر مايدخل الناس الجنة قال «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر مايدخل الناس النار قال «الغم والفرح» يكون هذا الغم غم فوات الحظوظ العاجلة لأن ذلك يتضمن التسخط والتضجر ، وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضى بالقضاء ، ويكون الفرح المشار إليه الفرح بالحظوظ العاجلة الممنوع منه بقوله تعالى ـ لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ـ وهو الفرح الذى قال الله تعالى ـ إذ قال له قومه لاتفرح إن الله لايحب الفرحين ـ لما رأى مفاتحه تنوء بالعصبة أولى القوة ، فأما الفرح بالأقسام الأخروية فمحمود يتنافس فيه قال الله تعالى ـ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ـ اه

قال رحمه الله :

(وَمَنْ يَدَّعى كَشْفاً وسِرًّا ولايةً   ومشيخةً يَمُتْ على سُوءِ خَتْمَةِ)

(ومن يدعى) من ادعى كذا زعم أنه له حقا كان أو باطلا (كشفا) أى مشاهدة المغيبات كشاهدة المحسوسات وفى [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه عن حقيقة علم الكشف ؟ فقال رضى الله عنه : إنه علم ضرورى يحصل للمكاشف ويجده فى نفسه لايقبل معه شبهة ولا يقدر يدفعه عن نفسه ولايعرف لذلك دليلا يستند إليه سوى مايجده فى نفسه ، وقد يكون أيضا صادرا عن حصول تجل إلهى يحصل للمكاشف لكن هذا خاص بالرسل وكمل الأولياء ، ثم إن علم الكشف الصحيح لايأتى قط إلا موافقا للشريعة المطهرة ، أنظره . وفى [هب] إن الناس يحبون الكشف وفيه ضرر عظيم على الولى وعلى من يريد ذلك منه ، أما ضرره على الولى فلأن فيه نزولا عن مشاهدة الحق إلى مشاهدة الخلق وذلك انحطاط عن الذروة العليا ، وأما على الذى يقصده من الولى فلأنه لايقصد من الولى الكشف والكرامة إلا من كانت محبته على حرف فإذا ساعفه الولى فقد أقره على حالته وأبقاه على عمايته ، انظره . وفى [جه] والمعرفة ارتفاع الحجب عن غيوب حقائق الصفات والأسماء فإن المعرفة مع الفتح متلازمان متغايران فإن حقيقة الفتح هو ارتفاع الحجب الحائلة بين العبد وبين مطالعة حقائق الصفات والأسماء ومحو صور الأكوان من علم العبد وحسه وإدراكه وفهمه وتعقله حتى لايبقى للغير والغيرية وجود إلا وجود الحق بالحق للحق فى الحق عن الحق ، فإذا وقع هذا برزت المعرفة العيانية بالضرورة وفاض على العبد بحر اليقين الكلى لكن مع الصحو والبقاء وأما ماكان قبل هذا من مشاهدة غيوب الأكوان وظهورها للعبد فإنه يسمى كشفا ولا يسمى فتحا ولا معرفة اه (وسرا) وفى [شب] قال السيد الشريف السر لطيفة مودعة فى القلب كالروح فى البدن وهو محل المشاهدة ، كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة ، وسر السر ماتفرد به الحق عن العبد كالعلم بتفصيل الحقائق فى إجمال الأحدية وجمعها واشتمالها على ماهى عليه ـ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ـ اه .

قلت : ولا مانع من كونه تعالى يطلع على غيبه بعض أصفيائه كما قال تعالى ـ فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ـ يعنى أوولى كما قاله بعض العارفين . والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم لم ينتقل من هذه الدار حتى أطلعه الله على مفاتح الغيب . فلتكن بعض خواص أمته كذلك بطريق الوراثة المحمدية ، ثم قال : ومن كلام بعض العارفين : صدور الأحرار قبور الأسرار ، فإن الله تعالى يغار أن تبدو أسراره المصونة لقلوب بشهود الغير مفتونة ، وأنشد بعضهم فى ذلك رحمه الله :

ومستخبر عن سر ليلى رددته   بعمياء من ليلى بغير يقين

يقولون خبرنا فأنت أمينها   وما أنا إن خبرتهم بأمين

وفى [جع] ومنه : أى ومن السر مايقذفه الله فى قلب العبد من الفهوم مايعرف العبد بما يريده فى تصاريف الأكوان لماذا وجد هذا الكون جوهرا وعرضا وماذا يراد منه وما ينشأ عنه ومن أى حضرة هو ومن الأسرار وفيوض الحكم ودقائقها ، ومن الأسرار مايريح العبد عن كليته ويخرجه عن دائرة حسه ويغرقه فى بحر حضرة الألوهية بحيث أن لاشعور له فيما عدا من نفسه وغيرها فيسمع هناك ويشهد مالا طاقة للعقل بفهم مباديه فضلا عن درك غايته ، وبذلك السر الذى أغرقه يدرك مباديه وغايته شهودا وسمعا وإدراكا وذوقا وهذا من أعز الأسرار التى تفاضى على العبد ، ومن الأسرار مالا يمكن

تصوره ولاتوهمه فضلا عن أن تصل إليه العبارة وتحيط به دائرة الإشارة لعزة سطوته وجلاله ومايطوى عليه من فوائده وكماله ، ولاحد للأسرار ولايعرفها إلا من ذاقها ، انظره : ومن يدعى (ولاية) خاصة وعامة وقد مر تفسيرهما معا (و) من يدعى (مشيخة) أى مرتبة المشيخة وأنه من المشايخ وتصدى للتربية وتلقين الأوراد وهو فى ذلك كله كاذب مفتر على الله تعالى، فإن من ادعى الإذن الخاص من الله تعالى وهو كاذب وانبسط للخلق بالدعوة فإنه يموت كافرا إلا أن يتوب توبة نصوحا . وفى [جع] وأوصيكم بالمحافظة على البعد من أمور: أن كل من وقع فى واحدة منها أماته الله كافرا من غير شك . الأولى : كثرة إذاية المسلمين والثانية: الكثرة من الزنا من غير توبة، والثالثة: ادعاء الولاية بالكذب والرابعة : الانتصاب للمشيخة بغير إذن، والخامسة: تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكاية قوله ، والسادسة : الانهماك فى الغيبة والنميمة بلا توبة. فهذه الأمور مقطوع لصاحبها أن يموت كافراولو عمل ماعمل إلا أن يتوب ولم يصر على ذلك وإلا مات كافرا والعياذ بالله (يمت) بالجزم جواب من أى فإنه يموت (على سوء) بضم مهملة وفتحها لغتان كالكره والكره إلا أن المفتوح غلب فى أن يضاف إليه مايراد ذمه من كل شىء والمضموم جرى مجرى الشر الذى هو نقيض الخير وكلاهما فى الأصل مصدر (ختمة) أى خاتمة إن لم يتب من الافتراء على الله والعياذ بالله لحديث « من ادعى ماليس فيه فليس منا وليتبوء مقعده من النار » . وفى [جه] ومما يلحق بهذا ماذكره أهل الكشف فى بعض الأمور قال : من يعمل واحدة ولم يتب منها يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى وهى : دعوى الولاية بالكذب ، وادعاء المشيخة وهى التصدى لإعطاء الورد من غير إذن اه . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانتهاون بالوقوع فى الكذب من غير تثبت سواء كان قولا أو فعلا ظاهرا أو باطنا كأن يدعى أحدنا مقام التقريب عند الله وأنه محل أسراره وأنه يشفع فى أهل عصره أو إخوانه يوم القيامة من غير أن يطلعه الله على ذلك من طريق الكشف الصحيح الذى لايدخله محو ، وهذا العهد قد كثرت خيانته من غالب أهل هذا العصر حتى من بعض المشايخ الموجودين، فيقول أحدهم لصاحبه إذا جاءك الشيطان فقل يافلان وتوجه إلى أدفعه عنك مع أن نفس الشيخ ربما كان إبليس راكبه هو ليلا ونهارا لايكاد ينزل، بل بعضهم يقول: إذا جاءك منكر ونكير أو زبانية جهنم فقال لهم أنا من جماعة فلان فإنهم يتركونك ونحو ذلك من الهذيان ، ثم قال : فليلتزم العبد الألفاظ التى لاتشعر بكمال فإنها إلى الصدق أقرب . وقد سئل ذو النون عن الصدق فى الطريق ما هو ؟ فانشد يقول :

قد بقينا مذبذبين حيارى   نطلب الصدق ما إليه سبيل

فأين هذا من قول بعض أهل هذا الزمان أنا القطب أنا الغوث ويمدح نفسه بذلك فى الملأ ، وأين هذا من قول الحسن البصرى سيد التابعين لمن قال له . رأيتك البارحة فى الجنة . أو ماوجد إبليس أحدا يسخر به غيرى وغيرك . وأين هذا من قول مالك ابن دينار لما قيل له اخرج معنا للاستسقاء وأبى: إنى أخاف أن تمطر عليكم حجارة بسبب وقوفى معكم ، ثم قال ومعلوم أن من شأن كل عارف بالله تعالى أن ينظر للذى عليه ولا ينظر للذى له ، وغالب المدعين فى هذا الزمان وغيره لابد أن يفتضحوا، لأن كل مدع ممتحن. وقد قال بعض صوفية عصرنا هذا: أطلعنى الله تعالى على جميع ماكتبه فى اللوح المحفوظ المشار إليه بقوله تعالى - وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين - وكان ذلك بحضرة بعض

الحذاق، فقال: ياسيدى فكم فى حاجبك من شعرة ؟ فما درى ما يقول وافتضح . واعلم ذلك، وإياك والدعاوى الكاذبة حتى تجاوز الصراط، والله يتولى هداك اه . ورحم الله من قال :

من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان

قال رحمه الله :

(كَعاقٍّ لِوالِدٍ وَمؤذِي الخَلائِقِ وَمُدْمِنِ خَمْرٍ وَالزِّنى وَالنَّمِيمَةِ)

(كعاق) من عق أباه ضد بره (لوالد) وأحرى الوالدة أو المراد الجنس فيصدق بها فإن حقها أعظم من حق الأب لأن لها الثلثين فى البرور وللأب الثلث وإذا ناداه معا فليقدم الأم فى الإجابة كما ثبت ذلك عنه صلى الله عليه وسلم ، أو المراد الجنس الصادق بهما معا : أى كون عاق لوالديه على سوء الخاتمة إن لم يتب . وفى [جص] « من أحزن والديه فقد عقهما. وفيه: اثنان يعجلهما الله فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين » يعنى إن الله تعالى يعجل عقوبة هذين الأمرين فى الدنيا . وفيه « كل الذنوب يؤخر الله تعالى ماشاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات . وفيه : ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء . وفيه: ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال والديوث وهو بمثلثة كرسول الذى لايبالى بمن دخل على زوجته ومحارمه بل ربما يكون واسطة بينها وبين الأجانب كما هو مشاهد بالعيان فى هذا الزمان نعوذ بالله من الخذلان والخسران، والغيرة من الإيمان ، المؤمن يغار، والله يغار، وعن سيدنا سعد ابن عبادة : والله لو وجدت رجلا مع أهلى لضربته بالسيف غير مصفح : أى بغير عرضه . وقال صلى الله عليه وسلم « أتعجبون من غيرة سعد وأنا أغير منه والله أغير منى » . وروى : لا أحد أغير من الله ولذا حرم الفواحش . وفى [هب] نتيجة عقوق الوالدين أربعة أمور . أحدها : أن الدنيا تذهب عنه وتبغضه كما يبغض المؤمن جهنم . ثانيها: أنه إذا جلس فى موضع من المواضع وجعل يتكلم مع الحاضرين فى شىء من الأشياء صرف الله قلوبهم عن الاستماع لكلامه ، وينزع الله البركة والنور من كلامه ، ويصير ممقوتا بينهم : ثالثها : أن أولياء الله تعالى وأهل الديوان والتصرف لا ينظرون إليه نظر رحمة ولا يرقون له أبدا . رابعها : أن نور الإيمان لايزال ينقص شيئا فشيئا ، فمن أراد الله به الشقاوة والعياذ بالله لم يزل كذلك إلى أن يذهب نور إيمانه ويضمحل بالكلية فيموت كافرا ، نسأل الله السلامة ، ومن لم يرد به ذلك مات ناقص الإيمان أعاذنا الله من ذلك . قال: ونتيجة رضاهم أربعة أمور هى أضداد هذه الأمور : تحبه الدنيا كما يحب المؤمن الجنة ، ويحلو كلامه بين الناس ، ويحن عليه أولياء الله تعالى ، ولايزال إيمانه يزيد شيئا فشيئا والله الموفق اه (ومؤذى الخلائق) إذاية كثيرة وهو مصر على ذلك فإنه والعياذ بالله يموت على سوء الخاتمة ، ويدخل فى ذلك أهل الذمة لأن لهم مالنا فلا يجوز لأحد أن يظلمهم لما جاء من الوعيد الشديد فى حقهم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » وإذا كان هذا فى الذمى فما بالك فى المسلم . وفى [جص] « كل مؤذ فى النار » أى فكل من آذى الناس فى الدنيا يعذبه الله فى الآخرة وفيه « لايبغى على الناس إلا ولد بغى وإلا من فيه عرق منه . وفيه : من آذى مسلما فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يهلكه » وفى [جع] وأوصيكم

بالمحافظة على البعد من إذاية الناس وإضرارهم والبحث عن عيوبهم وعوراتهم فإن المشتغل بذلك لايفلح فى الدنيا والآخرة اهـ وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لانؤذى أحدا من خلق الله تعالى بضرب أو هجر أو كلام أو نحو ذلك إلا بأمر شرعى : وقد عدوا الإضرار بالناس من الأمور التى تقارب الكفر ، وأنشدوا فى ذلك :

كن كيف شئت فإن الله ذو كرم وما عليك إذا أذنبت من باس
إلا اثنتين فلا تقر بهما أبدا الشرك بالله والإضرار بالناس

وإيضاح ذلك أن حقوق الآدميين مبنية على المشاححة من أصحابها إذا نوقشوا فى الحساب يوم القيامة وما يخرج عن هذه المناقشة إلا أفراد من الناس ، ثم قال : واعلم أن من أشد الناس مشاححة لخصمه يوم القيامة العلماء الذين لا يعملون بعلمهم فإياك أن تؤذى أحدا منهم فإنك لا تقدر على أن ترضيه فى الدار الآخرة أبدا لكثرة إفلاسه وفقره من الأعمال الصالحة ، أنظره :

قلت : وأشدمنهم فقرا وإفلاسا من أعمال الخير ولاة الأمر فلاينبغى للعاقل أن يضيع وقته فى سبهم وذكر أحوالهم بل يدعو لهم ولرعيتهم بصلاح الحال والمآل وبالمغفرة والسلامة من الوبال ، ونسأل الكبير المتعال أن يشفع فيناوفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يغرقنا وإياهم فى دائرة فضله وكرمه بمحض جوده وإحسانه إنه جواد كريم رؤف رحيم . وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم صعدالمنبر فنادى بأعلى صوته «يامعشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لاتؤذوا المسلمين ولا تزدروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله » اهـ . وعنه عليه الصلاة والسلام من « ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه » وعنه صلى الله عليه وسلم : « ملعون من ضار مؤمنا » وفى المجالس السنية على الأربعين النووية : روى مجاهد بسنده قال : إن لجهنم ساحلا كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبخت وعقارب كالبغال ، فإذا استغاث أهل النار قالوا الساحل فإذا ألقوا فيه سلطت عليهم تلك الهوام فتأخذ أشفار أعينهم وأشفاههم وماشاء الله منهم تكشطها كشطا ، فيقولون النار النار فإذا ألقوا فيها سلط عليهم الجرب فيحك أحدهم جسده حتى يبدو عظمه وإن جلد أحدهم لأربعون ذراعا . قال : يقال يافلان هل تجد هذا يؤذيك ؟ قال وأى أذى أشد من هذا . قال : يقال هذا بما كنت تؤذى المؤمنين . وحكى أن طاوسا اليمانى دخل على هشام بن عبد الملك فقال : اتق الله يوم الأذان . قال هشام : ومايوم الأذان ؟ قال : قوله تعالى : فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ـ فصعق هشام ، فقال طاوس : هذا ذل الصفة فكيف بالمعاينة اهـ .

(ومدمن) من أدمن الشىء أدامه (خمر) ما أسكر من كل شىء عنبا وغيره لحديث « كل ما أسكر حرام » وفى [جص] من شرب خمرا خرج نور الإيمان من جوفه . وفيه : من شرب مسكرا لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما . وفيه : ثلاثة لايدخلون الجنة مدمن خمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر ومن مات وهو مدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة . نهر ، يجرى من فروج المومسات ، يؤذى أهل النار ريح فروجهن . وفيه : من وضع الخمر على كفه لم تقبل له دعوة . ومن أدمن على شربها سقى من الخبال ، والخبال كسحاب صديد أهل النار . وفيه : ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق ، والديوث الذى يقرفى أهله الخبث وفيه : أربع حق على الله تعالى أن لايدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه . وفيه : كفر بالله العظيم عشرة من هذه الأمة : الغال

والساحر والديوث وناكح المرأة فى دبرها وشارب الخمر ومانع الزكاة ومن وجد سعة ومات ولم يحج والساعى فى الفتن وبائع السلاح لأهل الحرب ومن نكح ذات محرم منه قال الحفنى : أى هؤلاء العشرة فعلوا فعلا لا ينبغى فعله إلا من الكفار، وإنه محمول على المستحل أو هو على حذف مضاف: أى كفر بنعم الله العظيم اهـ . وفى [عم] وروى الأصبهانى عن العوام بن حوشب قال : نزلت مرة حيا وإلى جنب ذلك الحى مقبرة ، فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فأخرج منه رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد إنسان فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر ، فإذا عجوز تغزل شعرا أو صوفا ، فقالت امرأة : ترى تلك العجوز: فقلت مالها ؟ فقالت هى أم هذا ، قلت : وما كانت قصته ؟ قالت كان يشرب الخمر ، فإذا راح تقول له أمه يابنى اتق الله إلى متى تشرب هذا الخمر ؟ فيقول لها إنما أنت تنهقين كما ينهق الحمار : قالت : فمات بعد العصر ، فهو ينشق عنه القبر كل يوم بعد العصر فينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر ، والله أعلم اهـ :

(و) كمدمن (الزنا) بالكسر والقصر فإنه يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله إن لم يتب ؛ وفى مسلم قال أبو هريرة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» وفى رواية عنه « ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن» والتوبة معروضة بعد ملن وفقه الله وهداه . وفى [جص] من زنى خرج منه نور الإيمان ، فإن تاب تاب الله عليه . وفيه : من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه وفيه : إياكم والزنى فإن فيه أربع خصال : يذهب البهاء عن الوجه ، ويقطع الرزق ، ويسخط الرب ، والخلود فى النار . وروى » اياكم والزنى فإن فيه ست خصال : ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة : فأما اللواتى فى الدنيا فإنه يذهب البهاء عن الوجه ، ويورث الفقر ، وينقص العمر . وأما اللواتى فى الآخرة : فإنه يورث سخط الرب وسوء الحساب ، والخلود فى النار ، وفى [جه] وأما ولد الزنى لا حسنة له أصلا ، ولا دخول له الجنة أصلا ولو فعل ما فعل لأنه لم يتكون من نكاح شرعى ، إلا إن صحب أحدا من هؤلاء العارفين وهم مفاتيح الكنوز الأربعة والأفراد الأربعة والقطب والخليفة والإمامان ، فمن صحب واحدا منهم واحتمى به طهره الله وأدخله الجنة ، إذا خدم واحداً من هؤلاء المذكورين أو تحاب معه أو صحبه أو أكل معه أو صلى خلفه أو تصرف له فى حاجة قضاها له اهـ :

(و) كمدمن (النميمة) وهى نقل الحديث وإشاعته على وجه الإفساد بين العباد . وفى [حى] لا يدخل الجنة قتات ، والقتات النمام . وقال أبو هريرة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إلى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الإخوان الملتمسون للبرآء العثرات » وقال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بشراركم، قالوا بلى . قال : المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب» وقال أبو ذر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أشاع على مسلم بكلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيامة » ثم قال عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله لما خلق الجنة قال لها : تكلمى ، فقالت : سعد من دخلنى ، فقال الجبار جل جلاله : وعزتى وجلالى لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس : لا يسكنك مدمن خمر ، ولا مصر على الزنى ، ولا قتات ، وهو النمام ، ولا ديوث ، ولا شرطى ، ولا مخنث ، ولا قاطع رحم ، ولا الذى يقول على عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به » اهـ . وفى [جص] ثمانية أبغض خليقة الله يوم القيامة : السقارون ، وهم الكذابون ، والخيالون وهم المستكبرون ، والذين يكنزون البغضاء لإخوانهم فى

صدورهم فإذا لقوهم تخلقوا لهم ، والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطاء وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعا ، والذين لا يشرف لهم طمع من الدنيا إلا استحلوه بأيمانهم وإن لم يكن لهم ذلك بحق ، والمشاءون بالنميمة والمفرقون بين الأحبة والباغون البرآء الدحضة أولئك يقذرهم الرحمن عز وجل اهـ ، قال رحمه الله :

(وَسابٌ لآلِ المُصطفى أو صِحابه أوِ الأولياء مُطلقاً دُونَ توبةِ)

(وساب) من سبه شتمه (لآل المصطفى) صلى الله عليه وعلى آله وسلم المنزل فيهم قوله تعالى - إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا - والمراد بهم آل على وآل العباس وآل عقيل وآل جعفر وآل حمزة ؛ وجمع ذلك من قال رحمه الله :

على وعباس عقيل وجعفر وحمزة هم آل النبي بلا نكر

رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله حرم الجنة على من ظلم أهل بيتى أوقاتلهم أوعاب عليهم أوسبهم » وعنه صلى الله عليه وسلم « من سب أهل بيتى ومن آذانى فى عترتى فقد آذى الله . وعنه صلى الله عليه وسلم « من سب عليا فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله » وعنه صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار » وعنه صلى الله عليه وسلم : « اشتد غضب الله على من آذانى فى عترتى » وعنه صلى الله عليه وسلم « لو أن رجلا صف بين الركن والمقام وصام ثم لقى الله وهو مبغض لأهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم دخل النار » وعنه صلى الله عليه وسلم «من حفظنى فى أهل بيتى فقد اتخذ عند الله عهدا» وعنه صلى الله عليه وسلم « استوصوا بأهل البيت فإنى أخاصمكم عنهم غدا ومن أخاصمه دخل النار » . وفى [جص] بغض بنى هاشم والأنصار كفر ، ورحم الله الفرزدق إذ قال فى قصيدته المعلومة فى مدح زين العابدين رضى الله عنه :

من معشر بغضهم كفر وحبهم دين وقربهم منجى ومعتصم

وقد اتفق العلماء أن سب أهل البيت لا يجوز ولو ارتكبوا المعاصى فإنهم لا تخرجهم عن لسبهم وأن من سبهم يقتل شرعا ، وانظر قوله صلى الله عليه وسلم لسيدنا حسان لما أراد هجاء كفار قريش كيف بنسبى فيهم فقال « لأسلنك من بينهم كما تسل الشعرة من العجين » وأما محبتهم رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين فهى فرض علينا معشر الأمة المحمدية قال تعالى - قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى - وللشافعى رضى الله عنه :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

ورحم الله من قال فى حبهم أيضا :

أرى حب آل البيت عندى فريضة على رغم أهل البعد يورثنى القربا
فما اختار خير الخلق منا جزاءه على هديه إلا المودة فى القربى

وعنه صلى الله عليه وسلم « من مات على حب آل محمد مات مغفورا له » وعنه صلى الله عليه وسلم « لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم منى » وعنه صلى الله عليه وسلم « لا يدخلون

الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولرسوله » وعنه صلى الله عليه وسلم « من أحبنى أحب أصحابى وقرابتى » وفى [جص] « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب أهل بيته ، وقراءة القرآن فإن حملة القرآن فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه »وفى العزيزى فائدة : ويجب على الآباء تعليم الأولاد أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بعث بمكة ودفن بالمدينة ، فإن لم يكن أب فعلى الأم إن كانت وإلا فعلى الأولياء الأقرب فالأقرب انظره ، وفيه « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبونى لحب الله ، وأحبوا أهل بيتى لحبى » وفيه : «أحبوا العرب لثلاث لأنى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى » وفيه : «أحبوا قريشا فإنه من أحبهم أحبه الله» وفيه«أثبتكم على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتى ولأصحابى » وروى « معرفة آل محمد صلى الله عليه وسلم براءة من النار ،وحب آل محمد صلى الله عليه وسلم جواز على الصراط » وعن أبى بكر رضى الله عنه : ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته ، وعنه أيضا : والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلىّ أن أصل من قرابتى . وروى « أحب أهل بيتى إلىّ فاطمة والحسن والحسين » ورحم الله من قال :

جاء عن الرسول فى الأنباء — من حبنى يحب هولاء
وقال هؤلاء منى بضعة — فحبهم يكون بعدى سنة
وحبهم على العباد فرض عين — فهكذا قال الرسول دون مين
السب لايجوز فى آل النبى — ولو عصوا وبدلوا فى المذهب
من سب فى آل رسول الله — فهو عدوّ كافر بالله
ولا يصلى خلفه فرض ولا — يجوز فى شهادة إن نزلا
يقتل شرعا باتفاق العلما — إن لم يتب من فعله ويندما
إن مات عند الناس لا يكفن — وفى قبور المشركين يدفن

(أوصحابه) أى وكساب ّ لأصحابه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. وفى [جص] « من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» وفى رواية «ولا يقبل منه صرف ولا عدل» أى لا يقبل الله منه شيئا من أعماله، وفيه « لعن من سب أصحابى » وفيه «شفاعتى مباحة إلا لمن سب أصحابى » وفيه «حب أبى بكر وعمر من الإيمان وبغضهما كفر، وحب الأنصار من الإيمان وبغضهم كفر ، وحب العرب من الإيمان وبغضهم كفر ومن سب أصحابى فعليه لعنة الله ومن حفظنى فيهم فأنا أحفظه يوم القيامة. وفيه إذا رأيتم الذين يسبون أصحابى فقولوا لهم لعنة الله على شركم » أى قولوا لهم ذلك بلسان المقال أو بلسان الحال إن خفتم شرهم . وفيه « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ،ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» . وفيه : «دعوا لى أصحابى وأصهارى فمن آذانى فى أصحابى وأصهارى آذاه الله تعالى يوم القيامة » اه وفى الشفا قال مالك بن أنس وغيره : من أبغض الصحابة وسبهم فليس له فى فىء المسلمين حق ونزع بآية الحشر — والذين جاؤا من بعدهم — الآية ، وقال : من غاضه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر قال الله تعالى — ليغيظ بهم الكفار — وقال عبد الله بن المبارك : خصلتان من كانتا فيه نجا : الصدق وحب أصحاب رسول الله صلى الله وسلم . قال أيوب السختيانى : من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الرحمن ، ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة

الوثقى ، ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ، ومن انتقص أحدا منهم فهو مبتدع ومخالف للسنة والسلف الصالح ، وأخاف أن لايصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما، ثم قال : قال سهل بن عبد الله التسترى : لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره صلى الله عليه وسلم ، انظره فقد أشفى الغليل وأبرأ العليل فيما لله تعالى ولرسله عليهم الصلاة والسلام ولأهل البيت وللصحابة رضى الله عنهم ، جزاه الله عنا وعن المسلمين أحسن الجزاء آمين (أو الأولياء) أى وكساب للأولياء رضى الله عن جميعهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين (مطلقا) أى أحياء كانوا أو أمواتا . وفى [جه] ومما يلحق بهذا الباب سب الأولياء نسأل الله السلامة والعافية من سب الأولياء كلهم ، انظره . وفيه : وكان يقول أبو تراب النخشبى رضى الله عنه فى حق المحجوبين من أهل الإنكار : إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة فى أولياء الله اه . وفى [ثبق] أخذ علينا العهود أن نأمر إخواننا من الفقهاء بتعظيم الذاكرين الله تعالى والذاكرات من حيث نسبتهم إلى مجالسة الحق حال ذكرهم فى قوله « أنا جليس من ذكرنى ». أى أنا معه ، ومن كان الحق تعالى معه لاينبغى لمن له دين أن يتعرض له بالأذى أو ينوى له سوءا فى وقت من الأوقات، وهذا الأمر وإن كان واجبا فى حق كل المسلمين فهو فى حق الذاكرين أوجب وأوجب ، وما رأينا أحدا قط آذى الفقراء والصالحين وأنكر عليهم بغير طريق شرعى ومات على نعت استقامة أبدا ، وفى الحديث الصحيح « من آذى لى وليا فقد آذنته بالمحاربة » وعلامة الولى التى لاشك فيها أن يكون مكثرا من ذكر الله ، ويؤيده قول أبى على الدقاق رضى الله عنه : الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى منشور الولاية اه .

فعلم أنه لاينبغى لأحد أن يمنع الذاكرين من رفع الصوت فى المساجد بالذكر إلا بطريق شرعى كأن يشوش على نائم أو مصل أو مطالع فى علم شرعى ونحو ذلك ، فليتفقد المانع لهم نفسه فربما كان المنع بغير طريق شرعى والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم اه . وعن بعضهم : إيذاء أولياء الله علامة على سوء الخاتمة كأكل الربا عافانا الله تعالى من ذلك ، فمن والى أولياء الله أكرمه الله ومن عادى أولياء الله أهلكه الله اه . وفى لطائف المنن : فأصغ رحمك الله إلى ما تضمنه هذا الحديث يعنى « من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب » من عزازة قدر الولى وفخامة رتبته حتى ينزله الحق سبحانه وتعالى هذه المنزلة ويحله هذه الرتبة بقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى «من آذى لى وليا فقد آذنته بالحرب» لأن الولى خرج عن تدبيره إلى تدبير الله ، وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له ، وعن حوله وقوته بصدق التوكل على الله عز وجل ، فقد قال سبحانه وتعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - قال الله عز وجل - وكان حقا علينا نصر المؤمنين - وإنما كان ذلك لهم لأنهم جعلوا الله تعالى مكان همومهم فدفع عنهم الأغيار وقام لهم بوجود الانتصار ، وفيها عن المرسى رضى الله عنه يقول : ولى الله مع الله كولد اللبوة فى جحرها أتراها تاركة ولدها لمن أراد اغتياله . وفيها أيضا : إياك أيها الأخ أن تصغى إلى الواقعين فى هذه الطائفة والمستهزئين لئلا تسقط من عين الله وتستوجب المقت من الله فإن هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق وإخلاص الوفاء ومراقبة الأنفاس مع الله ، قد سلموا قيادهم إليه وألقوا أنفسهم سلما بين يديه ، تركوا الانتصار لأنفسهم حياء من ربوبيته لهم واكتفوا بقيوميته فقام لهم بأوفر مايقومون

به لأنفسهم ، وكان هو المحارب لمن حاربهم والغالب لمن غالبهم ، ولقد ابتلى الله سبحانه هذه الطائفة بالخلق خصوصا أهل العلم الظاهر فقل أن تجد منهم من شرح الله صدره للتصديق بولى معين بل يقول لك نعلم أن الأولياء موجودون ولكن أين هم؟ فلا تذكر لهم أحدا إلا وأخذ يدفع خصوصية الله فيه طلق اللسان بالاحتجاج عاريا من وجود نور التصديق ، فاحذر ممن هذا وصفه وفر منه فرارك من الأسد جعلنا الله وإياك من المصدقين بأوليائه بمنه وكرمه إنه على كل شىء قدير اه . ورحم الله من قال :

استتار الرجال فى كل أرض تحت سوء الظنون قدر جليل

مايضر الهلال فى حندس (١) الليـ ل اسوداد السحاب وهو جميل

وفى [جه] عن أبى الحسن الشاذلى : وقد جرت سنة الله تعالى فى أنبيائه وأصفيائه أن يسلط عليهم الخلق فى مبدإ أمرهم وفى حال نهايتهم كلما مالت قلوبهم لغير الله تعالى ثم تكون الدولة والنصرة لهم آخر الأمر إذا أقبلوا على الله تعالى كل الإقبال اه .

قلت : وذلك لأن المريد السالك يتعذر عليه الخلوص إلى حضرة الله تعالى مع ميله إلى الخلق وركونه إلى اعتقادهم فيه فإذا آذاه الناس وتقصوه ورموه بالزور والبهتان نفرت نفسه منهم ولم يصر عنده ركون إليهم البته ، وهنالك يصفو له الوقت مع ربه ويصح له الإقبال عليه لذهاب التفاته إلى وراء فافهم . ثم قال : وكان أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول : لما علم الله عز وجل ما سيقال فى هذه الطائفة على حسب ماسبق به القلم القديم بدأ سبحانه وتعالى بنفسه فقضى على قوم أعرض عنهم بالشقاء فنسبوا إليه زوجة وولدا وفقرا وجعلوه مغلول اليدين ، فإذا ضاق ذرع الولى والصديق لأجل كلام قيل فيه من كفر وزندقة وسحر وجنون وغير ذلك نادته هواتف الحق فى سره الذى قيل فيك هو وصفك الأصلى لولا فضلى عليك ، أما ترى إخوانك من بنى آدم كيف وقعوا فى جنابى ونسبوا إلىّ مالا ينبغى لى فإن لم ينشرح لما قيل فيه بل انقبض نادته هواتف الحق أيضا أمالك بى أسوة فقد قيل فىّ مالا يلوق بجلالى وقيل فى حبيبى محمد وفى إخوانه من الأنبياء والرسل مالا يليق برتبتهم من السحر والجنون وأنهم لايريدون بدعائهم إلىّ إلا الرياسة والتفضيل عليهم ، انظره . وعن سيدى على بن وفا رضى الله عنه : كن للأولياء خادما إما تترحم أولتغنم أولتسلم ، وإياك أن تكون لهم حاسدا فإنه لابد لك أن ترجم وتلعن وتطرد ولو على ممر الأيام ، وإن كان لك مؤلفات أو تلامذة عدمت النفع بها وبهم قال : وبالجملة فجميع ما يطلبه العبد لإخوانه من خير أو شر يجازيه الله به هذا ضابطه اه . وعن الشعرانى فى تنبيه المغترين : وكان أبو هريرة يقول : «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدى الله عز وجل فيقول الله عز وجل هل أحببت لى وليا حتى أحبك له» اه : فأحبوا يا إخوانى الأولياء والصالحين واتخذوا عندهم أيادى فإن لهم دولة يوم القيامة . وفى [جص] « اتخذوا عند الفقراء أيادى فإن لهم دولة يوم القيامة » قال الحفنى : ورؤى سيدنا على رضى الله عنه فى النوم فقيل له أى الأعمال أحب ؟ فقال مواساة الفقراء ، وأحب منه أن تتيه الفقراء على الأغنياء : أى تظهر العجب عليهم والغنى عنهم فلا يتذللون لهم لأجل طلب شىء منهم إلا إن خافوا ضررا من التيه عليهم ، انظره . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - (ودون توبة) من جميع ما ذكر ؛ ومن تاب تاب الله عليه قال تعالى - إلا من تاب

---

(١) الحندس بكسر مهملة ، كزبرج الليل المظلم والظلمة اه .

وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما - وقال - وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات - وقال - إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين - وروى « التائب من الذنب كمن لاذنب له والتائب حبيب الله » وفى [جص] « إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يأتى الله وليس عليه شاهد من الله بذنب » . وفى [جه] وأما الخلاص منها بعد الوقوع فبالتوبة منها ، أما فى المهلكات غير الردة فبمجرد التوبة يتخلص منها إلا ما كان منها فى حقوق العباد فبالتحلل منهم ، والتوبة فى الردة أما فى السب الصريح فى جانب الربوبية أو النبوة فيزاد مع التوبة القتل حدا ، وإن تاب ولم يقتل فتوبته صحيحة ولا قتل عليه وإن لم يتب من ردته قتل كفرا ، وإن كان المرتد ذا زوجة أوذات زوج بطل نكاحهما ، وينبغى لمن استفتياه أن لايحكم لهما بطلقة لابائنة ولا رجعية بل يحكم لهما بالفسخ بينهما فإن تراجعا فلا تحرم الزوجة ، وإن تكرر من أحد الزوجين ثلاثا أو أكثر وأما إن أفتاهما بالطلاق ربما يتكرر من أحدهما الردة أو يكون مضت لهما طلقة أو طلقتان ولم يصبرا على الرجوع فيؤديهما إلى ارتكاب محرم صريحا مع دعوى الحلية والزوجية فيقع عين الكفر الذى أردنا أن نخرجه منه وهو تحليل ماحرم الله ، فهذه نكتة فسخ النكاح بين من ارتد وزوجه ، فهكذا قال سيدنا رضى الله عنه ومتعنا برضاه آمين - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - والله تعالى أعلم وأحكم .

انتهى الجزء الأول من شرح الدرة الخريدة على الياقوتة الفريدة بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم انتهى.

(ويتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثانى ، أوله فصل فى بعض الآداب المطلوبة من الإخوان)

﴿ فهرست الجزء الأول من شرح الدرة الخريدة على الياقوتة الفريدة ﴾

صحيفة

203
